



<http://www.masaha.org>

الأغاني

الجزء الخامس

تأليف

ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة



<http://www.masaha.org>

الجزء الخامس

من كتاب الأغاني بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تتمة التراجم

1- ذكر النابغة الجعدي و نسبه و أخباره و السبب الذي من أجله قيل [1] هذا الشعر

نسبه و كنيته:

هو-على ما ذكر أبو عمرو الشيباني و القحذمي، و هو الصحيح، -حبّان [2] بن قيس بن عبد الله بن وحوح بن عدس [3]- و قيل ابن عمرو بن عدس مكان وحوح- ابن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. هذا النسب الذي عليه الناس اليوم مجتمعون. و قد روى ابن الكلبي و أبو اليقظان و أبو عبيدة و غيرهم في ذلك روايات تخالف هذا، فمنها أن [ابن] [4] الكلبي ذكر عن أبيه أن خصفه الذي يقول الناس إنه ابن قيس بن عيلان ليس كما قالوا، و أن عكرمة ابن قيس بن عيلان و خصفة أمه، و هي امرأة من أهل هجر. و قيل: /بل هي حاضنته؛ و كان قيس بن عيلان قد مات و عكرمة صغير فرثته حتى كبر، و كان قومه يقولون: هذا عكرمة بن خصفة، فبقيت/ عليه؛ و من لا يعلم يقول:

عكرمة بن خصفة بن قيس، كما يقال خندف [5]، و إنما هي امرأة و زوجها إلياس بن مضر. و قالوا في صعصعة بن [1] في م: «قال» و المراد بهذا الشعر ما ورد في آخر الجزء الرابع من هذه الطبعة و نسب للنابغة.

[2] كذا في «أسد الغابة» (ج 5 ص 2) و «خزانة الأدب» (ج 1 ص 512) «و الإصابة» (ج 6 ص 218) «و الاستيعاب» (ج 1 ص 320).

و في جميع الأصول: «حسان» .

[3] عدس: هو بضم العين و فتح الدال، و كذا ضبط كل من اسمه عدس في العرب إلا عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم فهو وحده بضم العين و الدال. (راجع «مختلف القبائل و مؤلفها» لابن حبيب ص 4 طبع أوروبا) .

[4] التكملة عن م.

[5] خندف (كزبرج) هي ليلى بنت حلوان بن عمران زوج إلياس بن مضر، و أولادهما: عمرو و هو مدركة و عامر و هو طابخة و عمير و هو

قمعة، و زعموا أن سبب هذه التسمية أن إياس خرج مرة في نجعة فنفرت إبله من أرنب، فخرج إليها عمرو فأدركها، و خرج عامر فتصيدها و طبخها، و انقمع عمير في الخباء، و خرجت أمهم ليلى تسرع، فقال لها إياس: أين تخندين؟ فقالت: ما زلت أخندف في أثركم. فلقبوا مدركة و طابخة و قمعة و خندف فذهب لها اسما و لولدها نسبا «شرح القاموس» مادة خندف).

معاوية: إن الناقمية [1] بنت عامر بن مالك، و هو الناقم، سمِّي بذلك لأنه انتقم بلطمة لطمها، و هو ابن سعد [2] بن جدان [3] بن جديلة بن أسيد بن ربيعة بن نزار، كانت عند معاوية بن بكر بن هوازن فمات عنها أو طلقها و هي نساء [4]، فتزوجها سعد بن زيد مناة بن تميم، فولدت على فراشه صعصعة بن معاوية، ثم ولدت هبيرة و نجدة و جنادة؛ فلما مات سعد اقتسم بنوه الميراث و أخرجوا صعصعة منه، و قالوا: أنت ابن معاوية بن بكر؛ فلما رأى ذلك أتى بني معاوية بن بكر فأقروا بنسبه و دفعوه عن الميراث؛ فلما رأى ذلك أتى سعد بن الطرب العدواني فشكا إليه ما لقي، فزوجه بنت أخيه عمرة بنت عامر بن الطرب، و أبوها عامر الذي يقال له: ذو الحلم [5]؛ و عمرة ابنته هذه هي التي كانت تفرع [6] له العصا إذا سها في الحكم؛ و له [7] يقول الشاعر [8]:

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا # و ما علم الإنسان إلا ليعلما

قال: و كانت عمرة يوم تزوجها عمها نساء من ملك من ملوك اليمن يقال له: الغافق بن العاصي الأزدي، و الملك يومئذ في الأزد، فولدت على فراش صعصعة عامر بن صعصعة، فسماه صعصعة عامرا بجده عامر بن الطرب. و قال في ذلك حبيب بن وائل بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن:

[1] في «شرح القاموس» مادة «نقم»: «و الناقمية هي رقاش بنت عامر و بنوها بطن من عبد القيس نسبوا إلى أمهم. و قال ابن الأثير: هي أم ثعلبة و سعد ابني مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بها يعرفون. و قال الكلبي: تزوج غنم بن حبيب بن كعب بن بكر بن وائل الناقمية و هي رقاش بنت عامر و هي عجوز فقيل: ما تريد منها؟ فقال: لعلني أتعيز منها غلاما فولدت منه غلاما فولدت منه غلاما سمي عيز و أنشد الجوهري لسعد بن زيد مناة:

لقد كنت أهوى الناقمية حقة # فقد جعلت آسان وصل تقطع»

الآسان: جمع أسن بضمين و بالكسر و تسكين السين و كعتل: الحبل. و كتب مصحح «شرح القاموس» بهامشه ما نصه: «قوله: أتعيز كذا بالنسخ و حرره» و لم نجد هذه الكلمة في مادتها في الكتب التي بين أيدينا؛ و قد استقصيناها فوجدنا صوابها في «شرح القاموس» في مادة «غير» حيث قال: «و تزوج غنم (و في «القاموس» عثمان و هو غلط) بن حبيب بن كعب بن بكر بن يشكر بن وائل امرأة مسنة اسمها رقاش بنت عامر فقيل له: إنها

كبيرة السن! فقال: لعلني أتغير منها ولدا أي أستفيده فلما ولد له سماه غبر كزفر فهو أبو قبيلة» اهـ.

و جاء في «لسان العرب» مادة «غبر» ما نصه: «تزوّج رجل من العرب امرأة قد أسنت ف قيل له في ذلك فقال: لعلني أتغير منها ولدا فولدت له غبر، مثل عمر، و هو غبر بن غنم بن يشكر بن بكر بن وائل، و معنى أتغير منها ولدا: أستفيد منها ولدا» اهـ. و قد ورد أيضا في «المشتمه» للذهبي و «مختلف القبائل و مؤتلفها» لابن حبيب (ص 23 طبع أوروبا) : «غبر (بالغين المعجمة و بالياء الموحدة) ابن غنم بن حبيب بن معاذ بن عمرو بن الحارث بن معاوية بن بكر بن هوازن» اهـ.

[2] كذا في «شرح القاموس» و «الصحاح» للجوهري (مادة نغم) . و في جميع الأصول: «مسعود» .

[3] كذا في «شرح القاموس» مادة جدد و كتاب «مختلف القبائل و مؤتلفها» (طبع أوروبا ص 3) و هو قريب لما جاء في نسخة م من التصحيف فقد ورد فيها: «حدان» بالحاء المهملة. و في سائر الأصول: «خندف» و هو خطأ.

[4] النساء (بالتثنية) : المرأة المظنون بها الحمل، و قيل: التي ظهر حملها.

[5] كذا في م و هو الموافق لما جاء في «اللسان» و «القاموس» (مادة قرع) «و مجمع الأمثال» للميداني (طبع بولاق ج 1 ص 32) . و في سائر الأصول: «الحكم» بالكاف و ظاهر أنه تحريف.

[6] قيل: إن أول من قرعت له العصا عمرو بن مالك بن ضبيعة أخو سعد بن مالك الكناني، و قيل: خالد بن ذي الجدين حكم ربيعة، و قيل: هو ربيعة بن مخاشن حكم تميم، و قيل: هو عمرو بن حممة الدوسي حكم اليمن. (راجع «شرح القاموس» مادة قرع و «مجمع الأمثال» للميداني) .

[7] كذا في م. و في باقي الأصول: «و لهما يقول الشاعر» .

[8] نسب هذا البيت في «اللسان» و «شرح القاموس» (مادة قرع) إلى المتلمس.

/

أزعمت أنّ الغافقيّ أبوكم # نسب لعمر أبيك غير مفند [1]
 و أبوكم ملك ينتف باسته # هلباء [2] عافية كعرف الهدهد
 جنحت عجوزكم إليه فردّها # نسنا بعامرکم و لمّا يوید

و یکنی النابغة أبا لیلی.

و أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال:

هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن [جعدة] [3] بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. و قال ابن الأعرابي: هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة، و وافق ابن سلام في باقي نسبه [4]. و هذا وهم ممن قال: إن اسمه قيس [5]؛ و ليس يشك في أنه كان له أخ يقال له وحوح بن قيس، و هو الذي قتله بنو أسد؛ و خبره يذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة.

و أمه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن شحنة الأسديّ.

سبب لقبه النابغة:

و إنما سمّي النابغة لأنه أقام مدّة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله.

/أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد: قرأت على القحزمي: قال الجعديّ الشعر في الجاهلية ثم أجبل [6] دهرًا ثم نبغ بعد في الشعر في الإسلام.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: أقام النابغة الجعديّ ثلاثين سنة لا يتكلم، ثم تكلم بالشعر.

عمره و شعره فيه:

قال القحزمي في رواية حمّاد عنه: كان الجعديّ أسنّ من نابغة بني ذبيان.

[1] مفند: مكذب.

[2] هلباء: كثيرة الشعر، يقال: رجل أهلب و امرأة هلباء. و الهلباء صفة غالبية على الاست. و عافية: طويلة الشعر غزيرته، يقال: عفا شعر البعير إذا طال و كثر فغطى دبره، و فلان عفا شعره و أعفاه: تركه حتى طال و كثر.

[3]التكملة عن م «و طبقات الشعراء» لابن سلام (ص 26 طبع ليدن)

[4]كذا في م. و في سائر النسخ: «في بعض نسبه» .

[5]ورد في كتاب «المعمرين» لأبي حاتم السجستاني (ص 71 طبع ليدن) أن اسمه قيس بن عبد الله. و قد استدل المؤلف على بطلان قولهم بأن له أبا يسمى وحوح بن قيس، و إذا فقيس اسم أبيه لا اسمه. قال في الإصابة: «و يحتمل أن يكون أخاه لأمه» . و لعل مصدر هذا الاحتمال قول النابغة: أ لم تعلمي أني رزئت محاربا # فما لك منه اليوم شيء و لا ليا

و من قبله ما قد رزئت بوحوح # و كان «ابن أمي» و الخليل المصافيا

و التعبير عن الأخ بابن الأم يحتمل معه أن يكون الأخوان لأب واحد أو لأبوين. و ذكر ابن قتيبة في كتابه «طبقات الشعراء» (ص 158 طبع ليدن) ما نصه: «هو عبد الله بن قيس من جعدة... إلخ» .

[6]أجبل الشاعر: صعب عليه القول.

قال ابن سلام في رواية أبي خليفة عنه: كان الجعديّ [1] النابغة قديما شاعرا طويلا مفلقا طويل البقاء في الجاهلية و الإسلام، و كان أكبر من الذبيانيّ؛ و يدلّ على ذلك قوله: و من [2] يك سائلا عنيّ فإني # من الفتيان أيام الخان [3] /

أنت مائة لعام ولدت فيه # و عشر بعد ذاك و حجتان
فقد أبقت خطوب الدّهر منّي # كما أبقت من السيف اليماني

[4] و عمّر بعد ذلك عمرا طويلا. سئل محمد بن حبيب عن أيام الخان ما هي؟ فقال: وقعة لهم؛ فقال قائل منهم و قد لقوا عدوهم: خنّوهم [5] بالرماح، فسَمّي ذلك العام الخان. و يدل على أنه أقدم من النابغة الذبيانيّ أنه عمّر مع المنذر بن المحرّق قبل النعمان بن المنذر، و كان النابغة الذبيانيّ مع النعمان بن المنذر و في عصره، و لم يكن له قدم إلا أنه مات قبل الجعديّ، و لم يدرك الإسلام. و الجعديّ الذي يقول: تذكّرت شيئا قد مضى لسبيله # و من عادة المحزون أن يتذكّرا

نداماي عند المنذر بن محرّق # أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا
كهول و فتيان كأنّ وجوههم # دنانير ممّا شيف [6] في أرض قيصرا

أخبرني أحمد بن عبد العزيز و حبيب بن نصر قالوا حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني عبد الله بن محمد بن حكيم عن كان يأخذ العلم عنه و لم يسمّ إليّ أحدا في هذا [7]: أن النابغة عمّر مائة و ثمانين سنة، و هو القائل: لبست أناسا فأفنيتهم # و أفنيت بعد أناس أناسا

ثلاثة أهليين أفنيتهم # و كان الإله هو المستأسا [8]

و هي قصيدة طويلة، يقول فيها، و فيه غناء:

صوت

و كنت غلاما أقاسي الحرو # ب يلقي المقاسون منّي مراسا
فلما دنونا لجرس [9] التبا # ح لم نعرف الحيّ إلا التماسا

[1] عبارة ابن سلام في كتابه «طبقات الشعراء» (ص 26): «و كان النابغة شاعرا قديما مفلقا في الجاهلية و الإسلام و كان... إلخ» .

[2] ورد هذا الشطر في كتاب «الشعر و الشعراء» (ص 162) «و شرح القاموس» مادة خنن هكذا: و من يحرص على كبرى فاني

[3]الخنان (كغراب) : داء يأخذ الطير في حلوقها و في العين و زكام للإبل، و زمن الخنان كان في عهد المنذر بن ماء السماء، قال الأصمعيّ: كان الخنان داء يأخذ الإبل في مناخرها و تموت منه، فصار ذلك تاريخاً لهم.

[4]هذا الخبر الموضوع بين قوسين مذكور في س، م دون سائر الأصول.

[5]خنوهم: اقطعوهم.

[6]كذا في «جمهرة أشعار العرب» ، و شاف الدينار أو السيف: جلاه. و في م، س المذكور فيهما هذا الخبر: «سيق» بالسين و القاف، و هو تحريف.

[7]كذا في م. و في باقي الأصول: «و لم يسم أحداً إلا في هذا» .

[8]المستأس: المستعاض و المستعان، من الأوس، و هو العوض و العطية.

[9]جرس النباح: صوت نباح الكلاب.

أضاعت لنا النار وجهها أغ # ر ملتبسا بالفؤاد التباسا

عنى في هذه الثلاثة الأبيات فليح بن أبي العوراء خفيف ثقيل أول
بالوسطى.

/رجع الخبر إلى رواية عمر بن شبة:

قال: و قال أيضا:

ألا زعمت بنو سعد بأني # -ألا كذبوا- كبير السن فاني

أنت مائة لعام ولدت فيه # و عشر بعد ذاك و حجتان

قال: و أنشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبياته التي يقول
فيها: ثلاثة أهلين أفنيتهم

فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: كم لبثت مع كل أهل؟ قال: ستين

سنة.

سمع أعجمي بشعره فقال إنه مشئوم:

و أخبرني بعض أصحابنا عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن ابن أخي
الأصمعي عن عمه قال: أنشد رجل من العجم قول النابغة الجعدي:

لبست أناسا فأفنيتهم # و أفنيت بعد أناس أناسا

قيل إنه عاش 220 سنة:

و فسّر له، فقال: «بدين شان بود»، أي هذا رجل مشئوم. و أما ابن
قتيبة فإنه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنه عمّر مائتين و عشرين
سنة، و مات بأصبهان. و ما ذاك بمنكر؛ لأنه [1] قال لعمر رضي الله تعالى
عنه: إنه أفنى ثلاثة قرون كل قرن ستون سنة، فهذه مائة و ثمانون، [ثم
عمّر] [2] بعده فمكث بعد قتل عمر خلافة عثمان و عليّ و معاوية و يزيد، و
قدم على عبد الله بن الزبير بمكة و قد دعا لنفسه، فاستماحه و مدحه؛ و
بين عبد الله بن الزبير و بين عمر [نحو] مما ذكر ابن قتيبة؛ بل/لا أشك أنه قد
بلغ هذه السنّ و هاجى أوس بن مغراء بحضرة الأخطل و العجاج و كعب بن
جعيل فغلبه أوس، و كان مغلبا [3].

أنشد النبي شعرا فدعا له:

حدّثنا أحمد بن عمر بن موسى القطان المعروف بابن زنجويه قال
حدّثنا إسماعيل بن عبد الله السكريّ قال حدّثنا يعلى بن الأشدق العقيليّ
قال حدّثني نابغة بني جعدة قال: أنشدت النبيّ صلى الله عليه و سلم هذا

الشعر فأعجب به: [1] كذا في م. و في باقي الأصول: «إلا أنه... إلخ» و هو تحريف.

[2] هذا ما ورد في م. و في باقي الأصول: «ثم عمر بعدهم فمكث بعد قتل عمر إلى خلافة عثمان... و بين هؤلاء و عمر نحو...
.... إلخ» .

[3] يقال: شاعر مغلب أي كثيرا ما يغلب.

بلغنا السماء مجدنا و جدودنا[1] # و إنا لنبغى فوق ذلك مظهرا

/فقال النبي صلى الله عليه و سلم: «فأين المظهر يا أبا ليلى» ؛
فقلت: الجنة؛ فقال: «قل إن شاء الله» ؛ فقلت: إن شاء الله.

و لا خير في حلم إذا لم يكن له # بوادر تحمي صفوه أن يكذرا

و لا خير في جهل إذا لم يكن له # حليم إذا ما أورد الأمر أصدرنا

فقال النبي صلى الله عليه و سلم: «أجدت لا يفضض الله فاك» ؛ قال:
فلقد رأيتَه و قد أتت عليه مائة سنة أو نحوها و ما انفضَّ من فيه سنٌّ.

أنكر الخمر في الجاهلية و هجر الأزلام و الأوثان:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني أبو حاتم قال أخبرنا أبو
عبدة قال: /كان النابغة الجعدي ممن فكر في الجاهلية و أنكر الخمر و
السُّكر و ما يفعل بالعقل، و هجر الأزلام[2] و الأوثان[3]، و قال في
الجاهلية كلمته التي أولها: الحمد لله لا شريك له # من لم يقلها فنفسه
ظلما

وفد على النبي و أسلم:

و كان يذكر دين إبراهيم و الحنيفية، و يصوم و يستغفر، و
يتوقى[4]أشياء لعواقبها. و وفد على النبي صلى الله عليه و سلم فقال:
أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى # و يتلو كتابا كالمجرّة[5]نيّرا

و جاهدت حتى ما أحسنّ و من معي # سهيلا إذا ما لاح ثمت غورا

أقيم على التقوى و أرضى بفعالها[6] # و كنت من النار المخوفة أوجرا[7]

و حسين إسلامه، و أنشد النبي صلى الله عليه و سلم؛ فقال له: «لا
يفضض الله فاك» ؛ و شهد مع عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه
صقّين. و قد ذكر خبره[مع عمر رضي الله عنه[8]؛ و أما خبره]مع عثمان
فأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال قال
مسلمة بن محارب: [1]في «جمهرة أشعار العرب» (طبع مطبعة بولاق
الأميرية) :

بلغنا السما مجدنا وجودا و سؤودا # و إنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

و في «اللسان» (مادة ظهر) :

بلغنا السماء مجدنا و سناؤنا #

[2]الأزلام: قداح كانت في الجاهلية مكتوب عليها الأمر و النهي: افعل و لا تفعل، كان الرجل منهم يضعها في وعاء له، فإذا أراد أمرا مهما من سفر أو زواج، أدخل يده فأخرج منها زلما (الزم بفتحتين أو بضم ففتح) فإن خرج الأمر مضى لشأنه، و إن خرج النهي كف عنه و لم يفعله.

[3]الوثن: الصنم ما كان، و قيل: الصنم الصغير، و قال ابن الأثير: الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب و الحجاره كصورة الآدميّ تعمل و تنصب فتعبد، و الصنم: الصورة بلا جثة، و منهم من لم يفرق بينهما و أطلقهما على المعنيين.

[4]كذا في م. و في باقي الأصول: «يتوقع» ، و هو تحريف.

[5]المجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر و إنما ينتشر ضوأها فيرى كأنه بقعة بيضاء.

[6]كذا في م و هو الموافق لما في «الإصابة» . و في باقي الأصول: «بفعله» .

[7]أوجر: خائف، يقال: و جر من الشيء إذا خاف، و بابه كفرح، و الوصف منه و جر و أوجر.

[8]التكملة عن م.

استأذن عثمان في سكني البادية:

دخل النابغة الجعديّ على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال: أستودعك الله يا أمير المؤمنين؛ قال: و أين تريد يا أبا ليلى؟ قال: ألحق بإبلي فأشرب من ألبانها فإنني منكر لنفسي؛ فقال: أ تعزّبا[1] بعد الهجرة يا أبا ليلى! ما علمت أن ذلك مكروه؟! قال: ما علمته، و ما كنت لأخرج حتى أعلمك. قال: فأذن له، و أجل له في ذلك أجلا؛ فدخل على الحسن و الحسين ابني عليّ فودّعهما؛ فقالا له: أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى؛ فأنشدهما:

الحمد لله لا شريك له # من لم يقلها فنفسه ظلما

فقالا: يا أبا ليلى، ما كنا نروي هذا الشعر إلا لأمية بن أبي الصلت؛ فقال: يا بني رسول الله صلى الله عليه و سلم إني لصاحب هذا الشعر و أوّل من قاله، و إن السُّروق[2] لمن سرق شعر أمية.

كان مغلبا ما هاجى قط إلا غلب:

قال أبو زيد عمر[3] بن شبة في خبره:

كان النابغة شاعرا متقدّما، و كان مغلبا ما هاجى قطّ إلا غلب، هاجى أوس بن مغراء و ليلى الأخيلية و كعب بن جعيل فغلبوه جميعا.

مهاجاته أوس بن مغراء:

و قال أبو عمرو الشيبانيّ: كان بدء حديث النابغة و أوس بن مغراء أنّ معاوية لما وجّه بسر بن أرطاة[4] الفهريّ لقتل شيعة عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، / قام إليه معن بن يزيد بن الأخنس السلميّ و زياد بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة، فقالا: يا أمير المؤمنين، نسألك بالله و بالرحم ألا تجعل لبسر على قيس سلطانا، فيقتل[5] قيسا بمن قتلت بنو/سليم من بني فهر و بني كنانة يوم دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة؛ فقال معاوية: يا بسر لا أمر[6] لك على قيس؛ و سار بسر حتى أتى المدينة، فقتل[7] ابني عبيد الله بن العباس، و فرّ أهل المدينة و دخلوا الحرّة (حرّة بني سليم). ثم سار بسر حتى أتى الطائف؛ فقالت له ثقيف: ما لك علينا سلطان، نحن من قيس؛ فسار حتى أتى همدان و هم في جبل لهم يقال له شبام، فتحصّنت فيه همدان، ثم نادوا: يا بسر نحن همدان و هذا شبام، فلم يلتفت إليهم؛ حتى إذا اغتروا و نزلوا إلى قراهم، أغار عليهم فقتل و سبى نساءهم؛ فكنّ أوّل مسلمات سبين في [1] يقال: تعرّب الرجل: صار أعرابيا بعد أن كان عربيا و في الحديث: ثلاث من الكبائر: منها

التعزّب بعد الهجرة و هو أن يعود إلى البادية و يقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا.

[2] في م: «إن السروق عين السروق من...» .

[3] في الأصول: «قال أبو زيد قال عمر... إلخ» بزيادة «قال» و هو خطأ، إذ أبو زيد كنية عمر بن شبة. و في م: «قال أبو زيد في خبره» دون «عمر بن شبة» .

[4] في «أسد الغابة» «و قيل: ابن أبي أرتاة» و مثله في «طبقات ابن سعد» . و في «الاستيعاب» : «بسر بن أرتاة بن أبي أرتاة» و هو أحد من بعثه عمر بن الخطاب مددا لعمر بن العاص لفتح مصر و شهد صفين مع معاوية و كان شديدا على عليّ و أصحابه.

[5] كذا في م. و في باقي الأصول: «فيجعل قيسا...» و هو تحريف.

[6] في م: «لا إمرة على قيس... إلخ» .

[7] في الطبري «و المعارف» لابن قتيبة أن قتلها كان باليمن، و قد كان أبوهما واليا عليها من قبل عليّ، فلما بلغه مسير بسر فرّ إلى الكوفة، فكان من أمر ابنيه الطفيلين ما ذكر.

الإسلام. و مرّ بحيّ من بني سعد نزول بين ظهري بني جعدة بالفلج [1]، فأغار بسر على الحيّ السّعديين فقتل منهم و أسر؛ فقال أوس بن مغراء في ذلك: مشرّين ترعون النّجيل و قد غدت # بأوصال قتلاكم كلاب مزاحم

-المشّر: الذي قد بسط ثوبه في الشمس. و النجيل: جنس من الحمض-فقال النابغة يحييه: /

متى أكلت لحومكم كلابي # أكلت يدك من جرب تهام [2]

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب مما أجاز لنا روايته عنه من حديثه و أخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلام الجمحيّ عن أبي الغرّاف، و أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز و حبيب بن نصر، قالاً حدّثنا عمر بن شبة [عن محمد [3] بن سلام] عن أبي الغرّاف [4]: أن النابغة هاجى أوس بن مغراء؛ قال: و لم يكن أوس مثله و لا قريبا منه في الشعر؛ فقال النابغة: إني و إياه لنبتدر بيتا، أيّنا سبق إليه غلب صاحبه؛ فلما بلغه قول أوس: لعمرك ما تبلى سراويل عامر # من اللؤم ما دامت عليها جلودها

قال النابغة: هذا البيت الذي كنا نبتدر إليه. فغلب أوس عليه.

قال أبو زيد [5]: فحدّثني المدائنيّ أنهما اجتمعا في المربرد [6] فتنافرا و تهاجيا، و حضرهما العجاج و الأخطل و كعب بن جعيل، فقال أوس: /

لما رأيت جعدة منا وردا [7] # ولّوا نعاما في البلاد [8] ريدا [9]

إنّ لنا عليكم معدّا [10] # كاهلها و ركنها الأشدا

[1] الفلج (بالتحريك) : موضع لبني جعدة بن قيس بنجد، و هو في أعلى بلاد قيس، و فيه قال الراجز: نحن بنو جعدة أرباب الفلج # نضرب بالبيض و نرجو بالفرج

(راجع «معجم ما استعجم» ج 2 ص 714) .

[2] تهام: منسوب إلى تهامة. و يجوز في النسبة إلى تهامة تهاميّ (بكسر التاء و تشديد الياء) و تهام (بفتح التاء و حذف الياء) كيما و شام، أي إذا فتحت التاء حذفت الياء. و قال سيبويه: و منهم من يقول: تهاميّ و يمانيّ و شاميّ بالفتح و التشديد. و الألف في تهام (بفتح التاء و حذف الياء) أصلية و في يمان و شام عارضة. و قيل: إن تهاميا (بتخفيف الياء) منسوب

إلى تهم بمعنى تهامة، فلما حذفت إحدى الياءين عوّضت عنها الألف. و على هذا تكون الألف عارضة في الكل.

[3]التكملة عن م. إذ لم نجد في المراجع التي بين أيدينا أنّ عمر بن شبة يروى عن أبي الغرّاف وإنما الذي يروى عنه هو محمد بن سلام.

[4]كذا في م، ج (بالغين المعجمة) ، و هو الموافق لما في «طبقات الشعراء» للجمحيّ ص 81 و «النقائض» ص 240) ، و هو أبو الغرّاف الضبيّ. و في باقي الأصول: «الغرّاف» بالعين المهملة، و هو تصحيف.

[5]في م: «قال ابن دريد فحدّثني أبو زيد أنهما...» .

[6]المربد (كمنبر) : موضع بالبصرة كان مجتمعا للقوم.

[7]الورد (بالكسر) : الجيش، و هو أيضا الإشراف على الماء و غيره دخله أو لم يدخله.

[8]في م: «في الفلاة» .

[9]ربدا: جمع ربداء و هي من النعام ما كان لونها سودا مختلطا، و قيل: ما كان كله سوادا، و قيل: ما كان بين السواد و الغبرة.

[10]معدّ: أبو حيّ من العرب. و إلى معد ينتسب أوس بن مغراء، و بهذا النسب يفخر على النابغة. و كاهل القوم: معتمدتهم في الملمات و سندهم في المهمات، و هو مأخوذ من كاهل الظهر لأن عنق الفرس يتساند إليه إذا أحضر. قال الشاعر:

فقال العجاج:

كل امرئ يعدو بما استعدّا

و قال الأخطل يعين أوس بن مغراء و يحكم له: و إني لقاض بين جعدة
عامر # و سعد قضاء بين الحق فيصلا

أبو جعدة الذئب الخبيث طعامه # و عوف بن كعب أكرم الناس أوّلا

و قال كعب بن جعيل:

إني لقاض قضاء سوف يتبعه # من أم قصدا و لم يعدل إلى أود[1]

فصلا من القول تأتمّ القضاة به # و لا أجور و لا أبغي على أحد

ناكت بنو عامر سعدا و شاعرها # كما تنيك بنو عيس[2] بني أسد

مهاجاته ليلي الأخيلية:

و قال أبو عمرو الشيباني: كان سبب المهاجاة بين ليلي الأخيلية و بين
الجعدي أنّ رجلا من قشير-يقال له ابن الحيا (و هي أمه) و اسمه سوّار بن
أوفى بن سبرة-هجاه و سبّ أخواله من أزد في أمر كان بين قشير و بين
بني جعدة و هم بأصبهان/متجاورون، فأجابه النابغة بقصيدته التي يقال لها
الفاضحة-سمّيت بذلك لأنه ذكر فيها مساوي قشير و عقيل و كلّ ما كانوا
يسبّون به، و فخر بمآثر قومه و بما كان لسائر بطون بني عامر سوى هذين
الحيين من قشير و عقيل:- جهلت عليّ ابن الحيا و ظلمتني # و جمّعت قولا
جاء بيتا مضللا

و قال في هذه القصّة أيضا قصيدته التي أوّلها: إمّا ترى[3] ظلل الأيام
قد حسرت # عنيّ و شمّرت ذيلا كان ذيالا[4]

و هي طويلة، يقول فيها:

حصنين كانا لمعدّ كاهلا # و منكين اعتليا التلاتلا

و يعني بالحصنين ربيعة و مضر و هما عمدة أولاد معدّ كلهم.

[1]الأود: العوج.

[2]في م: «بنو عمرو» .

[3]هذا شرط جوابه في البيت الذي يلي هذا البيت و هو: و عممتني
بقايا الدهر من قطن # فقد أنفج ذا فرقين ميالا

و هذا البيت المذكور ضمن قصيدة طويلة في نسخة خطية محفوظة بدار
الكتب المصرية بعنوان «شعر النابغة الجعدي» ضمن مجموعة تحت رقم
1845 أدب.

[4] ذيل ذيال: طويل. -

و يوم مَكَّة إذ ماجدتم[1]نفرا # حاموا[2]على عقد الأحساب أزوالا[3]

عند النَّجاشيِّ إذ تعطون أيديكم[4] # مقرّنين و لا ترجون إرسالا

إذ تستحبّون[5]عند الخذل أنّ لكم # من آل جعدة أعماما و أخوالا

لو تستطيعون أن تلقوا جلودكم # و تجعلوا جلد عبد الله سربالا

-يعني عبد الله[6]بن جعدة بن كعب-:

/

إذا تسربلتم فيه لينجيكم # ممّا يقول ابن ذي الجديّن إذ قالا

حتّى وهبتم لعبد الله صاحبه # و القول فيكم بإذن الله ما فالأ[7]

تلك[8]المكارم لا قعبان من لبن # شيبا[9]بماء فعادا بعد أبوالا

يعني بهذا البيت أن ابن الحيا فخر عليه بأنهم سقوا رجلا من جعدة أدركوه في سفر و قد جهد عطشا لبنا و ماء فعاش.

و قال في هذه القصة أيضا قصيدته التي أوّلها:

أبلغ قشيرا و الحريش[10]فما # ذا ردّ في أيديكم شتمي

و فخر عليهم بقتل علقمة الجعفيّ يوم وادي نساخ[11]و قتل شراحيل[12]بن الأصهب الجعفيّ، و بيوم رحرحان[13]أيضا، فقال فيه:
[1]ماجدتم: فاخرتم و سابقتم في المجد.

[2]يقال: حامى عن الشيء إذا دافع عنه، و حامى عليه إذا احتفل له.
قال الشاعر: حاموا على أضيافهم فشووا لهم # من لحم منقية و من أكباد

فيحتمل هنا أن يكون المراد المعنى الأوّل و تكون «على» بمعنى «عن»، أو المعنى الثاني و يكون معنى الاحتفال بعقد الأحساب (و هي الأواصر التي تربط ذوي الأرحام بعضهم ببعض) هو القيام بما تقتضيه من نصر من يتصل بهم و الدفاع عنه.

[3]أزوال: جمع زول، و هو الفتى الخفيف الظريف و الجواد.

[4]إعطاء اليد: كناية عن الانقياد و المذلة. و مقرنين: مشدودين في القرن و هو الحبل.

[5]كذا في النسخة المخطوطة المذكورة. و في جميع الأصول:
«تستحقون» .

[6] هو عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة خال النابغة الجعديّ (راجع النسخة المذكورة) .

[7] قال: أخطأ. و في الأصول: «قال» . و لعل ما رجحناه هو الصواب.

[8] روى صاحب «العقد الفريد» هذا البيت ضمن أبيات لأبي الصلت والد أمية بن «أبي الصلت يمدح بها سيف بن ذي يزن مطلعها: لم يدرك الثأر أمثال ابن ذي يزن # لجج في البحر للأعداء أحوالا

(صوابه: ليطلب الثأر) . و مثله في «معجم البلدان» لياقوت في كلامه على غمدان «و الشعر و الشعراء» في ترجمة أمية بن أبي الصلت (ص 279-282 طبع أوروبا) و ابن جرير الطبري (طبع أوروبا قسم 3 ص 956) .

[9] شيبا: خلطا.

[10] كذا في س «الحريش» (بالحاء المهملة) و كذلك صححه المرحوم الشيخ الشنقيطي في نسخته، و هو الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، و في باقي الأصول: «الجريش» بالجيم المعجمة، و هو تصحيف. (راجع «القاموس» و «شرحه» مادة حرش و كتاب «الاشتقاق» لابن دريد) .

[11] وادي نساخ (بكسر النون) : باليمامة.

[12] أو هو شرحبيل (عن «القاموس» مادتي شراويل و شرحبيل) .

[13] رحرحان: جبل قريب من عكاظ خلف عرفات، قيل: هو لغطفان، و كان للعرب فيه يومان سياّتي كلام عليهما في هذا الجزء.

هلاً [1]

سألت بيومي رحران و قد # طنّت هوازن أنّ العزّ قد زالا

/ فلما ذكر ذلك النابغة قال:

تلك المكارم لا قعبان من لبن # شييا بماء فعادا بعد أبوالا

ففخر بما له و غصّ مما لهم. و دخلت ليلى الأخيلىة بينهما فقالت: و ما كنت لو قاذفت [2] جلّ عشيرتي # لأذكر قعبي حازر [3] قد تثمّلا و هي كلمة [4]. فلما بلغ النابغة قولها قال:

ألا حيّيا ليلى و قولاً لها هلاً [5] # فقد ركبت أبراً [6] أغزّ محجّلا

و قد أكلت بقلا و خيما نباته # و قد شربت من آخر الصيف [7] أيلاً [8]

-يعني ألبان الأيل-.

/

دعي عنك تهجاء الرجال و أقبلي # على أدلغيّ [9] بملاً استك فيشلا

/ و كيف أهاجي شاعرا رمحه استه # خضيب البنان لا يزال مكحّلا

فردّت عليه ليلى الأخيلىة فقالت:

أ نايغ لم تنبغ [10] و لم تك أوّلا # و كنت صنيّا بين ضدّين مجهلا [11]

[1] في النسخة المخطوطة: «نحن الفوارس يومي... إلخ» .

[2] كذا في كتاب «أشعار النساء» (تأليف أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ج 3 ص 2 المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 8 أدب ش). و في الأصول: «فارقت» .

[3] كذا في ح و الحازر: اللبن الحامض. و في ب و س: «خازر» (بالحاء المعجمة) . و تمثل: صار كتلا من الرغوة، و الثمالة: الرغوة.

. (عن كتاب «أشعار النساء») .

[4] المراد بالكلمة هنا القصيدة، يقال: قال الشاعر كلمة أي قصيدة.

[5] هلاً: كلمة زجر، تزجر بها الإناث من الخيل إذا أنزى عليها الفحل لنقر و تسكن.

[6] كذا في كتاب «أشعار النساء» . و في جميع الأصول: «أمرأ» بالميم، و ظاهر أنه تحريف.

[7] في م: «الليل» .

[8] كذا في ح، م. و الأيل (وزان سيد و ميت) : الذكر من الأوعال، أو هو ذو القرن الأشعث الضخم مثل الثور الأهليّ. و المراد: إذا شربت ألبانه، كما قال المؤلف. و كانوا يزعمون أن ألبان الأيل تغلم شاربها. قال أبو الهيثم: هذا محال، و من أين توجد ألبان الأيائل! و ذهب إلى أن الأيل (بضم الهمزة) : الألبان الخائرة، يقال: آل اللبن يئول أولا و إيالا إذا خثر فاجتمع بعضه إلى بعض، فالوصف للواحد ائل و الجمع أيل، و قيل: إن اللبن الأئل مما يسمن و يغلم. و اعترض على هذا التفسير بأن فعلا يكون جمعا لفاعل إذا كان وصفا لحيوان، فأجيب بأن ذلك هو الغالب الكثير. و اعترض أيضا بأنه كان ينبغي أن يكون أوّلا، لأنه واوي العين؛ فأجيب بأن سبويه أجاز الإعلال في مثله، نحو صيم و قيم في صوم و قوم. و قال أبو منصور في تفسير الأيل: «هو البول الخائر بالنصب (يريد بفتح الهمزة) من أبوال الأروية إذا شربته المرأة اعتلمت» . و في سائر الأصول: «أبلا» بالباء الموحدة، و هو تصحيف.

[9] الأذلغيّ (بالذال و الغين المعجمتين) : الضخم الطويل من الأيور، قيل: هو منسوب إلى أذغ بن شدّاد من بني عبادة بن عقيل و كان نكاحا. و في الأصول: «أذلفيّ» بالذال المهملة و الفاء، و هو تحريف، و التصويب عن «اللسان» «و شرح القاموس» في مادة ذلغ و قد وضعه «القاموس» في مادة دلغ (بالذال و العين المهملتين) و خطأه شارحه.

[10] نبع في الشعر: أجاده، و هو بفتح عينه في الماضي و تثليثها في المضارع.

[11] المجهل كمقعد: أرض لا يهتدي فيها، لا يثني و لا يجمع.

-الصنيي: شعب صغير يسيل منه الماء. و صدّان: جبلان.-

أ نايغ إن تنيغ بلؤمك لا تجد # للؤمك إلاّ وسط جعدة مجعلا

تعيرني داء بأمك مثله # و أيّ حصان[1] لا يقال لها هلا

فغلبته. فلما أتى بني جعدة قولها هذا، اجتمع ناس منهم فقالوا: و الله لنأتين صاحب المدينة، أو أمير المؤمنين، فليأخذنّ لنا بحقنا من هذه الخبيثة، فإنها قد شتمت أعراضنا و افترت علينا، فتهيئوا لذلك؛ و بلغها أنهم يريدون أن يستعدوا عليها، فقالت: /

أتاني من الأنبياء أنّ عشيرة # بشوران[2] يزجون المطي المذللًا[3]

بروح و يغدو وفداهم بصحيفة # ليستجلدوا لي، ساء ذلك معملا

و قد أخبرني ببعض هذه القصّة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة فجاء بها مختلطة، و هذا أوضح و أصحّ.

يوم وادي نساح:

قال أبو عمرو: فأما ما فخر به النابغة من الأيام، فمنها يوم علقمة الجعفيّ، فإنه غدا في مدحج و معه زهير الجعفيّ، فأتى بني[4] عقيل بن كعب فأغار عليهم، و في بني عقيل بطون من سليم يقال لهم بنو بجلة، فأصاب سبيا و إبلا كثيرة، ثم انصرف راجعا بما أصاب، فأتبعه بنو كعب، و لم يلحق به من بني عقيل إلاّ عقال بن خويلد بن عامر بن عقيل، فجعل يأخذ أبعار إبل الجعفيين فيبول عليها حتى يندبها، ثم يلحق ببني كعب فيقول: إيه فدى لكم أبواي، قد لحقتم القوم؛ حتى وردوا عليهم النخيل في يوم قائط، و رأس زهير في حجر جارية من سليم من بني بجلة سبها يومئذ و هي تغليه، و هو متوسّد قطيفة حمراء و هي تضفر سعفاته-أي أعلى رأسه-بهدب القطيفة؛ فلم يشعروا إلا بالخيل؛ فكان أوّل من لحق زهيرا ابن النهضة[5]، فضرب وجه زهير بقوسه حتى كسر أنفه، ثم لحقه عقال بن خويلد، فبعج بطنه، فسال من بطنه برير و حلب-و البرير: ثمر الأراك. و الحلب: لبن كان قد اصطبحه- /فذلك يوم يقول أبو حرب أخو عقال بن خويلد: و الله لا أصطحب لبنا حتى آمن من الصّباح[6]. قال: و هذا اليوم هو يوم وادي نساح و هو باليمامة.

يوم شراحيل:

قال: و أمّا يوم شراحيل[7] بن الأصهب الجعفيّ فإنه يوم مذکور تفتخر به مضر كلها. و كان شراحيل خرج [1]كذا في م. و في كتاب «أشعار

النساء» للمرزباني: «و أيّ جواد لا يقال لها هلا» ، و الجواد يطلق على الأنثى أيضا. و في سائر الأصول: «و أي نجيب لا يقال له...» و قد أثرنا ما في م لقول «اللسان» (مادة هلا) : «... هلا زجر للخيل و قد يستعمل للإنسان...» و استشهد بالبيت كما ورد في م. و على هذا تكون الحصان (بفتح الحاء) المرأة العفيفة.

[2]شوران (بفتح أوله و إسكان ثانيه بعده راء مهملة) : جبل في ديار بني جعدة و هو مطل على السدّ، و فيه مياه سماء يقال لها البحرات، فيها سمك أسود مقدار الذراع أطيب ما يكون و أمرؤه. (راجع «معجم ما استعجم» ص 462، 822) .

[3]في «أشعار النساء» للمرزباني «و معجم ما استعجم» : «المنعلا» ، و نعل البعير: وضع في خفه جلدا لئلا يحفى.

[4]كذا في م، و كذلك صححه المرحوم الشيخ الشنقيطي بنسخته. و في سائر الأصول: «فأتى به عقيل» ، و هو تحريف.

[5]في م: «ابن النفاضة» .

[6]الصباح: الغارة صباحا.

[7]انظر الحاشية رقم 6 ص 15 من هذا الجزء.

مغيرا في جمع عظيم من اليمن، و كان قد طال عمره و كثر تبعه و بعد صيته و اتصل ظفره، و كان قد صالح بني عامر على أن يغزو العرب ماژا بهم في بدآته و عودته لا يعرض أحد منهم لصاحبه[1]؛ فخرج غازيا في بعض غزواته فأبعد، ثم رجع إليهم فمّر على بني جعدة فقرته و نحرت له؛ فعمد ناس من أصحابه سفهاء فتناولوا إبلا لبني جعدة فنحروها؛ فشكت ذلك بنو جعدة إلى شراحيل، فقالوا: قريناك و أحسنّا ضيافتك ثم لم تمنع أصحابك مما يصنعون! فقال: إنهم قوم مغيرون، و قد أساءوا لعمرى! وإنما يقيمون عندكم يوما أو يومين ثم يرتحلون عنكم. فقال الرقاد/بن عمرو بن ربيعة بن جعدة لأخيه ورد بن عمرو-و قيل: بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن ورد:- دعني أذهب إلى بني قشير-قال: و جعدة و قشير أخوان لأمّ و أب، أمهما ربيعة بنت قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور-فأدعوهم، و اصنع أنت يا هذا لشراحيل طعاما حسنا كثيرا، و ادعه و أدخله إليك فاقتله، فإن احتجت إلينا فدخّن، فإنني إذا رأيت الدخان أتيتك بهم فوضعنا سيوفنا[2] على القوم. فعمد و رد هذا إلى طعام فأصلحه، /و دعا شراحيل و ناسا من أصحابه و أهله و بني عمه، فجعلوا كلما دخل البيت رجل قتله ورد، حتى انتصف النهار؛ فجاء أصحاب شراحيل يتبعونه، فقال لهم ورد: تروّحوا[3] فإنّ صاحبكم قد شرب و ثمل و سيروح[فرجعوا][4]؛ و دخّن ورد، و جاءت قشير، فقتلوا من أدركوا من أصحابه، و سار سائرهم؛ و بلغهم قتل شراحيل، فمّروا على بني عقيل، و هم إخوتهم، فقالوا: لنقتلنّ مالك بن المنتفق؛ فقال لهم مالك: أنا أتيكم بورد؛ فركب بنبي عقيل إلى بني جعدة و قشير ليعطوهم وردا؛ فامتنعوا من ذلك و ساروا باجمعهم فدبّوا عن عقيل، حتى تفرّق من كان مع شراحيل. فقال في ذلك بحير[5] [بن][6] عبد الله بن سلمة: أحيّ يتبعون العير نحرا[7] # أحبّ إليك أم حيّا هلال

لعلك قاتل وردا و لّمّا # تساق[8] الخيل بالأسل الثّهال

[1] كذا في ط. و في باقي الأصول: «... في بدآته و عودته و لا يعرض واحد منهم صاحبه...» .

[2] ووضعنا سيوفنا على القوم: ألقينا بها و أسقطناها عليهم أي ضربناهم بها؛ يقال: وضع السيف إذا ضرب به؛ قال سديف: فضع السيف و ارفع السوط حتى # لا ترى فوق ظهرها أمويا

[3] تروّح فلان: سار في الرواح، أي العشيّ، مثل راح.

[4]زيادة عن ط، ء.

[5]كذا ورد هذا الاسم في عدة مواضع من كتاب «النقائض» و كتاب «أشعار النساء» للمرزياني، و هو بالباء الموحدة من تحت و الحاء المهملة على وزان أمير. و في الأصول «بحير» بالجيم، و هو تصحيف.

[6]التكملة عن ط، م، ء و كتاب «النقائض» و «أشعار النساء» للمرزياني.

[7]كذا ورد هذا البيت في أكثر الأصول، و ورد في م: «بيتغون... تجرا» بالجيم. و أورد المرزياني هذا البيت، ببعض اختلاف في كلماته عما هنا، ضمن أبيات قالها بحير هذا في قصة له خلاصتها أن ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير تزوّجت من هوذة ابن علي الحنفي الذي كان يمدحه الأعمشى فمات عنها و أصابت منه مالا كثيرا، فخطبها ابن عمها بحير بن عبد الله بن سلمة فلم تزوّجه، فخطبها عبد الله بن جدعان التيميّ إلى أبيها فزوّجه إياها، فلما أهديت إليه قال ابن عمها بحير: لنعم الحيّ لم تربع عليهم # ضباعة يوم منقى اللحم غال

و نعم الحيّ حيّ بني أبيها # إذا قرع المقانب بالعوالي

أقوم يقتنون الإبل تجرا # أحب إليك أم قوم حلال

حلال: مقيمون. و في هذا الشعر على هذه الرواية إقواء، و هو اختلاف حركة الروي. «و تجر» إما أن يكون مصدرا نصب على التعليل أو جمعا لتاجر كصحب جمعا لصاحب.

[8]تساق: أصله تتساقى و في الأصول: «تساقى» بقاء حرف العلة في آخره و هو مجزوم. و الأسل: الرماح. و النهال: الريانة، واحدها: ناهل، و يطلق الناهل أيضا على العطشان، فهو من الأضداد.

ألا يا مال ويح سواك أقصر # أما ينهاك حلمك عن ضلال

يوما رحرحان:

و أما يوما رحرحان، فأحدهما مشهور قد ذكر في موضع آخر من هذا الكتاب يعقب أخبار الحارث بن ظالم، و هذا اليوم [1] الثاني، فكان الطمّاح الحنفيّ أغار في بني حنيفة و بني قيس بن ثعلبة على بني الحريش بن كعب و بني عبادة بن عقيل و طوائف من بني عبس يقال لهم بنو [2] حذيفة؛ فركبت بنو جعدة و بنو أبي بكر بن كلاب، و لم يشهد ذلك من بني كلاب غير بني أبي بكر، فأدركوا الطمّاح من يومهم، فاستنفذوا ما أخذه و أصابوا ما كان معه، و قتلوا عددا من أصحابه و هزموهم.

كعب الفوارس و مقتله:

قال: و أما ما ذكره [3] من إدراكهم بثأر كعب الفوارس، فإن كعب الفوارس- و هو ابن معاوية بن عبادة بن البكاء- مرّ على بني نهد و عليه سلاحه، فحمل عليه/رجل من نهد [4] يقال له خليف فقتله و أخذ فرسه و سلاحه؛ ثم إن خلیفا بعد ذلك بدهر مرّ على بني جعدة، فرآه مالك بن عبد الله بن جعدة و عليه جبة كعب و فيها أثر الطعنة، و كان محرما فلم يقدر على قتله، فقال: يا هذا! لا رقعت هذا الخرق الذي في جبتك! و جعل يترصّده بعد ذلك، حتى بلغه بعد دهر أنه مرّ ببني جعدة، فركب مالك بن عبد الله بن جعدة فرسا له و قد أخبر أن خلیفا مرّ بجناباتهم [5]، فأدركه فقتله، ثم قال: بؤ بكعب. ثم غزا نواحيهم عبد الله بن ثور بن معاوية بن عبادة بن البكاء؛ جرما و نهدا، و هم يومئذ في بني الحارث، فناداهم بنو البكاء: ليس معنا أحد من قومنا غيرنا و إنّ النهديّ قتل صاحبنا محرما؛ فقاتلهم نهد و جرم جميعا يومئذ، و كان عبد الله بن ثور يومئذ على فرس ورد، فأصابوا من نهد يومئذ غنيمة عظيمة، و قتلوا قتلى كثيرة. فقال عبد الله في ذلك:

فسائل بني جرم إذا ما لقيتهم # و نهدا إذا حجّت عليك بنو نهد

فإن يخبروك الحقّ عنا تجدهم # يقولون أبلّى صاحب الفرس الورد

[1] ذكر في كتاب «النقائض» (المطبوع في مدينة ليدن ص 1060) تفصيلا ليومي رحرحان، فأما الأوّل منهما فهو أن يثريّ بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم غزا بني عامر بن صعصعة و على بني عامر يومئذ الأحوص بن جعفر فالتقوا فاقتلوا، فقتل من بني عامر قريط بن عبد الله بن أبي بكر

بن كلاب و قتل يثربيّ يومئذ. و أما يوم رحرحان الثاني فمذكور أيضا في كتاب «النقائض» كما هو وارد في «الأغاني» (في الجزء العاشر من طبعة بولاق ص 31) و هو الموضوع الذي نبه المؤلف هنا أنه ذكر فيه. و يلاحظ بعد هذا أن ما ذكره المؤلف من قوله: «فكان الطماح الحنفيّ... إلخ» غير واضح الاتصال بأحد هذين اليومين و لا الأسماء التي ذكرت في هذا الخبر مذكورة في الأسماء التي ذكرت في أحد هذين اليومين.

[2] في م: «بنو خزيمة، فركبت بنو خزيمة». و في ط: «جذيمة» .

[3] يلاحظ أيضا أنه لم يتقدّم لهذا الخبر ذكر. و قد ذكر مقتل كعب الفوارس هذا و الأخذ بثأره، كما هو وارد هنا، في كتاب «النقائض» متصلا بأخبار «يوم فيف الريح» و هو يوم كان بين بني عامر و بين بني الحارث و من تبعهم من قبائل جعفيّ و زبيد و قبائل سعد العشيرة و مراد و صداء و نهد و استعانوا أيضا بختعم، (راجع كتاب «النقائض» ص 469) . و لعل مقتل كعب الفوارس ورد في شعر للنابغة الجعديّ لم يقع إلينا في أصول «الأغاني» التي بين أيدينا.

[4] في «النقائض» (ص 471) : «قتله خليف بن عبد العزي بن عائذ النهدي» ، و أول كلام المؤلف هنا و آخره يؤيد ما أثبتناه و هو أنه من «نهد» . و في الأصول: «من جهم» و هو تحريف.

[5] جنباتهم: نواحيهم، واحده جنبه بالفتح. و في م: «حيفاتهم» و الحيفة (بالكسر) : الناحية أيضا.

يوم الفلج:

قال: و أما يوم الفلج، فإن بكر بن وائل بعثت عينا على بني كعب بن ربعة حتى جاء الفلج- وهو ماء- فوجد النعم بعضه قريبا من بعض، و وجد الناس قد احتملوا، فليس في النعم إلا من لا طباخ[1] به من راع أو ضعيف؛ فجاءهم عينهم بذلك، فركبت بكر بن وائل يريدونهم، حتى إذا كانوا منهم بحيث يسمعون أصواتهم، سمعوا الصهيل و أصوات الرجال؛ فقالوا لعينهم: ما هذا ويلك؟! قال: و الله ما أدري، و إن هذا لمما لم أعهد، فأرسلوا من يعلم علمهم؛ فرجع فأخبرهم أن الرجال قد رجعوا، و رأى/جمعا عظيما و خيولا كثيرة[2]؛ فكروا راجعين من ليلتهم؛ و أصبحت بنو كعب فرأوا الأثر فاتبعوهم، فأصابوا من أخرياتهم رجالا و خيلا، فرجعوا بها.

خداش بن زهير و هبيرة بن عامر:

قال: و أما قوله:

لو تستطيعون أن تلقوا جلودكم # و تجعلوا جلد عبد الله سريالا

فإن السبب في ذلك أن هبيرة[3] ابن عامر بن سلمة بن قشير، لقي خداش[4] بن زهير البكائي، فتنافرا على مائة من الإبل، و قال كل منهما لصاحبه: أنا أكرم و أعز منك؛ فحكما في ذلك رجلا من بني ذي الجدين، فقضى بينهما أن أعزهما و أكرمهما أقربهما من عبد الله بن جعدة نسبا؛ فقال خداش[4] بن زهير: أنا أقرب إليه، أم عبد الله بن جعدة عمتي- و هي أميمة بنت عمرو بن عامر- وإنما أنت أدنى إليه مني منزلة بأب؛ فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المكاثرة بابائهما إقرارا له بذلك، حتى فلج[5] هبيرة القشيري و ظفر.

عبد الله بن جعدة:

قال أبو عمرو: و كان عبد الله بن جعدة سيّدا مطاعا، و كانت له إتاوة بعكاظ يؤتى بها، يأتيه[6] بها هذا الحي من الأزد و غيرهم؛ فجاء سمير[7] بن سلمة القشيري و عبد الله جالس على ثياب قد جمعت له من إتاوته، فأنزله عنها و جلس مكانه؛ فجاء رياح[8] بن عمرو بن ربعة بن عقيل- و هو الخليع، سمّي بذلك لتخلعه عن الملوك لا يعطيهم الطاعة- فقال للقشيري: مالك و لشيخنا تنزله عن إتاوته و نحن هاهنا حوله! فقال القشيري: كذبت، ما هي له! ثم مدّ القشيريّ رجله فقال: هذه رجلي فاضربها إن كنت عزيزا؛ قال: لا! لعمرى لا أضرب رجلك؛ فقال له القشيريّ: فامدد لي رجلك حتى تعلم أ

أضربها أم لا؛ فقال: و لا أمدّ لك رجلي، و لكن أفعل ما لا تنكره العشيرة [1]الطباخ (رواه الإيادي بفتح الطاء و الأزهرّي بضمها) : القوّة و السمن.

[2]كذا في ط، ء، م. و في سائر الأصول: «و خلقا كثيرا» .

[3]كذا في ط، ء، م و كتاب «النقائض» و فيما سيأتي في كل الأصول. و في باقي الأصول هنا: «زهير» و هو تحريف.

[4]كذا في ط، ء، م و كتاب «النقائض» و كذلك صححه الأستاذ الشنقيطي في نسخته. و في باقي الأصول: «خراش» بالراء، و هو تحريف.

[5]فلج: فاز و غلب.

[6]كذا في ط، ء، م. و في باقي الأصول: «.. و يأتيه بها...» بزيادة الواو، و هو تحريف.

[7]في ط، م، ء: «فجاء سليمان بن سلمة...» .

[8]كذا في ط، ء: و كذلك صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطي في نسخته. و في م: «رماح» بالميم. و في باقي الأصول: «رباح» بالباء الموحدة، و كلاهما تحريف.

و ما هو أعزّ لي و أدلّ لك؛ ثم أهوى إلى رجل القشيريّ فسحبه على قفاه و نحّاه، و أقعد عبد الله بن جعدة مكانه.

قال: و عبد الله بن جعدة أوّل من صنع الدّبابة [1]؛ و كان السبب في ذلك أنهم انتجعوا [2] ناحية البحرين، فهجموا على عبد لرجل يقال له كودن [3] في قصر حصين، فدخّن العبد و دعا النساء و الصبيان، فظنوا أنه يطعمهم ثريدا، حتى إذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم، فصاح النساء و الصبيان، و قام العبد و من معه على شرف القصر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا رماه؛ فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دّبابة على جذوع النخل و ألبسها جلود الإبل، ثم جاء بها و القوم يحملونها حتى أسندوها إلى القصر، ثم حفروا حتى خرّقوه [4]؛ فقتل العبد/و من كان معه و استنقذ صبيانهم و نساءهم. فذلك قول النابغة: و يوم دعا ولدانكم عبد كودن # فخالوا لدى الدّاعي ثريدا مفلّلا

و في ابن زياد و هو عقبة خيركم # هبيرة ينزو في الحديد مكبّلا

يعني هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير، و كان عبد الله بن مالك بن عدس بن ربيعة بن جعدة خرج و معه مالك بن عبد الله بن جعدة، حتى مرّوا على بني [5] زياد/العبيسيين و الرجال غيب، فأخذوا ابنا لأنس [6] بن زياد و انطلقوا به يرجون الفداء؛ و انطلق عمّه عمارة بن زياد حتى أتى بني كعب، فلقي هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير، فقال له: يا هبيرة إن الناس يقولون: إنك بخيل؛ قال: معاذ الله! قال: فهب لي جبتك هذه؛ فأهوى ليخلعها، فلما وقعت [7] في رأسه وثب عليه فأسره، ثم بعث إلى بني قشير: عليّ و عليّ إن قبلت من هبيرة أقلّ من فدية حاجب [8] إلا أن يأتوني بآبن أخي الذي في أيدي بني جعدة؛ فمشيت بنو قشير إلى بني جعدة، فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم، فافتدوا به هبيرة.

وحوح أخو النابغة:

و أما خبر وحوح أخي النابغة الذي تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة، فإن أبا عمرو ذكر أن بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سبيا و أسرى، فركبت بنو أسد في آثارهم حتى لحقوهم بالشّريف [9]، فعطفت بنو عدس بن [1] الدّبابة: آلة تتخذ من جلود و خشب للحرب يدخل فيها الرجال و يقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه و هم في جوفها فتقيهم ما يرمون به من فوقهم.

[2] الانتجاع: طلب الكلى و مساقط الغيث.

[3] في م: «كوزن» بالذال المعجمة.

[4] كذا في ط، ء، م. و في سائر الأصول: «حفروه» .

[5] كذا في ط، ء: «بني زيد العبسيين» . و في م: «بني زيد و العبسيين» و كلاهما تحريف.

[6] كذا في ط، ء، م، و هو أنس بن زياد العبسيّ و يسمى أنس الفوارس، س و له حديث في يوم أقرن. (راجع «النقائض» ص 194، 679) . و في سائر الأصول: «أوس» ، و هو تحريف.

[7] في ط، ء، م: «وقفت» بالفاء.

[8] هو حاجب بن زرارة، و هو من الذين يضرب المثل بفدائهم في الوفرة، و مثله في ذلك بسطام بن قيس و الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي. (راجع «كتاب ما يعوّل عليه في المضاف و المضاف إليه» -حرف الفاء) . و سيأتي خبر أسر حاجب بن زرارة هذا و فدائه في «الأغاني» (ج 10 ص 42 طبع بولاق) .

[9] كذا في ط، ء، و الشريف (بصيغة التصغير) : ماء لبني نمير، و قيل: إنه واد بنجد. و في سائر الأصول: «السديف» (بالسين و الدال المهملتين) و هو تحريف.

ربيعة بن جعدة، فزادوا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلا و ردّوهم؛ و لم يظفروا منهم بشيء. و تعلقت امرأة من بني أسد بالحكم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة و قد أردفها خلفه، فأخذت بضميرته و مالت به فصرعته، فعطف عليه عبد الله بن مالك بن عدس و هو أبو صفوان، فضرب يدها بالسيف فقطعها و تخلصه. و طعن يومئذ و حوح بن/قيس أخو النابغة الجعدي، فارتت [1] في معركة القوم، فأخذته خالد بن نضلة الأسدي؛ و عطف عليه يومئذ أخوه النابغة، فقال له خالد بن نضلة: هلمّ إليّ و أنت آمن؛ فقال له النابغة: لا حاجة لي في أمانك، أنا على فرسي و معي [2] سلاح و أصحابي قريب، و لكنني أوصيك بما في العوسجة [3] (يعني أخاه و حوح بن قيس)؛ فعدل إليه خالد فأخذته و ضمّه إليه و منع من قتله و داواه حتى فدي بعد ذلك. قال: ففي ذلك يقول مدرك العبسي [4]: أقمت على الحفاظ و غاب فرج # و في فرج عن الحسب انفراج

كذلك فعلنا و حبال عمّي # و ردن بوحوح فليج [5] الفلاج [6]

شعر للنابغة الجعدي:

و مما قاله النابغة في هذه المفخرة و غنّي فيه قوله و قد جمع معه كلّ ما يغني فيه من القصيدة:-

الصوت

هل بالديار الغداة من صمم # أم هل بربع الأنيس من قدم

أم ما تنادي من مائل درج السنّ # يل عليه كالحوض منهدم

عزّاء كالليلة المباركة القم # راء تهدي أوائل الظلم

أكنى بغير اسمها و قد علم ال # له خفيّات كلّ مكتتم

/كأنّ فاها إذا تبسّم من # طيب مشمّ و طيب [7] مبتسم

/يسنّ [8] بالصّرو من براقش أو # هيلان أو ضامر [9] من العتم

عروضه من المنسرح. و في الأوّل و الثاني و الثالث من الأبيات خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى [1] ارتت: ضرب في الحرب فأتخن و حمل و به رمق.

[2] في ط، ء، م: «و عليّ سلاح» .

[3] العوسجة: واحدة العوسج و هو شجر شائك له ثمر أحمر مدوّر، و لعله يريد بالعوسجة حظيرة أو مظلة متخذة من شجر العوسج.

[4] في حـ: «الفقعسيّ» .

[5] فلج (بالتحريك) : مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة و قشير و كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، و فلج أيضا: مدينة قيس بن عيلان بن مضر، و يقال لها: فلج الأفلاج. و أصل الفلج النهر أو الماء الجاري، و لعله يقال أيضا: فلج الفلاج، كما ورد في الشعر هنا، لأن فعلا (بالتحريك) يجمع على أفعال و فعال.

[6] في هذا الشعر إقواء و هو اختلاف حركة الرويّ.

[7] في ط، ء: «و حسن مبتسم» .

[8] يسنّ (يسناك) . و الضرو: شجر يسناك به. و براقش و هيلان: مدينتان عاديتان باليمن خربتا.

[9] في «اللسان» (مادة برقش) «و معجم ما استعجم» للبكري «و معجم البلدان» لياقوت (في الكلام على براقش) : «أو ناضر» . و العتم (بضمّتين) : شجر الزيتون. -

البنصر[1]، ذكره إسحاق و لم ينسبه إلى أحد، و ذكر ابن المكيّ و الهشاميّ أنه لمعبد، و أظنه من منحول يحيى، و ذكر حبش أنه لإبراهيم. و في الثالث و ما بعده لابن سريح رمل بالبنصر، و ذكر حبش أنّ فيها لإسحاق رملا آخر؛ و لابن مسجح فيها ثقيل أوّل بالبنصر.

أوّل من سبق إلى الكناية عن يعنى بغيره:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أوّل من سبق إلى الكناية عن اسم من يعنى بغيره في الشعر الجعديّ، فإنه قال: أكني بغير اسمها و قد علم الـ # له خفّيات كلّ مكتّم

فسبق[2] الناس جميعا إليه و اتّبعوه فيه. و أحسن من أخذه و أطفه فيه أبو نواس حيث يقول: أسأل القادمين من حكمان[3] # كيف خلفتم أبا عثمان

فيقولون لي جنان كما # سرّك في حالها فسل عن جنان

ما لهم لا يبارك الله فيهم # كيف لم يغن عندهم كتمان

ذكره الفرزدق و تحدّث عن شعره:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أبو بكر الباهليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال: ذكر الفرزدق نابغة بني جعدة فقال: كان صاحب خلقان عنده مطرف بألف، و خمار[4] بواف، (يعني درهما) [5].

وفد على ابن الزبير و مدحه فوصله:

و حدّثني خبره مع ابن الزبير جماعة، منهم حبيب بن نصر المهلبيّ و عمر بن عبد العزيز بن أحمد و الحرميّ بن أبي العلاء و وكيع و محمد بن جرير الطبريّ حدّثني من حفظه، قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا أخي هارون بن أبي بكر[6] عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان[7] بن محمد بن يحيى بن عروة عن أبيه عن عمّه عبد الله بن عروة قال: [1] في ط، : «في مجرى الخنصر» .

[2] كذا في ط، ء، ح. و في سائر الأصول: «يسبق» و هو تحريف.

[3] حكمان (بالتحريك) : اسم لضياح بالبصرة سميت بالحكم بن أبي العاص الثقفيّ. و هذا اصطلاح لأهل البصرة إذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفا و نونا، حتى سموا عبد اللان في قرية سميت بعبد الله. و كانت هذه

الضيعة لبني عبد الوهاب الثقفيين موالى جنان صاحبة أبي نواس (انظر «معجم ياقوت» في اسم حكمان) .

[4]الخمار (بالكسر) : النصف و هو ما تغطي به المرأة رأسها، و قد يطلق على العمامة، لأن الرجل يغطي بها رأسه كما تغطيه المرأة بخمارها؛ و في حديث أم سلمة «أنه كان يسمح على الخف و الخمار» أي العمامة.

[5]الذي في معاجم اللغة أن الوافي درهم و أربعة دوانق أو درهم و دانقان، يعني الفرزدق أن في شعره الجيد المتين و الرديء الضعيف.

و قال المرزباني في كتابه الموشح في كلامه على النابغة الجعديّ بعد أن ذكر قول الفرزدق هذا: «قال الأصمعيّ: و صدق الفرزدق، بينا تجد النابغة في كلام أسهل من الزلال و أشدّ من الصخر إذ لان...» ثم ذكر قصيدته التي منها: سما لك هم و لم تطرب # و بت بيت و لم تنصب

و بيّن ما فيها من شعر جيد و آخر رديء.

[6]هذه كنية أبيه بكار.

[7]في ب و س: «سليمان محمد» . و لعل لفظة «ابن» سقطت سهوا أثناء الطبع.

أقحمت[1]السنة نابغة بني جعدة، فدخل على ابن الزبير المسجد الحرام، فأنشده: حكيت لنا الصّدِّيقَ لَمَّا وليتنا # و عثمان و الفاروق فارتاح معدم

أتاك أبو ليلي يجوب به الدّجى # دجى الليل جَوَاب الفلاة عثمانم[2]

لتجبر منه جانبا زعزعت[3]به # صروف الليالي و الزمان المصّم

/فقال له ابن الزبير: هُوّن عليك أبا ليلي، فإنّ الشعر أهون و سائلك عندنا، أمّا صفوة ما لنا فلأل الزبير، و أما عفوته[4]فإنّ بني[5]أسد بن عبد العزّي تشغلها عنك و تيما معها، و لكن لك في مال الله حقّان: حقّ برؤيتك رسول الله صلى الله عليه و سلم، و حقّ بشركتك أهل الإسلام في فيئهم؛ ثم أخذ بيده فدخل به دار النعم، فأعطاه قلائص[6]سبعا و جملا رجلا[7]؛ و أوقر له الإبل بَرًا و تمرًا و ثيابا، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبّ صرفا؛ فقال ابن الزبير: ويحّ أبي ليلي! لقد بلغ به الجهد؛ فقال النابغة: أشهد أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «ما وليت قريش فعذلت و استرحمت فرحمت و حدّثت فصدقت و وعدت خيرا فأنجزت فأنا و النبيون فرّاط[8]القاصفين» و قال الحرميّ: «فرّاط لها ضمن». قال الزّبيريّ: كتب يحيى بن معين هذا الحديث عن أخي.

ضربه أبو موسى الأشعري أسواطاً فهجاه:

أخبرني أبو الحسن الأسديّ أحمد بن محمد بن عبد الله/بن صالح و هاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دلف قالاً حدّثنا الرّياشيّ قال قال أبو سليمان عن الهيثم بن عديّ[قال][9]: رعت بنو عامر بالبصرة في الزرع، فبعث أبو موسى الأشعريّ في طلبهم، فتصارخوا: يا آل عامر، يا آل عامر! فخرج النابغة الجعديّ و معه عصبة له؛ فأتي به إلى أبي موسى الأشعريّ، فقال له: ما أخرجك؟ قال: سمعت داعية قومي؛ قال: فضربه أسواطاً؛ فقال النابغة: رأيت البكر بكر بني ثمود # و أنت أراك بكر الأشعرينا

[1]أقحمته: ألقتة و رمت به. و السنة: الجذب، أي أخرج الجذب من البادية و أدخله الريف حيث الخضرة و الماء.

[2]العثمثم: الجمل الشديد الطويل.

[3]في ط، ء: «ذعذعت» بالذال المعجمة و هي بمعنى «زعزعت» .

[4]عبارة ابن الأثير في «النهاية» (مادة عفا) و نقلها عنه صاحب «اللسان» : «... أنه قال للنابغة: أما صفو أموالنا فلآل الزبير، و أما عفوه فإن تيمًا و أسدا تشغله عنك. قال الحربيّ: العفو: أحل المال و أطيبه. و قال الجوهريّ: عفو المال ما يفضل عن النفقة. و كلاهما جائز في اللغة و الثاني أشبه بهذا الحديث» ، و هذا التوجيه الأخير لابن الأثير. و أما عفوّة المال و الطعام و الشراب (بالفتح) و عفوته (بالكسر عن كراع) : فهي خياره و ما صفا منه و كثر. و ظاهر أنها لا تلائم سياق الحديث، لذلك نرى أن رواية النهاية في هذا الأثر أصح مما ورد في الأصول هنا.

[5]بنو أسد: قبيلة منها الزبير بن العوّام والد عبد الله هذا. و تيم: قبيلة منها أبو بكر الصديق رضوان الله عليه و هو جدّ ابن الزبير لأمه.

[6]القلائص: جمع قلوص و هي الشابة من الإبل بمنزلة الجارية من النساء.

[7]في حـ: «رحيلا» بالحاء المهملة، و الرجيل و الرحيل من الإبل: القوي على السير.

[8]كذا في «النهاية» في «غريب الحديث» و «الدر النثير» للسيوطي (مادتي فرط و قصف) ، و فيه رواية أخرى أشار إليها السيوطي في «الدر النثير» (مادة قصف) و هي «فراط القاصفين» ، و بهذه الرواية ورد الحديث في م «و اللسان» (مادتي فرط و قصف) . و قد وردت كلمة «القاصفين» في أكثر الأصول هاهنا مضطربة، ففي ط، ء: «فَرَّاط لها ضفن و قال الحرميّ... إلخ» . و في باقي الأصول: «فراط لها ضمين و قال الحرميّ... إلخ» . الفَرَّاط: المتقدمون إلى الشفاعة أو إلى الحوض. و القاصفون: المزدحمون. و ضمن: كافلون.

[9]هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

فإن يكن ابن عقّان أمينا # فلم يبعث بك البرّ الأمينا
 فيا قبر النبيّ و صاحبيه # ألا يا غوثنا لو تسمعونا
 ألا صلّى إلهكم عليكم # و لا صلّى على الأمراء فينا

خبره مع عليّ و معاوية:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و يحيى بن عليّ بن يحيى قالا
 حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ابن دأب[1] قال: لما خرج
 عليّ رضي الله تعالى عنه إلى صفّين خرج معه نابغة بني جعدة؛ فساق به
 يوما فقال: /

قد علم المصران[2] و العراق # أنّ عليّا فحلها العتاق[3]
 أبيض ججاج له رواق # و أمّه غالى بها الصّدق
 أكرم من شدّ به[4] نطق # إنّ الألى جاروك لا أفاقوا
 لهم سياق[5] و لكم سياق # قد علمت ذلكم الرّفاق
 سقتم إلى نهج الهدى و ساقوا # إلى التي ليس لها عراق[6]
 في ملّة عادتھا التّفاق

فلما قدم معاوية بن أبي سفيان الكوفة، قام النابغة بين يديه فقال: أ
 لم تأت أهل المشرقين رسالتني # و أيّ [7] نصيح لا يبيت على عتب
 ملكتم فكان الشّرّ آخر عهدكم # لئن لم تدارككم حلوم بني حرب

و قد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهل النابغة و ماله؛ فدخل
 النّابغة على معاوية، و عنده عبد الله بن عامر و مروان، فأنشده: من راكب
 يأتي ابن هند بحاجتي # على[8] التّأي و الأنباء تنمى و تجلب

[1] هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب و يكنى أبا الوليد كان هو و أبوه
 و أخوه من العلماء بأشعار العرب و أخبارهم و أيامهم و كان أثيرا عند الهادي
 و له معه أخبار طويلة. (انظر «مروج الذهب» للمسعودي ج 6 ص 264-
 265 طبع أوروبا «و المحاسن و المساوئ» ص 613-614 طبع أوروبا) .

[2] المصران: الكوفة و البصرة.

[3] كذا في أكثر الأصول. و الذي في «معجم اللغة» أن العتاق (وزان
 غراب) : الخمر الحسنة القديمة. و لعله يريد بفحلها العتاق فحلها الكريم. و
 في م: «الفنّاق» بالفاء و النون.

[4] في ط، ء، م: «بها» .

[5] كذا في ح، م و كذلك صححه المرحوم الشنقيطي بنسخته. و في سائر الأصول: «سباق» بالباء الموحدة و هو تصحيف.

[6] يريد إلى مضلة لا نهاية لها و لا غاية.

[7] في ط، ء: «و إنني» .

[8] في ط، ء:

«... لاجتي # بكوفان...»

و كوفان هي الكوفة، و هي أيضا قرية بهراة.

و يخبر عني ما أقول ابن عامر # و نعم الفتى يأوي إليه المعصب [1]

/فإن تأخذوا أهلي و مالي بظنة # فإني لحزّاب الرجال محزّب [2]

صبور على ما يكره المرء كلّ # سوى الظلم إني إن ظلمت سأغضب

فالتفت معاوية إلى مروان فقال: ما ترى؟ قال: أرى ألا تردّ عليه شيئاً؛ فقال: ما أهون و الله عليك أن ينجر هذا في غار ثم يقطع عرضي عليّ ثم تأخذه العرب فترويه، أمّا [3] و الله إن كنت لممن يرويه! أردد عليه كلّ شيء أخذته منه. و هذا الشعر يقوله النّابغة [4] الجعديّ لعقال بن خويلد العقيليّ يحذّره غبّ الظلم لما أجار بني وائل بن معن، و كانوا قتلوا رجلاً من جعدة، فحذّروهم مثل حرب البسوس إن أقاموا على ذلك فيهم.

شعره في عقال بن خويلد و سببه:

قال أبو عمرو الشّيبانيّ: /كان السبب في قول الجعديّ هذه القصيدة أن المنتشر الباهليّ خرج فأغار على اليمن ثم رجع مظفراً. فوجد بني جعدة قد قتلوا ابنا له يقال له سيدان [5]، و كانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ثم في بني جعدة، فلما أن علم ذلك المنتشر و أتاه الخبر أغار على بني جعدة ثم على بني سبيع في وجهه ذلك، فقتل منهم ثلاثة نفر؛ فلما فعل ذلك تصدّعت باهلة، فلحقت فرقة منهم يقال لهم بنو وائل بعقال بن خويلد العقيليّ، و لحقت فرقة أخرى يقال لهم بنو قتيبة و عليهم حجل الباهليّ بيزيد بن عمرو بن الصّعق الكلابيّ، فأجارهم يزيد، و أجار عقال وائل. فلما رأت بنو ذلك بنو جعدة أرادوا قتالهم، فقال لهم عقال: لا تقاتلوهم/فقد أجرتهم؛ فأما أحد الثلاثة القتلى منكم فهو بالمقتول، و أمّا الآخرا ففعليّ عقلمها [6]؛ فقالوا: لا نقبل إلا القتال و لا نريد من وائل غيرا [7] (يعني الدية)؛ فقال: لا تفعلوا فقد أجرت القوم؛ فلم يزل بهم حتى قبلوا الدية. و انتقلت وائل إلى قومهم. فقال النابغة في ذلك قصيدته التي [8] ذكر فيها عقالا: فابلق عقالا أنّ غاية داحس [9] # بكفّيك فاستأخر لها أو تقدّم

تجير علينا وائلا في دمانا [10] # كأنك عما ناب [11] أشياءنا [12] عم

[1] المعصب هو الذي عصبته السنون أي أكلت ماله، و المعصب أيضا: الذي يعصب بطنه بالخرق من الجوع.

[2] كذا في أكثر الأصول. و حربه: أغضبه، يريد أن يصف نفسه بأنه شديد الكيد و النكاية و في ب، س: «مجرّب» بالجيم.

[3] في ط، ء: «أم و الله» و يكون معناها الإضراب مثل «بل» .

[4] في ب، س، ح: «نابغة الجعدي» بدون أل.

[5] في ط، ء: «سذان» و في م: «سيدار» .

[6] العقل: الدية.

[7] الغير (وزان عنب) : قيل: إنه مفرد جمعه أغيار، و قيل: هو جمع غيرة (بالكسر) وهي الدية.

[8] عبارة ط، ء: «... قصيدته و هذه الأبيات التي ذكر فيها عقالا منها» .

[9] داحس: اسم فرس أضيفت إليه حرب كانت بين عبس و ذبيان، و هي حرب داحس، و ذلك أن قيس بن زهير صاحب داحس تراهن هو و حذيفة بن بدر على عشرين بعيرا و جعلوا الغاية مائة غلوة و المضمار أربعين ليلة، فأجرى قيس داحسا و الغبراء، و حذيفة الخطار و الحنفاء، فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة كميناً في الطريق فردوا الغبراء و لطموها و كانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس و ذبيان أربعين سنة (عن «القاموس» مادة دحس) . و النابغة يهدد عقالا في هذه القصيدة بحرب كحرب داحس.

[10] في ط: «بدمائنا» .

[11] في ح و هامش ط و «الموشح» للمرزياني: «نال» باللام.

[12] في كتاب «الموشح» للمرزياني: «أشياءها» ، و يكون المعنى على هذه الرواية أن النابغة يهدد عقالا و يحذره ما أصاب وائلا منهم من بأس.

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا # و أيسر جرما منك ضَّج بالدم
رمى صرع ناب[1] فاستمرَّ بطعنة # كحاشية البرد اليماني المسهم[2]
و ما يشعر الرمح الأصم كعوبه # بثروة[3] رهط الأبلخ[4] المتظلم
/و قال لجسَّاس أغثنى بشربة # تفضّل بها طولا عليّ و أنعم
فقال تجاوزت الأحصّ [5] و ماءه # و بطن شبيث و هو ذو مترسّم [6]

كليب وائل و مقتله و حرب البسوس و ما قيل فيها من الشعر:
و كان السبب [7] في قتل كليب بن ربيعة-فيما ذكره أبو عبيدة عن مقاتل الأحول بن سنان بن مرثد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد أخي بني قيس بن ثعلبة، و نسخت بعضه من رواية الكلبي، و أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن عمّه عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفصّل، فجمعت من روايتهم ما احتيج إلى ذكره مختصر اللفظ كامل المعنى-أنّ كليباً كان قد عزّ و ساد في ربيعة فبغى بغيا شديداً، و كان هو الذي ينزلهم منازلهم و يرحّلهم، و لا ينزلون و لا يرحلون إلا بأمره. فبلغ من عزّه و بغيه أنه اتخذ جرو كلب [8]، فكان إذا نزل منزلاً به كلاً قذف ذلك الجرو فيه فيعوي، فلا يرمى أحد ذلك الكلاً إلا بإذنه، و كان يفعل هذا بحياض الماء، فلا يردّها أحد إلا بإذنه أو من آذن بحرب؛ /فضرب به المثل في العزّ، فقيل: «أعزّ من كليب وائل» و كان يحمي الصيد، و يقول: صيد ناحية كذا و كذا في جوارى؛ فلا يصيد أحد منه شيئاً؛ و كان لا يمرّ بين يديه أحد إذا جلس، و لا يحتبي أحد في مجلسه غيره؛ فقتله جسّاس بن مرّة.
و قال أبو عبيدة: قال أبو [9] برزة القيسيّ و هو من ولد عمرو بن مرثد: [1] الناب: الناقة المسنة.

[2] المسهم: المخطط بصور على شكل السهام، و في حديث جابر: أنه كان يصلي في برد مسهم أخضر، أي فيه وشي كالسهام.
[3] في رواية: «بنزوة...» كما في كتاب «الموشح» .
[4] كذا في ط، ء «و الموشح» للمرزبانى. و الأبلخ (بالحاء المعجمة في آخره) : العظيم في نفسه الجرىء على ما أتى من الفجور.
و المتظلم: الذي يظلم الناس حقوقهم، و هذا الوصف هو الذي يناسب كليباً لعنوّه. و في باقي الأصول: «الأبلج المتوسم» بالجيم.
و المتوسم: المتحلّى بسمة الشيوخ.

[5] سيذكر أبو الفرج في سياق هذا الخبر أن الأحص و شبيثا نهيان (النهي: الغدير) ، و في «القاموس» أنهما موضعان بنجد. و في كتاب «معجم ما استعجم» أن الأحص واد، و أن شبيثا ماء معروف لبني تغلب. و هذا النظم للنابغة مأخوذ من قول جساس حين طعن كليباً فقسم صلبه فوق كليب و هو يفحص برجله ثم قال لجساس: «أغثنى بشرية» ، فقال له جساس: «تجاوزت شبيثا و الأحص» ، يعني: ليس هذا وقت طلب الماء. و قد صار فيما بعد مثلاً يضرب لمن يطلب شيئاً في غير وقته. و لفظ المثل في الميداني «تخطى إليّ شبيثا و الأحص» .

[6] المترسم: موضع الماء لمن طلبه (عن «معجم ما استعجم») .

[7] إلى هنا ينتهي حديث المؤلف عن النابغة الجعدي ثم استطرده إلى كلام عن حرب بكر و تغلب و ما كان بين كليب و جساس بمناسبة ذكرهما في شعر النابغة من غير أن يعقد لذلك عنواناً خاصاً. و لذلك وضعنا هذه النجوم للدلالة على الفصل بين الخبرين و وضعنا في أعلى الصفحة عنوان [رب بكر و تغلب] بين قوسين مربعين للإشارة إلى أنه زيادة من عندنا و لم يضعه المؤلف.

[8] كان اسم «كليب» «وائل» . و سبب تسميته «بكليب» أنه كان عنده كليب-تصغير كلب، و هو ما عبر عنه هنا «بجرو كليب» -يرمي به فحيث بلغ عواء هذا الكليب كان حمى لا يرعى؛ و من ذلك قيل المثل: «أعز من كليب وائل» . ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظنوه اسمه. (انظر كتاب «مجمع الأمثال» للميداني) .

[9] في ط، ء: «أبو بردة» بالبدال المهملة، و كذلك ورد هذا الاسم فيهما في كل المواضع التي سيذكر فيها فيما بعد.

و كان كليب بن ربيعة ليس علي الأرض بكرّي و لا تغلبيّ أجار رجلا و لا بعيرا إلا بإذنه، و لا يحمي حمى إلا بأمره، و كان إذا حمى حمى لا يقرب؛ و كان لمرة بن ذهل/بن شيبان بن ثعلبة عشرة بنين جسّاس أصغرهم، و كانت أختهم عند كليب. و قال مقاتل و فراس: و أمّ جسّاس هيلة بنت منقذ بن سليمان[1] بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة، ثم خلف عليها سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بعد مرة بن ذهل، فولدت له مالكا و عوفا و ثعلبة. قال فراس بن خندق[2] البسوسيّ[3]: فهي أمنا. و خالة جسّاس البسوس-و قال أبو برزة: البسوسيّة-و هي التي يقال لها: «أشأم من البسوس» [4]. فجاءت فنزلت على ابن أختها جسّاس فكانت جارة لبني مرة، و معها ابن لها، و لهم ناقة خوّارة[5] من نعم بني سعد و معها فصيل.

أخبرني عليّ بن سليمان قال قال أبو برزة: و قد كان كليب قبل ذلك قال لصاحبه أخت جسّاس: هل تعلمين على الأرض عربيا أمنع مني ذمة؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ثم أعاد عليها الثالثة، فقالت: نعم أخي جسّاس و ندمانه[6]/ابن عمّه عمرو[7] المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان. و زعم مقاتل: أن امرأته كانت أخت جسّاس، فبينما هي تغسل رأس كليب و تسرحه ذات يوم إذ قال: من أعزّ وائل؟ فصمتت[8]، فأعاد عليها؛ فلما أكثر عليها قالت: أخواي جسّاس و همّام؛ فنزع رأسه من يدها و أخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جسّاس و جارة بني مرة فقتله؛ فأغمضوا على ما فيه و سكتوا على ذلك. ثم لقي كليب ابن البسوس[9] فقال: ما فعل فصيل ناقتكم؟ قال: قتلتها و أخليت لنا لبن أمّه؛ فأغمضوا على هذه أيضا. ثم إن كليباً أعاد على امرأته فقال: من أعزّ وائل؟ فقالت: أخواي؛ فأضمّرها و أسرّها في نفسه و سكت، حتى مرّت به إبل جسّاس، فرأى الناقة فأنكرها، فقال:

ما هذه الناقة؟ قالوا: لخالة جسّاس؛ قال: أو قد بلغ من أمر ابن السّعدية أن يجير عليّ بغير إذني! ارم ضرعها يا غلام. قال فراس: فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها؛ و راحت الرّعاة على جسّاس فأخبروه بالأمر؛ فقال: احلبوا لها مكياي لبني بمحلبها و لا تذكروا لها من هذا شيئا؛ ثم أغمضوا عليها أيضا. قال مقاتل:

حتى أصابتهم سماء، فغدا في غبّها يتمطر[10]، و ركب جسّاس بن مرة و ابن عمه عمرو بن الحارث بن ذهل-و قال أبو [1] في ط، ء، م: «سلمان» .

[2] كذا في ط، م، ء و كتاب «النقائض» في أكثر من موضع و الطبري (قسم أول ص 1061) . و في باقي الأصول: «فراس بن خندف» بالفاء بدل القاف، و هو تحريف.

[3] في «النقائض»: «القيسي». و هذه الكلمة ساقطة من ط، ء.

[4] كذا في «مجمع الأمثال» (ج 1 ص 330 طبع بولاق) و هي بنت منقذ التميمية و هي خالة جساس. و في الأصول: «بسوسة» بزيادة التاء في الآخر.

[5] ناقة خوارة: رقيقة حسنة.

[6] الندمان: الذي يرافقك و ينادمك على الشراب، و قد يكون جمعا.

[7] كذا في أكثر الأصول، و المزدلف لقب عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل و هو ابن عم جساس بن مرة، لقب به لأنه ألقى برمحه في حرب فقال: ازدلفوا إليه، كما قال ابن دريد، أو لاقتراه من الأقران في الحروب و ازدلافه إليهم، كما نقله ابن حبيب. (عن «القاموس» و «شرحه» مادة زلف) . و في ب، س: «... و ندمانه ابن عمه عمرو و المزدلف...» بزيادة واو العطف سهوا من الطابع.

[8] في ط، ء: «فضمزت»، و ضمزت: سكتت.

[9] في م: «جساسا» .

[10] يتمطر: يتنزّه. و قوله: «في غبها» كذا في الأصول، و لم نجد في «معاجم اللغة» التي بين أيدينا أن كلمة «غب» و هي بمعنى «بعد» تجرّ بفي. و هذا الاستعمال نفسه ورد في «اللسان» و «القاموس» و «شرحه» بدون حرف الجر.

برزة: بل عمرو ابن أبي ربيعة- و طعن عمرو كليباً فحطم صلبه؛ و قال أبو برزة: فسكت جَسَّاس، /حتى طعن[1] ابنا وائل؛ فمَرَّت بكر بن وائل على نهى[2] يقال له شبيث فنفاهم كليب عنه و قال: لا يذوقون منه قطرة، ثم مَرَّوا على نهى آخر يقال له الأحصّ فنفاهم عنه و قال: لا يذوقون منه قطرة؛ ثم مَرَّوا على بطن الجريب[3] فمَنَعهم إِيَّاه؛ فمَضوا حتى نزلوا الدُّنائب[4]، و اتَّبَعهم كليب و حيَّه حتى نزلوا عليه؛ ثم مَرَّ عليه جَسَّاس و هو واقف على غدير الدنائب فقال: طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً! فقال كليب: ما منعناهم من ماء إلا و نحن له شاغلون؛ فمضى جَسَّاس و معه ابن عمه المزدلف. و قال بعضهم: بل جَسَّاس ناداه فقال: هذا كفعلك بناقة خالتي؛ فقال له: أو قد ذكرتُها! أما إني لو وجدتُها في غير إبل مَرَّة لاستحللت تلك الإبل بها. فعطف عليه جَسَّاس فرسه فطعنه برمح فأنفذ حُضنيه[5]؛ فلما تَداءمه[6] الموت قال: يا جَسَّاس اسقني من الماء؛ قال: ما عقلت استسقاءك الماء منذ ولدتك أمك إلا ساعتك هذه!. قال أبو برزة: /فعطف عليه المزدلف[7] عمرو بن أبي ربيعة فاحتزَّ رأسه.

و أمَّا مقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن زهل الذي طعنه فقصم صلبه. [قال][8]: و فيه يقول مهلهل: قتيل ما قتيل المرء عمرو # و جَسَّاس بن مَرَّة ذو ضير[9]

/و قال العباس بن مرداس السَّلَميَّ يحذِّر كليب[10] بن عهمة السَّلَميَّ ثم الظفريَّ لما مات حرب بن أمية و خنقت الجنُّ مرداسا و كانوا شركاء في القرية[11] فجدَّهم كليب حظهم منها- و سنذكر خبر ذلك في آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى- فحذَّره غبَّ الظلم فقال: أ كليب مالك كلَّ يوم ظالما # و الظلم أنكد وجهه ملعون

[1] كذا في ب. و في سائر الأصول: «طعن» بالطاء المهملة.

[2] النهي (بالكسر في لغة أهل نجد، و غيرهم يقوله بالفتح) : الغدير، و هو أيضا الموضع الذي له حاجز ينهى الماء أن يفيض منه.

[3] الجريب: واد عظيم بين أجلي و بين الدنائب و جبر، تجيء أعاليه من قبل اليمن حتى يصب في الرمة. و الرمة: فضاء به أودية كثيرة بأرض نجد. قال الهمداني: هذا الجريب جريب نجد، و في تهامة جريب آخر. (عن «معجم ما استعجم» و «معجم البلدان» لياقوت) .

[4] الدنائب: موضع بنجد.

[5]الحضن: ما دون الإبط إلى الكشح.

[6]تداءمه: تراكم عليه و تراحم.

[7]في الأصول: «... المزدلف بن عمرو بن أبي ربيعة» بزيادة كلمة «ابن» و هو تحريف. (راجع الحاشية رقم 8 ص 35 من هذا الجزء) .

[8]زيادة عن ط، ء، م.

[9]الضريبر: الشدة، و يقال: فلان ذو ضريبر إذا كان ذا صبر على الشترّ و مقاساة له. و ذو ضريبر هنا صفة لقتيل.

[10]كذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول هنا و كتاب «النقائض» (ص 907) . و ورد في الأصول التي بين أيدينا من «الأغاني» في أول أخبار أبي سفيان التي تقع في ج 6 ص 92 طبع بولاق: «كليب بن أبي عهمة السلمي» .

[11]ذكر أبو الفرج في ج 6 ص 92 و ج 20 ص 135 طبع بولاق: أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو و أخوته مرّ بالقرية و هي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام، فقال له مرداس بن أبي عامر: أما ترى هذا الموضوع؟ قال بلى؛ قال: نعم المزدرع هو، فهل لك أن نكون شريكين فيه و نحرق هذه الغيضة ثم نذرعه بعد ذلك؟ قال نعم؛ فأضرم النار في الغيضة، فلما استطارت و علا لهبها سمع من الغيضة أنين و ضجيج كثير ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعنها و خرجت منها، فلم يلبث حرب بن أمية و مرداس بن أبي عامر أن ماتا، فأما مرداس فدفن بالقرية، ثم ادّعاها بعد ذلك كليب بن أبي عهمة السلمي ثم الظفري. و قال أبو الفرج عند إيراده هذا الخبر في ذلك الموضوع: «و هذا شيء قد ذكرته العرب في أشعارها و تواترت الرواية بذكره، فذكرته، و الله أعلم» . -

فافعل بقومك ما أراد بوائل # يوم الغدير سميك المطعون

و قال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام و هي تنحل للأعشى: و نحن قهرنا تغلب ابنة وائل # بقتل كليب إذ طغى و تخيلاً[1]

أبأناه[2] بالناب التي شقّ ضرعها # فأصبح موطوء الحمى متدلاً

قال: و مقتل كليب بالذّنائب عن يسار فلجة[3] مصعدا إلى مكة، و قبره بالذّنائب. و فيه يقول المهلهل: و لو نبش المقابر عن كليب # فيخبر[4] بالذّنائب أيّ زير

/قال أبو برزة: فلما قتله أmaal يده بالفريس حتى انتهى إلى أهله. قال: و تقول أخته حين رآته لأبيها: إنّ ذا لجسّاس أتى خارجا ركبناه؛ قال: و الله ما خرجت ركبناه إلا لأمر عظيم!. قال: فلما جاء قال: ما وراءك يا بني؟ قال: ورائي أني قد طعنت طعنة لتشغلنّ بها شيوخ وائل زمنا؛ قال: أقتلت كليبا؟ قال نعم؛ قال: وددت أنك و إخوتك كنتم ممّ قبل هذا، ما بي إلا أن تتشاءم بي أبناء وائل. و زعم مقاتل أن جسّاسا قال لأخيه نضلة بن مرّة -و كان يقال له عضد الحمار-: و إني قد جنيت عليك حربا # تغصّ الشيخ بالماء القراح

مذكّرة[5] متى ما يصح عنها # فتى نشبت[6] بأخر غير صاح

تنكّل عن ذباب[7] الغيّ قوما # و تدعو آخرين إلى الصّلاح

فأجابه نضلة:

فإن[8] تك قد جنيت عليّ حربا # فلا وان و لا رتّ السّلاح

قال أبو برزة:

و كان همّام بن مرة اخى مهلهلا و عاقده ألاّ يكتمه شيئا؛ فجاءت[إليه] [9]أمة له فأسرت إليه قتل جسّاس كليبا؛ فقال[له] [9]مهلهل: ما قالت؟ فلم يخبره؛ فذكّره/العهد بينهما؛ فقال: أخبرت أنّ جسّاسا قتل كليبا؛ [1]تخيل: تكبر.

[2]أباء القاتل بالقتيل: قتله به.

[3]فلجة: منزل على طريق مكة من البصرة بعد أبرقي حجر.

[4]نصب «فيخبر» لما في «لو» من معنى التمني. «و أي زير» مبتدأ محذوف الخبر، كأنه قال: أي زير أنا.

[5]مذكرة: شديدة.

[6]في ط، ء: «تشيب لآخر...» .

[7]كذا في ط، ء، م. و المعنى الذي يمكن أن يراد من معاني الذباب هنا و هو مضاف إلى الغيِّ: الجنون أو الشرُّ، أي إنها تصرف قوما عن جنون غيهم و طيشهم و تردُّهم إلى صوابهم. و في باقي الأصول: «عن ذئاب الغيِّ» . و ورد هذا الشطر في كتاب بكر و تغلب ابني وائل (طبع مطبعة نخبة الأخبار سنة 1305 هـ، و منه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 20 أدب ش) : تشكل دانيات البغي قوما

[8]في ط، ء، م: «إن تك...» بدون فاء. و هذا على أنه أوّل القصيدة، و حينئذ يكون فيه الخرم، و بحر الوافر مما يجوز فيه الخرم.

[9]زيادة عن ط، ء.

فقال: است[1]أخيك أضيّق من ذلك. و زعم مقاتل: أنّ همّاما كان اخی مهلهلا و كان عاقده ألا يكتمه شيئا؛ فكانا جالسين، فمرّ حسّاس یركض به فريسه مخرجا فخذيه؛ فقال همّام: إنّ له لأمرأ، و الله ما رأيته كاشفا فخذيه قط في ركض؛ فلم يلبث إلا قليلا حتى جاءتة الخادم فسارّته أنّ حسّاسا قتل كليبا؛ فقال له مهلهل: ما أخبرتک؟ قال:

أخبرتني أن أخي قتل أخاك؛ قال: هو أضيّق استا من ذلك. و تحمّل القوم، و غدا مهلهل بالخيل.

و قال المفصّل في خبره: فلما قتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعض: لا تعجلوا على إخوتكم حتى تعذروا بينكم و بينهم؛ فانطلق رهط من أشرافهم و ذوي أسنانهم حتى أتوا مرّة بن ذهل، /فعظمو ما بينهم و بينه، و قالوا له:

اختر منّا خصالا: إمّا أن تدفع إلينا حسّاسا فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله، و إمّا أن تدفع إلينا همّاما، و إمّا أن تقيّدنا من نفسك؛ فسكت، و قد حضرته وجوه بني بكر بن وائل فقالوا: تكلم غير مخذول؛ فقال: إمّا حسّاس فغلام حديث السنّ ركب رأسه فهرب حين خاف فلا علم لي به، و إمّا همّام فأبو عشرة و أخو عشرة[2]، و لو دفعته إليكم لصيح[3]بنوه في وجهي و قالوا: دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره؛ و إمّا أنا فلا أتعجل الموت، و هل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أوّل قتيل! و لكن هل لكم في غير ذلك؟ هؤلاء بني، فدونكم أحدهم فاقتلوه به، و إن شئتم فلکم ألف ناقة تضمنها/لكم بكر بن وائل؛ فغضبوا و قالوا: إنّنا لم نأتك لترذل[4]لنا بنيك و لا لتسومنا اللبن؛ فتفرّقوا، و وقعت الحرب. و تكلم في ذلك عند الحارث بن عباد، فقال: «لا ناقة لي في هذا و لا جمل»، و هو أوّل من قالها و أرسلها مثلا.

يوم عنيزة:

قالوا جميعا: كانت حربهم أربعين سنة، فيهنّ خمس وقعات مزاحفات، و كانت تكون بينهم مغاورات[5]، و كان الرجل يلقي الرجل و الرجلان الرجلين و نحو هذا. و كان أوّل تلك الأيام يوم عنيزة، و هي عند فلجة، فتكافئوا فيه لا لبكر و لا لتغلب؛ و تصديق ذلك قول مهلهل:

يوم عنيزة:

كأنا غدوة و بنى أبينا # بجنب عنيزة رحيا مدير

و لو لا الريح أسمع من بحجر[6] # صليل البيض تفرع بالذکور

[1]تضرب العرب ضيق الاست مثلا في الذلة و الضعف. قال في «اللسان» : «و يقال للرجل الذي يستذل و يستضعف: است أمك أضيح و استك أضيح من أن تفعل كذا و كذا» .

[2]في «أمثال العرب» للمفضل الضبي (المطبوع بمطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة 1300 هـ ص 56) زيادة: «و عم عشرة» بعد قوله: «... و أخو عشرة» .

[3]صيح الرجل: بالغ في الصياح.

[4]كذا في ط، ء و أمثال العرب للمفضل الضبي، و فسرهما بقوله: «أي تعطينا رذال بنيك» . و رذال الشيء (بالضم) : أردؤه. و في باقي الأصول: «لتؤدّي لنا بنيك» ، و هو تحريف.

[5]يقال: غاور القوم إذا أغار بعضهم على بعض.

[6]فسر أبو علي القالي في «أمالیه» (ج 2 ص 134 طبعة دار الكتب المصرية) «حجرا» بأنها قصة اليمامة، و ضبطها «القاموس» بالفتح، و وردت مضبوطة في ط بالضم، و حجر (بالضم) : موضع باليمن. و الصليل: الصوت. و الذکور: السيوف.

يوم واردات:

فتفرّقوا، ثم غبروا زمانا. ثم التقوا يوم واردات[1]، و كان لتغلب على بكر، و قتلوا بكرا أشدّ القتل، و قتلوا بجيرا؛ و ذلك قول مهلهل:

فإني قد تركت بواردات # بجيرا في دم مثل العبير

هتكت به بيوت بني عباد # و بعض الغشم[2]أشقى للصدور

قال مقاتل: [إنه][3]إنما التقط توّاء و سيجيء حديثه أسفل من هذا[4]. التوّاء الفرد، يقال: وجدته توّاء، أي وحده.

/قال أبو برزة: ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بني ثعلبة بن عكابة و رأسوا على أنفسهم الحارث بن عباد، فاتّبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة، حتى التقوا بالحنو[5]، فظهرت بنو ثعلبة على تغلب.

يوم القصبيات و يوم قصة:

قال مقاتل: ثم التقوا يوم بطن السّرو، و هو يوم القصبيات[6]، و ربما قيل يوم القصيبة[7]، و كان لبني تغلب على بكر، حتى ظنّت بكر أن سيقتلونها[8]-قال مقاتل: و قتلوا يومئذ همّام بن مرّة-. ثم التقوا يوم قصة و هو يوم التحالق و يوم التّنيّة[9]. و يوم قصة و يوم الفصيل لبكر على تغلب. قال أبو برزة: اتّبعت تغلب بكرا فقطعوا رملات خزازي[10] [1]واردات: موضع عن يسار طريق مكة.

[2]الغشم: الظلم.

[3]زيادة عن ط، ء.

[4]في ب، س، ح: «... أسفل من هذا حديثه». بزيادة كلمة «حديثه» ، و ظاهر أنه زيد سهوا من الناسخ.

[5]الحنو: موضع في ديار بكر و تغلب.

[6]القصبيات: موضع في ديار بكر و تغلب.

[7]كذا في م و به يستقيم الكلام. و في باقي الأصول: «... و ربما قيل القصيبة و هي القصبات لبني تغلب...» .

[8]في ط، ء، م: «أن سيقتلوها» و «أن» يجوز فيها أن تكون مخففة من الثقيلة و أن تكون ناصبة للفعل بعد الظن، و لكن وجود السين في الفعل بعدها يعين أنها مخففة، فيجب رفع الفعل. و في ب، س، ح: «... أن

سيقتلوا معا» . و في كتاب «الكامل» لابن الأثير (ج 1 ص 395 طبع أوروبا)
-و لعله هو الصحيح-: «... حتى ظنوا أنهم لن يستقبلوا» .

[9]الثنية هنا: الطريقة في الجبل كالنقب. و يوم الثنية معطوف على
«يوم التحالق» على أنه تفسير آخر لـ «يوم قضة» كما يعينه إيراد الخبر في
كتاب «معجم ما استعجم» في كلامه على «واردات» ، و نصه بعد أن ذكر
الأيام التي قبله: «... و الخامس يوم قضة و هو يوم التحالق و يوم الثنية، و
قال أبو عبيدة: و هو أول يوم شهده الحارث بن عباد...» . و ظاهر أن الثنية
التي أضيف إليها هذا اليوم هي الثنية التي وقع فيها الجمل فسدها حين
طعنه عوف بن مالك ليسدّ الطريق دون قومه ثم تحالقوا لتعرفهم النساء،
كما سيحيى ذلك بعد أسطر.

[10]خزازي (و يقال فيه أيضا خزاز كسحاب و خزاز بالبناء على الكسر
كقطام) : جبل في ناحية منعج دون إمرة و فوق عاقل، على يسار طريق
البصرة إلى المدينة، بإزاء حمى ضرية. و الرغام: اسم رملة بعينها (كما في
«القاموس») ، و ذكر ياقوت في «معجم البلدان» أنها من نواحي اليمامة.
و في كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني (طبع ليدن ص 153) بعد أن
عرض لذكر القصبين اللتين ذكرتا في أخبار بني وائل و إحداهما قصبة
الرغام، قال: «... و الرغام جماع منها سفوح و أرطاة و البردان و الطويل، و
كل ذا فيه نخل كثير، و رميلة هي رملة الرغام مشرفة على ثرمداء...» .

و الرّغام ثم مالوا لبطن الحمارة[1]؛ فوردت بكر قصة فسقت و أسقت/ثم صدرت و حلتوا[2] تغلب، و نهضوا في نجعة[3] يقال لها موبية لا يجوز فيها إلا بعير بعير؛ فلحق رجل من الأوس بن تغلب بغليّم من بني تيم اللات بن ثعلبة يطرد ذودا له[4]، قطعن في بطنه بالرمح ثم رفعه[5] فقال: تحدّبي أمّ البوّ على بوّك. فرأه عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، فقال: أنفذوا[6] جمل أسماء (ابنته) فإنه أمضى جمالكم و أجودها منفضا، فإذا نفذ تبعته النّعم؛ /فوثب الجمل في الموبية، حتّى إذا نهض على يديه و ارتفعت رجلاه ضرب عرقوبيه و قطع بطن الطعينة فوق فسدّ الثنية-ثم قال عوف: أنا البرك أبرك حيث أدرك، فسّمّي البرك-و وقع الناس إلى الأرض لا يرون مجازا، و تحالقوا لتعرفهم النساء؛ فقال جدر بن ضبيعة بن قيس أبو المسامعة-و اسمه ربيعة؛ قال: و إنما سمّي جدرًا لقصره[7]-: لا تحلقوا رأسي فإني رجل قصير، لا تشينوني، و لكنّي أشتريه منكم بأوّل[8] فارس يطلع عليكم من القوم؛ فطلع ابن عناق فشدّ عليه فقتله. فقال رجل من بكر بن وائل يمدح مسمع ابن مالك بذلك: يا ابن الذي لمّا حلّقنا اللّما # ابتاع منا رأسه تكّرما

بفارس أوّل من تقدّما

و قال البكريّ:

و ممّا الذي فادى من القوم رأسه # بمستلّم[9] من جمعهم غير أعزلا

فأدى إلينا بزة[10] و سلاحه # و منفصلا من عنقه قد تزبّلا

/قال: و كان جدر يرتجز يومئذ و يقول: ردّوا عليّ الخيل إن ألّمت # إن لم أقاتلهم فجزّوا لمّتي

و زعم عامر بن عبد الملك المسمعيّ أنه لم يقلها، و أن صخر بن عمرو السّلميّ قائلها؛ فقال مسمع: كردين[11] [كذب] عامر. و قال البكريّ: [1] كذا في الأصول. و الحمارة (بلفظ تأنيث الحمار) : اسم حرة. غير أن سياق عبارة الهمداني (في كتابه «صفة جزيرة العرب» ص 152-153) يدل على أن التي تصاقب الرغام هي «الحمادة» بالبدال لا الحمارة بالراء. و الحمادة (بالفتح) كما في «معجم ياقوت» : ناحية باليمامة أيضا.

[2] حلتوا تغلب: منعوها الماء.

[3] في ط، ء: «نجفة» بالفاء.

[4] الذود: ثلاثة أبعرة إلى التسعة و قيل إلى العشرة و قيل غير ذلك، و لا يكون إلا من الإناث، و هو يستعمل بمعنى الواحد و بمعنى الجمع.

[5] في ح: «دفعه» .

[6] في ط، ء: «قدموا» .

[7] عبارة ط، ء: «قال: و إنما جحدره قصره» .

[8] في ط، ء: «بأكرم فارس» .

[9] المستلثم: لابس الأمة: و هي السلاح كلها. يقال: استلأم الرجل إذا لبس ما عنده من عدّة: رمح و بيضة و مغفر و سيف و نبل و درع.

[10] البز (بالفتح) : نوع من الثياب. و في ط، ء: «ثوبه» .

[11] كذا في ط، م، ء. و كردين: كلمة فارسية معناها: حائد عن الصواب. و قد رجح لدينا أن كلمة «كذب» أثبتت تفسيراً من المؤلف لكلمة «كردين» فوضعناها بين علامتي التفسير إشارة إلى ذلك. و في ح: «كذب ابن كاذب عامر» . و في ب، س: «كاذب بن كاذب عامر» .

و مَّا الَّذِي سَدَّ الثَّيْبَةَ غَدْوَةً # عَلَى حَلْفَةٍ لَمْ يَبْقَ فِيهَا تَحَلُّلاً
بِجَهْدِ يَمِينِ اللَّهِ لَا يَطْلَعُونَهَا # وَ لَمَّا نَقَاتِلْ جَمْعَهُمْ حِينَ أَسْهَلَا

و أَمَّا مَقَاتِلُ فَرَعَمَ أَنَّهُمْ قَالُوا: اتَّخَذُوا عِلْمًا يَعْرِفُ بِهِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا،
فَتَحَالَقُوا[1]. وَ فِيهِ يَقُولُ طَرْفَةٌ[2]:

صوت

سَأَلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا # بِقَوَانَا[3] يَوْمَ تَحْلَاقُ اللَّمَمُ
يَوْمَ تَبْدِي الْبَيْضَ عَنِ أَسْوَقِهَا[4] # وَ تَلْفَ الْخَيْلِ أَعْرَاجَ النَّعْمِ

/عَنِّي فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ابْنُ مُحَرَّرٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنِ
الْهَشَامِيِّ، وَ ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَكِيِّ أَنَّهُ لِمَعْبُدٍ.

همام بن مرة و مقتله:

وَ زَعَمَ مَقَاتِلُ أَنَّ هَمَّامَ بْنَ مَرَّةَ بْنَ ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ، لَمْ يَزَلْ قَائِدَ بَكْرِ
حَتَّى قَتَلَ يَوْمَ الْقَصِيَّاتِ، وَ هُوَ قَبْلَ[5] يَوْمِ قِصَّةِ، [وَ يَوْمِ قِصَّةِ] عَلَى أَثَرِهِ. وَ
كَانَ مِنْ حَدِيثِ مَقْتَلِ هَمَّامِ أَنَّهُ وَجَدَ غَلَامًا مَطْرُوحًا، فَالْتَقَطَهُ وَ رَبَّاهُ وَ سَمَّاهُ
نَاشِرَةَ فَكَانَ عِنْدَهُ لَقِيْطًا؛ فَلَمَّا شَبَّ تَبَيَّنَ أَنَّهُ مِنْ بَنِي تَغْلِبٍ؛ فَلَمَّا اتَّقَوْا يَوْمَ
الْقَصِيَّاتِ جَعَلَ هَمَّامٌ يِقَاتِلُ، فَإِذَا عَطِشَ رَجَعَ إِلَى قَرْبَةِ فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ وَضَعَ
سِلَاحَهُ؛ فَوَجَدَ نَاشِرَةَ مِنْ هَمَّامِ غَفْلَةً، فَشَدَّ عَلَيْهِ بِالْعَنْزَةِ[6] فَأَقْصَدَهُ فَقَتَلَهُ، وَ
لَحِقَ بِقَوْمِهِ تَغْلِبَ. فَقَالَ بَاكِي هَمَّامُ: لَقَدْ عَيَّلَ[7] الْأَقْوَامَ طَعْنَةَ نَاشِرَةَ # أَنَا
شَرٌّ لَا زَالَتَ يَمِينُكَ أَشْرَهُ[8]

الحارث بن عباد و أخذه بثأر ابنه بجير:

ثُمَّ قَتَلَ نَاشِرَةَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ قِصَّةِ وَ تَجَمَّعَتْ إِلَيْهِمْ
بَكْرٌ، جَاءَ إِلَيْهِمُ الْفَنْدُ الرَّمَّانِيُّ أَحَدُ بَنِي [1] كَذَا فِي ط، ء. وَ فِي بَاقِي الْأَصُولِ:
«فَتَحَالَقُوا» بِالْفَاءِ، وَ هُوَ تَصْحِيفٌ.

[2] ذَكَرَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي «دِيْوَانِ طَرْفَةٍ» ضَمَّنَ قَصِيدَةَ أَثْبَتَهَا لَهُ أَبُو
عَبِيدَةَ وَ الْمَفْضَلُ وَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ، وَ زَعَمَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ وَ أَنَّهُ
أَدْرَكَ قَائِلَهَا (عَنْ «شَرْحِ دِيْوَانِهِ» ص 104 طَبْعَ مَدِينَةِ شَالُونِ سَنَةِ 1900 م)

[3] كَذَا فِي ح، س وَ عِدَّةُ أَصُولٍ مِنْ «دِيْوَانِ طَرْفَةٍ». وَ فِي بَاقِي
الْأَصُولِ: «بِوَفَانَا» بِالْفَاءِ وَ هُوَ تَحْرِيفٌ.

[4]أسوُق: جمع لساق، همزت الواو فيه لتحمل الضمة، أي يوم تكشف النساء البيض عن سيقانها من الفرع. و تلف: تجمع. و أعراج: جمع عرج (بالفتح و يكسر) و هو القطيع من الإبل نحو الثمانين أو منها إلى تسعين أو هو مائة و خمسون و فوقها أو من خمسمائة إلى ألف. و النعم (بالتحريك و قد تسكن عينه) : الإبل.

[5]كذا في ط، ء: و هو الموافق لما أجمعت عليه المصادر التي بين أيدينا و منها كتاب «الأغاني» نفسه فيما تقدّم في أول هذا الخبر: من أن يوم القصيات كان قبل يوم قصة ثم كان بعده يوم قصة. و قد وضعنا هذه الزيادة التي نعتقد أنها سقطت سهوا من الناسخ ليستقيم بها الكلام. و في باقي الأصول: «... يوم القصيات و هو بعد يوم قصة القصيات على أثره...» و هو على ما فيه من اضطراب يخالف ما أثبتته «الأغاني» نفسه قبلا.

[6]العنزة (محرّكة) : شبيه العكازة أطول من العصا و أقصر من الرمح و لها زج من أسفلها.

[7]في م، ح «و اللسان» (مادة أشر) : «الأيتام» بدل الأقوام. و عيلتهم الطعنة: أفقرتهم و أحوجتهم، إذ كان المطعون معتمدتهم و سندهم.

[8]آشرة: قال في «اللسان» (مادة أشر) بعد أن ذكر البيت: «أي لا زالت يمينك مأشورة «مشقوقة» أو ذات أشر، كما قال عزّ و جلّ: **خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ** أي مدفوق، و مثل قوله عزّ و جلّ: **عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ*** أي مرضية، و ذلك أن الشاعر إنما دعا على ناشرة لا له، بذلك أتى الخبر و إياه حكّت الرواة. و ذو الشيء قد يكون مفعولا كما يكون فاعلا... إلخ» .

زَمَّان بن مالك بن صعْب بن عليّ بن بكر بن وائل من اليمامة، قال عامر/بن عبد الملك المسمعيّ: فرأسوه عليهم؛ فقلت أنا لفراس/بن خنْدِق [1]: إن عامرا يزعم أن الفند كان رئيس بكر يوم قصة؛ فقال: رحم الله أبا عبد الله! كان أقلّ الناس حظاً في علم قومه. و قال فراس: كان رئيس بكر بعد همّام الحارث بن عباد. قال مقاتل: و كان الحارث بن عباد قد اعتزل يوم قتل كليب، و قال: لا أنا من هذا و لا ناقتي و لا جملي و لا عدلي، و ربما قال: لست من هذا و لا جملي و لا رحلي، و خذل بكرا عن تغلب، و استعظم قتل كليب لسؤدده في ناقة. فقال سعد بن مالك يحضض الحارث بن عباد: يا بؤس للحرب التي # وضعت أراهاط [2] فاستراحوا

و الحرب لا يبقى لصا # حبها [3] التّخيل و المراح [4]

إلاّ الفتى الصّبار في النّ # جدات و الفرس الوقاح [5]

فلما أخذ بجير [6] بن الحارث بن عباد توّا بواردات- و إنما سلّ و لم يؤخذ في مزاحفة- قال له مهلهل: من خالك يا غلام؟! قال [7] امرؤ القيس بن أبان التّغلبيّ لمهلهل: إني أرى غلاماً ليقتلنّ به رجل لا يسأل عن خاله، و ربما قال عن حاله- قال: فكان و الله امرؤ القيس هو المقتول به، قتله الحارث بن عباد يوم قصة بيده- فقتله مهلهل. قال: فلما قتل مهلهل بجيرا قال: بؤ [8] بشسع نعل كليب؛ فقال له الغلام: إن رضيت بذلك بنو ضبيعة بن قيس رضيت. فلما بلغ الحارث قتل بجير ابن أخيه- و قال أبو برزة: بل بجير ابن الحارث بن عباد نفسه- قال: نعم الغلام غلام أصلح بين ابني وائل و باء بكليب. فلما سمعوا قول الحارث: قالوا له: إنّ مهلهلاً لمّا قتله قال له: بؤ بشسع نعل كليب- و قال مهلهل: كلّ قتيل في كليب حلّام [9] # حتى ينال القتل آل همّام

و قال أيضا:

[1] انظر الحاشية رقم 3 ص 35 من هذا الجزء.

[2] أراهاط: جمع أرهط الذي هو جمع رهط. و قال سيبويه: إن أرهط جمع لرهط على غير قياس.

[3] بين سطور ط: «لجاحمها» و كتبت أمامها كلمة «صح» . و جاحم الحرب: موقدها و مثيرها. و في ء: «لجاحمها» بتقديم الحاء على الجيم و هو مصحف عما ثبت في رواية ط.

[4]التخيل: التكبر. و المراح: الأشر و البطر.

[5]الوقاح (بالفتح) : الصلب القويّ.

[6]كذا في ب، س. و سيرد في سياق كلام المؤلف بعد قليل أن بجيرا ابن أخي الحارث و أن أبا برزة قال: إنه ابن الحارث نفسه. و نسبه على أنه ابن أخي الحارث هو، كما ورد في ح: «فلما أخذ بجير بن عمرو ابن مرة بن عباد الحارث عم أبيه». و «الحارث عم أبيه» جملة حالية سيقّت لبيان ما بين بجير و الحارث من أصرة قربي. و في ط، ء، م: «و لما أخذ بجير بن عمرو بن مرة بن الحارث بن عباد توا بواردات...» و غير خاف ما فيها من تحريف.

[7]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «قال يقول امرؤ القيس...» . و لو كان في ب، س: «فقال» بالفاء، كما ورد في جميع الأصول فيما يأتي، لكان أوجه.

[8]باء دمه بدمه: عدله و كافأه، و باء فلان بفلان: قتل به.

[9]قتيل حلام: ذهب باطلا. و أصل الحلام (بضم الحاء و تشديد اللام و تخفيفها) : الصغير من ولد الغنم، و يقال فيه حلان أيضا، و قد روى بهما بيت مهلهل، و الشطر الثاني في رواية «حلان»: «حتى ينال القتل آل شيبان». يقول: كل من قتل في كليب ناقص عن الوفاء به إلا آل همام أو شيبان. (عن «اللسان» مادة حلم ببعض تصرف).

كلّ قتيل في كليب غزّه [1] # حتى ينال القتل آل مرّه

-فغضب الحارث عند ذلك فنأدى بالرحيل [2]. قال مقاتل: و قال الحارث بن عباد: قريبا مربط النعامه [3] مني # لقت [4] حرب وائل عن حبال

لا بجير أغنى قتيلًا و لا رهـ # ط كليب تراجروا عن ضلال

لم أكن من جناتها علم اللّ # ه و إني بحرّها اليوم صال

أسر مهلهل و نجاته ثم لحاقه باليمن و شعره في ذلك:

قال: و لم يصحّ عامر و لا مسمع غير هذه الثلاثة الأبيات. و زعم أبو برزة قال: كان أول فارس لقي مهلهلا يوم واردات بجير بن الحارث بن عباد، فقال: من خالك يا غلام، و بؤاً نحوه [5] الرمح؛ فقال له امرؤ القيس بن أبان التغلبيّ- و كان على [6] مقدّمهم في حروبهم-: مهلا يا مهلهل! فإنّ عمّ هذا و أهل بيته قد اعتزلوا حربنا و لم يدخلوا في شيء مما نكره، و والله لئن قتلته ليقتلنّ به رجل لا يسأل عن نسبه؛ فلم يلتفت مهلهل إلى قوله و شدّ عليه فقتله، و قال: بؤ بشسع نعل كليب؛ فقال الغلام: إن رضيت بهذا بنو ثعلبة [7] فقد رضيت. قال: ثم عبروا زمانا، ثم لقي همّام بن مرّة فقتله أيضا. فأتى الحارث بن عباد فقيل له: قتل مهلهل همّاما؛ فغضب و قال: ردّوا الجمال على عكرها [8] «الأمر [9] مخلوجة ليس بسلكي»؛ و جدّ في قتالهم. قال مقاتل: /فكان حكم بكر بن وائل يوم قصة الحارث بن عباد؛ و كان الرئيس الفند، و كان فارسهم جحدر، و كان شاعرهم سعد بن مالك بن ضبيعة، و كان الذي سدّ الثنية عوف بن مالك بن ضبيعة؛ و كان عوف أبنه من أخيه سعد. و قال فراس بن خندق [10]: بل كان رئيسهم يوم قصة الحارث بن عباد. قال مقاتل: فأسر الحارث بن عباد عديّا- و هو مهلهل- بعد انهزام الناس و هو لا يعرفه؛ /فقال له: دلني على المهلهل؛ قال: ولي دمي؟ قال: و لك دمك؛ قال: و لي ذمتك و ذمة أبيك؟ قال: نعم، ذلك لك؛ قال: فأنا مهلهل. قال: دلني على كفاء لبجير؛ قال: لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان، هذاك علمه؛ فجرّ ناصيته [11] و قصد قصد امرئ القيس فشدّ عليه فقتله. فقال الحارث في ذلك: [1] الغرة: العبد و الأمة. و معنى هذا البيت معنى الذي قبله.

[2] في م: «فدعا بالرجل» بالجيم. و من معاني الرجل (بالكسر) :

الجيش، شبه لكثرتة برجل الجراد و هو الكثير منه.

[3] النعامة: اسم فرس كانت للحارث بن عباد.

[4] أصل اللقاح الحمل. و عن بمعنى بعد. و حيال: مصدر حالت الأثى إذا لم تحمل. و المراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون.

[5] بؤاً نحوه الرمح: قابله به و سدّده نحوه.

[6] عبارة ط، ء: «و كان يلي مقدّماتهم...» .

[7] كذا في أكثر الأصول. و ثعلبة جدّ أعلى من جدود آل عباد الذين منهم بجير هذا، إذ آل عباد من ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، و ينتهي نسب ثعلبة إلى بكر بن وائل. و في ب، س: «بنو تغلب»، و هو تحريف.

[8] العكر: (محرّكة و قد تسكن) جمع عكرة: و هي القطيع الضخم من الإبل، أي ردوا ما تفرّق من الإبل إلى معظمها.

[9] في «لسان العرب» (مادة خلج) : «الرأي مخلوجة ليس بسلكي» . و في «فرائد اللآل» (ص 32) «و مجمع الأمثال» (ج 1 ص 29) : «الأمر سلكي و ليس بمخلوجة» . و السلكي: الطعنة المستقيمة و هي التي تقابل المطعون فتكون أسلك فيه. و المخلوجة: المعوجة.

يضرب هذا المثل في استقامة الأمر و نفى ضدّها.

[10] راجع الحاشية رقم 3 ص 35 من هذا الجزء.

[11] الناصية: الشعر في مقدم الرأس فوق الجبهة، و كان من عادة العرب أنهم إذا أنعموا على الرجل الشريف بعد أسره جزوا ناصيته

لهف نفسي على عدِّي و لم أع # رف عدِّي إذ أمكنتني اليدان
 طلّ [1] من طلّ في الحروب و لم أو # تر بجيرا أبأته [2] ابن أبان
 فارس يضرب الكتيبة بالسيد # ف و تسموا أمامه العينان

و زعم حجر أنّ مهلهلا قال: لا و الله أو يعهد لي غيرك؛ قال الحارث:
 اختر من شئت؛ قال: أختار الشيخ القاعد عوف بن محلم؛ قال الحارث: يا
 عوف أجره؛ قال: لا! حتى يقعد خلفي؛ فأمره فقعد خلفه؛ فقال: أنا مهلهل. و
 أمّا مقاتل فقال: إنما أخذه في دور الرّحى [3] و حومة القتال و لم يقعد أحد
 بعد، فكيف يقول الشيخ القاعد!. قال مقاتل: و شدّ عليهم جدر، فاعتوره
 عمرو و عامر، فطعن/عمرًا بعالية [4] الرمح و طعن عامرًا بسافلته فقتلها
 عداء [5] و جاء ببزّهما. قال عامر بن عبد الملك المسمعي: فحدّثني رجل
 عالم قال: سألتني الوليد بن يزيد: من قتل عمرا و أخاه عامرًا؟ قلت: جدر؛
 قال: صدقت، فهل تدري كيف قتلها؟ قلت: نعم، قتل عمرا بسنان [6]
 الرمح، و قتل عامرًا بزّجه. قال: و قتل جدر أيضا أبا مكنف. قال مقاتل:
 فلمّا رجع مهلهل بعد الوقعة و الأسر إلى أهله، جعل النساء و الولدان
 يستخبرونه: تسأل المرأة عن زوجها و ابنها [7] و أخيها، و الغلام عن أبيه و
 أخيه؛ فقال: ليس مثلي يخبر الناس عن آ # بآئهم قتلوا و ينسى القتالا

لم أرم [8] عرصة الكتيبة حتّى ان # تعل الورد [9] من دماء نعالا
 عرفته رماح بكر فما يأ # خذن إلا لبانه [10] و القذالا
 غلبونا، و لا محالة يوما # يقلب الدهر ذاك حالا فحالا

و أطلقوه فتكون الناصية عند من جزها يفخر بها. و ربما جزت ناصية
 الأسير شريفا كان أو غير شريف و أخذت للافتخار، و العرب متفاوتون في
 ذلك. قال زهير من قصيدة مدح بها هرم بن سنان المرّي أحد الأجواد في
 الجاهلية: عظمت دسيعته و فضله # جز النواصي من بني بدر

و قالت الخنساء مفتخرة:

جززنا نواصي فرسانها # و كانوا يظنون ألا تجزا
 و من ظن ممن يلاقي الحروب # بألا يصاب فقد ظن عجزا

[1] طل دم القتيل: ذهب هدرًا.

[2] أباء القاتل بالقتيل: قتله به.

[3] في ط، ء، م: «أخذه في المرّحى». و المرّحى: حومة الحرب.

[4]عالية الرمح: سنامه. و سافلته: زجه. و زج الرمح: حديدة في أسفله.

[5]يقال: عادي الفارس بين صيدين و بين رجلين إذا طعنهما طعنيتين متواليتين، و العداء بالكسر، و المعادة: الموالاة و المتابعة بين الاثنين يصرع أحدهما على إثر الآخر في طلق واحد، و أنشد لامرئ القيس: فعادى عداء بين ثور و نعجة # دراكا و لم ينضح بماء فيغسل

[6]في ب، س، ح: «بعالية الرمح» .

[7]في ب، س، ح: «و أبيها» .

[8]لم أرم: لم أبرح.

[9]الورد من الخيل: بين الكميت و الأشقر؛ أو هو الأحمر الضارب إلى الصفرة.

[10]كذا في أكثر الأصول، و اللبان: الصدر. و في ب، س: «لباته» بالتاء بدل النون، و اللبة: المنجر. -

ثم خرج حَتَّى لحق بأرض اليمن، فكان في جنب[1]، فخطب إليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعل، فأكرهوه فأنكحها إياه؛ فقال في ذلك مهلهل: /

أنكحها فقدھا الأراقم[2] في # جنب و كان الحباء[3] من أدم

لو بأبانين[4] جاء يخطبها # ضج ما أنف خاطب بدم

أصبحت لا منفسا[5] أصبت و لا # أبت كريما حراً من التدم

هان على تغلب بما لقيت # أخت بني المالكين من جشم

ليسوا بأكفائنا الكرام و لا # يغنون من عيلة و لا عدم

/ثم إن مهلهلا انحدر، فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة، فطلب إليه أخواله بنو يشكر-و أم مهلهل المرادة[6] بنت ثعلبة بن جشم بن غبر[7] اليشكريّة، و أختها منّة[8] بنت ثعلبة أم حبيّ [9] بن وائل، و كان المحلل[10] بن ثعلبة خالهما-فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكون عنده ففعل[11]؛ فسقاه خمرا، فلما طابت نفسه تغنى: طفلة[12] ما ابنة المحلل بيضا # ء لعوب لذيذة في العناق

القبائل التي انضمت إلى بكر في حربهم مع تغلب:

حتى فرغ من القصيدة، فأدّى ذلك من سمعه من المهلهل إلى عمرو، فحوّله إليه و أقسم ألاّ يذوق عنده خمرا و لا ماء و لا لبنا حتى يرد ربيب الهضاب (جمل له كان أقلّ وروده في الصيف الخمس) [13]؛ فقالوا له: يا خير الفتيان، أرسل إلى ربيب فلتؤت به قبل وروده، ففعل فأوجره[14] ذنوبا من ماء؛ فلما تحلل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة، و هو أوبا ماء رأيته، فمات. فتلك الهضاب التي كان يرعاها ربيب يقال لها هضاب ربيب، طالما رعيتها [1] جنب: حي باليمن من مذحج، و هم ستة رجال: منبه و الحارث و العلي و سبحان و شمران و هفان يقال لهم جنب لأنهم جانبوا أخاهم صداء. (راجع «معجم البلدان» لياقوت ج 1 ص 77 طبع أوروبا).

[2] الأراقم: حيّ من تغلب.

[3] كذا في ط، ء «و عيون الأخبار» (ج 3 ص 91) طبع دار الكتب المصرية، و كذلك صححها المرحوم الشنقيطي بنسخته. و في باقي الأصول: «الخباء» بالخاء المعجمة، و هو تصحيف و قد وقع في هذا التصحيف ابن دريد كما في «المزهر» للسيوطي (ج 2 ص 186).

[4]أبانان: جبلان، قيل: يقال لأحدهما أبان الأبيض و للآخر أبان الأسود، و قيل: هو تثنية أبان و متالع غلب أحدهما، كما قالوا العمران و القمران في أبي بكر و عمر و في الشمس و القمر. (انظر «معجم البلدان» لياقوت) .

[5]المنفس: المال الكثير الذي له قدر و خطر.

[6]في ط، ء: «المرداة» . و في ح: «المرتادة» .

[7]كذا في ط، ء، و هو الموافق لما في «شرح القاموس» «مادة غير» و في الأصول «عبد» و هو تحريف.

[8]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «أمية» .

[9]كذا في ط، ء، م. و في باقي الأصول: «بنت ثعلبة حي من وائل» .

[10]كذا في ط، ء، م و الطبري (قسم 2 ج 3 ص 884 طبع أوروبا) . و في باقي الأصول و هامش الطبري: «المجلل» بالجيم.

[11]في ط، ء، م: «ف فعل المحلل ثم شرب مهلهل يوما و هو عند المحلل خمرا...» .

[12]الطفلة: الرخصة الناعمة.

[13]الخمس بالكسر: من أظماء الإبل و هو أن ترد الإبل الماء في اليوم الخامس.

[14]أوجره ذنوبا من ماء: أي جعله في فيه. و الذنوب: الدلو التي لها ذنب، و لا تكون ذنوبا إلا و هي ملاءى، و لا تسمى خالية ذنوبا.

و رأيتهنّ. قال مقاتل: و لم يقاتل معنا من بني يشكر و لا من بني لجيم و لا ذهل بن ثعلبة غير ناس من بني يشكر و ذهل قاتلت بأخرة[1]، ثم جاء ناس من بني لجيم يوم قضة مع الفند. و في ذلك يقول سعد بن مالك: إنّ لجيما قد أبت كلّها # أن يرفدونا رجلا واحدا

و يشكر أضحت على نأيتها # لم تسمع الآن لها حامدا
و لا بنو ذهل و قد أصبحوا # بها حلولا[2] خلفا ماجدا
القائدي الخيل لأرض العدا # و الضارين الكوكب الوافدا[3]

و قال البكريّ:

و صدّت لجم للبراءة إذ رأّت # أهاضيب[4] موت تمطر الموت معضلا
و يشكر قد مالت قديما و أرتعت # و منّت بقرباها إليهم لتوصلا
و قالوا جميعا: مات جنّاس حتف أنفه و لم يقتل.

عدد القتلى من بكر و تغلب و الاستشهاد على ذلك بشعر مهلهل:

قال عامر بن عبد الملك: لم يكن بينهم من قتلى تعدّ و لا تذكر إلا ثمانية نفر من تغلب و أربعة من بكر عدّدهم مهلهل في شعره[5]، يعني قصيدته: أ ليلتنا بذى حسم[6] أنيري # إذا أنت انقضيت فلا تحوري

فإن يك بالذّنائب طال ليلي # فقد أبكي من الليل القصير
فلو نبش المقابر عن كليب # فيعلم بالذّنائب أيّ زير
بيوم الشّعثمين[7] أفقرّ عينا # و كيف لقاء من تحت القبور

[1] بأخرة: أخيرا، يقال جاء أخرة و بأخرة (بفتح الهمزة و الخاء و بضم الهمزة).

[2] كذا في ح. و في ب، س:

«حلولا خلقا ماجدا»

. و في ط، ء:

«حلولا خلقا ماجدا»

. و في م:

«حلوما خلفا ماجدا»

[3] كذا في ب. و الكوكب: سيد القوم و فارسهم، و الرجل بسلاحه. و الوافد: القادم. و في باقي الأصول: «الواقدا» بالقاف، و لعله تصحيف.

[4] الأهاضيب: جمع أهضوبة و هي الدفعة من المطر.

[5] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «في شعره يعني من قصيدته»

[6] ذو حسم: موضع بالبادية. و تحوري: ترجعي.

[7] يوم الشعثمين: هو يوم واردات، كما في «العقد الفريد» ، بيد أن شعر الأخلل الآتي يدل على أنه يوم الذنائب. و الشعثمان هما شعثم و عبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة، كما في العقد الفريد» ، و قيل: هما شعثم و شعيث، و قيل في اسميهما غير ذلك.

و أضيف هذا اليوم إليهما لأنهما قتلا فيه. و قد جمعهما الأخلل في قصيدة يفتخر فيها بقومه بني تغلب على «شعاثم» ، يريد ابني معاوية و من قتل معهما في ذلك اليوم، فقال: يقوم هم يوم الذنائب أهلكوا # «شعاثم» رهط الحارث بن عباد

و قال أبو علي القالي في أماليه: «الشعثمان: موضع معروف» . و ردّ قوله هذا بأنه لم يذكره أحد ممن شرح حرب البسوس و ذكر أيامها. (راجع «شرح شواهد المغني» للبغدادي ج 2 ص 234 من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم 2 نحو ش و «العقد الفريد» ج 3 ص 95) . و أقرّ عينا: جواب «لو» الشرطية في البيت الذي قبل هذا البيت. و «رواية الأمالي»: «لقرّ عينا» باللام. و قد تقدّم في ص 38 أن هذا الفعل نصب لما في «لو» من معنى التمني.

وإني قد تركت بواردات[1] # بجيرا في دم مثل العبير[2]
 هتكت به بيوت بني عباد # و بعض الغشم أشفى للصدور
 على أن ليس يوفي من كليب # إذا برزت مخبأة الخدور
 /وهمام بن مزة قد تركنا # عليه القشعمان[3] من النسور
 ينوء بصدرة و الرمح فيه # و يخلجه[4] خدب كالبعير
 فلو لا الريح أسمع من بحجر # صليل البيض تفرع بالذكور[5]
 /فدى لبني شقيقة يوم جاءوا # كأسد الغاب لجت في الزبير
 كأن رماهم أشطان[6] بثر # بعيد بين جاليها[7] جرور
 غداة كأتنا و بنى أيننا # بجنب عنيزة رحيا[8] مدير
 تطل الخيل عاكفة عليهم # كأن الخيل ترحض[9] في غدير

فهؤلاء أربعة من بني بكر بن وائل. و قال أيضا: طفلة ما ابنة المحلل
 بيضا # ء لعوب لذيدة في العناق

فاذهبي ما إليك غير بعيد # لا يؤاتي العناق من في الوثاق
 ضربت نحرها إليّ و قالت # يا عديا لقد وقتك الأواقي[10]
 ما أرجي في العيش بعد نداما # ي أراهم سقوا بكأس حلاق[11]
 /بعد عمرو و عامر و حيي # و ربيع الصدوف[12] و ابني عناق

[1]واردات: موضع عن يسار طريق مكة، و به سمي «يوم واردات» .
 [2]العبير: الزعفران.

[3]القشعم: النسر الذكر العظيم. و يروي كما في «الأمالي» لأبي
 علي القالي ج 2 ص 132 طبع دار الكتب المصرية: «عليه القشعمين» على
 أنه معمول لتركنا، و بالرفع على أنه جملة حالية استغنت في الربط بالهاء
 عن الواو. على أنه يجوز أن يكون القشعمان مفردا و تلحق حركة الإعراب
 فيه النون لا الألف، و قد تضم القاف و العين كما في ثعلبان و قد تفتحان
 كما في عقربان.

[4]يخلجه: يجذبه. و الخدب: الضخم.

[5]تقدم تفسير هذا البيت في ص 41 في الحاشية رقم 3 من هذا
 الجزء.

[6]الأشطان: جمع شطن و هو الحبل الشديد الفتل يستقي به.

[7]جال البئر: ناحيتها. و الجرور من الآبار: البعيدة القعر.

[8]في «شرح شواهد المغني» للبغدادي: «قال أبو عبيد البكري في «شرح نوادر القالي» المسمى «قرة النواظر في شرح النوادر»: الرحيان إذا أدارهما مدير أثرت إحداهما في الأخرى و هما من معدن واحد، و كذلك هؤلاء هم من أصل واحد يتماحقون و يقتتلون» .

[9]ترحض: تغسل.

[10]الأواقى: جمع واقية.

[11]الحلاق: المنية معدولة عن الحالقة لأنها تحلق أي تقشر، و بنيت على الكسر لأنه حصل فيها العدل و التأنيث و الصفة الغالبة.

[12]كذا في أكثر الأصول و في «شرح شواهد العيني» المطبوع بهامش «خزانة الأدب» للبغدادي (ج 4 ص 213 طبع بولاق) ، و قد فسره العيني بقوله: «الصدوف بفتح الصاد المهملة و في آخره فاء: اسم فرس الربيع الذي أضيف إليها و قيل: اسم امرأة» . و في س: «الصدوق» بالقاف، و هو تصحيف.

و امرئ القيس ميّت يوم أودي # ثم خلّى عليّ ذات العراقي[1]
 و كليب سمّ [2] الفوارس إذ حـ # مّ رماه الكماة بالإفراق[3]
 إنّ تحت الأحجار حدّا[4] ولينا # و خصيما ألدا معلاق[5]
 حيّة في الوجار[6] أريد لا تند # فع منه السليم نفثة راق

فهؤلاء ثمانية من تغلب. قال عامر: و الدليل على أنّ القتلى كانوا قليلا أنّ آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروب، فعدّوهم و عدّوا بنيتهم و بني بنيتهم، فإن كانوا خمسمائة فقد صدقوا، فكم عسى أن يبلغ عدد القتلى و القبائل. قال مسمع: إنّ أخي مجنون، و كيف يحتجّ بشعر المهلهل، و قد قتل جحدر أبا مكنف يوم قضة فلم يذكره في شعره، و قتل اليشكريّ ناشرة فلم يذكره في الشعر، و قتل حبيب يوم واردات، و قتل سعد بن مالك يوم قضة ابن القبيحة فلم يذكر، فهؤلاء أربعة. و قال البكريّ: تركنا حبيبا يوم أرجف جمعه # صريعا بأعلى واردات مجدّلا

/و قال مهلهل أيضا:

لست أرجو لذة العيش ما # أزمت[7] أجلا قد بساقي
 جّلوني جلد حوب[8] فقد # جعلوا نفسي عند التراقي

و قال آخر[9] يفخر بيوم واردات:

و مهراق الدماء بواردات # تبيد المخزيات و ما تبيد

فقلت لعامر: ما بال مسمع و ما احتجّ به من هؤلاء الأربعة؟ فقال عامر: و ما أربعة إن كنت أغفلتهم[10] فيما يقولون! إنهم قتلوا يوم كذا[11] ثلاثة آلاف، و يوم كذا[11] أربعة آلاف، و الله ما أظنّ جميع القوم كانوا يومئذ ألفا! فهاتوا فعّدوا أسماء القبائل و أبناءهم و انزلوا معهم[12] أبناء أبناءهم، فكم عسى أن يكونوا! [1] ذات العراقي: الداهية.

[2] في ب، س: «شمّ» بالشين، و هو تصحيف.

[3] كذا في «شرح شواهد العيني»، و الإفراق (بكسر الهمزة و سكون الياء بعدها فاء و بعد الألف قاف): إيتار السهم ليرمي به، من أوفقت السهم إذا وضعته على فوقه. و في الأصول: «بالاتفاق» و هو تصحيف.

[4] كذا في م، ح. و الحدّ: الحدة. و في سائر الأصول: «جدا» بالجيم.

[5]المغلاق: اللسان البليغ كأنه يعلق بخصمه، و يروى: «مغلاق» بالعين المعجمة، كأنه يعلق الحجة على خصمه.

[6]الحية يطلق على الذكر و الأنثى. و الوجار: حجر الضيع و يستعار لغيرها. و الأربد: الذي يضرب لونه إلى السواد.

[7]أزمت: تقبضت و انضمت.

[8]كذا صح هذه الكلمة المرحوم الشيخ الشنقيطي في نسخته. و الحوب (بالحاء المهملة المفتوحة و الواو) : الضخم من الجمال.

و البعير إذا زجر قيل له حوب و لذلك سمي حوبا بزجره كما سمي البغل عدسا بزجره و سمي الغراب غاقا بصوته. و في ط، ء، م: «جوب» بالجيم و الجوب الترس، و هو بعيد عن السياق. و في باقي الأصول: «حرف» بالحاء المهملة و الراء. و الحرف الناقاة الضامرة الصلبة.

[9]هو جريز العجلي و قيل: هو الأخطل. «انظر «اللسان» مادة هرق»

[10]كذا في ط، ء، م. و في سائر الأصول: «لأعقلهم» .

[11]كذا في ط، ء، م. و في باقي الأصول: «و يوم كذا و كذا...» .

[12]الزيادة عن ط.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني صوت

أزجر العين أن تبكّي الطلولا # إنّ في الصدر من كليب غليلا
 إنّ في الصدر حاجة لن تقصّي # ما دعا في العصون داع هديلا
 كيف أنساك يا كليب و لَمّا # أقض حزنا ينو بني و غليلا
 /أيّها القلب أنجز اليوم نحا[1] # من بني الحصن[2] إذ غدوا و ذحولا[3]
 كيف يبكي الطلول من هو رهن # بطعان الأنام جيلا فجيلا
 أنبضوا[4] معجس القسيّ و أبرق # نا كما توعّد الفحول الفحولا
 و صبرنا تحت البوارق حتّى # ركدت فيهم السيوف طويلا
 لم يطبقوا أن ينزلوا و نزلنا # و أخو الحرب من أطاق التزولا

الشعر لمهلل-قال أبو عبيدة: اسمه عديّ، و قال يعقوب بن السكّيت: اسمه امرؤ القيس-و هو ابن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب؛ و إنما لُقّب مهلهلا لطيب شعره و رقّته، و كان أحد من غنّي من العرب في شعره. و قيل: إنه أوّل من قصّد القصائد و قال الغزل؛ فليل: قد هلهل الشعر، أي أرقّه. و هو أوّل من كذب في شعره[5]. و هو خال امرئ القيس بن حجر الكنديّ. و كان فيه خنث و لين، و كان كثير المحادثة للنساء، فكان كليب يسمّيه «زير النساء»؛ فذلك قوله: و لو نبش المقابر عن كليب # فيعلم بالذنائب أيّ زير

الغناء لابن محرز في الأوّل و الثاني من الأبيات ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى. و للغريض فيهما لحن في هذه الطريقة و الإصبع[6] و المجرى، و الذي فيه سجة منها[7] لابن محرز. و لمعبد لحنان أحدهما في الأوّل و السادس ثقيل أوّل مطلق/في مجرى البنصر، و الآخر خفيف ثقيل أوّل بالبنصر. و لإبراهيم في الأوّل و الثاني خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى. و لإسحاق في الأوّل و الثالث ماخوريّ. و لعلويه في الأوّل و الثاني خفيف ثقيل أوّل بالبنصر، و لمالك فيهما خفيف رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى. و لابن سريج في السادس و السابع خفيف رمل بالسبّابة في مجرى البنصر. و لابن سريج أيضا في الأوّل و الثامن خفيف ثقيل أوّل بالبنصر. و للغريض في الأوّل [1]النجب: النذر.

[2]الحصن: هو ثعلبة بن عكابة.

[3] الذحول: جمع ذحل و هو الثأر.

[4] أنبض الرامي القوس و عن القوس: جذب و ترها لتصوّب. و معجس كمجلس: مقبض القوس.

[5] حكم عليه بهذا لقوله: «فلو لا الريح...» البيت، لأن قتالهم كان بالجزيرة و حجر قصبة اليمامة، و بين الموضعين مسافة عظيمة.

(راجع «أمالي أبي علي القالي» ج 2 ص 134 طبع دار الكتب المصرية و كتاب «الشعر و الشعراء» ص 164) .

[6] في ط: «و الإصبع في المجرى» .

[7] لعل الصواب: «منهما» على أن يكون مرجع الضمير اللحنين.

و الثاني خفيف ثقيل أوّل بالبنصر. و للهلديّ في الأوّل و الثاني و السابع خفيف ثقيل أوّل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه. و لمالك في الأوّل و الثاني و الخامس خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق و عمرو بن بانه.

و منها:

صوت

ثكلتني عند[1]الثّبيّة أمّي # و أتاه نعيّ عمّي و خالي

إن لم أشف النفوس من حيّ بكر # و عديّ تطأه بزل الجمال[2]

عُناه ابن سريج ثقيلًا أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق، و عُناه الغريض ثقيلًا أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه.

/و منها:

صوت

قربًا مربوط التّعامة مّني # لقت حرب وائل عن حبال[3]

قرباها في مقربات[4]عجال # عابسات يثبن وثب السّعالي

لم أكن من جناتها علم الله و إني بحرّها اليوم صال الشعر للحارث بن عباد. و الغناء للغريض ثقيل أوّل بالبنصر. و فيه لحن آخر يقال إنه لابن سريج.

و منها:

صوت

يا لبكر أنشروا لي كلبيا # يا لبكر أين أين الفرار

يا لبكر[5]فاظعنوا أو فحلّوا # صرّح الشرّ و بان السّرار

[1]في ط، ء، م: «على» .

[2]رواية هذا البيت في كتاب بكر و تغلب ابني وائل: إن لم أشف النفوس من تغلب الغد # ر بيوم تذّل بزل الجمال

و لعله: «يزلّ بزل الجمال» و بهذا يكون البيت واضح العبارة و المعنى. و قد ورد في ب، س عقب هذين البيتين جملة: «الشعر مجهول»، و هي

حشو لأن هذا الشعر للحارث بن عباد كما سيذكر المؤلف بعد قليل.
[3] تقدّم شرح هذا البيت في الحاشيتين رقم 5، 6 ص 47 من هذا الجزء.

[4] المقربات: جمع مقربة و هي الفرس التي يقرب مربطها و معلقها
لكرامتها. و السعالى: جمع سعالاة و هي الغول أو ساحرة الجن.
و رواية هذا البيت في كتاب بكر و تغلب:

قربا مربط النعامه مني # ساريات يقفزن قفز السعالى

و هي رواية غير جيدة.

[5] في ط، ء: «يا لبكر اطعنوا...» بدون فاء.

الشعر لمهلل. و الغناء لابن سريج، و لحنه من القدر الأوسط من
الثقل الأول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق. و غنّاه الأجر
خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو.
و منها:

صوت

أ ليلتنا بذي حسم أنيري # إذا أنت انقضيت فلا تحوري
فإن يك بالذئب طال ليلي # فقد أبكى من الليل القصير
/كأنّ الجدّي جدّي [1] بنات نعش # يكبّ [2] على اليدين بمستدير [3]
و تحبو [4] الشّعريان [5] إلى سهيل # يلوح كقمة [6] الجمل الكبير
فلو لا الريح أسمع أهل حجر # صليل البيض تفرع بالذّكور

الشعر لمهلل. و الغناء لابن محرز في الأوّل و الثاني ثقيل أوّل
بالبنصر، و له في الأبيات كلها خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى،
عن إسحاق جميعا. و في الأبيات كلها على الولاء للأجر ثاني ثقيل بالوسطى
على مذهب إسحاق من رواية عمرو. و يقال: إن فيها لحنا للغريض أيضا.

الهجرس بن كليب و ثاره لأبيه من خاله جساس:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين
السكّريّ قال حدّثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفصل عن أبي
عبدة:

/أن آخر من قتل في حرب بكر و تغلب جساس بن مرّة بن زهل بن
شيبان، و هو قاتل كليب بن ربيعة، و كانت أخته تحت كليب، فقتله جساس و
هي حامل، فرجعت إلى أهلها و وقعت الحرب، فكان من الفريقين ما كان؛
ثم صاروا إلى المودعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان؛ فولدت أخت جساس
غلاما فسّمته [7] الهجرس و ربّاه جساس، فكان لا يعرف أبا غيره، و زوّجه
ابنته. فوقع بين الهجرس و بين رجل من بني بكر بن وائل كلام؛ فقال له
البكريّ: ما [1] قال ابن سيده: الجدّي من النجوم جديان: أحدهما الذي يدور
مع بنات نعش، و الآخر الذي بلزق الدلو و هو من البروج و لا تعرفه العرب.
و كلاهما على التشبيه بالجدّي في مرآة العين.

[2] يكبّ: ينكس. يقال: كب فلان فلانا إذا صرعه فأكب هو؛ و هذا من
النادر، و هو أن يكون الفعل المجرد من الهمزة متعديا و ذو الهمزة لازما.

[3] كذا في ب، س، ح. و في ط، ء، م: «كمستدير» .

[4] تحبو: تدنو، يقال: حبا الشيء إلى كذا إذا دنا إليه أو اتصل به. و في الأصول الموجود بها هذا البيت: «تخيو» بالخاء المعجمة، و ظاهر أنه تصحيف، و رواية «كتاب بكر و تغلب» (ص 70) : «تحنو» بالخاء المهملة و النون. و البيت ساقط من ط، ء.

[5] الشعريان: كوكبان، أحدهما في الجوزاء و طلوعه بعدها في شدّة الحر، و يقال له الشعري اليمانية و تلقب بالعبور، و الآخر في الذراع و يقال له الشعري الغميصاء، و تزعم العرب أنهما أختا سهيل. و سهيل: كوكب يمان.

[6] رواية كتاب بكر و تغلب: «كهينة» .

[7] كذا في ط، ء و «ابن الأثير» (ج 1 ص 393) طبع ليدن. و في باقي الأصول اختلاف في عطف بعض هذه الأفعال على بعض بالواو أو بالفاء.

أنت بمنتته حتى تلحقك بأبيك؛ فأمسك عنه و دخل إلى أمه كئيها، فسألته عما به فأخبرها الخبر؛ فلما أوى إلى فراشه و نام إلى جنب امرأته وضع أنفه بين ثديها، فتنفس تنفساً تنقط[1] ما بين ثديها من حرارتها؛ فقامت الجارية فزعة قد أفلتها رعدة حتى دخلت على أبيها، فقضت عليه قصّة الهجرس؛ فقال جسّاس: ثائر و ربّ الكعبة! و بات جسّاس على مثل الرّضف[2] حتى أصبح؛ فأرسل إلى الهجرس فأتاه، فقال له: إنما أنت ولدي و منّي بالمكان الذي قد علمت، و قد/زوّجتك ابنتي و أنت معي، و قد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً حتى كدنا نتفاني، و قد اصطلحنا و تحاجزنا، و قد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح، و أن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا و على قومنا؛ فقال الهجرس: أنا فاعل، و لكنّ مثلي لا يأتي قومه إلا بلامته[3] و فرسه؛ فحمله جسّاس على فرس و أعطاه لامة و درعا؛ فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما، فقصّ عليهم جسّاس/ما كانوا فيه من البلاء و ما صاروا إليه من العافية، ثم قال: و هذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه و يعقد ما عقدتم؛ فلما قرّبوا[4] الدم و قاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه، ثم قال: و فرسي و أذنيه، و رمحي و نصليه، و سيفي و غراريه، لا يترك الرجل قاتل أبيه و هو ينظر إليه؛ ثم طعن جسّاساً فقتله، ثم لحق بقومه؛ فكان آخر قتيل في بكر بن وائل.

ترحيل أخت كليب لجليلة عن ماتم زوجها و شعر جليلة في ذلك:
قال أبو الفرج: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني عمّي عن العباس بن هشام عن أبيه عن الشّرقيّ[5] بن القطاميّ قال:

لما قتل جسّاس بن مرّة كليب بن ربيعة، و كانت جليلة بنت مرّة أخت جسّاس تحت كليب، اجتمع نساء الحيّ للماتم، فقلن لأخت كليب: رحّلي جليلة عن ماتمك، فإنّ قيامها فيه شماتة و عار علينا عند العرب؛ فقالت لها:

يا هذه اخرجي عن ماتمنا، فأنت أخت و اترنا و شقيقة قاتلنا؛ فخرجت و هي تجرّ أعطافها؛ فلقبها أبوها مرّة، فقال لها: ما وراءك يا جليلة؟ فقالت: ثكل العدد، و حزن الأبد؛ و فقد حليل، و قتل أخ عن قليل؛ و بين دين غرس الأحقاد، و تفتت الأكباد؛ فقال لها: أو يكفّ ذلك كرم الصّفح و إغلاء الدّيّات؟ فقالت جليلة: أميّة مخدوع و ربّ الكعبة! أبا لبدن تدع لك تغلب دم ربّها!! قال: و لما رحلت جليلة قالت أخت كليب: رحلة المعتدي و فراق الشامت، ويل غدا لآل مرّة، من الكرّة بعد الكرّة!. فبلغ قولها جليلة، فقالت: و كيف

تشمت الحرّة بهتك سترها / وترقّب وترها! أسعد الله جدّ أختي، أ فلا قالت:
نفرة الحياء، و خوف الاعتداء!. ثم أنشأت[6] تقول:

[1] تنفط: احترق.

[2] الرصف (بالفتح، واحده رصفة) : الحجارة المحماة يوغر (يسخن)
بها اللبن، و يقال: هو على الرصف إذا كان قلقا مشخوصا به أو مغتاظا.

[3] لأمته: سلاحه. و تطلق الامة على كل عدّة للحرب من درع و رمح
و بيضة و مغفر و سيف و نبل.

[4] كان من عادة العرب أن يحضروا في جفنة طيبا أو دما أو رمادا
فيدخلوا فيه أيديهم عند التحالف ليتم عقدهم عليه باشتراكهم في شيء
واحد.

[5] في بعض الأصول: «الشرفي» بالفاء، و هو تصحيف، و قد ضبطه
السمعاني بفتح الشين و سكون الراء و القطامي بضم القاف و فتح الطاء و
كسر الميم. و ضبط كذلك بالعبارة في «تهذيب التهذيب» و الخلاصة بفتح
الشين و الراء و قطامي بضم القاف و فتح الميم.

[6] قال أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني في الجزء الثالث من
«أشعار النساء» بعد أن ذكر هذه الأبيات و نسبها لجليلة كما ذكر المؤلف
هنا: «و وجدت بخط حرمي بن أبي العلاء قال محمد بن خلف بن المرزبان:
هذه الأبيات لفاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن مرّة أخت كليب و مهلهل ابني
ربيعة التغلبيين ترثي أباها كليبيا و قتله زوجها جساس» اهـ.

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا # تعجلي باللوم حتى تسألني
 فإذا أنت تبيّنت الذي # يوجب اللوم فلومي و اعذلي
 إن تكن أخت امرئ ليمت على # شفق منها عليه فافعلي
 جلّ عندي فعل جسّاس فيا # حسرتي عما انجلت أو تنجلي
 فعل جسّاس على وجدي به # قاطع ظهري و مدن أجلي
 لو بعين فقئت عيني سوى # أختها فانفقأت لم أحفل
 تحمل العين قذى العين كما # تحمل الأم أذى ما تفتلي[1]
 يا قتيلا قوّض الدهر به # سقف بيتي جميعا من عل
 هدم البيت الذي استحدثته # و انثنى في هدم بيتي الأوّل
 و رمانى قتله من كذب[2] # رمية المصمى به المستأصل
 يا نسائي دونكنّ اليوم قد # خصني الدهر برزء معضل
 /خصني قتل كليب بلطى # من ورائي و لطى مستقبلي[3]
 /ليس من يبكي ليومين[4] كمن # إنما يبكي ليوم ينجلي[5]
 يشتفي المدرك بالثأر و في # دركي ثأري ثكل المثكل[6]
 ليته كان دمي فاحتلبوا # بدلا منه دما من أكحلي[7]
 إنني قاتلة مقتولة # و لعلّ الله أن يرتاح لي

[1]تفتلي: تربي، و في الأصول: «تعتلي» بالعين المهملة، و هو تحريف.

[2]من كذب: من قرب. و أصماه: قتله في مكانه.

[3]كذا في ط، ء، م، و هو الموافق لما في الجزء الثالث من «أشعار النساء» للمرزباني (ص 50) «و نهاية الأرب» (ج 5 ص 215) طبع دار الكتب المصرية. و في سائر النسخ: «من أسفلي» .

[4]هذه رواية «نهاية الأرب» . و في الأصول: «ليوميه» .

[5]كذا في «نهاية الأرب» . و في أكثر الأصول: «بجل» . و في ب، س: «يجل» و هما تحريف.

[6]المثكل: التي لازمها الحزن. و رواية ط، م، ء: «ثكل مثكلي» . و رواية أشعار النساء: درك الثائر شافيه و في # درك الثائر قتل مثكلي

[7] كذا في الجزء الثالث من «أشعار النساء» للمرزياني. و الأكل: عرق في الذراع يقصد، و قيل: هو عرق الحياة و يدعى نهر البدن، و لا يقال فيه عرق الأكل. و في الأصول: ليته كان دما فاحتلبوا # دررا منه دمي من أكحلي

و لو كانت الرواية فيه.

ليتته كان دما فاحتلبوا # بدلا منه دمي من أكحلي

لكان أجود.

2- ذكر الهذلي و أخباره

نسب الهذلي و صناعته:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

الهذليان أخوان يقال لهما سعيد و عبد آل ابنا مسعود؛ فالأكبر منهما يقال له سعيد، و يكنى أبا مسعود، و أمه امرأة يقال لها أمّ فيعل، و كان كثيرا ما ينسب إليها، و كان ينقش الحجارة بأبي قبيس، و كان فتیان من قريش يروحون إليه كلّ عشية فيأتون بطحاء يقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها، و يأتيهم فيغنيّ لهم و يكون معهم. و قد قيل: إن الأكبر هو عبد آل، و الأصغر سعيد.

كان يغني فتیان قريش و هو يزاول صناعته في نقش الحجارة:

قال هارون و حدّثني الزبير بن بكار قال حدّثني حمزة بن عتبة اللهبي:

أنّ الهذليّ كان نقّاشا يعمل البرم من حجارة الجبل، و كان يكنى أبا عبد الرحمن، و كان إذا أمسى راح فأشرف على المسجد ثم غنّى، فلا يلبث أن يرى الجبل كقرص الخبيص [1] صفرة و حمرة من أردية قريش؛ فيقولون: يا أبا عبد الرحمن، أعد؛ فيقول: أمّا و الله و هاهنا حجر أحتاج إليه لم يرد الأبطح فلا؛ فيضعون أيديهم في الحجارة حتى يقطعوها له و يحدروها إلى الأبطح، و ينزل معهم حتى يجلس على أعظمها حجرا و يغنيّ لهم.

/قال هارون و حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبي مسعود بن [2] أبي جناح قال أخبرني أبو لطيف و عمارة قالا:

تغنيّ الهذليّ الأكبر، و كان من أنفسهم، و كان فتیان قريش يروحون كلّ عشية حتى يأتوا بطحاء يقال لها بطحاء قريش قريبا من داره، فيجلسون عليها و يأتيهم فيغنيهم.

أجاره الحارث بن خالد لما سمع غناه:

قال: و أخبرني ابن أبي طرفة عن الحسن بن عبّاد الكاتب مولى آل الزبير قال:

هجم الحارث بن خالد، و هو يومئذ أمير مكة، على الهذليّ و هو مع فتیان قريش بالمفجر [3] يغنيهم و عليه جبة صوف، فطرح عليه مقطعات خرّ، فكانت هذه أوّل ما تحرّك لها.

[1] الخبيص: نوع من الحلواء يعمل من التمر و السمن.

[2] في ط، ء، م: «عن أبي مسعود عن أبي جناح» .

[3] المفجر بالفتح ثم السكون و فتح الجيم: موضع بمكة ما بين الثنية التي يقال لها الخضراء إلى خلف دار يزيد بن منصور (انظر «معجم البلدان» لياقوت) .

تزوّج بنت ابن سريج و أخذ عنها غناء أبيها و انتحل أكثره:

قال هارون: و حدّثني حماد عن أبيه قال: ذكر ابن جامع عن ابن عبّاد أن ابن سريج لما حضرته الوفاة نظر إلى ابنته فبكى، فقالت له: ما يبكيك؟ قال: أخشى عليك الضيعة بعدي! فقالت له: لا تخف فما من غنائك شيء إلا و قد أخذته؛ قال: فعنّيني فعنّته، فقال: قد طابت نفسي، ثم دعا بالهذليّ فزوّجها منه؛ فأخذ الهذليّ غناء أبيها كلّها عنها فانتحل أكثره؛ فعامّة غناء الهذليّ لابن سريج مما أخذه عن ابنته و هي زوجته.

حدره الحارث بن خالد من منى ثم أذن له فرجع إليها:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسان قال: كان الهذليّ منزله بمنى، و كان فتیان قريش يأتونه فيغنيهم هناك، ثم أقبل مرّة حتى جلس على جمرة العقبة فعنّى هناك، فحدره الحارث من منى، و كان عاملا على مكة، ثم أذن له فرجع إلى منى.

قصته مع فتية من قريش غناهم فطربوا له و استعادوه:

قال هارون: و حدّثني عليّ بن محمد التّوفليّ/قال حدّثني أبي قال: كان الهذليّ النّقاش يغدو إليه فتیان قريش و قد عمل عمله بالليل، و معهم الطعام و الشراب و الدراهم، فيقولون له: غنّنا؛ فيقول لهم: الوظيفة [1]، فيقولون: قد جئنا بها؛ فيقول: الوظيفة الأخرى، أنزلوا أحجاري، فيلقون ثيابهم و يأتزرون بأزهرهم و ينقلون الحجارة و ينزلونها، ثم يجلس على شنخوب [2] من شنايب الجبل فيجلسون تحته في السّهل فيشربون و هو يغنيهم حتى المساء، و كانوا كذلك مدّة؛ فقال له يوما ثلاثة فتية من قريش: قد جاءك كلّ واحد منا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أن تنقص وظيفتك عليهم، و قد اختار كل واحد منا صوتا من غنائك ليحمله حظه اليوم، فإن وافقت الجماعة هوانا كان ذلك مشتركا بيننا، و إن أبوا غنّيت لهم ما أرادوا و جعلت هذه الثلاثة الأصوات لنا بقية يومنا؛ قال: هاتوا، فاختر أحدهم: عفت عرفات فالمصايف من هند

و اختار الآخر:

ألّم بنا طيف الخيال المهجّد [3]

/و اختار الآخر:

هجرت سعدى فزادني كلفا

فغناهم إياها، فما سمع السامعون شيئاً كان أحسن من ذلك؛ فلما أرادوا الانصراف قال لهم: إني قد صنعت صوتاً البارحة ما سمعه أحد، فهل لكم فيه؟ قالوا: هاته منعماً بذلك؛ فاندفع فغناهم: [1]الوظيفة: ما يقدر من عمل و طعام و رزق و غير ذلك.

[2]الشنخوب: رأس الجبل و أعلاه.

[3]هجدت الرجل (بالتضعيف) : أيقظته.

أ أن هتفت ورقاء ظلت سفاهة # تبيكي على جمل لورقاء تهتف

فقالوا: أحسنت و الله، لا جرم لا يكون صبوحنا في غد إلا عليه، فعادوا
و غناهم إياه و أعطوه وظيفته؛ و لم يزالوا يستعيدونه إياه باقي يومهم.

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

من ذلك:

صوت

عفت عرفات فالمصايف من هند # فأوحش ما بين الجريين[1]فألهتد[2]

و غيرها طول التقادم و البلى # فليست كما كانت تكون على العهد

الشعر للأحوص، و قيل: إنه لعمر. و الغناء للهدلي، و لحنه من القدر
الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر.

/و منها:

صوت من المائة المختارة

ألم بنا طيف الخيال المهجد # و قد كادت الجوزاء في الجو تصعد

ألم يحيينا و من دون أهلها # فياف تغور الريح فيها و تنجد

عروضه من الطويل. لم يقع لنا اسم شاعره و نسبه. و الغناء للهدلي
ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، و هو اللحن المختار، و فيه ليحيى
المكي هزج. و لحن الهدلي هذا مما اختير للرشيد و الواثق بعده من المائة
الصوت المذكورة.

و منها:

صوت

هجرت سعدى فزادني كلفا # هجران سعدى و أزمعت خلفا

/و قد على حبها حلفت لها # لو أن سعدى تصدق الحلفا

ما علق القلب غيرها بشرا # و لا سواها من معلق عرفا

[1]كذا في «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (ج 2 ص 231 طبع مدينة
ليبسك). و الجريب: يطلق على مواضع كثيرة. و ما أثبتناه قريب مما ورد
في نسختي ب، س فقد وردت فيهما هذه الكلمة هكذا: «الحريين». و في

ط، م، ء: «الحريين» و كلاهما تحريف. و في ج: «الحريمين» بالميم. و الحريم اسم لمواضع كثيرة في بغداد و غيرها.

[2]النهد (و يقال له عين النهد) : اسم موضع بالفرع على الطريق من مكة إلى المدينة. روى الزبير عن رجاله أن أسماء بنت أبي بكر قالت لابنها عبد الله: يا بني أعمر الفرع، فعمل عبد الله بن الزبير بالفرع عين الفارعة و السنام، و عمل عروة أخوه عين النهد و عين عسكر.

(انظر بقية الكلام على ذلك في «معجم ما استعجم» ج 2 ص 707) .

فلم تجيني و أعرضت صلفا # و غادرتني بحبها كلفا

الغناء للهدليّ ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

رقص أشعب ابنه و قال هذا ابن مزامير داود:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال: زوّج ابن سريج لما حضرته الوفاة الهدليّ الأكبر بابنته، فأخذ عنها أكثر غناء أبيها، و ادّعاه فغلب عليه. قال: و ولدت منه ابناً؛ فلما أيفع جاز يوماً بأشعب و هو جالس في فتية من قريش، فوثب فحمله على كتفه و جعل يرقصه و يقول: هذا ابن دقتي المصحف و هذا ابن مزامير داود؛ فقيل له: ويلك! ما تقول/و من هذا الصبيّ؟ فقال: أ و ما تعرفونه! هذا ابن الهدليّ من ابنة ابن سريج، ولد على عود، و استهلّ بغناء، و حتك [1] بملوى [2]، و قطعت سرّته بوتر [3]، و ختن بمضراب.

إسحاق الموصلي و حديثه عن مطرف أخذه من إبراهيم بن المهدي:

و ذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى الماهانيّ قال: دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة، فرأيت عليه مطرف خزّ أسود ما رأيت قطّ أحسن منه؛ فتحدّثنا إلى أن أخذنا في أمر المطرف، فقال: لقد كان لكم أيام حسنة و دولة عجيبة؛ فكيف ترى هذا؟ فقلت له: ما رأيت مثله؛ فقال: إنّ قيمته مائة ألف درهم، و له حديث عجيب؛ فقلت: ما أقومه إلا بنحو مائة دينار؛ فقال إسحاق: شربنا يوماً من الأيام فبتّ و أنا مثخن [4]، فانتبهت لرسول محمد الأمين، فدخل عليّ فقال: يقول لك أمير المؤمنين: عجل؛ و كان بخيلاً على الطعام، فكنت أكل قبل أن أذهب إليه؛ فقممت فتسوّكت و أصلحت شأنني، و أعجلني الرسول عن الغداء فقممت معه فدخلت عليه، و إبراهيم بن المهديّ قاعد عن يمينه و عليه هذا المطرف و جبة خزّ دكنا [5]؛ فقال لي محمد: يا إسحاق، أ تغدّيت؟ قلت: نعم يا سيّدي؛ قال: إنك لنهم، أ هذا وقت غداء؛ فقلت: أصبحت يا أمير المؤمنين و بي خمار فكان ذلك مما حداني على الأكل؛ فقال لهم: كم شربنا؟ فقالوا: ثلاثة أرطال، فقال: اسقوه إياها؛ فقلت: إن رأيت أن تفرّق عليّ؛ فقال: يسقى رطلين و رطلا؛ فدفع إليّ رطلان فجعلت أشربهما/و أنا أتوهم أن نفسي تسيل معهما، ثم دفع إليّ رطل آخر فشربته، فكان شيئاً انجلى عني؛ فقال غنّني: كليب لعمرى كان أكثر ناصرًا

فغنيته، فقال: أحسنت و طرب؛ ثم قام فدخل-و كان كثيرا[ما]يدخل إلى النساء و يدعنا-فقمتم في إثر [1]استهل الصبي: رفع صوته بالبكاء عند الولادة.

[2]التحنك: أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبي، و في حديث النبي صلى الله عليه و سلم: أنه كان يحنك أولاد الأنصار.

[3]الملوى: من أجزاء العود (انظر الكلام على العود و أجزاءه في مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب طبع دار الكتب المصرية) .

[4]في ط، ء، م: «بزير» و الزير: أحد أوتار العود.

[5]يقال: أثختته الجراحة: أوهنته و أضعفته، و المراد هنا غلبة السكر عليه.

[6]الدكناء: المائلة إلى السواد.

قيامه، فدعوت غلاما لي، فقلت: اذهب إلى بيتي و جئني بيزماوردتين[1] و لَقَّهما في منديل و اذهب ركضا و عَجَل، فمضى الغلام و جاءني بهما، فلما وافى الباب و نزل عن دابَّته انقطع فنفق[2] من شدَّة ما ركض عليه، و أدخل إليَّ البزماوردتين، فأكلتهما و رجعت نفسي إليَّ و عدت إلى مجلسي؛ فقال لي إبراهيم: لي إليك حاجة أحبُّ أن تقضيها لي؛ فقلت: إنما أنا عبدك و ابن عبدك، فقل ما شئت؛ قال: تردّد عليّ: «كليب لعمرى» و هذا المطرف لك؛ فقلت: أنا لا آخذ منك مطرفا على هذا، و لكنني أصير إلى منزلك فألقيه على الجواري و أردده عليك مرارا؛ فقال: أحبُّ أن تردّده عليّ الساعة و أن تأخذ هذا فإنه من لبسك/ و هو من حاله كذا و كذا؛ فردّدت عليه الصوت مرارا حتى أخذه، ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء و جلس، ثم قعدنا فشرّب و تحدّثنا؛ فعنَّاه إبراهيم: «كليب لعمرى» ، فكأنني و الله لم أسمعته قبل ذلك حسنا؛ و طرب محمد طربا شديدا و قال: أحسنت و الله! يا غلام، عشر بدر لعَمِّي السَّاعة! فجاءوا بها؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي فيها شريكا؛ قال: من هو؟ قال: إسحاق؛ قال: و كيف؟ فقال: إنما أخذته منه لَمَّا قمت؛ فقلت أنا: و لم! أضاعت الأموال على أمير المؤمنين حتى تريد أن تشرك فيما يعطى! قال: أمّا أنا فأشركك و أمير المؤمنين أعلم؛ فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثمانين ألفا، و أعطاني هذا المطرف، فهذا أخذ به مائة ألف درهم، و هي قيمته.

صوت من المائة المختارة

من رواية جحظة عن أصحابه:

عَلَّل القوم يشربوا # كي يلدّوا و يطربوا

إنما ضلَّ الفؤا # د غزال مرَّيب[3]

فرشته على الثَّما # رق سعدى و زينب

حال دون الهوى و دو # ن سرى الليل مصعب[4]

و سباط على أك # ف رجال تقلّب

الشعر لعبيد الله بن قيس الرَّقِيَّات، و الغناء في اللحن المختار لمالك بن أبي السَّمْح، و لحنه من الثَّقيل الأوَّل بالسبابة في مجرى الوسطى. و فيه لإسحاق ثَقيل أوَّل مطلق في مجرى البنصر. و لابن سريج في الرابع و الخامس و الأوَّل ثاني ثَقيل في مجرى الوسطى. و لمعبد في الثاني و ما بعده خفيف ثَقيل أوَّل بالسبابة في مجرى الوسطى.

[1]البزماورد: طعام يسمى لقمة القاضي، و فخذ الست، و لقمة الخليفة، و هو مصنوع من اللحم المقلي بالزبد و البيض. (انظر الحاشية رقم 2 ج 4 ص 353 من هذه الطبعة) .

[2]نفق: مات. و ذكر الضمير لأن الدابة تطلق على الحيوان مذكرا كان أو مؤنثا، و الدابة هنا مذكر.

[3]كذا في أكثر الأصول و كذلك صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته، يقال: رب الصبي و ربه أي رباه. و في ب، س و ديوانه طبع أوروبا: «مربرب» .

[4]هو مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري كما في كتاب «المعارف» لابن قتيبة (ص 123 طبع جوتنجن) و كما سيذكره المؤلف بعد قليل في ترجمة عبيد الله بن قيس الرقيات.

3- ذكر عبيد الله بن قيس الرقيّات و نسبه و أخباره

نسب عبيد الله بن قيس الرقيّات من قبل أبويه:

هو عبيد الله بن قيس بن شريح[1] بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص[2] بن عامر بن لؤي بن غالب. و أمّه قتيلة ابنة وهب بن عبد الله بن ربيعة بن طريف بن عدّي بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن محمد بن أبي قلامه العمرّيّ قال حدّثني محمد بن طلحة، قال الزبير و حدّثنيه أيضا محمد بن الحسن المخزوميّ، قالا جميعا:

كان يقال لبني معيص بن عامر بن لؤيّ و بني محارب بن فهر: الأجران من أهل تهامة، و كانا متحالفين، و إنما قيل لهما الأجران من شدّة بأسهما و عزّهما[3] من ناوأهما كما يعزّ الجرب.

سبب لقبه بالرقيّات:

و إنما لُقّب عبيد الله بن قيس الرقيّات لأنه شَبّب بثلاث نسوة سمّين جميعا رقيّة، منهنّ رقيّة بنت عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن أهبان[4] بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤيّ، و ابنة عمّ لها يقال لها رقيّة، / و امرأة من بني أميّة يقال لها رقيّة. و كان هواه في رقيّة بنت عبد الواحد؛ و كان عبد الواحد-فيما أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير-ينزل الرقّة. و إياه عنى ابن قيس بقوله:

ما خير عيش بالجزيرة بعد ما # عشر الزمان و مات عبد الواحد

و له في الرقيّات عدّة أشعار يعنى فيها تذكّر بعقب هذا الخبر. و الأبيات الثانية التي فيها اللحن المختار يقولها في مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزّهريّ، و كان صاحب شرطة مروان بن الحكم بالمدينة.

مصعب بن عبد الرحمن والي المدينة:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي قال:

[1] كذا في ط، ء؛ و ديوانه المخطوط بقلم الشيخ الشنقيطي المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 88 أدب ش و ديوانه المطبوع بقينا سنة 1902 و «خزانة الأدب» للبغدادي (ج 3 ص 267 طبع بولاق). و في باقي الأصول: «سريح» بالسين و الجيم، و هو تصحيف.

[2] كذا في ديوانه المخطوط و المطبوع و «الخرانة» و «شرح القاموس» مادّة معص. و في ط، ء: «معيض» بالضاد المعجمة، و في باقي الأصول: «بغيض» ، و كلاهما تحريف.

[3] يقال: عره بمكروه يعره عرا: أصابه به. و المراد هنا إلحاقهما الشر بأعدائهما كما يلحق الجرب الشرّ بمن يصيبه.

[4] في «خزانة الأدب» : «وهبان» بالواو.

لما ولي مروان بن الحكم المدينة ولى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف شرطته؛ فقال: إني لا أضبط المدينة بحرس المدينة، فابغني رجالا من غيرها، فأعانه بمائتي رجل من أهل أيلة[1]، فضبطها ضبطا شديدا. فدخل المسور[2] بن مخرمة على مروان فقال: أما ترى ما يشكوه الناس من مصعب! فقال:

ليس بهذا من سياق عتب # يمشي القطوف و ينام الركب[3]

و قال غير مصعب في هذا الخبر و ليس من رواية الحرميّ: إنه بقي إلى أن ولي عمرو[4] بن سعيد المدينة و خرج الحسين رضي الله تعالى عنه و عبد الله بن الزبير؛ فقال له عمرو: اهدم دور بني هاشم و آل الزبير؛ فقال: لا أفعل، فقال: انتفخ سحرك[5] يا ابن أمّ حرب! ألق سيفنا! فألقاه و لحق بابن الزبير. و ولي عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوّام و أمره بهدم دور بني هاشم و آل الزبير، ففعل و بلغ منهم كلّ مبلغ، و هدم دار ابن[6] مطيع التي يقال لها العنقاء، و ضرب محمد بن المنذر بن الزبير مائة سوط؛ ثم دعا بعروة بن الزبير ليضربه؛ فقال له محمد: أ تضرب عروة! فقال: نعم يا سبلان[7] إلا أن تحتل ذلك عنه؛ فقال: أنا أحتمله، فضربه مائة سوط أخرى؛ و لحق عروة بأخيه. و ضرب عمرو الناس ضربا شديدا، فهربوا منه إلى ابن الزبير، و كان المسور بن مخرمة أحد من هرب منه؛ و لما أفضى الأمر إلى ابن الزبير أقاد منه و ضربه بالسوط ضربا مبرّحا فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين، و قال للناس، فيما ذكر عنه: إن عمرا مات مرتدّا عن الإسلام.

هو شاعر قريش:

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزبير قال:

سألت عمّي مصعبيا و محمد بن الضحّاك و محمد بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام، فكلّهم قالوا: ابن قيس الرقيّات؛ و حكى ذلك عن عديّ و عن الضحّاك بن عثمان؛ و حكاه محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعيّ. قال الزبير: و حدّثني بمثله غمامة بن عمرو السهميّ عن مسور بن عبد الملك اليربوعيّ.

عرض شعره على طلحة الزهري فمدحه:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ و الحرميّ بن أبي العلاء و غيرهما قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ عن

عمه محمد بن عبد العزيز:

أنّ ابن قيس الرقيّات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ فقال له:

[1]أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، و قيل: هي في آخر الحجاز و أوّل الشام.

[2]هو المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري قتل في حصار مكة مع ابن الزبير. (انظر الطبري في حوادث سنة 64 هـ) .

[3]السياق: السوق. و القطوف من الدواب: البطيء، و المراد وصف الرجل بحسن السياسة و أنه يبلغ الغاية من غير أن يعنف في السوق أي إنه يسوس الناس من غير أن يجهدهم.

[4]هو عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق، و لاه يزيد بن معاوية إمرة المدينة سنة 60 هـ. (انظر الطبري في حوادث السنة المذكورة) .

[5]انتفخ سحرك: كلمة تقال للجبان. و السحر: الرئة. (انظر الحاشية رقم 1 ج 4 ص 187 من هذه الطبعة) .

[6]هو عبد الله بن مطيع أخو بني عديّ بن كعب، ولي الكوفة لعبد الله بن الزبير. (انظر الطبري في حوادث سنة 60 هـ) .

[7]كذا في جميع الأصول، و لعلها لقب له أو محرفة عن سبلاني (بزيادة ياء مشدّدة) . و السبلانيّ: الطويل السيلة (بالتحريك) و هي شعرات تكون في المنحر، و هي أيضا مقدم اللحية، و ما على الشفة العليا من الشعر يجمع الشاربين، أو لعلها كلمة تهكمية لها مغزى خاص.

يا عمّي، إني قد قلت شعرا فاسمعه فإنك ناصح لقومك، فإن كان جيّدا قلت، و إن كان رديئا كفت؛ فقال له: أنشد، فأنشده قصيدته التي يقول فيها: منع اللهو و الهوى # و سرى الليل مصعب
و سياط على أك # ف رجال تقلّب

/فقال: قل يا ابن أخي فإنك شاعر.

كان زبيرى الهوى و خرج على عبد الملك ثم استجار بابن جعفر فعفا عنه:

و كان عبيد الله بن قيس الرقيّات زبيرى الهوى، و خرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك؛ فلما قتل مصعب و قتل عبد الله هرب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره فأمنه.

و أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ و الحرميّ بن أبي العلاء و غيرهما قالوا حدّثنا الزبيرى [1] قال حدّثني عبد الله بن الپصير [2] البربريّ مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال عبيد الله بن قيس الرقيّات: خرجت مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخوص عبد الملك بن مروان إليه، فلما نزل مصعب بن الزبير بمسكن [3]، و رأى معالم الغدر/ممن معه، دعاني و دعا بمال و مناطق، فملاً المناطق من ذلك المال و الپسني منها، و قال لي: انطلق حيث شئت فإني مقتول؛ فقلت له: لا و الله لا أريم [4] حتى أرى [5] سبيلك؛ فأقمت معه حتى قتل؛ ثم مضيت إلى الكوفة، فأول بيت صرت إليه دخلته، فإذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما طبيبتان، فرقيت في درجة لها إلى مشربة [6] فقعدت فيها، فأمرت لي المرأة بما أحتاج إليه من الطعام و الشراب و الفرش و الماء للوضوء، فأقمت كذلك عندها أكثر من حول، تقيم لي ما يصلحني و تغدو عليّ في كل صباح فتسألني بالصباح و الحاجة [7]، و لا تسألني من أنا و لا أسألها من هي، و أنا في ذلك أسمع الصياح فيّ و الجعل؛ فلما طال بي المقام و فقدت الصياح فيّ و غرضت [8] بمكاني غدت عليّ تسألني بالصباح و الحاجة، فعزّفتها أني قد غرضت و أحببت الشخوص إلى أهلي؛ فقالت لي: نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى؛ فلما أمسيت و ضرب الليل بأرواقه رقيت إليّ و قالت: إذا شئت! فنزلت و قد أعدت راحلتين عليهما ما أحتاج إليه و معهما [9] عبيد، و أعطت العبد نفقة الطريق، و قالت: العبد و الراحلتان لك؛ فركبت و ركب العبد معي حتى طرقت أهل مكة، فدققت منزلي؛ فقالوا لي: من هذا؟ فقلت: عبيد الله بن قيس

الرقبيات؛ فولولوا و بكوا، و قالوا: ما فارقنا طلبك إلا في هذا الوقت؛ [1] في م، ح: «الزبير» بدون ياء.

[2] في ح: «عبد الله بن النضير اليزيدي» و سيرد في ص 90 من هذا الجزء: «عبد الله بن النضير» في كل الأصول.

[3] مسكن: موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق، به كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان و مصعب بن الزبير في سنة 72 هـ و به قتل مصعب، و قبره هناك معروف (عن «معجم البلدان» لياقوت ج 4 ص 529).

[4] لا أريم: لا أبرح.

[5] في ط، ء: «حتى آتي سبيك» .

[6] المشربة: الغرفة و العلية.

[7] يريد: كيف أصبحت و ما حاجتك؟

[8] غرض: ضجر.

[9] في ب، س: «عليهما» .

فأقمت عندهم حتى أسحرت [1]، ثم نهضت و معي العبد حتى قدمت المدينة، فجئت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند المساء و هو يعشّي أصحابه، فجلست معهم و جعلت أتعاجم و أقول: يار يار [2]/ابن طيار [3]؛ فلما خرج أصحابه كشفت له عن وجهي، فقال: ابن قيس؟ فقلت: ابن قيس، جئتك عائذا بك؛ قال: وبحك! ما أجدهم في طلبك و أحرصهم على الظفر بك! و لكني سأكتب إلى أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان فهي زوجة الوليد بن عبد الملك، و عبد الملك أرقّ شيء عليها. فكتب إليها يسألها أن تشفع له إلى عمّها، و كتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتابا يسألها الشفاعة؛ فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل و سألها؛ هل من حاجة؟ فقلت: نعم لي حاجة، فقال: قد قضيت كل حاجة لك إلا ابن قيس الرقيّات؛ فقلت: لا تستثن عليّ شيئاً! فنفخ [4] بيده فأصاب خدّها، فوضعت يدها على خدّها؛ فقال لها: يا بنتي ارفعي يدك، فقد قضيت كلّ حاجة لك و إن كانت ابن قيس الرقيّات؛ فقلت: إنّ حاجتي ابن قيس الرقيّات تؤمّنه، فقد كتب إليّ أبي يسألني أن أسألك ذلك؛ قال: فهو آمن، فمر به يحضر مجلسي العشيّة؛ فحضر/ابن قيس و حضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك، فأخّر الإذن، ثم أذن للناس، و أخّر إذن ابن قيس الرقيّات حتى أخذوا مجالسهم، ثم أذن له؛ فلما دخل عليه قال عبد الملك: ياهل الشام، أ تعرفون هذا؟ قالوا: لا؛ فقال: هذا عبيد الله بن قيس الرقيّات الذي يقول: كيف نومي على [5] الفراش و لمّا # تشمل الشام غارة شعواء

تذهل الشيخ عن بنيه و تبدي # عن خدام [6] العقيلة العذراء

مدح عبد الملك بما لم يرضه فأمنه و قطع عطاءه فتعهد له به ابن جعفر طول حياته:

فقالوا: يا أمير المؤمنين اسقنا دم هذا المنافق! قال: الآن و قد أمّنته و صار في منزلي و على بساطي! قد أخّرت الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا. فاستأذنه ابن قيس الرقيّات أن ينشده مديحه فأذن له، فأنشده قصيدته التي يقول فيها: عاد له من كثيرة الطرب # فعينه بالدموع تنسكب [7]

كوفيّة نازح محلّتها # لا أمم دارها و لا صقب

و الله ما إن صبت إليّ و لا # إن كان بيني و بينها سبب [8]

[1] أسحر: دخل في السحر.

[2] يار: كلمة فارسية، و معناها: الصاحب و الشفيق و المعين.

[3]الطيار: لقب جعفر بن أبي طالب والد عبد الله هذا، و كان قد قطعت يده في غزوة مؤتة فثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء. (انظر «سيرة ابن هشام» ج 2 ص 795 طبع أوروبا) .

[4]نفح بيده: ضرب بها ضربة خفيفة.

[5]كذا في ط، ء، م و كذلك صحها المرحوم الأستاذ الشنقيطي في نسخته و هي «الرواية المشهورة» . و في ب، س، ح: «إلى» .

[6]الخدام: جمع خدمة (بالتحريك) و هي الخلال. و قد أورد صاحب «اللسان» هذين البيتين في مادة خدم ثم قال: «أراد و تبدي عن خدام العقيلة. و خدام هاهنا في نية عن خدامها، و عدّي تبدي بعن لأن فيه معنى تكشف كقوله: تصدّ و تبدي عن أسيل و تتقي

أي تكشف عن أسيل أو تسفر عن أسيل» .

[7]سيشرح أبو الفرج بعض هذا الشعر فيما يأتي.

[8]في ديوانه المخطوط:

و الله ما إن صبت إليّ و لا # يعلم بيني و بينها سبب

إلا الذي أورثت كثيرة في الـ # قلب و للحبّ سورة عجب حتى قال فيها: إنّ الأغرّ الذي أبوه أبو الـ # عاصي عليه الوقار و الحجب

يعتدل التاج فوق مفرقه # على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك: يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأنني من العجم و تقول في مصعب: إنما مصعب شهاب من الـ # له تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عزة ليس فيه # جبروت منه و لا كبرياء

أمّا الأمان فقد سبق لك، و لكن و الله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً!. قال: و قال ابن قيس الرقيّات لعبد الله بن جعفر: يا نفعني أمانى، تركت حياً كميت لا آخذ مع الناس عطاء أبداً؛ فقال له عبد الله بن جعفر: كم بلغت من السنّ؟ قال: ستين سنة؛ قال: فعمر نفسك؛ قال: عشرين سنة من ذي قبل [1]؛ /فذلك ثمانون سنة؛ قال: كم عطاؤك؟ قال: ألفا درهم؛ فأمر له بأربعين ألف درهم، و قال: ذلك لك عليّ إلى أن تموت على تعميرك نفسك؛ فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيّات يمدح عبد الله بن جعفر: نقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر # سواء عليها ليلها و نهارها [2]

تزور امرأ قد يعلم الله أنه # تجود له كفّ قليل غرارها

أتيناك نثني بالذي أنت أهله # عليك كما يثني على الروض جارها

فو الله لو لا أن تزور ابن جعفر # لكان قليلا في دمشق قرارها

إذا متّ لم يوصل صديق و لم تقم # طريق من المعروف أنت منارها

ذكرتك أن فاض الفرات بأرضنا # و فاض بأعلى الرقيّتين [3] بحارها

و عندي مما حوّل الله هجمة [4] # عطاؤك منها شولها و عشارها

مباركة كانت عطاء مبارك # تمنح [5] كبرها و تنمي صغارها

[1] يقال: أفعال ذلك من ذي قبل (وزان سبب و عنب) : أي أفعله في

المستقبل.

[2] سيشرح أبو الفرج بعض هذا الشعر فيما يأتي.

[3] كذا في ديوانه ص 164 طبع أوروبا و «معجم البلدان» (ج 2 ص

799، 801) و كذلك صححه الأستاذ الشنقيطي بنسخته. و الرقتان يراد بهما الرقة و الرافقة، كما يقال العراقان للبصرة و الكوفة. و الرقة: مدينة مشهورة على الفرات بينها و بين حرّان ثلاثة أيام.

و الرافقة: بلد متصل البناء بالرقعة يقع على الفرات أيضا بينه و بين الرقة ثلاثمائة ذراع. و في الأصول: «الرقمتين» بزيادة ميم، و هو تحريف.

[4]الهجمة من الإبل: أولها أربعون إلى ما زادت أو ما بين السبعين إلى المائة. و الشول: جمع شائلة و هي من الإبل ما أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية فارتفع ضرعها و خف لبنها، و العشار: جمع عشراء- بضم العين و فتح الشين كنفساء و نفاس و لا ثالث لهما في اللغة- و هي التي مضى لحملها عشرة أشهر.

[5] ما نحت الناقة: درّت في الشتاء بعد ما ذهبت ألبان الإبل.

اعترض عليه عبد الملك في شعر له فأجابه:

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا مصعب بن عبد الملك قال: / قال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس الرقيّات: ويحك يا ابن قيس! ما اتقيت الله حين تقول لابن جعفر: تزور امرأ قد يعلم الله أنه # تجود له كفّ قليل غرارها

أ لا قلت: قد يعلم الناس و لم تقل: قد يعلم الله! فقال ابن قيس: قد و الله علمه الله [و علمته [1] أنت] و علمته أنا و علمه الناس.

رواية أخرى في شفاعة ابن جعفر له عند عبد الملك:

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق:

قرأت على أبي أن عبيد الله بن قيس الرقيّات منعه عبد الملك بن مروان عطاءه من بيت المال و طلبه ليقتله، فاستجار بعبد الله بن جعفر، و قصده فألفاه نائما، و كان صديقا لسائب خاثر، فطلب الإذن على ابن جعفر فتعدّر، فجاء سائب خاثر ليستأذن له عليه؛ قال سائب: فجئت من قبل رجل عبد الله بن جعفر فنبحت نباح الجرو الصغير، فانتبه و لم يفتح عينيه، و ركلني برجله، فدرت إلى عند رأسه، فنبحت نباح الكلب الهرم، فانتبه و فتح عينيه فرأني؛ فقال: ما لك؟ ويحك! فقلت: ابن قيس الرقيّات بالباب؛ قال: ائذن له، فأذنت له، فدخل إليه فرحب ابن جعفر به و قرّبه؛ فعرفه ابن قيس خبره، فدعا بظبية [2] فيها دنابير، و قال: عدّ له منها؛ فجعلت أعدّ و أترّم [3] و أحسن صوتي بجهدتي حتى عددت ثلاثمائة دينار، فسكت؛ فقال لي عبد الله: مالك ويلك سكت! ما هذا وقت قطع الصوت الحسن، فجعلت أعدّ حتى نفذ ما كان في الظبية، و فيها ثمانمائة دينار، فدفعتها إليه؛ فلما قبضها قال لابن جعفر: اسأل أمير المؤمنين في أمري؛ قال: نعم، فإذا دخلت إليه معي و دعا بالطعام، فكل أكلا فاحشا. فركب ابن جعفر، فدخل معه إلى عبد الملك؛ فلما قدّم الطعام جعل يسيء الأكل؛ فقال عبد الملك لابن جعفر: من هذا؟ فقال: هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقا إن استبقي، و إن قتل كان أكذب الناس، قال: و كيف ذلك! قال: لأنه يقول: ما نقوموا من بني أمية إلا # أنهم يحلمون إن غضبوا

فإن قتلته لغضبك عليه أكذبتة فيما مدحك به؛ قال: فهو آمن، و لكن لا أعطيه عطاء من بيت المال؛ قال: و لم و قد وهبته لي؟ فأحبّ أن تهب لي

عطاءه أيضا كما وهبت لي دمه و عفوت لي عن ذنبه؛ قال: قد فعلت، قال:
و تعطيه ما فاته من العطاء؛ قال: قد فعلت، و أمرت له بذلك.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني
عمّي قال: كان ابن قيس الرقيّات منقطعا إلى ابن جعفر، و كان يصله و
يقضي عنه دينه، ثم استأمن له عبد الملك فأمنه، [1] هذه الجملة ساقطة
من ط، ء، م.

[2]الظبية: الجراب، و قيل: الجراب الصغير خاصة.

[3]في ط، ء، م: «و أطرّب» .

و حرمة عطاءه؛ فأمره عبد الله أن يقدر لنفسه ما يكفيه أيام حياته ففعل ذلك، فأعطاه عبد الله ما سأل و عوّضه من عطائه أكثر منه؛ ثم جاءت عبد الله صلة من عبد الملك و ابن قيس غائب، فأمر عبد الله خازنه فخبأ له صلته، فلما قدم دفعها إليه؛ و أعطاه جارية حسناء؛ فقال ابن قيس: إذا زرت عبد الله نفسي فداؤه # رجعت بفضل من نداءه و نائل

و إن غبت عنه كان للودّ حافظا # و لم يك عني في المغيب بغافل
/تداركني عبد الإله و قد بدت # لذي الحقد و الشنآن مني مقاتلي
فأنقذني من غمرة الموت بعد ما # رأيت حياض الموت جم المناهل
حبابي لَمَا جتته بعطيّة # و جارية حسناء ذات خلاخل

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

منها:

صوت

عاد له من كثيرة الطرب # فعينه بالدموع تنسكب
كوفيّة نازح محلّتها # لا أمم دارها و لا صقب
و الله ما إن صبت إليّ و لا # يعرف بيني و بينها سبب
إلا الذي أورتت كثيرة في الـ # قلب و للحبّ سورة عجب

عروضه من المنسرح، غناه معبد ثقيلًا أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. قوله: «لا أمم دارها» يعني أنها ليست بقريبة. و يقال: ما كلفتني أمما من الأمر فأفعله: أي قريبًا من الإمكان؛ و يقال: إن فلانا لأمم من أن يكون فعل كذا و كذا. قال الشاعر: أطرقته أسماء أم حلما # بل لم تكن من رحالنا أمما[1]

أي قريبة. و قال الراجز:

كلّفها عمرو نقال الصّبعان[2] # ما كلّفت من أمم و لا دان

/و قال آخر:

[1] هذا البيت من المنسرح، و قد دخل على التفعيلة الأولى منه الخبل، و هو حذف الثاني و الرابع الساكنين، و روايته في ط، ء: أطرقته أسماء أم حلما # بل لم تكن من رحالنا أمما

و على هذه الرواية يكون من الكامل. و لم نعثر عليه في مصدر آخر حتى نستطيع ترجيح إحدى الروايتين.

[2] كذا في ط، ء. و في ب، س: «ثقال الضبعان» و في ح، م: «ثقال الصنعان». و نحن لم نوفق إلى صاحب هذا الرجز و لا ما قيل فيه حتى نتبين وجه الصواب فيه أو المراد منه. على أنه لا يبعد أن يكون هذا البيت في ناقة أو فرس، و تكليفها ثقال الضبعان مسابقتها له و مناقلتها إياه. و الضبعان (بالكسر): ذكر الضبع.

إنك إن سألت شيئا أمما # جاء به الكري [1] أو تجسّما

و الصّقب: الملاصقة. تقول: و الله ما صاقت فلانا و لا صاقتني، و دار فلان مصاوبة لدار فلان؛ و في الحديث: «الجار أحقّ بصقبه» أي بما لاصقه، أي إنه أحقّ بشفعته. و السّورة: شدّة الأمر، و منه يقال: ساور فلان فلانا، و تساور الرجلان إذا تغالبا و تشادّا؛ و قيل إن السّورة: البقيّة أيضا.

و منها:

صوت

ما نعموا من بني أمي # إلا أنهم يحلمون إن غضبوا

و أنّهم سادة الملوك فما # تصلح إلا عليهم العرب

عُتت في هذين البيتين حباة، و هما من [2] القصيدة التي أوّلها: عاد له من كثيرة الطرب

قال الأصمعيّ: كثيرة هذه امرأة نزل بها بالكوفة فأوته. قال ابن قيس: فأقمت عندها سنة تروح و تغدو عليّ بما أحتاج إليه، و لا تسألني عن حالي و لا نسبي؛ فبينما أنا بعد سنة مشرق من جناح [3] إلى الطريق، إذا أنا بمنادي عبد الملك ينادي ببراءة الذمّة ممن أصبت عنده؛ فأعلمت المرأة أنني راحل؛ فقالت: لا يروعتك ما سمعت، فإن هذا نداء شائع منذ نزلت بنا، فإن أردت المقام ففي الرّحب و السّعة، و إن أردت الانصراف أعلمتني؛ فقلت لها: لا بدّ لي من الانصراف؛ فلما كان الليل، قدّمت إليّ راحلة عليها جميع ما أحتاج إليه في سفري؛ فقلت لها: من / أنت- جعلت فداءك- لأكافئك؟ قالت: ما فعلت هذا لتكافئني؛ فانصرفت و لا و الله ما عرفتها إلا أنني سمعتها تدعى باسمها «كثيرة»، فذكرتها في شعري.

فتك عبد الله بن علي بن بني أمية لشعر له:

و ذكر الزبير بن بكّار عن عمّه/مصعب أن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس صاحب بني أمية بنهر أبي فطرس، إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعض الشعراء ذات يوم مديحا مدح به بني هاشم؛ فقال لبعضهم: أين هذا مما كنتم تمدحون به! فقال: هيهات أن يمدح أحد بمثل قول ابن قيس فينا: ما نعموا من بني أمية إ # لا أنهم يحلمون إن غضبوا

البيتين؛ فقال له عبد الله بن عليّ: ألا أرى المظمع في الملك في نفسك بعد يا ماصّ كذا من أمّه! ثم أوقع بهم.

[1]الكريّ: الذي يكري الدواب.

[2]كذا في م. و في سائر الأصول: «وهي» بالإفراد.

[3]الجناح: الروشن (الروشن: الكوة) يقال: أشرع فلان جناحا إلى الطريق أي روشنا.

سمع الرشيد قينة تغنى بشعره في مدح بني أمية فغضب فحرّفته:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي عن جدّي عبد الله بن مصعب [1] قال: اعترض هارون الرشيد قينة فغنّت:

ما نقموا من بني أمية إلّ # ا أنهم يحلمون إن غضبوا

فلما ابتدأت به تغير وجه الرشيد، و علمت أنها قد غلطت و أنها إن مرّت فيه قتلت، فغنّت: ما نقموا من بني أمية إلّ # ا أنهم يجهلون إن غضبوا

و أنهم معدن التّفاق فما # تفسد إلا عليهم العرب

/فقال الرشيد ليحيى بن خالد: أسمعت يا أبا عليّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين تبتاع و تسني [2] لها الجائزة و يعجلّ لها الإذن ليسكن قلبها؛ قال: ذلك جزاؤها، قومي فأنت مّني بحيث تحبّين. قال: فأغمي على الجارية.

فقال يحيى بن خالد:

جزيت أمير المؤمنين بأمنها # من الله جنات تفوز بعدنها

و منها:

صوت

تقدّت بي السّهياء نحو ابن جعفر # سواء عليها ليها و نهارها

تزور امراً قد يعلم الله أنه # تجود له كفّ بطيء غرارها

و و الله لو لا أن تزور ابن جعفر # لكان قليلا في دمشق قرارها

عروضه من الطويل. غناه معبد ثاني ثقيل بالبنصر. قوله: «تقدّت» أي سارت سيرا ليس بعجل و لا مبطئ، فيقال: تقدّى فلان إذا سار سير من لا يخاف فوت مقصده فلم يعجل. و قوله: «بطيء غرارها» يعني أن منعها المعروف بطيء. و أصل الغرار: أن تمنع الناقة درّتها، ثم يستعار في كل ما أشبه ذلك؛ و منه قول الراجز: إنّ لكلّ نهلات شرّه # ثم غرارا كغرار الدرّه

و قال جميل في مثل ذلك:

لاحت لعينك من بثينة نار # فدموع عينك درّة و غرار

[1] في ط، ء، م: «حدّثني عمي مصعب» بحذف جدّه من السّند. و الزبير بن بكار عمه مصعب بن عبد الله بن مصعب و جدّه عبد الله بن مصعب.

[2] تسنى: تجزل حتى تكون سنية. و في ب، س: «تثني» بالثاء المثلثة، و هو تحريف.

شيء مما عيب عليه في شعره:

قال الزبير: و هذا البيت مما عيب على ابن قيس، لأنه نقض صدره بعجزه، فقال في أوله: [إنه][1] سار سيرا بغير عجل، ثم قال: سواء عليها ليها و نهارها

و هذا[2] غاية الدأب في السير، فناقض معناه في بيت واحد. و مما عيب على ابن قيس الرقيّات قوله- و في هذين البيتين غناء:-

صوت

ترضع شبليين وسط غيلهما[3] # قد ناهزا للفظام أو فطما

/ما مّرّ يوم إلاّ و عندهما # لحم رجال أو يولغان[4]دما

-غناه الغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه- و هي قصيدة مدح بها عبد العزيز بن مروان، و فيها يقول: أعني ابن ليلي عبد العزيز با # بليون[5] تغدو جفانه رذما[6]

/الواهب التّجب[7] و الولائد كال # غزلان و الخيل تعلق اللّجما

و كان قال في قصيدته هذه: «أو يالغان دما» بالألف، و كذلك روي عنه، ثم غيرته الرواة.

قال يونس عنه: إنه ليس بفصيح و لا ثقة:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال: سمعت ابن الأعرابي يقول: سئل يونس عن قول ابن قيس الرقيّات:

[1]الزيادة عن ط، ء.

[2]كذا في ط، ء، م. و في سائر الأصول: «و هذه» .

[3]الغيل (بالكسر) : موضع الأسد. و في «اللسان» (مادة نهز) : «في

مغارهما» .

[4]ولغ السبع و الكلب و كل ذي خطم يلغ و ولغ يولغ مثل وجل يوجل:

شرب ماء أو دما.

[5]كذا في «ديوانه» (ص 255 طبع فينا) و «اللسان» (مادة رزم) . و

ببليون: حصن بناه الفرس أيام تملكهم لمصر، و كان يسميه العرب قصر الشمع و كان على الضفة الشرقية من النيل قرب الكنيسة المعلقة في

مصر القديمة فتحه عمرو بن العاص و بفتحها تم الصلح مع المقوقس. (راجع الحاشية رقم 2 ص 4 و رقم 1 ص 18 من الجزء الأول من «النجوم الزاهرة» طبع دار الكتب المصرية) و عبد العزيز بن مروان هذا كان واليا على مصر من قبل أبيه مروان و أقره عليها أخوه عبد الملك بعد مبايعته بالخلافة (راجع «ولاة مصر و قضائها» للكندي ص 46، 48، 49 طبع بيروت و «المقريزي» ج 1 ص 302 و «النجوم الزاهرة» ج 1 ص 172 طبع دار الكتب المصرية) .

[6]الردم (بضمين أو فتحتين و بكليتهما روى البيت) : جمع رذوم، قال الجوهري «و جفان رذم و رذم مثل عمود و عمد و عمد و لا تقل رذم (بالكسر) » . و الرذوم من الجفان: التي كأنها تسيل دسما لامتلأها. و ذهب ابن سيده إلى أن روايته بالتحريك، كما رواه الأصمعي، إنما هي تسمية بالمصدر. (ملخص عن «اللسان» مادة رذم) .

[7]كذا في أكثر الأصول، و النجب (بضمين و قد يسكن كما هنا) : جمع نجيب و هو الكريم الحسيب من الإنسان و الحيوان. و الولائد: جمع وليدة و هي الصبية و الأمة. و تعلقك اللحم: تلوكها و تحركها في فيها. و في ط، ء: «البخت» بالتاء و الخاء و هي الإبل الخراسانية، معرب و قيل عربي.

ما مرّ يوم إلا و عندهما # لحم رجال أو يولغان دما

فقال يونس: يجوز يولغان و لا يجوز يالغان؛ ف قيل له: فقد قال ذلك ابن قيس الرقيّات و هو حجازيّ فصيح؛ فقال: ليس بفصيح و لا ثقة، شغل نفسه بالشرب بتكريرت[1].

انتقد ابن أبي عتيق شعرا له:

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد: قرأت على أبي: أ و بلغك أن ابن أبي عتيق أنشد قول ابن قيس: سواء عليها ليلها و نهارها فقال: كانت هذه يا ابن أمّ فيما أرى عمياء.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمي مصعب عن جدّي [عن][2] هشام بن سليمان المخزوميّ قال: / قال ابن أبي عتيق لعبيد الله بن قيس و قد مرّ به فسلم عليه فقال: و عليك السلام يا فارس العمياء؛ فقال له: ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد! أبّي أنت! قال: أنت سمّيت نفسك حيث تقول: سواء عليها ليلها و نهارها

فما يستوي الليل و النهار إلا على عمياء[3]؛ قال: إنما عنيت التعب، قال: فبيتك هذا يحتاج إلى ترجمان يترجم عنه.

و منها:

صوت

ذكرتك أن فاض الفرات بأرضنا # و فاضت بأعلى الرّفتين[4]بحارها

و حولي مما حوّل الله هجمة # عطاؤك منها شولها و عشارها

فجنّناك نثني بالذي أنت أهله # عليك كما أثنى على الروض جارها

إذا متّ لم يوصل صديق و لم تقم # طريق من المعروف أنت منارها

-الشول: التّوق التي شالت بأذناها و كرهت الفحل، و ذلك حين تلعج، واحدها شائل-عّناه حكم الوادي ثقيلًا أوّل بالوسطى.

حكم الوادي و دنانير:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال قال لي أبي: [1]تكريرت: بلدة مشهورة بين بغداد و الموصل، و هي إلى بغداد أقرب، بينها و بين بغداد ثلاثون فرسخا.

[2]التكلمة عن ط، ء، م.

[3] في ط، ء، م: «إلا على أعمى» .

[4] انظر الحاشية رقم 2 ص 80 من هذا الجزء.

قال حكم الوادي: دخلت يوما على يحيى بن خالد. فقال لي: يا أبا يحيى، ما رأيك في خمسمائة دينار قد حضرت؟ قلت: و من لي بها؟ قال: تلقي لحنك في: ذكرك أن فاض الفرات بأرضنا

/على دنانير فها هي ذه، و هذا سلام واقف معك و مخرجها إليك، و أنا راكب إلى أمير المؤمنين، و لست أنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر، فكدها فيه، فإذا أحكمته فلك خمسمائة؛ فقالت دنانير: يا سيدي، أبو يحيى يأخذ خمسمائة دينار و ينصرف و أنا أبقى معك أقاسيك عمري كله! فقال لها: إن حفظت فلك ألف/دينار، و قام فمضى؛ فقلت لها: يا سيدي اشغلي نفسك بذا، فإنك أنت تهين لي الخمسمائة الدينار بحفظك إياه و تفوزين بالألف الدينار، و إلا بطل هذا، فلم أزل معها أكدها و نفسي و تغنيني حتى انصرف يحيى، فدعا بماء و طست، ثم قال: يا أبا يحيى، غنّ الصوت كما كنت تغنيه-فقلت: هلكت! يسمعه مني، و ليس هو بمن يخفى عليه، ثم يسمعه منها فلا يرضاه-فلم أجد بدا من الغناء؛ ثم قال: غنيه أنت الآن؛ فغنت؛ فقال: و الله ما أرى إلا خيرا؛ فقلت: جعلت فداك! أنا أمضغ هذا منذ أكثر من خمسين سنة كما أمضغ الخبز، و هذه أخذته الساعة و هو يذلّ لها بعدي و تجترئ عليه و يزداد[1]حسنا في صوتها؛ فقال: صدقت، هات يا سلام خمسمائة دينار و لها ألف دينار، ففعل؛ فقالت له: و حياتك يا سيدي لأشاطرنّ أستاذي الألف الدينار؛ قال: ذلك إليك، ففعلت؛ فانصرفت و قد أخذت بهذا الصوت ألف دينار.

رجع الحديث إلى عبيد الله بن قيس الرقيات.

شعر ابن قيس الرقيات في كثيرة التي نزل بها بالكوفة:
قال الزبير بن بكار حدّثني عبد الله بن التّضير عن أبيه: أن ابن قيس الرقيات قال في الكوفيّة التي نزل عليها:

بانة[2]لتحزنا كثيره # و لقد تكون لنا أميره

/حلّت فلاليح[3]السّوا # د و حلّ أهلي بالجزيره

قال: و لقد رحل من عندها و ما يتعارفان.

قال: و قال فيها أيضا- و فيه لحن من خفيف الثقل لابن المكي:-

صوت

لججت بحبّك أهل العراق # و لو لا كثيرة لم تلجج

فليت كثيرة لم تلقني # كثيرة أخت بني الخرج

[1] كذا في ط، ء، م. و في باقي الأصول: «و تزداد» بالتاء.

[2] هذان البيتان من قصيدة عدد أبياتها خمسة و عشرون بيتا، و هي مذكورة في ديوانه المخطوط بقلم المرحوم الشيخ الشنقيطي المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 88 أدب ش و ديوانه المطبوع بقينا (ص 115).

[3] فلاليح السواد: قراه، واحدها فلوجة. و المراد بالسواد العراق، سمي بذلك لسواده بالزرع و النخيل و الأشجار.

سعيد بن المسيب و ابن قيس الرقيات:

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن عاصم القحطاني قال حدثني أبي عن عبد الرحيم بن حرمة قال: كنت عند سعيد بن المسيب، فجاء ابن قيس الرقيات، فهشّ و قال: مرحبا بظفر من أظفار العشيرة، ما أحدثت بعدي؟ قال: قد قلت أبياتا و أستفتيك في بيت منها فاسمعا! قال: هات؛ فأنشده: هل للديار بأهلها علم # أم هل تبين فينطق الرسم

قالت رقية فيم تصرمنا # أرقى ليس لوجهك الصرم

تخطو بخلخالين حشوهما # ساقان مار[1]عليهما اللحم

يا صاح هل أبكاك موقفنا # أم هل علينا في البكا إثم

فقال سعيد: لا والله ما أبكاني؛ قال ابن قيس الرقيات:

بل ما بكأوك منزلا خلقا # قفرا يلوح كأنه الوشم[2]

/فقال سعيد: اعتذر الرجل. ثم أنشد:

أتليت في تكريت لا في عشيرة # شهود و لا السلطان منك قريب

و أنت امرؤ للحزم عندك منزل # و للدين و الإسلام منك نصيب

/فقال سعيد: لا مقام على ذلك، فاخرج منها؛ قال: قد فعلت؛ قال: قد أصبت أصاب الله بك.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء.

صوت

قامت بخلخالين حشوهما # ساقان مار عليهما اللحم

يا صاح هل أبكاك موقفنا # أم هل علينا في البكا إثم

غنى فيهما ابن سريج رملا بالبنصر.

ابن قيس الرقيات و عمر بن أبي ربيعة:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن عبد الله البكري و هارون بن أبي بكر عن عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن أبيه عن سعيد بن مسيلم بن وهب مولى بني عامر بن لؤي عن أبيه قال: دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم مع نوفل بن

مساحق و إنه لمعتمد[3][على يدي] إذ مررنا بسعيد بن المسيّب في [1]مار:
تردّد و تحرّك و اضطرب.

[2]كذا في ط، ء، م، و هو الموافق لما في ديوانه المخطوط و
المطبوع (ص 130) . و في باقي الأصول: «الرسم» بالراء و السين و هو
تحريف، و العرب كثيرا ما تشبه هذا التشبيه قال طرفة: لخولة أطلال ببرقة
ثهد # تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

[3]الزيادة و التصحيح عن «الأغاني» (ج 1 ص 113 طبع دار الكتب
المصرية) . و في م: «و إنه لمعتمد عليّ» و في ط، ء: «و إنه لمعتمد إذ

مجلسه فسلّمنا عليه فردّ سلامنا؛ ثمّ قال لنوفل [1]: يا أبا سعيد من أشعر، أ صاحبنا أم صاحبكم؟ يعني: عبيد الله بن قيس/الرقيات أو عمر بن أبي ربيعة؛ فقال نوفل: حين يقولان ما ذا؟ فقال: حين يقول صاحبنا: خليلي ما بال المطي كائما # نراها على الأدبار بالقوم تنكص

و قد أبعد الحادي سراهنّ و انتحى # بهنّ فما يألوا عجول مقلّص

[و قد قطّعت أعناقهنّ صباية # فأنفسنا ممّا تكلف شخص] [2]

يزدن بنا قربا فيزداد شوقنا # إذا زاد طول العهد و البعد ينقص

و يقول صاحبكم ما شئت؛ قال: فقال له نوفل: صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع الله بك، و صاحبنا أكثر أفانين شعر؛ قال: صدقت؛ فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيد يستغفر الله و يعقد بيده و يعدّه بالخمسة كلها حتى وقى مائة.

قال البكريّ في حديثه عن عيد الجبار: فقال مسلم بن وهب: فلما فارقناه قلت لنوفل: أ تراه أستغفر الله من إنشاده الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قال: كلا! هو كثير الإنشاد و الاستنشاد للشعر، و لكنني أحسبه للفخر بصاحبه.

وفد على حمزة بن الزبير فوصله:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال: استأذن عبيد الله بن قيس الرقيات على حمزة بن عبد الله بن الزبير؛ فقالت له الجارية: ليس عليه إذن الآن؛ فقال: أما إنه لو علم بمكاني ما احتجب عني؛ قال: فدخلت الجارية على حمزة فأخبرته، فقال: ينبغي أن يكون هذا ابن قيس الرقيات، ائذني له، فأذنت له؛ فقال: مرحبا بك يا ابن قيس، هل من حاجة/نزعت بك؟ قال: نعم، زوّجت بنين لي ثلاثة بنات أخ لي ثلاث، و زوّجت ثلاثة من بني أخ لي بثلاث بنات لي؛ قال: فلبنك الثلاثة أربعمئة دينار أربعمئة دينار، و لبناتك الثلاثة أربعمئة دينار أربعمئة دينار، و لبناتك الثلاث ثلاثمئة دينار ثلاثمئة دينار، و لبنات أخيك الثلاث أربعمئة دينار، و لبناتك الثلاث ثلاثمئة دينار، هل بقيت لك من حاجة يا ابن قيس؟ قال: لا و الله إلا مئونة السفر؛ فأمر له بما يصلحه لسفره حتى رقع أخفاف [3] الإبل.

مررنا بسعيد إلخ» . و في باقي الأصول: «لمعتمر بالراء» و هو تحريف. و قد سبق ذكر هذا الخبر هناك مع بعض مغايرة في الآيات الآتية

بعد، فانظره و الحواشي التي كتبت على الشعر هناك.

[1] في ب، س: «ثم قال نوفل» و هو تحريف.

[2] الزيادة عن ط، ء، م: و «الأغاني» في الموضوع الذي أشير إليه في الصفحة السابقة.

[3] في الأصول «خفاف» بدون ألف، و قد صحح المرحوم الشيخ الشنقيطي هذه الكلمة بإثبات الألف في نسخته، و هو الموافق لما في كتب اللغة من أن الخف للبعير يجمع على أخفاف و الخف الذي يلبس يجمع على خفاف.

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيات و غنّي فيه صوت

أمست رقيّة دونها البشر[1] # فالرّقة السّوداء[2] فالعمر
غناه يونس ثقيلًا أوّل بالوسطى، و فيه لعزّة الميلاء ثاني ثقيل.
و منها:

صوت

رقيّ بعيشكم لا تهجرنا # و مئينا المنى ثم امطينا
عدينا في غد ما شئت إنا # نحبّ و إن مطلّت الواعدينا
/أعزّك أنني لا صبر عندي # على هجر و أئكّ تصبرنا
و يوم تبعتمكم و تركت أهلي # حين العود[3] يتبع القرينا
عروضه من الوافر. غناه ابن محرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى
الوسطى.
و منها:

صوت

رقيّة تيمت قلبي # فوا كبدي من الحبّ
نهاني إخوتي عنها # و ما بالقلب من عتب
غناه مالك ثاني ثقيل أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو
بن بانة. و قد ذكرت بذل أنّ فيه لابن المكيّ لحنا.

فضل ابن أبي عتيق شعره على شعر كثير:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن
عمرو بن الزبير قال حدّثني إبراهيم[4] بن عبد الله قال: أنشد كثير ابن أبي
عتيق كلمته التي يقول فيها: و لست براض من خليل بنائل # قليل و لا
أرضى له بقليل

[1]البشر: اسم جبل يمتدّ من عرض إلى الفرات من أرض الشام من
جهة البادية، و هو من منازل بني تغلب بن وائل. (عن «معجم البلدان»
لياقوت). و الغمر: علم على مواضع كثيرة.

[2] كذا في ط، ء، م و ديوانه (ص 275 طبع أوروبا) و هو الموافق لما في «معجم ياقوت» عند الكلام على البشر. و الرقة السوداء: قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة. و في باقي الأصول: «الرقة البيضاء» ، و هي مدينة مشهورة على الفرات بينها و بين حرّان ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة. (انظر ياقوت في اسم الرقة) .

[3] العود (بالفتح) : الجمل المسن و فيه بقية. و قال الجوهري: هو الذي جاوز في السن البازل و المخلف، جمعه: عودة كديكة.

[4] في ط، ء، م: «إبراهيم بن أبي عبد الله» .

فقال له: هذا كلام مكافئ ليس بعاشق، القرشيان أقنع و أصدق منك: ابن أبي ربيعة حيث يقول: ليت حظي كلحظة العين منها # و كثير منها القليل المهنا
و قوله أيضا:

فعدى نائلا و إن لم تنيلي # إنه يقنع المحب الرجاء

/و ابن قيس الرقيات حيث يقول:

رقيّ بعيشكم لا تهجرينا # و مئينا المنى ثم امطينا

عدينا في غد ما شئت إنا # نحبّ و إن مطللت الواعدينا

فإما تنجزى عدتي و إما # نعيش بما نوّمل منك حينا

قال: فذكرت ذلك لأبي السائب المخزوميّ و معه ابن المولى، فقال: صدق ابن أبي عتيق و فقه الله، أ لا قال المديون كثير كما قال هذا حيث يقول: و أبكي فلا ليلي بكت من صباة # لباك و لا ليلي لذي الودّ تبذل

و اخنع بالعتبي إذا كنت مذنبا # و إن أذنبت كنت الذي أنتصل

صادف رقية بنت عبد الواحد في الطواف فشبب بها:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الرّبير قال سمعت عبيدة بن أشعب بن جبير قال حدّثني أبي قال حدّثني فند مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قال: حجّت رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد العامريّة، فكنت أتيها و أحدثها فتستظرف [1] حديشي و تضحك مني؛ فطافت ليلة/بالبيت ثم أهوت لتستلم الركن الأسود و قبّله، و قد طفت مع عبيد الله بن قيس الرقيات، فصادف فراغنا فراغها و لم أشعر بها، فأهوى ابن قيس يستلم الركن الأسود و يقبّله، فصادفها قد سبقت إليه، فنفتحته [2] بردنها فارتدع؛ و قال لي: من هذه؟ فقلت: أو لا تعرفها! هذه رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد؛ فعند ذلك قال: من عذيري ممن يضمن بمبذو # ل لغيري عليّ عند الطواف

/يريد أنها تقبّل الحجر الأسود و تضنّ عنه بقبليتها. و قال في ذلك: حدّثوني هل على رجل # عاشق في قبلة حرج

و فيه غناء ينسب بعد هذا الخبر. قال: و لما نفتحته بردنها فاحت منه رائحة المسك حتى عجب من في المسجد، و كأنما فتحت بين أهل المسجد لطيمة [3] عطار، فسبح من حول البيت. قال: و قال فند: فقلت بعد انصرافها

لابن قيس: هل وجدت رائحة ردنھا لشيء طيباً؟ فعند ذلك قال أبياته التي يقول فيها: [1] في ط، ء، م: «فتستطرف» بالطاء المهملة.

[2] نفحته: أصابته. و الردن: الكم، و قيل: مقدمه، و قيل: أصله. و الردع: أثر الطيب، و ارتدع: تطيب بالطيب.

[3] اللطيمة: وعاء المسك.

صوت

سائلا فندا خليلي # كيف أردان رقيّة
إثني علّقت خودا # ذات دلّ بختريّه [1]

غناّه فندا، و لحنه ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش.

**نسبة هذا الصوت الذي في الخبر المتقدّم و خبره و هو أيضا مما
قاله ابن قيس في رقيّة**

صوت

حبّ ذاك [2] الدلّ و الغنج # و التي في عينها دعج
و التي إن حدّدت كذبت # و التي في وعدّها خلج [3]
/ و ترى في البيت صورتها # مثلما في البيعة [4] السّرح
خبّروني هل على رجل # عاشق في قبلة حرج

الشعر لابن قيس الرقيّات يقوله في رقيّة بنت عبد الواحد. و الغناء
لمالك خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر. و فيه خفيف ثقيل آخر
لابن محرز من رواية عمرو بن بانه، و قيل: بل هو هذا.

عود إلى تفضيل ابن أبي عتيق له على كثير:

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني
سليمان بن عيّاش السّعديّ قال حدّثني سائب راوية كثير قال: كان كثير
مديونا، فقال لي يوما و نحن بالمدينة: اذهب بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدّث
عنده؛ قال: فذهبت إليه معه؛ فاستنشدته ابن أبي عتيق، فأنشدته قوله: أبائنة
سعدى نعم ستبين

حتى بلغ إلى قوله:

و أخلفن ميعادي و خنّ أمانتي # و ليس لمن خان الأمانة دين

فقال له ابن أبي عتيق: أعلى الأمانة تبعتها! فانكفّ و استغضب نفسه و
صاح و قال: [1] الخود: الفتاة الشابة الحسنة الخلق. و البخرية: المتبخرة
في مشيها، و هي مشية المتكبر المعجب بنفسه، أو هي حسنة المشي و
الجسم.

[2] الدل و الدلال من المرأة: تدلّها على زوجها و ذلك أن تريه جراءة
عليه في تغنج و تشكّل كأنها تخالفه و ليس بها خلاف، أو هو حسن الحديث و

حسن المرح و الهيئة. و الغنج (بالضم و بضميتين) : حسن الدل. و الدعج:
شدّة سواد العين مع سعتها.

[3]الخلج: الاضطراب و عدم الثبات على حال، و المراد أنها لاضطرابها
لا تثبت على حال في الوفاء بوعدھا.

[4]البيعة: متعبد النصارى أو اليهود.

كذبن صفاء الودّ يوم محلّه # و أنكدنني من وعدهن ديون

فقال له ابن أبي عتيق: وبلك! هذا أملح لهنّ و أدعى للقلوب إليهنّ،
سيّدك ابن قيس الرقيّات/كان أعلم منك و أوضع للصواب موضعه فيهنّ؛ أ ما
سمعت قوله: حبّ ذاك الدلّ و الغنج # و التي في عينها دعج

و التي إن حدّثت كذبت # و التي في وعدها خلج

و ترى في البيت صورتها # مثلما في البيعة السّرح

خبروني هل على رجل # عاشق في قبلة حرج

قال: فسكن كثير و استحلّى ذلك، و قال: لا! إن شاء الله! فضحك ابن
أبي عتيق حتى ذهب به.

أنشد أبو السائب المخزومي شعره فمدحه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الرحمن بن غرير
الزّهريّ قال: أنشدت أبا السائب المخزوميّ قول ابن قيس الرقيّات:

صوت

قد أنانا من آل سعدي رسول # حبّذا ما يقول لي و أقول

من فتاة كأنها قرن شمس # ضاق عنها دمالج[1] و حجول

حبّذا ليلتي بمرة[2] كلب # غال عنيّ بها الكوانين غول

فقال لي: يا ابن الأمير ما تراه كان يقول و تقول؟ فقلت:

حديثا كما يسري التدى لو سمعته # شفاك من ادواء كثير و أسقما

فطرب و قال بأبي أنت و أمي! ما زلت أحبّك، و لقد أضعف حبّي إياك
حين تفهم عني هذا الفهم.

/عنيّ في هذه الأبيات ابن سريج ثقيلًا أوّل بالوسطى. و لمالك فيها
ثاني ثقيل، كلاهما عن الهشاميّ.

أنشد أشعب من شعره محمد بن عبد الله فمدحه:

أخبرني محمد بن جعفر الصّيدلانيّ النحويّ صهر المبرّد قال حدّثني
طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطّليحيّ قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عقان قال: أنشد
أشعب بن جبير أبي أبيات عبيد الله بن قيس الرقيّات التي يقول فيها:
[1] دمالج: جمع دملج و هو المعضد من الحلّى (حلية تلبس في العضد). و

الحجول: جمع حجل و هو الخلخال. يريد أنها بضة سميئة ضاقت عنها دمالجها و حجولها.

[2] في الأصول «بمّرة كلب» بالراء المهملة و هو تصحيف، و الصواب ما أثبتناه عن «معجم ياقوت» في اسم المزة بكسر الميم و تشديد الزاي المعجمة، و عن تصحيح الأستاذ الشنقيطي أيضا في نسخته. قال ياقوت: و هي قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق، بينها و بين دمشق نصف فرسخ و بها فيما يقال قبر دحية الكلبي صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و الكوانين: الثقلاء من الناس. و الغول (بالضم) : الذاهية.

قد أتانا من آل سعدي رسول # حبّذا ما يقول لي و أقول

فقال أبي: ويحك يا أشعب! ما تراه قال و قالت له؟ فقال: حديثا لو أنّ اللحم يصلي بحرّه # غريضا[1] أتى أصحابه و هو منضج

ذكر شوقا و وصف توقا، و وعد و وفى، و التقيا[2] بمزّة كلب فشفى و اشتفى، فذلك قوله: حبّذا ليلتي بمزّة كلب # غال عني بها الكوانين غول فقال له: إنك لعلامة بهذه الأحوال؛ قال أجل! بأبي أنت! فاسأل عالما عن علمه.

و مما في المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيّات.

صوت من المائة المختارة

يا قلب ويحك لا تذهب بك الحرق # إنّ الألى كنت تهوهم قد انطلقوا

و ذكر أنه لوصّاح[3]، و قد أخرج في موضع آخر.
[1] غريضا: طريا.

[2] كذا في ط، ء، م. و في سائر الأصول: «فالتقيا» .

[3] هو وضاح اليمن عبد الرحمن بن إسماعيل الشاعر؛ و له ترجمة في «الأغاني» (ج 6 ص 32 طبع بولاق) .

4- ذكر مالك بن أبي السَّمح و أخباره و نسبه

نسبه و كنيته و بعض صفاته:

هو مالك بن أبي السَّمح. و اسم أبي السَّمح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثعل [1] ثم أحد بني عمرو بن درماء [2]. و يكنى أبا الوليد. و أمه قرشيّة من بني مخزوم، و قيل: بل أمّ أبيه منهم، و هو الصحيح.

و قال ابن الكلبي: هو مالك بن أبي السَّمح بن سليمان بن أوس بن سماك [3] بن سعد بن أوس بن عمرو بن درماء أحد بني ثعل. و أمّ أبيه بنت مدرك بن عوف بن عبيد بن عمرو بن مخزوم. و كان أبوه منقطعا إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب و يتما في حجره أوصى به أبوه إليه، فكان ابن جعفر يكفله و يموّنه، و أدخله و سائر إخوته في دعوة بني هاشم، فهم معهم إلى اليوم. و كان أحول طويلاً أحنى [4]. قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب في قوله فيه:

أبيض كالبدرد أو كما يلمع الـ # سارق في حالك من الظلم

فقال له الوليد: بل أنت.

أحول كالقرد أو كما يرقب الـ # سارق في حالك من الظلم

أساتذته في الغناء و موته في خلافة المنصور:

و أخذ الغناء عن جميلة و معبد و عمر [5] حتى أدرك الدولة العباسيّة، و كان منقطعا إلى بني سليمان بن عليّ، و مات في خلافة أبي جعفر المنصور.

كان أبوه منقطعا إلى ابن جعفر و السبب في ذلك:

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد: قرأت على أبي: أنّ السبب في انقطاع أبي السَّمح إلى ابن جعفر أنّ السنّة أقحمت طيّئاً، فكان ثعلبة جدّ مالك أحدهم، فولد أبو السَّمح بالمدينة؛ و كان صديقا للحسين بن عبد الله الهاشمي، و كان سبب ذلك موّدة كانت بينه و بين آل شعيب [6] [1] بنو ثعل (كصرد) : حي من طيء، و ليس بمعدول إذ لو كان معدولا لم يصرف.

[2] بنو درماء: أولاد عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل الطائي، و درماء أهمهم، و كانوا بالشام بقلعة الداروم و ما يجاورها.

(انظر «القاموس» و «شرحه» في «مستدرک» مادة درم).

[3] هذا الاسم ساقط في ط، ء، م.

[4]أحنى: في ظهره احديداب.

[5]هو عمر الوادي المغني، و قد كان معاصرا له و كان أستاذا مبرزا في الغناء (انظر ترجمته في «الأغاني» ج 6 ص 141 طبع بولاق) .

[6]هو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص كما سيذكره المؤلف في ص 107 من هذا الجزء. و قد اضطربت الأصول هنا في ذكره في هذا السطر و الذي يليه بين «سعيد» و «شعيب» . (راجع كتاب «المعارف» لابن قتيبة ص 146) .

السَّهْمِيِّينَ؛ فلما تزوّج حسين عابدة [1] بنت شعيب السَّهْمِيَّةِ خاصمهم بسببها؛ و كان جدّ مالك معه و عوناً له مع من عاونه، فنشبت بذلك حال بينه و بين بني هاشم، حتى ولد مالك في دورهم، فصارت دعوته فيهم.

أدرك الدولة العباسية و قدم على سليمان بن علي فأجازه: أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد: قرأت على أبي:

و عمّر مالك حتى أدرك دولة بني العباس، و قدم على سليمان بن عليّ بالبصرة، فمّت إليه بختولته في قريش، و دعوته لبني هاشم، و انقطاعه إلى ابن جعفر، فعجّل له سليمان صلته و كساه و كتب له بأوساق [2] من تمر.

ملازمته في أول أمره باب حمزة بن الزبير و أخذه الغناء عن معبد:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني ميمون بن هارون قال حدّثني القاسم بن يوسف قال أخبرني الوردانيّ قال: كان مالك بن أبي السَّمْحِ المغنّي من طيء، فأصابتهم حطمة [3] في بلادهم بالجليلين، فقدمت به أمه و بإخوة له و أخوات أيتام لا شيء لهم؛ فكان يسأل الناس على باب/حمزة بن عبد الله بن الزّبير، و كان معبد منقطعا إلى حمزة يكون عنده في كل يوم يغنّيه؛ فسمع مالك غناؤه فأعجبه و اشتهاه، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل، فلا يطوف بالمدينة و لا يطلب من أحد شيئا و لا يريم موضعه، فينصرف إلى أمه و لم يكتسب شيئا، فتضربه، و هو مع ذلك يترنّم بالحنّاء معبد و يؤدّيها دورا دورا في مواضع صيحاته و إسجالاته و نبراته [4] نغما بغير لفظ و لا رواية شيء من الشعر؛ و جعل حمزة كلما غدا و راح رآه ملازما لبابه؛ فقال لغلامه يوما: أدخل هذا الغلام الأعرابيّ إليّ؛ فأدّخله؛ فقال له: من أنت؟ فقال: /أنا غلام من طيء أصابتنا حطمة بالجليلين فحطّتنا إليكم و معي أمّ لي و إخوة، و إني لزممت بابك فسمعت من دارك صوتا أعجبني، فلزممت بابك من أجله؛ قال: فهل تعرف منه شيئا؟ قال: أعرف لحنه كلّ و لا أعرف الشعر؛ فقال: إن كنت صادقا إنك [5] لفهم. و دعا بمعبد فأمره أن يغنّي صوتا فغنّاه، ثم قال لمالك: هل تستطيع أن تقول؟ قال نعم؛ قال: هاته؛ فاندفع فغنّاه فأدّى نغمه بغير شعر، يؤدّي مدّاته و ليّاته و عطفاته و نبراته و تعليقاته لا يخرم حرفا؛ فقال لمعبد: خذ هذا الغلام إليك و خرّجه، فليكوننّ له شأن؛ قال معبد: و لم أفعل ذلك؟ قال: لتكون محاسنه منسوبة إليك، و إلا عدل إلى غيرك فكانت محاسنه منسوبة إليه؛ فقال: غير الذي أنت له مستحقّ من الباطل أ كنت ترضى بذلك؟ قال لا؛ قال: و كذلك لا

يسرّك أن تحمد بما لم تفعل؛ قال نعم؛ قال: فوالله ما شبعت على/بابك
شعبة قط و لا انقلبت منه إلى أهلي بخير؛ فأمر له و لأمه و لإخوته بمنزل، و
أجرى لهم رزقا و كسوة، و أمر لهم بخادم يخدمهم و عبد يسقيهم الماء، و
أجلس مالكا معه في مجالسه، و أمر معبدا [1] كذا في ط، ء و فيما سيأتي
في أكثر الأصول. و في سائر الأصول هنا: «عائدة» .

[2] الأوساق: جمع وسق (بالفتح) و هو ثلاثمائة و عشرون رطلا عند
أهل الحجاز و أربعمائة و ثمانون رطلا عند أهل العراق على اختلافهم في
مقدار الصاع و المدّ.

[3] الحطمة: السنة و الجذب. و المراد بالجبلين أجأ و سلمى لأنهما جبلا
طيء (انظر «معجم ياقوت» في الكلام عليهما) .

[4] قال في «اللسان» (مادّة نبر) : «و نبرة المغني: رفع صوته عن
خفض» .

[5] لعله جواب لما قبله على تقدير القسم، أي على تقدير: لئن كنت...
إلخ، و لو كان جوابا للشرط من غير تقدير القسم لوجب اقترانه بفاء الجزاء.

أن يطارحه، فلم ينشب[1] أن مهر و حذق؛ و كان ذلك بعقب مقتل هدية بن خشرم؛ فخرج مالك يوماً فسمع امرأة تنوح على زيادة الذي قتله هدية بن خشرم بشعر أخي[2] زيادة: أبعد الذي بالتّعف[3] نعف كويكب # رهينة رمس ذي تراب و جندل

أذكر بالبقيا على من أصابني # و بقياي أتّي جاهد غير مؤتلي
فلا يدعني قومي لزبد بن مالك # لئن لم أعجل ضربة أو أعجل
و إلا أنل تأري من اليوم أو غد # بني عمنا فالدهر ذو متطوّل
أنتم علينا كلكل الحرب مرّة # فنحن منيخواها عليكم بكلكل

فغنى في هذا الشعر لحنين، أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها و رققه و أصلحه و زاد فيه، و الآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه؛ ثم دخل على حمزة فقال له: أيها الأمير، إني قد صنعت غناء في شعر سمعت بعض أهل المدينة ينشده و قد أعجبني، فإن أذن الأمير غنّيته فيه؛ قال: هاته، فغنّاه اللحن الذي نحا فيه نحو معبد؛ فطرب حمزة و قال له: أحسنت يا غلام، هذا الغناء غناء معبد و طريقتة؛ فقال: لا تعجل أيها الأمير و اسمع منّي شيئاً ليس من غناء معبد و لا طريقتة؛ قال: هات، فغنّاه اللحن الذي تشبّه فيه بنوح المرأة، فطرب حمزة حتى ألقى عليه حلّة كانت عليه/قيمتها مائتا دينار؛ و دخل معبد فرأى حلّة حمزة عليه فأنكرها؛ و علم حمزة بذلك فأخبر معبدا بالسبب، و أمر مالكا فغنّاه الصوتين؛ فغضب معبد لما سمع الصوت الأوّل و قال: قد كرهت أن آخذ هذا الغلام فيتعلم غنائي فيدّعيه لنفسه؛ فقال له حمزة: لا تعجل و اسمع غناء صنعه ليس من شأنك و لا غنائك، و أمره أن يغنّي الصوت الآخر فغنّاه؛ فأطرق معبد؛ فقال له حمزة: و الله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأيام، و كلما كبر و زاد شخت أنت و نقصت، فلأن يكون منسوباً إليك أجمل؛ فقال له معبد و هو/منكسر: صدق الأمير. فأمر حمزة لمعبد بخلعة من ثيابه و جائزة حتى سكن و طابت نفسه؛ فقام مالك على رجله فقيل رأس معبد، و قال له: يا أبا عبّاد أساءك ما سمعت منّي؟ و الله لا أغنّي لنفسي شيئاً أبداً ما دمت حيّاً، و إن غلبتني نفسي فغنّيت في شعر استحسنته لا نسبته إلا إليك، فطّب نفساً و ارض عني؛ فقال له معبد: أو تفعل هذا و تفي به؟ قال: إي و الله و أزيد؛ فكان مالك بعد ذلك إذا غنّي صوتاً و سئل عنه قال: هذا لمعبد، ما غنّيت لنفسي شيئاً قط، و إنما آخذ غناء معبد فأنقله إلى الأشعار و أحسنه و أزيد فيه و أنقص منه.

كان يغني ليلة الجمعة:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا الحسن بن عتبة اللهبّي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد المطلب قال: خرجت من مكة أريد العراق، فحملت معي مالك بن أبي السّمح من المدينة، و ذلك في أيام أبي العبّاس [1] يقال: لم ينشب أن فعل كذا أي لم يلبث. و حقيقة: لم يتعلّق بشيء غيره و لا اشتغل بسواه.

[2] هو عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة بن زيد المقتول، كما في «الشعر و الشعراء» في «ترجمة هدية بن خشرم» (ص 436 طبع أوروبا) و «الأغاني» (ج 21 ص 271 طبع أوروبا) في «ترجمة هدية المذكور» .

[3] النعف: ما انحدر عن غلظ الجبل و ارتفع عن مجرى السيل كالخيف.

السّفاح، فكان إذا كانت عشية الخميس قال لنا: يا معشر الرّفقة إن الليلة ليلة الجمعة و أنا أعلم أنكم تسألوني الغناء، و عليّ و عليّ إن غنيت ليلة/الجمعة، فإن أردتم شيئاً فالساعة اقترحوا ما أحببتم؛ فنسأله فيغنيننا، حتى إذا كادت الشمس أن تغيب طرب ثم صاح: الحريق في دار شلمغان، ثم يمرّ في الغناء فما يكون في ليلة أكثر غناء منه في تلك الليلة بعد الأيمان المغلظة.

مالك بن أبي السّمح و سليمان بن عليّ:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان سليمان بن عليّ يسمع من مالك بن أبي السّمح بالسّراة[1]، لأنه كان إذا قدم الشّام على الوليد بن يزيد، عدل إليهم في بدأته و عودته لانقطاعه إليهم، فيبرّونه و يصلونه؛ فلما أفصى إليهم الأمر رأى سليمان مالكا على باب ابنه جعفر؛ فقال له: يا بنيّ، لقد رأيت ببابك أشبه الناس بمالك؛ فقال له جعفر: و من مالك؟-يوهمه أنه لا يعرفه-فتغافل عنه سليمان لئلا ينبهه عليه فيطلبه، و توهم أنه لم يعرفه و لا سمع غناه.

قال حمّاد: و حدّثني أبي عن جدّي إبراهيم أنه أخبره أنه رأى مالكا بالبصرة على باب جعفر بن سليمان، أو أخيه محمد، و لم يعرفه، فسأل عنه بعد ذلك فعرفه و قد كان خرج عن البصرة؛ قال: فمالي حسرة مثل حسرتي بأني ما سمعت غناه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال: كان مالك بن أبي السّمح يتيما في حجر عبد الله بن جعفر، و كان أبوه أبو السّمح صار إلى عبد الله بن جعفر و انقطع إليه، فلما احتضر أوصى بمالك إليه، فكفله و عاله و ربّاه، و أدخله في دعوة بني هاشم، فهو فيهم[2] إلى اليوم. ثم خطب حسين/بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس العابدة[3] بنت شعيب[بن محمد]4 بن عبد الله بن عمرو بن العاص، فمنعه بعض أهلها منها و خطبها لنفسه، فعاون مالك حسينا، و كانت العابدة تستنصحه، و كانت بين أبيها شعيب و بينه مودة، فأجابت حسينا و تزوّجته، فانقطع مالك إلى حسين؛ فلما أفضى الأمر إلى بني هاشم قدم البصرة على سليمان بن عليّ، فلما دخل إليه متّ بصحبته عبد الله بن جعفر و دعوته في بني هاشم و انقطاعه إلى حسين؛ فقال له سليمان: أنا عارف بكلّ ما قلته يا مالك، و لكنك كما تعلم، و أخاف أن تفسد عليّ أولادي، و أنا

واصلك و معطيك ما تريد و جاعل لك/شيئا أبعث به إليك ما دمت حيًا في كل عام، علي أن تخرج عن البصرة و ترجع إلى بلدك؛ قال: أفعل جعلني الله فداك؛ فأمر له بجائزة و كسوة و حمله و زوّده إلى المدينة.

مالك بن أبي السمح في كبره:

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون بن جناح قال أخبرني يعقوب بن إبراهيم الكوفي عن أخيره قال: [1] يريد بالسراة هنا مكانا بعينه لم نستطع تعيينه من «معاجم البلدان» .

[2] في ط، ء، م: «و أدخلهم في دعوة بني هاشم فهم فيها إلى اليوم»

[3] في ح هنا: «العائذة» بالذال المعجمة. و انظر الحاشية رقم 2 ص 102 من هذا الجزء.

[4] التكملة عن كتاب «المعارف» لابن قتيبة (ص 146، و انظر الحاشية رقم 1 ص 102 من هذا الجزء) .

دخلت المدينة حاجًا فدخلت الحمّام، فبينما أنا فيه إذ دخل صاحب الحمام فغسله و نظّفه، ثم دخل شيخ أعمى له هيئة، مؤتزر بمنديل أبيض؛ فلما جلس خرجت إلى صاحب الحمّام فقلت له: من هذا الشيخ؟ قال: هذا مالك بن أبي السّمح المغنّي، فدخلت عليه فقلت له: يا عمّاه، من أحسن الناس غناء؟ فقال: يا ابن أخي، «على الخير سقطت» [1]، أحسن الناس غناء أحسنهم صوتاً.

/أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيوب المدينيّ قال حدّثني أبو يحيى العباديّ عن إسحاق قال:

كان فتية من قريش جلوساً في مجلس، فمرّ بهم مالك بن أبي السّمح، فقال بعضهم لبعض: لو سألنا مالكا فغنّانا صوتاً! فقام إليه بعضهم فسأله النزول عندهم، فعدل إليهم؛ فسألوه أن يغنّيهم؛ فقال: نعم و الله بالحبّ و الكرامة، ثم اندفع يغني، و أوقع بالمقرعة على قربوس [2] سرجه، فرفع صوته فلم يقدر، ثم خفضه فلم يقدر، فجعل يبكي و يقول: وا شباباه.

أخبرني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد عن الزّبير بن بكار عن عمه عن جدّه أنه كان في هؤلاء الفتية الذين كانوا سألوه الغناء؛ و ذكر باقي الخبر مثل ما ذكره إسحاق.

مالك بن أبي السّمح و عجاجة المخنث:

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيوب المدينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال حدّثني صالح بن أبي الصّقر قال:

قدم مالك بن أبي السّمح المغنّي البصرة، فلقيه عجاجة المخنث، و كان أشهر من بها من المخنثين، و قال له:

فديتك يا أبا الوليد، إني كنت أحبّ أن ألقاك و أن أعرض عليك صوتاً من غنائك أخذته عن بعض المخنثين، فإن رأيت أن تنزل عندي فعلت؛ فنزل مالك عنده فبسط له المخنث جرد [3] قטיפه كانت عنده فجلس، ثم أخذ عجاجة الدفّ فغنّي:

/

حبّ إنّ الخمار كان عليها # شاهدا يوم زارت الجوشنيّة [4]

قد سبته بدلّها حين جاءت # تنهادى في مشية بختره

فجعل مالك يقول له: ويلك! من قال هذا! لعنه الله! ويحك من غنى هذا!
قبحه الله! ويحك من روى عني هذا! أخزاه الله! ثم قام فركب و هو يضحك
عجبا من عجاجة.

مالك و معبد و ابن عائشة عند يزيد بن عبد الملك:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني حماد بن إسحاق عن
أبيه عن ابن جناح قال حدثني مصعب بن عثمان قال حدثني عبد الله بن
محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير قال حدثني مالك بن أبي السَّمح قال:

[1] هذا مثل يضرب حين يقع السائل على العليم بالأمر الذي يسأل
عنه.

[2] القربوس (بفتح القاف و الراء) : حنو السرج أي جانبه و هو الخشبة
التي بها اعوجاج. و لكل سرج أربعة قرابيس: اثنان مقدّمان و اثنان مؤخران.

[3] الجرد (بالفتح) : الخلق من الثياب، و في حديث أبي بكر رضي الله
عنه «ليس عندنا من مال المسلمين إلا جرد هذه القطيفة» أي الذي انجرد و
خلق.

[4] الجوشنية: لعلها نسبة إلى جوشن الذي هو بطن من غطفان. -

قدمنا على يزيد بن عبد الملك أوّل قدومنا عليه مع معبد و ابن عائشة، فغناها ليلة فأطربناه، فأمر لكل واحد منّا بألف دينار و كتب لنا بها إلى كاتبه، فغدونا عليه بالكتاب؛ فلما رآه أنكره و قال: أ يؤمر لمثلكم بألف دينار ألف دينار! لا والله و لا حبا و لا كرامة!. فرجعنا إلى يزيد فأخبرناه بمقالته و كررنا عليه؛ فقال: كأنه استنكر ذلك؟ فقلنا: نعم؛ فقال: مثله و الله يستنكره و دعاه؛ فلما حضر و رأنا عنده استأمره فيها، / فأطرق مستحيا؛ و قال له: إني قد قلتها لهم و لا يجمل أن أرجع عما قلت، و لكن قطعها عليهم. قال مالك: فمات و الله يزيد، و قد بقي لكل واحد منا أربعمئة دينار.

غنى جعفرا و محمدا ابني سليمان بن علي فلامهما أبوهما:

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد قال قرأت على أبي، و حدّثنا الحسن بن محمد قال: /لما انهزم عبد الله بن عليّ من أبي مسلم قدم البصرة، و كان عند سليمان بن عليّ، و كان مالك بن أبي السمح يومئذ بها، فاستزاره جعفر و محمد فزارهما، و غناهما مالك في جوف الليل في دار سليمان بن عليّ، و بلغ الخبر سليمان، فدخل عليهم فعذل جعفرا و محمدا، و قال: نحن نتوقّع الطامّة الكبرى و أنتم تسمعون الغناء! فقالا: أ لا تجلس و تسمع! ففعل، فغناهم مالك:

صوت

ما كنت أوّل من خاس[1]الزمان به # قد كنت ذا نجدة أخشى و ذا بأس

أبلغ أبا معبد عني و إخوته # شوقي إليهم و أحزاني و وسواسي

فخرج و تركهم و لم ينكر عليهم شيئا.

مدحه الحسين بن عبد الله بشعر:

و في مالك بن أبي السمح يقول الحسين[بن عبد الله][2]بن عبيد الله بن العباس:

صوت

لا عيش إلا بمالك بن أبي الـ # سّمح فلا تلحني و لا تلم

أبيض كالبدر أو كما يلمع الـ # بارق في حالك من الظلم

من ليس يعصيك إن رشدت و لا # يهتك حقّ الإسلام و الحرم

يصيب من لذة الكريم و لا # يجهل آي الترخيص في اللّمم[3]

يا ربّ ليل لنا كحاشية الـ # برد و يوم كذاك لم يدم

[1] يقال: خاس الزمان به إذا غدر به.

[2] التكملة عن «الأغاني» ص 101 من هذا الجزء و «أمالي القالي»
(ج 3 ص 128 طبع دار الكتب المصرية) .

[3] اللمم: مقارنة الذنب من غير موقعة و قيل: هو ما دون الكبائر من
الذنوب و في التنزيل العزيز: **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ
إِلَّا اللَّمَمَ** أي صغائر الذنوب.

نعمت فيه و مالك بن أبي # السمح الكريم الأخلاق و السّيم

/-غناه مالك في الأوّل و الثاني و الثالث رملا بالبنصر في مجراها-
فيقال: إن مالكا قال له: لا و الله و لا إن غويت أيضا أعصيك؛ ذكر ذلك
الزبير عن عمّه مصعب. و يقال: إنه قال هذه المقالة للوليد بن يزيد، فسرّ
بذلك و أجزل صلته.

غنى الوليد فلم يطربه ثم غناه ثانيا فأطربه:

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال حدّثني أبي
قال قال ابن الكلبيّ:

قال الوليد بن يزيد لمعبد قد آذنتي ولولتك [1] هذه، و قال لابن عائشة:
قد آذاني استهلالك هذا، فانظرا لي رجلا يكون مذهبه متوسطا بين
مذهبيكما؛ فقالا له: مالك بن أبي السّمح؛ فكتب في إشخاصه إليه و سائر
مغنيّ الحجاز المذكورين؛ فلما قدم مالك على الوليد بن يزيد فيمن معه من
المغنيّين نزل على الغمر بن يزيد، فأدخله على الوليد فغناه فلم يعجبه؛ فلما
انصرف الغمر قال له: إن أمير المؤمنين لم يعجبه شيء من غنائك؛ فقال
له: جعلني الله فداك! اطلب لي الإذن عليه مرّة واحدة، فإن أعجبه شيء
مما أغنيّه و إلا انصرفت إلى بلادي. فلما جلس الوليد في مجلس اللهو ذكره
الغمر و طلب له الإذن، و قال له: إنه هابك فحصر؛ قال: فأذن له، فبعث
إليه؛ فأمر مالك الغلام فسقاه ثلاث صراحيّات [2] صرفا؛ فخرج حتى دخل
عليه يخطر في مشيته. و قال غير ابن الكلبيّ: إنه قال /لفراش للوليد:
اسقني عسّا [3] من شراب و لك دينار، فسقاه إيّاه و أعطاه الدينار؛ ثم قال
له: زدني آخر فأزيدك /آخر، ففعل حتى شرب ثلاثة، ثم دخل على الوليد
يخطر في مشيته؛ فلما بلغ باب المجلس وقف و لم يسلم، و أخذ بحلقة
الباب فققعها، ثم رفع صوته فغنى:

لا عيش إلا بمالك بن أبي # السمح فلا تلحني و لا تلم

فطرب الوليد، و رفع يديه، حتى بدا إبطاه إليه مادّا لهما، و قام فاعتنقه
قائما، و قال له: اذن يا ابن أخي، فدنا حتى اعتنقه؛ ثم أخذ في صوته ذلك،
فلم يزالوا فيه أياما، و أجزل صلته حين أراد الانصراف. قال: و لما أتى مالك
على قوله:

أبيض كالسيف أو كما يلعب ال # بارق في حالك من الظلم

قال له الوليد:

أحول كالقرد أو كما يرقب # السارق في حالك من الظلم

كان يأخذ أغاني غيره و يغيرها، و رأى إسحاق في ذلك:

و كان مالك طويلاً [4] أجنى فيه حول. و قد قال قوم: إنّ مالكا لم يصنع لنا قطّ غير هذا-أعني: «لا عيش إلاّ [1] في ح: «و أوتك» . و الواوأة: صياح ابن آوى، و قيل: ليست خاصة به.

[2] صراحيات: جمع صراحية و هي إناء من آنية الخمر و لا يعرف أصلها. و قيل عربية صحيحة استعملها الفرس و الروم لزجاجة معروفة يوضع فيها الشراب. (راجع «القاموس» و «شرحه» و «اللسان» مادة صرح، و «المخصص» ج 11 ص 58، و «شفاء الغليل» ص 144) .

[3] العس: القدح الضخم يروي الثلاثة و الأربعة. و جمعه: عسسة.

[4] كذا في أكثر الأصول، و الأجنى (بالقصر) لغة في الأجنأ (بالهمز) و هو الذي أشرف كاهله على صدره. و في م: «أجنى» (بالحاء المهملة) و الأحنى: الأحذب.

بمالك بن أبي السَّمح» -و إنه كان يأخذ غناء الناس فيزيد فيه و ينقص منه و ينسبه الناس إليه، و كان إسحاق ينكر ذلك غاية الإنكار، و يقول: غناء مالك كله مذهب واحد لا تباين فيه، و لو كان كما يقول الناس لاختلاف غناؤه، و إنما كان إذا غنَّى ألحان معبد الطوال خففها و حذف بعض نغمها، و قال: أطاله معبد و مططه، و حذفته أنا و حسنته، فأما ألا يكون صنع شيئاً فلا.

/أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد: قرأت[1] على أبي و ذكر بكار بن النبال[2]:

أن الوليد قال لمالك: هل تصنع الغناء؟ قال: لا، و لكنني أزيد فيه و أنقص منه؛ فقال له: فأنت المحلّي إذا.

قال إسحاق و ذكر الحسن بن عتبة اللّهي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشمي الحارثي[3] الذي يقال له سنابل-و فيه يقول الشاعر:

فإن هي صنّت عنك أو حيل دونها # فدعها و قل في ابن الكرام سنابل

-قال: خرجت من مكة أريد أبا العبّاس أمير المؤمنين، فمررت على المدينة فحملت معي مالك بن أبي السَّمح، فسألته يوماً عن بعض ما ينسب إليه من الغناء؛ فقال: يا أبا الفضل، عليه و عليه إن كان غنّى صوتاً قط، و لكنني آخذه و أحسنه و أهينه و أطيبه، فأصيب و يخطئون فينسب إليّ. قال إسحاق: و ليس الأمر هكذا، لمالك صنعة كثيرة حسنة، و صنعته تجري في أسلوب واحد، و يشبه بعضها بعضاً، و لو كان كما قيل لاختلف غناؤه. و قد قيل: إنّ مالكا كان ينتفي من الصنعة لأن أكثر الأشراف هناك كانوا ينكرون عليه، فكان يتبدّل به عند من يراه، و ينكره عند من يذمّه، لمحله في بني هاشم.

/و أخبرني بخبر سنابل هذا محمد بن مزيد قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني حمزة بن عتبة اللّهي عن سنابل، فذكر الخبر و خالف ما رواه إسحاق أنّ الحسن بن عتبة حدّثه و حكاه عن حمزة بن عتبة أخيه.

أخذ صوتاً من حمار:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن هشام بن الكلبي عن أبيه عن محمد/بن يزيد الليثي قال:

سئل مالك بن أبي السَّمح عن صنعته في:

لاح بالدير من امامة نار

فقال: أخذته و الله من خرينده[4]بالشأم يسوق أحمره، فكان يترثم بهذا اللحن بلا كلام، فأخذته فكسوته هذا الشعر.

[1]وردت هذه العبارة في ح هكذا: «قرأت على أبي بكر و ذكر بكار أن ابن الوليد... إلخ» ، و هو تحريف، إذ لم تعرف لحماذ رواية عن أبي بكر و لكنه يروى كثيرا عن أبيه. كما أن المذكور في سياق الخبر هو الوليد لا ابنه.

[2]في ء: «الينال» . و ورد في ط مهملًا من غير نقط.

[3]في ط، ء: «الجاري» .

[4]كذا في ب، س، م. و الخرينده: المكارى، و هي كلمة فارسية مركبة من «خر» و هو الحمار و «بنده» و هو الخادم. و في سائر الأصول: «خريندج» . و العرب تضع بدل الهاء في آخر الكلمة الفارسية جميعا أو قافا للتعريب؛ مثل طازج و فالوذج في تازره و بالوده، و خندق و فستق في كنده و بسنه.

أخذ صوتاً من حائك:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال:

نزل مالك بن أبي السَّمح عند رجل بمكة مخزومي، و كان له غلام حائك، فأتاه آت فقال: أ ما سمعت غناء غلامك الحائك؟ قال: لا! أ و يغني؟ قال: نعم بشعر لأبي دهيل الجمحي؛ فبعث إليه فأتاه، فقال: تغني؛ فقال: ما أحسن ذاك إلا على حقي [1]؛ فخرج موله و معه مالك إلى بيته، فلما جلس على حقه تغنى: تطاول هذا الليل ما يتبلج

/فأخذه مالك عنه و غنّاه فنسبه الناس إليه؛ و كان يقول: و الله ما غنيته قطّ و لا غنّاه إلا الحائك.

نسبة هذين الصوتين

صوت

لاح بالدير من أمامة نار # لمحّب له بيثرب دار

قد تراها و لو تشاء من القر # ب لأغناك عن نداها [2] السّرار

الشعر للأحوص، و يقال: إنه لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت. و الغناء لمالك بن أبي السَّمح ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. و فيه لحن لمعبد ذكره إسحاق.

صوت

تطاول هذا الليل ما يتبلج # و أعيت غواشي سكرتي ما تفرج

أبيت بهمّ ما أنام كأنما # خلال ضلوعي جمرة تتوهج

فطوراً أمّي النفس من تكتنم [3] المنى # و طورا إذا ما لجّ بي الحبّ أنشج [4]

عروضه من الطويل، الشعر لأبي دهيل، و الغناء لمالك بن أبي السَّمح ثقيل أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

هرب مع ابن عائشة يوم مقتل الوليد:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جدّه قال:

قال ابن عائشة: حضرت الوليد بن يزيد يوم قتل، و كان معنا مالك بن أبي السَّمح و كان من أحمق الناس، فلما قتل الوليد قال: اهرب بنا؛ فقلت: و ما يريدون منا؟ قال: و ما يؤمّنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما

[1] كذا في حـ. و الحف (بالفتح) : المنوال و المنسج، و هو أيضا القصبة التي تجيء و تذهب. و في سائر الأصول: «حقي» بالقاف، و هو تصحيف.

[2] الندى (بالفتح مقصورا) : بعد الصوت.

[3] كذا في أكثر الأصول. و تكتم (على وزن الفعل المبني للمجهول) : اسم المرأة المشبب بها. و في م: «يكتم الهوى» . و في «الشعر و الشعراء» (ص 391) : «عمرة المنى» .

[4] نشج (من باب ضرب) : غص بالبكاء في حلقة من غير التحاب.

ليحسّنوا أمرهم بذلك!؛ قال ابن عائشة: فما رأيت منه عقلاً قطّ قبل ذلك اليوم.

لما كبر كان يعلم ابنه الغناء:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزبير بن بكار حدّثني ظبية قالت: رأيت مالك بن أبي السّمح وهو على منامته يلقي على ابنه و قد كبر و انقطع:

صوت

اعتاد هذا القلب بلباله [1] # إذ قرّبت للبين أجماله

خود [2] إذا قامت إلى خدرها # قامت قطوف [3] المشي مكساله

تفتّر [4] عن ذي أشر بارد # عذب إذا ما ذيق سلساله

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، و لمالك بن أبي السّمح فيه ثلاثة ألحان: خفيف ثقيل [5] مطلق/في مجرى الوسطى، و ثقيل أوّل بالوسطى مجراها جميعاً عن إسحاق، و خفيف [6] رمل بالوسطى عن عمرو بن بانه، و قيل: إنه لابن سريج، و فيه رمل ينسب إلى ابن جامع و ابن سريج.

شعر في رثائه:

أخبرني وكيع قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة: سمعت منشداً ينشد لنفسه يرثي مالكا بهذه القصيدة: يا مال إني قضت نفسي عليك و ما # بيني و بينك من قرى و لا رحم

إلا الذي لك في قلبي خصصت به # من المودّة في ستر و في كرم

قال إسحاق قال أبو عبيدة: هو مالك بن أبي السّمح. [انقضت [7] أخباره].

صوت من المائة المختارة

من رواية هارون بن الحسن بن سهل و ابن المكيّ و أبي العبيس و من روى جحظة عنه: فإلاً تجلّ لها [8] يعالوك فوقها # و كيف توقّى ظهر ما أنت راكبه

[1] البلبال (بفتح الباء) : شدة الهم و الوسواس.

[2] الخود: الفتاة الشابة الحسنة الخلق.

[3] قَطُوف المَشِي: ضيقة الخَطى بطيئة المَشِي.

[4] تَفْتَر: تَبَسَم. و الأَشْر (بضمَّتِين و بضم فَفْتَح) : حِدَّة ورقة في أطراف الأَسنان.

[5] في حـ: «خفيف أوّل مطلق.... إلخ» .

[6] في ط، ء، م: «خفيف ثقيل بالوسطى... إلخ» .

[7] زيادة عن م.

[8] تجلّل الرجل البعير: علا ظهره. و عالي فلان الشيء: رفعه.

هم قتلوه كي يكونوا مكانه # كما غدرت يوما بكسرى مرزبه
 بني هاشم ردّوا سلاح ابن أختكم # و لا تنهبوه لا تحلّ مناهبه

عروضه من الطويل. البيت الأوّل من الشعر لرجل من بني نهد جاهليّ،
 و باقي الأبيات للوليد بن عقبة بن أبي معيط. و الغناء لابن محرز، و لحنه من
 الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن يونس و إسحاق، و هو
 اللحن المختار. و فيه للغريض ثقيل أوّل بالسّبابة في مجرى البنصر عن
 إسحاق. و فيه لمعبد ثقيل أوّل آخر مطلق في مجرى الوسطى عن عمرو و
 عن الهشاميّ. و فيه لسلسل في الثاني و الثالث ثقيل أوّل بالبنصر عن
 حبش، و فيه لعطرّد خفيف ثقيل.

5- خبر التَّهْدِيّ في هذا الشعر و خبر الوليد بن عقبة و قد مضى نسبه في أوّل الكتاب

الحارث بن مارية و زهير بن جناب:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عمي عن ابن الكلبي عن أبيه عن عبد الرحمن المدائني، و كان عالما بأخبار قومه، قال و حدّثني أبو مسكين [1] أيضا، قال:

كان الحارث بن مارية الغسّاني الجفنيّ مكرما لزهير بن جناب الكلبيّ ينادمه و يحادثه، فقدم على الملك رجلان من بني نهد بن زيد يقال لهما حزن و سهل ابنا رزاح، و كان عندهما حديث من أحاديث العرب، فاجتباهما الملك و نزلا بالمكان الأثير منه، فحسدهما زهير بن جناب، فقال: أيها الملك، هما و الله عين لذي القرنين عليك (يعني المنذر الأكبر جدّ النعمان بن المنذر)، و هما يكتبان إليه بعورتك و خلل ما يريان منك؛ قال: كلا! فلم يزل به زهير حتى أوغر صدره، و كان إذا ركب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه، فبعث إليهما بناقة واحدة؛ فعرفا الشرّ فلم يركب أحدهما و توقّف؛ فقال له الآخر:

فإلّا تجلّ لها يعالوك فوقها # و كيف توقّى ظهر ما أنت راكبه

فركبها مع أخيه، و مضى بهما فقتلا، ثم بحث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلا فشتّم/زهيرا و طرده، فانصرف إلى بلاد قومه؛ و قدم رزاح أبو الغلامين إلى الملك، و كان شيخا عالما مجرّبا، فأكرمه الملك و أعطاه دية ابنه؛ و بلغ زهيرا مكانه، فدعا ابنا له يقال له عامر، و كان من فتيان العرب لسانا و بيانا، فقال له: إنّ رزاحا قد قدم على الملك، فالحق به و احتل في أن تكفينيه، و قال له: اذممني/عند الملك و نل منّي، و أثر به آثارا؛ فخرج الغلام حتى قدم الشام، فتلطف للدخول على الملك حتى وصل إليه؛ فأعجبه ما رأى منه؛ فقال له: من أنت؟ قال: أنا عامر بن زهير بن جناب؛ قال: فلا حيّك الله و لا حيّا أباك الغادر الكذوب السّاعي! فقال الغلام: نعم، فلا حيّاه الله! انظر أيها الملك ما صنع بظهري! و أراه آثار الضرب؛ فقبل ذلك منه و أدخله في ندمائه؛ فبينما هو يحدثه يوما إذ قال له: أيها الملك، إنّ أبي و إن كان مسيئا فلست أدع أن أقول الحقّ، قد و الله نصحك أبي، ثم أنشأ يقول:

فيا لك نصحة لّمّا ندقها # أراها نصحة ذهبت ضلّالا

ثم تركه أباّما، و قال له بعد ذلك: أيها الملك، ما تقول في حيّة قد قطع ذنبيها و بقي رأسها؟ قال: ذاك أبوك و صنيعه بالرجلين ما صنع؛ قال: أبيت اللعن! و الله ما قدم رزاح إلا ليثار بهما؛ فقال له: و ما آية ذلك؟ قال: اسقه

الخمير ثم ابعث إليه عينا يأتك بخبره؛ فلما انتشى صرفه إلى قبته و معه بنت له، و بعث عليه عيوناً؛ فلما دخل قبته قامت إليه ابنته تسانده فقال:

[1] في ط، م، ء: «ابن مسكين» .

دعيني من سنادك إنّ حزنا # و سهلا ليس بعدهما رقاد
أ لا تسلين عن شبليّ ما ذا # أصابهما إذا اهترش[1]الأسود
فإني لو تأرت المرء حزنا # و سهلا قد بدا لك ما أريد

فرجع القوم إلى الملك فأخبروه بما سمعوا، فأمر بقتل التّهديّ رزاح، و
ردّ زهيرا إلى موضعه.

شعر للوليد بن عقبة أجابه عنه الفضل بن العباس:

و قد أنشدني محمد بن العباس اليزيديّ قال: أنشدنا محمد بن حبيب
أبيات الوليد هذه على الولاة[2]، و هي: ألا من ليل لا تغور كواكبه # إذا لاح
نجم لاح نجم يراقبه[3]

بني هاشم ردّوا سلاح ابن أختكم[4] # و لا تنهبوه لا تحلّ مناهبه
بني هاشم لا تعجلوا[5] بإفادة # سواء علينا قاتلوه و سالبه
فقد يجبر العظم الكسير و ينبري # لذي الحقّ يوما حقّه فيطالبه
و إنا و إياكم و ما كان منكم # كصدع الصفا لا يرأب الصدع شاعبه
بني هاشم كيف التعاقد[6] بيننا # و عند عليّ سيفه و حرائبه[7]
لعمرك لا أنسى ابن أروى و قتله # و هل ينسينّ الماء ما عاش شاربه
هم قتلوه كي يكونوا مكانه # كما غدرت يوما بكسرى مرآبه
و إني لمجتاب إليكم بجحفل # يصمّ السميع جرسه[8] و جلائبه

و قد أجاب الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الوليد عن هذه
الآيات، و قيل: بل أبوه العباس بن عتبة المجيب له أيضا. و الجواب:
[1]الاهتراش: التقاتل و التواثب.

[2]الولاة: المتابعة، يقال: افعل هذه الأشياء على الولاة أي متابعة.

[3]في ح، م و الاستيعاب (ج 2 ص 262) : «إذا لاح نجم غار نجم
يراقبه» .

[4]في ط، م، ء: «ابن عمكم» . و عثمان بن عفان يمت إلى بني
هاشم بالخثولة و العمومة و قد روى في ص 117 من هذا الجزء: «ابن
أختكم» في جميع النسخ. و كذلك فيما سيلي قريبا.

[5]في ح: «لا تعجلونا فإنه» .

[6] في ط، م، ء: «التعذر» و سيرد قريبا بروائتين آخرين هما: «كيف الهوادة» و «كيف التواصل» .

[7] كذا في ط، ء، و الحرائب: جمع حرية و هي مال الرجل الذي يعيش به، و قيل: ما يسلب من المال. و في م: «لجائه» . و في سائر الأصول: «جرائبه» و هما تحريف، و سيرد قريبا: «نجائه» .

[8] الجرس: الصوت.

صوت

فلا تسألونا بالسلاح فإنه # أضيع و ألقاه لدى الرّوع صاحبه

و شبّهته كسرى و قد[1] كان مثله # شبيها بكسرى هديه و عصائبه

ذكر أحمد بن المكيّ أنّ لابن مسجح فيه لحناً و أن لحنه من الثقيل
الأول بالسبابة في مجرى الوسطى، و قال غيره: إنه من منحول أبيه يحيى
إلى ابن مسجح.

[1] في «الاستيعاب» (ج 4 ص 533) : «و ما كان مثله» .

6- ذكر باقي خبر الوليد بن عقبة و نسبه

نسب الوليد بن عقبة و ولايته الكوفة ثم عزله و حدّه بالشراب:
الوليد بن عقبة بن أبي معيط، و قد مضى نسبه مع أخبار ابنه [1] أبي قطيفة. و يكنى الوليد أبا وهب. و هو أخو عثمان بن عفان لأمه، أمهما أروى بنت كريب، و أمها البيضاء بنت عبد المطلب. و كان من فتيان قريش و شعرائهم و شجعانهم و أجوادهم [2]، و كان فاسقا، و ولي لعثمان رضي الله عنه الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، فشرب الخمر و شهد عليه بذلك، فحدّه و عزله. و هو الذي يقول يرثي عثمان رضي الله عنه و يحرض معاوية:

رثاؤه عثمان و تحريضه معاوية على الأخذ بثأره:

و الله ما هند بأملك إن مضى # النهار و لم يتأر بعثمان نائر
أ يقتل عبد القوم سيّد أهله # و لم تقتلوه ليت أملك عافر
و إنا متى نفتلهم لا يقد بهم # مفيد فقد [3] دارت عليك الدوائر

كان يجالس عثمان على سريره فقال شعرا ولاه به الكوفة:
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلا العباس بن عبد المطلب و أبو سفيان بن حرب و الحكم بن أبي العاصي و الوليد بن عقبة، فأقبل الوليد يوما فجلس، ثم أقبل الحكم، فلما رآه عثمان زحل [4] له عن مجلسه، فلما قام الحكم قال له الوليد: و الله يا أمير المؤمنين، لقد تلجلج في صدري بيتان قلتها حين رأيتك / أثرت عمك على ابن أمك؛ فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه: إنه شيخ قريش، فما البيتان اللذان قلتها؟ قال قلت: رأيت لعم المرء زلفى قرابة # دوين أخيه حادثا لم يكن قدما

فأمّلت عمرا أن يشبّ [5] و خالدا # لكي يدعواني يوم مزحمة عمّا

يعني عمرا و خالدا ابني عثمان. قال: فرق له عثمان، و قال له: قد وليتكَ العراق (يعني الكوفة) .

[1] كذا في م، ح. و في سائر الأصول: «أبيه» و هو تحريف.

[2] في ط، ء: «جودائهم». و جوداء (وزان كرماء) : من جموع جواد.

[3] في ب، س، ح: «و قد» .

[4] زحل: تنحى و تباعد.

[5] كذا في ح. و في سائر الأصول: «يشيب» .

خلف سعد بن أبي وقاص على الكوفة و قصته معه حين قدم عليه:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شبة قال حدّثني بعض أصحابنا عن ابن داب قال:

لما وليّ عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة الكوفة قدمها و عليها سعد بن أبي وقاص، فأخبر بقدمه؛ فقال:

و ما صنع؟ قال: وقف في السوق فهو يحدّث الناس هناك و لسنا ننكر شيئاً من شأنه؛ فلم يلبث أن جاءه نصف النهار، فاستأذن على سعد فأذن له، فسلم عليه بالإمرة و جلس معه؛ فقال له سعد: ما أقدمك أبا وهب؟ قال:

أحببت زيارتك؛ قال: و على ذلك أ جئت بريداً؟ قال: أنا أرزن من ذلك، و لكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرحوني إليه، و قد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة؛ فمكث طويلاً ثم قال: لا و الله ما أدري أصلحت بعدنا/أم فسدنا بعدك! ثم قال:

خذيبي فجرّيني ضباع و أبشري [1] # بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره [2]

/فقال: أما و الله [3] لأنا أقول للشعر و أروى له منك، و لو شئت لأجبتك، و لكنّي أدع ذلك لما [4] تعلم؛ نعم و الله قد أمرت بمحاسبتك و النظر في أمر عمالك؛ ثم بعث إلى عماله فحبسهم و ضيق عليهم، فكتبوا إلى سعد يستغيثون، فكلّمه فيهم؛ فقال له: أو للمعروف عندك موضع؟ قال: نعم و الله! فخلي سبيلهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر قال حدّثنا جناد [5] بن بشر قال: حدّثني جرير [6] عن مغيرة [7] بنحوه.

قال أبو زيد عمر بن شبة أخبرنا أبو بكر الباهليّ قال حدّثنا هشيم عن العوّام بن حوشب:

أنه لما قدم على سعد قال له سعد: ما أدري أ كست بعدنا أم حمقنا بعدك؟ فقال: لا تجزعيّ أبا إسحاق، فإنما هو الملك يتغذاه قوم و يتعشاه آخرون؛ فقال له سعد: أراكم و الله ستجعلونه ملكاً.

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المدائني عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شقيق [8] بن سلمة قال:

قدم الوليد بن عقبة عاملا لعثمان على الكوفة و عبد الله بن مسعود علي بيت المال، و كان سعد قد أخذ مالا، فقال الوليد لعبد الله: خذه بالمال، فكلّمه عبد الله بمحضر من الوليد في ذلك؛ فقال سعد: آتى أمير المؤمنين، فإن أخذني به/أدّيته. فغمز الوليد عبد الله، و نظر إليهما سعد فنهض و قال: فعلتماها! و دعا الله أن يغري بينهما و أدّى المال.

[1] في س: «و إنما» .

[2] في ب، س: «ناشره» .

[3] في ط، ء: «أم» .

[4] كذا في س: و في سائر الأصول: «لما لا تعلم» .

[5] في ح: «حيان» .

[6] هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي كما في «تهذيب التهذيب»

[7] هو المغيرة بن مقسم الضبي كما في «تهذيب التهذيب» .

[8] كذا في ح، م. و هو شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الراوي و هو الذي يروى عنه الأعمش. و في سائر الأصول: «سفيان» و هو تحريف. (راجع «تهذيب التهذيب» ، و «الاستيعاب» في اسم شقيق) .

صلى بالناس الصبح أربع ركعات:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شبة قال حدّثنا هارون بن معروف قال حدّثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال: صلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم.

شعر الحطيئة فيه:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شبة قال حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا جرير[1] عن الأجلح[2] عن الشعبي[3] في حديث الوليد بن عقبة حين شهدوا عليه[قال]4]: قال[5]الحطيئة[6]: شهد الحطيئة يوم يلقي ربّه # أنّ الوليد أحقّ بالعدر[7]

نادى و قد تمّت صلاتهم # أزيدكم-سكرا-و ما يدري
فأبوا أبا وهب و لو أذنوا # لقرنت بين الشفع و الوتر
كفّوا عنانك إذ جريت و لو # تركوا عنانك لم تزل تجري

و قال الحطيئة أيضا:

تكلّم في الصلاة و زاد فيها # علانية و جاهر بالتّفاق
و مجّ الخمر في سنن المصلّي # و نادى و الجميع إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني # و مالكم و مالي من خلاق

شرب الخمر و صلى بالناس فضرب الحدّ:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال حماد بن إسحاق حدّثني أبي قال ذكر أبو عبيدة و هشام بن الكلبيّ و الأصمعيّ قالوا[8]: كان الوليد بن عقبة زانيا[9]شرب خمر، فشرب الخمر بالكوفة و قام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع، فصلّى بهم أربع ركعات، ثم التفت إليهم/و قال لهم: أزيدكم؟ و تقيّاً في المحراب، و قرأ بهم في الصلاة و هو رافع صوته: علق القلب الرّبابا # بعد ما شابت و شابا

[1] هو جرير بن عبد الحميد المذكور في الصفحة السابقة.

[2] هو الأجلح بن عبد الله بن حجية الكندي كما في «تهذيب التهذيب» .

[3] هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي كما في «تهذيب التهذيب»

و ابن خلكان.

[4] زيادة يقتضيها السياق.

[5] في ب، ح، س: «فقال» .

[6] هذه الكلمة ساقطة في س.

[7] هذا البيت من الكامل الضرب الأحذ المضمّر، و باقي الأبيات من الكامل الأحذ الثالث.

[8] في ب، ح، س: «قال» و المناسب منا أثبتناه.

[9] في ط، ء: «دنيا» و الدنى (كغنى) : الساقط الضعيف. -

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان، فأخبروه خبره و شهدوا عليه بشربه الخمر، فأتي به، فأمر رجلا بضربه الحدّ؛ فلما دنا منه قال له: نشدتك الله و قرابتي من أمير المؤمنين فتركه؛ فخاف عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يعطل الحدّ، فقام إليه فحدّه؛ فقال له الوليد: نشدتك بالله و بالقرابة؛ فقال له عليّ: اسكت أبا وهب وإنما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود، فضربه و قال: لتدعوئي قريش بعد هذا جلادها. قال إسحاق: فأخبرني مصعب الزبيريّ قال: قال الوليد بن عقبة بعد ما جلد: اللهم إنهم شهدوا عليّ بزور، فلا ترضهم عن أمير و لا ترض عنهم أميرا.

فقال الحطيئة يكذب عنه:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه # أن الوليد أحقّ بالعدر
خلعوا عنانك إذ جريت و لو # تركوا عنانك لم تزل تجري
و رأوا شمائل ماجد أنف [1] # يعطي على الميسور و العسر
فنزعت مكذوبا عليك و لم # تنزع إلى طمع [2] و لا فقر [3]

/فقال رجل من بني عجل يردّ على الحطيئة:

نادى و قد تمّت صلاتهم # أزيدكم-ثملا-و ما يدري
ليزيدهم خيرا و لو قبلوا # لقرنت بين الشّفع و الوتر
فأبوا أبا وهب و لو فعلوا # وصلت صلاتهم إلى العشر

و روى العباس بن [4] ميمون طائع عن ابن عائشة قال حدّثني أبي قال: لما أحضر عثمان رضي الله عنه الوليد لأهل الكوفة في شرب الخمر، حضر الحطيئة فاستأذن على عثمان و عنده بنو أمية متوافرون، فطمعوا أن يأتي الوليد بعدر، فقال: شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه # أن الوليد أحقّ بالعدر

خلعوا عنانك إذ جريت و لو # تركوا عنانك لم تزل تجري
و رأوا شمائل ماجد أنف # يعطي على الميسور و العسر
فنزعت مكذوبا عليك و لم # تنزع إلى طمع و لا فقر

قال: فسروا بذلك و ظلّوا أن قد قام بعدره؛ فقال رجل من بني عجل يردّ على الحطيئة: نادى و قد تمّت صلاتهم # أزيدكم-ثملا-و ما يدري

فأبوا أبا وهب و لو فعلوا # وصلت صلاتهم إلى العشر

[1] الأنف (وزان كنف) : الذي يأبى أن يضام.

[2] في حـ: «طبع» و الطبع: الدنس.

[3] في «ديوان الحطيئة» (ص 186 طبع مدينة لبيزج، و نسخة خطية منه بدار الكتب المصرية رقم 3 أدب ش) : تردد إلى عوز و لا فقر

[4] كذا في أكثر الأصول. و في ط، م، ء: «العباس بن ميمون طابع» ، و ورد فيما تقدّم في حـ في أخبار الحكم بن عبدل و نسبه (ج 2 ص 422 طبع دار الكتب المصرية) : «العباس بن محمد بن طائع» . و لم نعثر على اسمه في المراجع التي بين أيدينا.

فوجم القوم و أطرقوا، فأمر به عثمان رضي الله تعالى عنه فحدّ.

قصة رجل معيطي شهد عليه عند الأمير:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ [1] قال حدّثني محمد بن الفضل من حفظه قال حدّثنا عمر بن شبة من حفظه، و نسخت من كتاب لهارون ابن الزيات بخطه عن عمر بن شبة، و روايته أتمّ، فحكيت لفظه، قال:

شهد رجل عند أبي العجّاج، و كان على البصرة، على رجل من المعيطيين شهادة، و كان الرجل/الشاهد سكران؛ فقال المشهود عليه و هو المعيطي: أعزّك الله إنه لا يحسن أن يقرأ من السكر؛ فقال الشاهد: بلى إني لأحسن؛ فقال: اقرأ؛ فقال:

علق القلب الرّبابا # بعد ما شابت و شابا

قال: و إنما تماجن بذلك على المعيطي، ليحكى به ما صنع الوليد بن عقبة في محراب الكوفة و قد تقدّم للصلاة و هو سكران، فأنشد في صلاته هذا الشّعْر؛ و كان أبو العجّاج محمّقا فظنّ أن هذا قرآن، فقال: صدق الله و رسوله، و بلكم! فلم تعلمون و لا تعملون!. و لقد روي أيضا في الشهادة على الوليد في السكر غير ما ذكر من زيادته في الصلاة.

ثبت لدى عثمان أنه سكر فأمر بجلده الحدّ:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال عرضت على المدائني عن مبارك بن سلام عن فطر [2] بن خليفة عن أبي الصّحى [3] قال:

/كان أبو زينب الأزديّ و أبو مورّع [4] يطلبان عثرة الوليد بن عقبة، فجاء يوما فلم يحضر الصلاة، فسألا عنه و تلطفا حتى علما أنه يشرب، فاقترحا عليه الدار فوجداه يقىء، فاحتملاه و هو سكران فوضعا على سريره و أخذوا خاتمه من يده، فأفاق فافتقد خاتمه فسأل عنه؛ فقالوا: لا ندري و قد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك؛ فقال: صفوهما لي؛ فقالوا: أحدهما آدم [5] طويل حسن الوجه، و الآخر عريض مربوع عليه خميصة [6]؛ فقال: هذا [7] أبو زينب و أبو مورّع. و لقي أبو زينب و صاحبه عبد الله بن حبيش [8] الأسدي و علقمة [9] بن [1] كذا في ط، ء، م. و في سائر الأصول: «المكي» ، و أبو الفرج يروي كثيرا عن الصّوليّ كما تقدّم غير مرة في الأجزاء السالفة.

[2] كذا في «التهذيب» و «المعارف» لابن قتيبة و الطبري (ق 1 ص 3181) و في جميع الأصول: «قطن» بالقاف و النون و هو تحريف.

[3] كذا في ط، م، ء، و اسمه: مسلم بن صبيح الهمداني أحد شيوخ فطر بن خليفة المتقدم. و في سائر الأصول: «أبو الضحاك» و هو تحريف. (راجع «التهذيب» و «الخلاصة» في اسم مسلم بن صبيح) .

[4] كذا في ط، ء، م. و هو أبو مؤرّع الأسدي كما في الطبري و ابن الأثير. و في حـ: «ابن مزروع» . و في ب، س: «أبو مزروع» ، و كلاهما تحريف.

[5] الآدم: الأسمر.

[6] الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

[7] في الأصول: «هذا» .

[8] كذا في ب، حـ، س. و في سائر الأصول: «خنيس» .

[9] كذا في ب، س. و في م: «علقمة بن زيد» . و في حـ: «عقبة بن يزيد» . و ف ط، ء: «عقبة بن زيد» ، و لم نوفق إلى وجه الصواب فيه.

يزيد البكريّ و غيرهما فأخبراهم، فقالوا: اشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه؛ فقال بعضهم: لا يقبل قولنا في أخيه؛ فشخصوا إليه و قالوا: إنما جئناك في أمر و نحن مخرجوه إليك من أعناقنا، و قد قلنا: إنك لا تقبله، قال: و ما هو؟ قالوا: رأينا الوليد و هو سكران من خمر قد شربها و هذا خاتمه أخذناه و هو لا يعقل؛ فأرسل إلى عليّ رضي الله تعالى عنه فشاوره؛ فقال: أرى أن تشخصه، فإن شهدوا عليه بمحضر منه حدته؛ فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الوليد بن عقبة فقدم عليه، فشهد عليه أبو زينب/ و أبو موّرع و جندب الأسديّ [1] و سعد بن مالك الأشعريّ، و لم يشهد [2] عليه إلا يمان؛ فقال عثمان لعليّ: قم فاضربه؛ فقال عليّ للحسين: قم فاضربه؛ فقال الحسن: مالك و لهذا! يكفيك غيرك؛ فقال عليّ لعبد الله بن جعفر: قم فاضربه، فاضربه بمخصرة [3] فيها سير له رأسان، فلما بلغ أربعين قال له عليّ: حسبك.

ما وقع بين عثمان و عائشة بسبب الوليد بن عقبة:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المدائنيّ عن الواقصيّ [4] عن الزّهريّ قال: خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال: أكلما غضب رجل منكم عليّ أميره رماه بالباطل! لئن أصبحت لكم لأنكّلن بكم؛ فاستجاروا بعائشة؛ و أصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا و كلاما فيه بعض الغلظة، فقال: أ ما يجد مرّاق أهل العراق و فسّاقهم ملجأ إلا بيت عائشة! فسمعت فرفعت نعل رسول الله صلى الله عليه و سلم و قالت: تركت سنّة رسول الله صلى الله عليه و سلم صاحب هذه [5] النعل؛ فتسامع الناس فجاءوا حتى ملئوا المسجد، فمن قائل: أحسنت، و من قائل: ما للنساء و هذا! حتى تحاصبوا [6] و تضاربوا بالتّعال؛ و دخل رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم على عثمان، فقالوا له: اتق الله و لا تعطل الحدّ، و اعزل أخاك عنهم؛ فعزله عنهم.

ضرب عثمان رجلا شهد عليه:

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المدائنيّ عن أبي محمد التّاجي عن مطر الورّاق قال:

قدم رجل المدينة فقال لعثمان رضي الله عنه: إني صليت الغداة خلف الوليد بن عقبة، فالتفت إلينا فقال:

أ أزيدكم؟ إني أجد اليوم نيشاطا، و أنا أشمّ منه رائحة الخمر؛ فضرب
عثمان الرجل؛ فقال الناس: عطلت الحدود و ضربت الشهود.

الوليد بن عقبة و عديّ بن حاتم:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثنا أبو بكر الباهليّ عن بعض من
حدّثه قال:

[1] كذا في ب، ح، س. و في سائر الأصول: «الأزدي» . و الأسد
«بإسكان السين» : لغة في الأزدي، يقال في أزد شنوءة: أسد شنوءة.

[2] يريد أن كل شهوده من اليمن، و قد جاء في «نهاية الأرب» (ح 2
ص 297) في الكلام على يمن: أن الأشعر و الأزدي قبيلتان منها، و قد جاء في
الطبري (ق 1 ص 2849) أن أبا مورّع و أبا زينب أزديان. و قد سقطت هذه
الجملة من ط، م، ء.

[3] المخرصة: ما اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة أو
عنزة أو عكازة و ما أشبهها، و قد يتكأ عليها.

[4] كذا في ط، م، ء. و اسمه: عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد
بن أبي وقاص، و هو ممن يروون عن الزهري. و في سائر الأصول:
«الرقاشي» . و لم نجد في المراجع التي بين أيدينا رقاشيا له رواية عن
الزهري.

[5] في جميع الأصول: «هذا» و هو تحريف لأن الفعل مؤنثة.

[6] في ط، م، ء: «تخاصموا» .

لما شهد على الوليد عند عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج و خرج معه قوم يعذرونه، فيهم عدي بن حاتم، فنزل الوليد يوما يسوق بهم، فقال يرتجز:

لا تحسبنا قد نسينا الإيجاف [1] # و التّشوات من عتيق أو صاف

و عزف قينات علينا عزاف

فقال عدي: إلى أين تذهب بنا! أقم!.

أخبار تتعلق بجلد الوليد الحد:

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال عرضت على المدائني عن قيس بن الربيع عن الأجلح [2] عن الشّعبي [3] عن جندب قال:

/كنت فيمن شهد على الوليد، فلما استتمنا عليه الشهادة حبسه عثمان، ثم ذكر باقي خبره و ضرب عليّ عليه السلام إيّاه، و قول الحسن: «ما لك و لهذا!» ، فزاد فيه: فقال له عليّ: لست إذا مسلما، أو من المسلمين.

حدّثنا إبراهيم بن عبد الله المخزومي قال حدّثنا سعيد بن محمد المخزومي قال حدّثنا ابن عليّة [4] قال حدّثنا سعيد بن أبي عروبة عن عبد الله الدّاناج [5] قال سمعت الحضيرين [6] بن المنذر أبا ساسان يحدث، و أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عليّة قال حدّثنا سعيد بن أبي عروبة قال حدّثنا عبد الله الدّاناج عن حضيرين أبي ساسان قال:

لما جيء بالوليد بن عقبة إلى عثمان بن عفّان و قد شهدوا عليه بشرب الخمر، قال لعليّ: دونك ابن عمك فأقم عليه الحدّ؛ فأمر به فجلد أربعين. ثم ذكر نحو هذا الحديث و قال فيه: فقال عليّ للحسن: بل ضعفت و وهنت و عجزت، قم يا عبد الله بن جعفر، فقام فجلده و عليّ يعدّ حتى بلغ أربعين، فقال عليّ: أمسك، /جلد رسول الله صلى الله عليه و سلم أربعين، و جلد أبو بكر أربعين، و أتمّها عمر ثمانين، و كلّ سنة.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد قال:

لما ضرب عثمان الوليد الحدّ قال: إنك لتضربني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عاما قابلا.

[1]الإيجاف: العنق في السير، و هو سير فسيح واسع للإبل.

[2]انظر الحاشية رقم 2 ص 125 من هذا الجزء.

[3]انظر الحاشية رقم 3 ص 125 من هذا الجزء.

[4]كذا في أكثر الأصول و هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، و عليه: أمّه، و هذا هو الصواب. و في ط، ء: «علبة» بالباء الموحدة.

(راجع «المؤتلف و المختلف» في أسماء نقلة الحديث ص 98، و «الطبقات» ق 2 > 7 ص 70، و «تهذيب التهذيب» في اسم سعيد بن أبي عروبة).

[5]كذا في ح، و هو عبد الله بن فيروز الداناج البصري. و الداناج (بفتح الدال و النون) : العالم، معرّب دانا. و هو ممن يروي عن حزين و يروي عنه سعيد بن أبي عروبة. و في سائر الأصول: «عبد الله الرياحي» و هو خطأ. (راجع «القاموس» مادة: دنج، و «الخلاصة في أسماء الرجال» ص 210 طبع بولاق، و «تهذيب التهذيب» في اسم عبد الله بن فيروز الداناج، و سعيد بن أبي عروبة، و حزين بن المنذر).

[6]هو حزين بن المنذر الرقاشي أبو ساسان صاحب راية عليّ يوم صفين، و لا يعرف حزين بالضاد المعجمة غيره (راجع «المؤتلف و المختلف» في أسماء نقلة الحديث ص 33، و «المشتمه» ص 166، و «تهذيب التهذيب» في اسم حزين، و «القاموس» مادة حزن).

كان أبو زيد من ندمائه و قال شعرا فيه لما عزل:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله قال أخبرني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال، و أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد، و أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدّثنا عبد الله بن مسلم، قالوا جميعا: كان أبو زيد الطائي نديما للوليد بن عقبة أباُم ولايته الكوفة، فلما شهد عليه بالسكر من الخمر و خرج من الكوفة قال أبو زيد-و اللفظ في القصيدة لليزيدي لأنها في روايته أتم:- /

من يرى العير لابن أروى[1] على ظهـ # ر المروري[2] حدّتهنّ عجال

مصعدات و البيت بيت أبي وهـ # ب خلاء تحنّ فيه الشّمال

يعرف الجاهل المضلل أن الـ # دهر فيه التّكراء و الزّلال

ليت شعري كذا كم العهد أم كا # نوا أناسا كمن يزول فزالوا

بعد ما تعلمين يا أمّ زيد # كان فيهم عزّ لنا و جمال

و وجوه بوّونا[3] مشرقات # و نوال إذا أريد التّوال

/أصبح البيت قد تبدّل بالـ # حيّ وجوها كأثها الأقتال[4]

كلّ شيء يحتال فيه الرجال # غير أن ليس للمنايا احتيال

و لعمر الإله لو كان للسيـ # ف مصال[5] أو للسان مقال

ما تناسيتك الصّفاء و لا الودّ # و لا حال دونك الأشغال

و لحزمت لحمك المتعضّى[6] # ضلّة[7] ضلّ حلمهم ما اغتالوا

قولهم شريك الحرام و قد كا # ن شراب سوى الحرام حلال

و أبي الطّاهر العداوة إلّا # شنانا و قول ما لا يقال

من رجال تقارضوا منكرات # لينالوا الذي أرادوا فنالوا

غير ما طالبين دخلا و لكن # قال دهر على أناس فمالوا

من يخنك الصّفاء أو يتبدّل # أو يزل مثل ما تزول الظّلال

[1] ابن أروى هو الوليد بن عقبة و أروى أمه و أم عثمان بن عفان كما تقدّم في أوّل الترجمة.

[2] سيشرح أبو الفرج هذه الكلمة في أوّل صفحة 135.

[3] في ط، ء، م: «تودّتا» بالتاء.

[4]الأقتال: الأعداء، جمع قتل (بالكسر) . و يطلق أيضا على الصديق، فهو من أسماء الأضداد.

[5]يقال: صال على قرنه يصول إذا وثب عليه و استطال.

[6]كذا في ط، ء. و المتعضي: المتقطع و المتفرّق. و في سائر الأصول: «المتقصى» ، و هو اسم مفعول من تقصى الشيء إذا طلبه و بالغ في البحث عنه.

[7]في ط، ء: «حدّة» .

[8]الذحل: الثأر.

فاعلمن أنّي أخوك أخوال # ودّ حياتي حتى تزول الجبال
ليس بخلا عليك عندي بمال # أبدا ما أقلّ نعلا قبال[1]
و لك النّصر باللسان و بال # كفّ إذا كان لليدين مصال

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء صوت

من يرى العير لابن أروى على ظهره # ر المروري حداتهنّ عجال
مصعدات و البيت بيت أبي وه # ب خلاء تحنّ فيه الشّمال

/عروضه من الخفيف. المروري: جمع مروراة و هي الصحراء. غنى
الدّلال فيه خفيف ثقيل[2] بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق و
غيره.

لام أهل الكوفة الوليد لأنه أنزل أبا زبيد بدار على باب المسجد:
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال: لما قدم
الوليد بن عقبة الكوفة قدم عليه أبو زبيد، فأنزله دار عقيل بن أبي طالب
على باب المسجد و هي دار القبطي[3]، فكان مما احتجّ به عليه أهل
الكوفة أنّ أبا زبيد كان يخرج إليه من داره يخترق المسجد و هو نصراني[4]
فيجعله طريقا.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد
الله[5] عن[6] أبي حبيب بن جبلة عن ابن الأعرابيّ: أن أبا زبيد وفد على
الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة، فأنزله الوليد دار لعقيل بن أبي
طالب على باب المسجد، فاستوهبها منه فوهبها له، فكان ذلك أوّل الطعن
عليه من أهل الكوفة؛ لأن أبا زبيد كان يخرج من منزله حتى يشقّ الجامع
إلى الوليد، فيسمر عنده و يشرب معه و يخرج فيشقّ المسجد و هو
سكران، فذلك نهبهم عليه.

[1] أقلّ الشيء: حمله و رفعه. و قبال النحل (بالكسر) : زمامها و هو
السير الذي يكون بين الإصبعين. و في «الشعر و الشعراء» (ص 168 طبع
أوروبا) : «ما أقلّ سيفا حمال» .

[2] في ط، ء، م: «خفيف ثقيل الأوّل بإطلاق... إلخ» .

[3] كذا في جميع الأصول.

[4] كذا في أكثر الأصول، و قد كان أبو زيد نصرانيا. و في م هنا: «و هو سكران» كما سيرد في جميع الأصول في الخبر الآتي.

[5] هو عبيد الله بن محمد اليزيدي.

[6] كذا في م. و في ط، ء: «عبيد الله عن ابن جبلة... إلخ». و في سائر الأصول: «عبيد الله بن أبي حبيب عن ابن الأعرابي». و لعل صحة هذا السند هي: «حدّثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي» لأن الذي عرفت روايته عن ابن الأعرابي و تسمى بابن حبيب هو أبو جعفر محمد بن حبيب، و قد قرأ على ابن الأعرابي «كتاب النوادر» و توفي سنة 245 هـ، و حبيب: أمه نسب إليها لعدم معرفة أبيه. و قد ورد هذا السند بعينه في صفحتي 133 و 137 و هو يؤيد صحة ما ذهبنا إليه. (راجع «إنباه الرواة» ق 1 ج 2 ص 92 و «معجم الأدباء» ج 6 ص 473 و «بغية الوعاة» ص 29 طبع مصر).

ولاه عمر صدقات بني تغلب ثم عزله:

قال: و قد كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وولي الوليد بن عقبة صدقات بني تغلب، فبلغه عنه بيت قاله و هو: إذا ما شددت الرأس مني بمشوذ[1] # فغيك[2] مني[3] تغلب ابنة وائل فعزله.

مدحه أبو زيد لأنه استخلص له إبلا أودعها بني تغلب:

و كان أبو زيد قد استودع بني كنانة بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب إبلا فلم يردها عليه حين طلبها، و كانت بنو تغلب أخوال أبي زيد، فوجد الوليد بني تغلب ظالمين لأبي زيد، فأخذ له الوليد بحقه؛ فقال يمدح الوليد: يا ليت شعري بأنباء أنبؤها # قد كان يعيا بها صدري و تقديري

عن امرئ ما يزده الله من شرف # أفرح به و مرئ غير مسرور

(يعني مرئ بن أوس بن حارثة بن لأم) . و هي طويلة يقول فيها: إن الوليد له عندي و حق له # و د الخليل و نصح غير مذخور

لقد رعاني و أدناني و أظهرني # على الأعادي بنصر غير تعذير[4]

فشدب[5] القوم عني غير مكترث # حتى تناهوا على رغم و تصغير

نفسى فداء أبي وهب و قل له # يا أم عمرو فحلّي اليوم أو سيري

و في رواية ابن حبيب: «يا أم زيد» ، يعني: يا أم أبي زيد.

أقطع أبا زيد أرضا واسعة فمدحه بشعر:

أخبرني محمد بن العباس عن عمه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان الوليد بن عقبة قد استعمل الربيع بن مرئ بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحمى فيما بين الجزيرة و ظهر الحيرة، فأجذبت الجزيرة، و كان أبو زيد في تغلب، فخرج بهم ليرعيهم؛ فأبى عليه الأوسي و قال: إن شئت أن أركبك وحدك فعلت و إلا فلا؛ فأتى أبو زيد الوليد بن عقبة، فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة و جعله له حمى، و أخذها من الآخر. هكذا روى ابن حبيب. و أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: كانت الجينة[6] في يد مرئ بن أوس، فلما قدم الوليد بن عقبة الكوفة انتزعها منه و دفعها [1]المشوذ: العمامة.

- [2] يريد غيالك ما أطوله مني. (راجع «اللسان» مادة شوذ) .
- [3] كذا في ب، ح، س و «اللسان» (مادة شوذ) و في سائر الأصول:
«عني» .
- [4] كذا في ط، ء، م. و التعذير في الأمر: التقصير فيه. و في سائر
الأصول: «تقدير» .
- [5] شذب: طرد و دفع.
- [6] الجنيتة: علم على مواضع كثيرة. (انظر «معجم البلدان» لياقوت
في الكلام على الجنيتة) .

إلى أبي زبيد. و القول الأوّل أصح، و شعر أبي زبيد يدلّ عليه في قوله
في الوليد بن عقبة يمدحه: لعمر أبيك يا ابن أبي مرّيّ # لغيرك من أباح
لها[1]الديّارا

أباح لها[1]أبارق[2]ذات نور # ترعى القفّ[3]منها و العرارا[4]

بحمد الله ثم فتى قريش # أبي وهب غدت بطنا غزارا[5]

أباح لها و لا يحمى عليها # إذا ما كنتم سنة جزارا

يريد جزرا من الجذب و الشدّة.

/

فتى طالت يده إلى المعالي # و طحطحتا[6]المقطّعة[7]القصارا

و هي أبيات.

نزع منه سعيد بن العاص هذه الأرض فقال شعرا:

قال[8]عمر بن شبة في خبره خاصّة: فلما عزل الوليد و وليها سعيد
انتزعها منه/ و أخرجها من يده؛ فقال: و لقد متّ غير أنّي حيّ # يوم بانث
بوّدها خنساء

من بني عامر لها شقّ نفسي # قسمة مثل ما يشقّ الرداء

أشربت لون صفرة في بياض # و هي في ذاك لدنة غيداء[9]

كلّ عين ممّن يراها من النّاء # س إليها مديمة حواء

فانتهوا إن للشدائد أهلا # و ذروا ما تزين الأهواء

ليت شعري و أين منّي ليت # إنّ ليتا و إنّ لوّا عناء

أيّ ساع سعى ليقطع شرّبي # حين لاحت للصباح الجوزاء[10]

[1]في ط، ء، م: «لنا» .

[2]الأبارق: جمع الأبرق كسر تكسير الأسماء لغلبته. و الأبرق: البرقة
إذا اتسعت و هي أرض غليظة فيها حجارة و رمل و طين مختلطة، و تنبت
أسنادها و ظهورها البقل و الشجر نباتا كثيرا يكون إلى جنبها الروض أحيانا.

[3]القف (بفتح القاف) : ما يبس من البقول و تنثر حبه و ورقه فالإبل

ترعاه و تسمن عليه.

[4] كذا في ح، م. و العرار (بالفتح) : نبت أصفر طيب الريح، و قيل: هو بهار البر، واحده عرارة. و في سائر الأصول: «القفارا» .

و يناسب هذه الرواية: القف (بضم القاف) : و هو ما غلظ من الأرض و ارتفع، و قيل: يكون في القف رياض و قيعان.

[5] غزارا: جمع غزيرة، و هي من الإبل الكثيرة اللبن.

[6] كذا في ط، ء. و طحطح الرجل ماله: فرقه. و في ب، س: «طحطحن» .

[7] المقطعة: الثياب القصار أو هي برود عليها وشي.

[8] كذا في ح، م. و في سائر الأصول:

«و قال... إلخ»

[9] اللدنة: الناعمة. و الغيداء: المتثنية من النعمة و هي أيضا الطويلة العنق.

[10] الشرب (بالكسر) : المورد. و الصابح: الذي يصبح إبله الماء أي يسقيها صباحا. و الجوزاء: نجم يقال: إنه يعترض في جوز السماء أي وسطها، و إذا طلعت الجوزاء اشتدّ الحرّ، و العرب تقول: إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء.

و استظلّ [1] العصفور كرها مع الـ # ضبّ و أوفى في عوده الحرباء
 و نفى الجندب الحضا بكراعيـ # ه و أدكت نيرانها المعزاء [2]
 من سموم كأنها حرّ نار # سفعتها [3] ظهيرة غزّاء
 / و إذا أهل [4] بلدة أنكروني # عرفتنني الدّويّة [5] الملساء
 عرفت ناقتي الشمال مئّي # فهي إلّا بغامها [6] خرساء
 عرفت ليها الطويل و ليلي # إنّ ذا الليل [7] للعيون غطاء
نسبة ما يغني فيه من هذا الشعر
صوت

أيّ ساع سعى ليقطع شرّبي # حين لاحت للصباح الجوزاء
 و استكنّ العصفور كرها مع الـ # ضبّ و أوفى في عوده الحرباء
 و إذا الدار أهلها أنكروني # عرفتنني الدّويّة الملساء
 عرفت ناقتي الشمال مئّي # فهي إلّا بغامها خرساء
 عرفت ليها الطويل و ليلي # إنّ ذا الليل للعيون غطاء

عروضه من الخفيف. غناه ابن سريج خفيف رمل مطلق في مجرى
 البنصر عن إسحاق، و غنّى داود بن العباس الهاشمي في الخامس ثم الثالث
 خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو.

شعر أبي زبيد في تشوّقه للكوفة:

قال [8] ابن حبيب في خبره: و قال أبو زبيد يتشوّق إلى الوليد لمّا خرج
 عن الكوفة: /

لعمري لئن أمسى الوليد ببلدة # سواي [9] لقد أمسيت للدهر معورا [10]

- [1] ستأتي رواية فيه في الصفحة التالية: «و استكن» .
- [2] الجندب: الجراد الصغير. و كراعا الجندب: رجلاه. و المعزاء: الأرض
 الحزفة الغليظة ذات الحجارة. و قيل: هي الصحراء فيها إشراف و غلظ.
- [3] يريد أنها أثرت فيها بحرارتها.
- [4] سترد فيه رواية أخرى بعد أسطر: «و إذا الدار أهلها أنكروني» .
- [5] الدويّة: الفلاة، سميت بذلك لما يسمع فيها من دويّ.

[6] بغم الناقة: صوت لا تفصح به، و قيل: إذا قطعت الحنين و لم
تمده.

[7] في م و «الخرانة» للبغداديّ (ج 3 ص 283) : «النوم» .

[8] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «و قال» .

[9] في ح: «سوى تا» بإضافة سوى إلى اسم الإشارة و هو تا. أي
سوى هذه البلدة.

[10] كذا في أكثر الأصول. و المعور: الذي لا حافظ له. و في ح، م:
«مثأرا» أي محلا لثأره. -

[قال ابن حبي: «و يروي سويّ لقد...» و هي لغة طيء] [1].

خلا أنّ رزق الله غاد و رائح # و أنّي له راج و إن سرت أشهراً

و كان هو الحصن الذي ليس مسلمي # إذا أنا بالثكراء هيجت [2] معشراً

إذا صادفوا دوني الوليد كأنما # يرون بوادي ذي [3] حماس مزعفراً [4]

خضيب بنان ما يزال براكب # يخبّ و ضاحي جلده قد تفسّراً [5]

و هي طويلة.

افتخر الوليد على عليّ بن أبي طالب فأجابته و أسكته:

حدّثني إسحاق بن بنان الأنماطيّ قال حدّثنا حبيش بن مبشر قال حدّثنا عبيد الله [6] بن موسى قال حدّثنا ابن أبي ليلى عن الحكم [7] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس/قال: قال الوليد بن عقبة لعليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أنا أحدّ منك سنانا، و أبسط منك لسانا، و أملاً للكتيبة طعاناً؛ فقال له عليّ رضي الله تعالى عنه: اسكت! فإنما أنت فاسق؛ فنزل القرآن: **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ .**

أرسله النبيّ صلى الله عليه و سلّم على صدقات بني المصطلق فأخبره بردتهم فأرسل خالدًا فكذبه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن حاتم قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا شيبان [8] عن قتادة [9] في قوله تعالى: **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ** قال: هذا ابن أبي معيط الوليد بن عقبة، بعثه النبيّ صلى الله عليه و سلّم إلى بني المصطلق مصدّقاً، فلما رأوه أقبلوا نحوه فهاهم؛ فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه و سلّم فأخبره أنهم قد ارتدّوا عن الإسلام؛ فبعث النبيّ صلى الله عليه و سلّم خالد بن الوليد و أمره أن يتتّب و لا يعجل؛ فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونهم؛ فلما جاءوه أخبروه بأنهم متمسّكون بالإسلام و سمعوا أذانهم و صلّاتهم؛ فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه، فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه و سلّم فأخبره.

[1] زيادة عن م. يشير إلى جواز قلب ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم. و قد وردت هذه الزيادة في حـ أيضا باختلاف في كلمة سوى فكتبت فيها: «سوى تا» .

[2] في حـ: «هايجت» .

[3] ذو حماس: موضع تلقاء عرعر، و قيل: هو مأسدة. (راجع «معجم ما استعجم» ح 1 ص 286) .

[4] المزعفر: الأسد الورد، لأنه ورد اللون، و قيل: لما عليه من أثر الدم.

[5] في ط، ء، م: «تسيرا» و هو بمعنى تقشر.

[6] كذا في أكثر الأصول، و هو عبيد الله بن موسى بن بازام العبسي أحد الذين يروون عن ابن أبي ليلى محمد بن عبد الرحمن. و في م: «عبد الله»، و هو تحريف. (راجع الطبري ق 1 ص 289، و «تهذيب التهذيب» في اسم محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى) .

[7] هو الحكم بن عتيبة الكندي أبو محمد كما في «تهذيب التهذيب» .

[8] هو شيبان بن عبد الرحمن التميمي كما في «تهذيب التهذيب» .

[9] هو قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسي كما في «تهذيب التهذيب» .

شكته زوجه إلى النبي صلى الله عليه و سلم فأجارها منه فأخفر جواره فدعا عليه:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبيد الله بن موسى قال حدثنا نعيم بن حكيم عن أبي مريم [1] عن علي [2]:

أن امرأة الوليد بن عقبة جاءت إلى النبي صلى الله عليه و سلم تشتكى الوليد و قالت: إنه يضربها؛ فقال لها: «ارجعي و قولي إن رسول الله-صلى الله عليه و سلم- قد أجارني» ، فانطلقت فمكثت ساعة، ثم رجعت فقالت: ما أفلح عني؛ فقطع رسول الله صلى الله عليه و سلم هدبة من ثوبه ثم قال: «امضي بهذا ثم قولي إن رسول الله-صلى الله عليه و سلم- أجارني» ؛ فانطلقت فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت:

يا رسول الله ما زادني إلا ضربا؛ فرفع يديه و قال: «اللهم عليك الوليد» مرّتين أو ثلاثا.

مدح النبي صلى الله عليه و سلم على رؤوس الصبيان يوم الفتح و لم يمسه:

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة، و حدثني أبو عبيد الصيرفي قال حدثني الفضل بن الحسن البصري [3] قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أيوب بن عمر قال/حدثنا عمر بن أيوب قال حدثنا جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج عن أبي موسى [4] عبد الله الهمداني:

أن الوليد بن عقبة قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة و يمسح على رؤوسهم، فجيء بي إليه و أنا مخلوق [5] فلم يمسنني، و ما منعه إلا أن أمي خلقتني بخلوق فلم يمسنني من أجل الخلق.

كان عنده كاهن فقتله جندب بن كعب خشية الفتنة:

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا خلف بن الوليد قال حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن [6]:

أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يريه كتيبتين تقتتلان، فتحمل إحداها على الأخرى فتهمها؛ فقال له الساحر: أيسرك أن أريك هذه المنهزمة تغلب الغالبة فتهمها؟ قال: نعم؛ و أخبر جندب بذلك، فاشتمل على السيف ثم جاء فقال: أفرجوا، فضربه حتى قتله، ففرغ الناس و خرجوا؛

فقال: يا أيها الناس لا عليكم، إنما قتلت هذا الساحر لئلا يفتنكم في دينكم؛ فحبسه قليلا ثم تركه.

قتل دينار بن دينار لإطلاقه رجلا أمر بحبسه:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا عمر بن سعيد الدمشقيّ، و حدّثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزّهرّيّ [7]:

[1] هو أبو مريم الثقفي كما في «تهذيب التهذيب» .

[2] هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[3] كذا في أكثر الأصول. و في ط، ء: «المصري» .

[4] في ط، ء، م: «عن أبي عبد الله الهمداني عن أبي موسى» و في سائر الأصول. «عن أبي عبيد الله الهمداني عن أبي موسى» . و الصواب ما أثبتناه عن «تهذيب التهذيب» في اسم ثابت بن الحجاج.

[5] المخلوق: المطيب بالخلوق، و هو ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران.

[6] هو الحسن البصري.

[7] هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

أنّ رجلا من الأنصار نظر إلى رجل يستعلن بالسّحر، فقال: أو إن السّحر ليعلن به في دين محمد! فقتله؛ فأتى به الوليد بن عقبة فحبسه؛ فقال له دينار بن دينار: فيم حبست؟ فأخبره فخلّى سبيله؛ فأرسل/الوليد إلى دينار فقتله.

جندب بن كعب الأسدي و شيء من سيرته:

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا موسى بن إسماعيل قال حدّثنا حمّاد بن سلمة قال حدّثنا أبو عمران الجوني:

أنّ ساحرا كان عند الوليد بن عقبة، فجعل يدخل في جوف بقرة و يخرج منه؛ فرأه جندب، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف، فلما دخل الساحر في جوف البقرة، قال: أتأتون السّحر و أنتم تبصرون، ثم ضرب وسط البقرة فقطعها و قطع الساحر في البقرة فانذعر[1]الناس، فسجنه الوليد و كتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه؛ و كان [السجّان][2]يفتح له الباب بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجن.

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا حجاج بن نصير قال حدّثنا قرّة[3]عن محمد بن سيرين قال:

انطلق بجندب بن كعب إلى سجن خارج من الكوفة و على السجن رجل نصرانيّ، فلما رأى جندب بن كعب يصوم النهار و يقوم الليل، قال النصرانيّ: و الله إنّ قوما هذا شرّهم لقوم صدق؛ فوكل بالسجن رجلا و دخل الكوفة فسأل عن أفضل أهل الكوفة، فقالوا: الأشعث بن قيس؛ فاستضافه، فجعل يرى أبا محمد ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه؛ فخرج من عنده فسأل: أيّ أهل الكوفة أفضل؟ فقالوا: جرب بن عبد الله؛ فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه، فاستقبل القبلة ثم قال: ربّي ربّ جندب و ديني على دين جندب، و أسلم.

حدّثني عمي الحسن بن محمد قال حدّثنا الخزاز[4]عن المدائنيّ عن عليّ بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن الزّهريّ و غيره، قالوا:

/لما انصرف رسول الله صلّى الله عليه و سلّم من غزوة بني المصطلق، نزل رجل فساق بالقوم و رجز، ثم نزل آخر فساق بالقوم و رجز، ثم بدا لرسول الله صلّى الله عليه و سلّم أن يواسي أصحابه، فنزل فجعل يقول[5]: «جندب و ما جندب و الأقطع[6]الخير زيد»؛ فدنا منه

أصحابه و قالوا: يا رسول الله ما ينفعنا مشيك مخافة أن تلسعك دابة الأرض أو تصيبك نكبة؛ فركب و دنوا منه فقالوا: لقد قلت قولا ما ندري ما هو؟ قال: «و ما ذاك» ؟: قالوا: قولك «جندب و ما جندب و الأقطع الخير زيد» ؛ فقال: «رجلان يكونان في هذه الأمة يضرب أحدهما ضربة يفرق بين الحق و الباطل و تقطع يد الآخر في سبيل الله فيتبع الله آخر جسده بأوله» ؛ فكان زيد بن صوحان، قطعت يده يوم جلولاء[7] و قتل يوم الجمل مع عليّ. و أما [1] في ح، ط، ء: «فابذعّر» . و ابذعّر الناس: تفرقوا.

[2]زيادة عن س.

[3]هو قرّة بن خالد السدوسي. (راجع «تهذيب التهذيب» في اسم قرّة و حجاج بن نصير) .

[4]هو أحمد بن الحارث الخزاز الذي تقدّم ذكره كثيرا في «رجال السنن» .

[5]في س: «و جعل يقول رجزا و جعل يقول إلخ» .

[6]الأقطع: المقطوع اليد.

[7]جلولاء: اسم لبليدة و نهر عليه عدّة قرى من سواد بغداد، في طريق خراسان من بغداد. و هناك كانت وقعة جلولاء المشهورة التي كانت للمسلمين على الفرس، و بين جلولاء و بين مدينة خانقين سبعة فراسخ.

جندب فإنه رجل دخل على الوليد بن عقبة و عنده ساحر يكنى أبا شيبان يأخذ أعين الناس فيخرج مصارين بطنه ثم يعيدها فيه؛ فجاء من خلفه فقتله، و قال: العن وليدا و أبا شيبان # و ابن حبيش راكب الشيطان

رسول فرعون إلى هامان

ولاية سعيد بن العاص الكوفة بعد الوليد بن عقبة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي [1] قال حدثني ابن وهب [2] عن يونس عن الزهري قال: /نزع عثمان بن عفان الوليد بن عقبة عن الكوفة و أمر عليها سعيد بن العاص. قال أبو زيد: فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا سعيد بن جامع الهجيمي قال: لما أقبل سعيد من المدينة عامدا للكوفة بعد ما خرج واليا لعثمان جعل يرتجز في طريقه: ويل نسيات [3] العراق مني # كأنني سمع [4] من جن

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني المدائني عن أبي علقمة عن سعيد بن أشوع [5] قال قال عدي بن حاتم: قدم سعيد بن العاص الكوفة فقال: اغسلوا هذا المنبر، فإن الوليد كان رجسا نجسا؛ فلم يصعده حتى غسل، عيبا على الوليد. و كان الوليد أسن منه و أسخى نفسا و ألين جانبا و أرضى عندهم، فقال بعض شعرائهم: يا ويلنا قد ذهب الوليد # و جاءنا من بعده سعيد

ينقص في الصّاع و لا يزيد

و قال آخر:

فررت من الوليد إلى سعيد # كأهل الحجر [6] إذ جزعوا فباروا

يلينا من قريش كلّ عام # أمير محدث أو مستشار

لنا نار تحرقنا [7] فنخشى # و ليس لهم فلا يخشون نار

[1] قد ورد هذا الاسم في جميع الأصول مضطربا و الصواب ما أثبتناه. راجع «تهذيب التهذيب» في اسم إبراهيم بن المنذر، و عبد الله بن وهب.

[2] هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي شيخ إبراهيم بن المنذر و أحد الذين يروون عن يونس بن يزيد. و قد ذكر في جميع الأصول: «أبو وهب» و هو تحريف. (راجع «تهذيب» في ترجمة إبراهيم بن المنذر، و عبد الله بن وهب، و يونس بن يزيد) .

[3] في م: «ويل لشبان» .

[4] السمعع: السريع الخفيف و الخبيث اللبق.

[5] كذا في ح، و هو سعيد بن عمرو بن أشوع الهمداني الكوفي القاضي. و في سائر الأصول: «سعيد بن أسرع» و هو تحريف. (راجع «القاموس» و «شرحه» مادة شوع و «تهذيب التهذيب» في سعيد بن أشوع) .

[6] الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة و الشام. (راجع «معجم ياقوت» ح 2 ص 208) .

[7] في ح: «تخوفها» .

زيارة الوليد الكوفة بعد عزله و ما حصل بيته و بين أهلها:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المدائني قال: قدم الوليد بن عقبة الكوفة زائراً للمغيرة بن شعبة، فأتاه أشراف أهل الكوفة يسلمون عليه، فقالوا: و الله ما رأينا بعدك مثلك؛ فقال: أخيراً أم شيراً؟ فقالوا: بل خيراً؛ قال: و لكنّي و الله ما رأيت بعدكم شيراً منكم؛ فأعادوا الثناء عليه؛ فقال: بعض ما تتنون به، فو الله إن بغضكم لتلف، و إن حبّكم لصلف.

ما حصل بينه و بين قبيصة بن جابر بحضرة معاوية:

قال أبو زيد: و ذكروا أن قبيصة بن جابر كان ممن كثر [1] على الوليد؛ فقال معاوية يوماً و الوليد و قبيصة عنده: يا قبيصة، ما كان شأنك و شأن الوليد؟ فقال: خيراً يا أمير المؤمنين، في أوّل وصل الرّحم و أحسن الكلام فلا تسألنّ عن الشكر و حسن الثناء، ثم غضب على الناس و غضبوا عليه و كُتِبَ منهم، فإمّا ظالمون فنستغفر الله، و إمّا مظلومون فغفر الله له، و خذ في غير هذا يا أمير المؤمنين، فإنّ الحديث ينسي القديم؛ قال: و لم؟ فو الله لقد أحسن السيرة و بسط الخير و كفّ الشر؛ قال: فأنت أقدر على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل؛ قال: اسكت لا سكت، فسكت و سكت القوم؛ فقال له: مالك لا تتحدّث؟ قال: نهيتني عما كنت أحبّ فسكتّ عما أكره.

دفن هو و أبو زبيد في موضع واحد و شعر أشجع السلمي في ذلك:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المدائني قال:

مات الوليد بن عقبة فويق الرّقة، و مات أبو زبيد، فدفنا جميعاً في موضع واحد. فقال في ذلك أشجع السلمي و قد مرّ بقبريهما: مررت على عظام أبي زبيد # و قد لاحت ببلقعة صلود [2]

و كان له الوليد نديم صدق # فنادم قبره قبر الوليد

/و ما أدري بمن تبتدا المنايا # بأحمد [3] أو بأشجع أو بزبيد

خرج غازيا للروم و قال شعرا:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال: خرج الوليد بن عقبة غازياً للروم و على مقدّمته عتبة بن فرقد، فلقية الروم فقاتلوه؛ فقال له رجل من العرب نصراني: لست على دينكم و لكنّي

أنصحكم للنسب، فالقوم مقاتلوكم إلى نصف/النهار، فإن رأوكم ضعفاء أفنوكم [1]أي أكثر القول في عيبه و التشنيع عليه.

[2]البلقع و البلقعة: الأرض القفر. و الصلود من الأرض: الغليظة الصلبة التي لا تنبت شيئاً.

[3]كذا ورد فيما سيأتي في نسب أشجع و أخباره في الجزء السابع عشر من «الأغاني» طبع بولاق. و أحمد و يزيد هما أخوا أشجع، و قد ماتوا جميعاً كما رتبوا في هذا الشعر، أولهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد. و أحمد هذا كما قال الصولي: «شاعر قليل المدح للناس، يتغزل في شعره و يذهب مذهب ابن أبي أمية، و كان أسنّ من أشجع». و في جميع الأصول هنا: «بحمزة» موضع «بأحمد» .

و إن صبرتم هربوا و تركوكم؛ فقال سلمان [1] بن ربيعة: يا معشر المسلمين، ما عذرکم عند الله غدا إن أصيب عتبة بن فرقد و أصحابه و لم يعنهم أحد منكم!؛ فركب معه ثلاثة آلاف رجل على البغال يجنبون [2] الخيل، فلقوا عتبة و أصحابه، فقاتلوا معهم قتالا شديدا حتى هزم الله الروم. فقال الوليد بن عقبة: أتاني من الفج [3] الذي كنت آمنا # بقيّة شدّاذ [4] من الخيل ظلع [5]

عليها العبيد يضربون جنوبها # و نازل منا كلّ خرق سميذع [6]

فإني زعيم أن تصيح نساؤهم # صياح دجاج القرية المتورّع [7]

مدحه الحطيئة و كذبه الحليس النهديّ:

و قال الحطيئة يمدح الوليد بذلك، و كان قد وصله و كان الوليد جوادا: أرى [8] لابن أروى خلتين اصطفاهما # قتال إذا يلقي العدو و نائله

فتى يملأ الشّيزى [9] و يروى بكفه # سنان الرّدينيّ الأصمّ و عامله [10]

يؤمّ العدو حيث كان بجحفل # يصمّ السميع حرسه و صواهله

إذا حان منه منزل الليل أوقدت # لأخراه في أعلى اليفاع [11] أوائله

نفيت [12] الجعاد [13] البيض عن حرّ دارهم # فلم يبق إلا حيّة أنت قاتله

[1] كذا في ط، ء: و هو سلمان بن ربيعة الباهلي. و في سائر الأصول: «سليمان»، و هو تحريف. (راجع الطبري قسم 1 ص 2805، و «المعارف» لابن قتيبة ص 221).

[2] جنب الدابة: قادها إلى جنبه.

[3] الفج: الطريق الواسع بين جبلين و هو أوسع من الشعب.

[4] الشذاذ: القلال و المتفرّقون.

[5] ظلع: جمع ظالع و هو الذي في مشيته غمز يشبه العرج.

[6] الخرق من الفتیان: الطريف في سماحة و نجدة. و السميذع: السيد الكريم الموطأ الأكناف.

[7] المتورّع: المتفرّق.

[8] ورد هذا البيت في ديوانه المخطوط رواية أبي سعيد السكري المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 3 أدب ش و ديوانه المطبوع

بأوروبا المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 1189 أدب هكذا: «أبي لابن أروى خلتان...». و ورد فيهما عقب هذا البيت ما نصه: «أروى بنت كريب بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس و هي أم عثمان بن عفان رحمه الله تعالى و أمها أم حكيم بنت عبد المطلب البيضاء توأمة عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان يقال لها: الحصان لا تكلم و الصناع لا تعلم» .

[9]الشيبي: خشب أسود تعمل منه القصاع، و يطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان: شيزي. و قد ورد في ديوانه المخطوط و المطبوع ما نصه: «قال الأصمعي: كان يرى أنها من شيز لسوادها و إنما هي جوز قد اسودت من الدسم» .

[10]الرديني: الرمح نسبة إلى ردينة، و هي امرأة رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخط (موضع) فإذا غاب باعت ردينة مكانه، و كانا يثقان الرماح، فالردينية منسوبة إلى ردينة، و السمهرية منسوبة إلى سمهر. و عامل الرمح: صدره.

[11]اليفاع كسحاب: التل.

[12]رواية البيت في ديوانه المخطوط و المطبوع هكذا:

نفيت الجعاد الغر من عقر دارهم

[13]الجعاد: جمع جعد، يقال: رجل جعد القفا إذا كان لئيم الحسب، و يقال: الجعد: البخيل و الكريم أيضا فهو من أسماء الأضداد، و يريد بالجعاد البيض: الروم.

فقال الحليس بن نعيم النهديّ يكذب الحطيئة:

و أبلغ أبا وهب إذا ما لقيته # فقد حاربتك الروم فيمن تحارب
و في الأرض حيات و أسد كثيرة # عدوّ و لكنّ الحطيئة كاذب

بعض شعره في مقتل عثمان لما أخذ عليّ أموال الخلافة من بيته:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا عليّ بن محمد عن أبي مخنف عن خالد بن قطن عن أبيه قال: لمّا قتل عثمان أرسل عليّ فأخذ كلّ ما كان في داره من السلاح و إبلا من إبل الصدقة، فلذلك قال الوليد بن عقبة: بني هاشم ردّوا سلاح ابن أختكم # و لا تنهبوه لا تحلّ مناهبه

و يروى:

و لا تهبوه لا تحلّ مواهبه

بني هاشم كيف الهوادة بيننا # و عند عليّ سيفه و نجائه
قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه # كما فعلت يوما بكسرى مراربه

هكذا في الخبر:

و لا تهبوه لا تحلّ مواهبه

أخبره بجاد مولى عثمان بمقتل عثمان فقال شعرا:
أخبرني الطّوسيّ قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عبد الله بن إسحاق الجعفريّ: أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط لقي بجادا مولى عثمان، فأخبره أنّ عثمان قد قتل؛ فقال: ليت أنّي هلكت قبل حديث # سلّ جسمي و ربع منه فؤادي

يوم لاقيت بالبلاط [1] بجادا # ليت أنّي هلكت قبل بجاد

/و قد زيد في هذا الشعر بيت و نقص منه آخر مكانه و غنّي فيه، و هو:

صوت

طال ليلي و ملّني عؤادي # و تجافى عن الضلوع مهادي

من حديث نمي إليّ فما ير # فأدعني و لا أحسن رقادي

يوم لاقيت بالبلاط بجادا # ليت أنّي هلكت قبل بجاد

و بنفسي التي أحبّ و أهلي # و بمالي و طارفي و تلادي

[1]البلاط: موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم و بين سوق المدينة.

قلت لا تغضبي فذلك قولي # بلساني و ما يجنّ فؤادي

عُنِّي فيه ابن عبّاد ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر في الأوّل و الرابع من الأبيات، و ذكر عمرو بن بانة أنه لابن محرز، و من الناس من ينسبه إلى ابن سريج في هذه الطريقة في الأوّل و الثاني، و ذكر ابن المكيّ أنه للغريض ثاني قيل بالخنصر في مجرى البنصر، و وافقه يونس. و ذكر أنّ في هذا الشعر لابن سريج و الغريض لحنين في الخمسة الأبيات. و ذكر حبش أنّ فيها لمعبد ثقيلًا أوّل بالوسطى، و لعبد الله بن العباس الرّبيعيّ ثاني قيل بالوسطى، و للغريض خفيف رمل بالوسطى، و لسليم ثقيل أوّل بالوسطى. و ذكر أحمد بن عبيد أنّ فيه رملا لابن جامع في البيت الأوّل وحده، و أنّ فيه هزجا لا يعرف صانعه.

غنت جارية للأمين من شعره فتطير:

أخبرني أحمد بن جعفر لحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني أبي قال: أرسل إليّ محمد بن زبيدة في ليلة من ليالي الصيف مقمرة: يا عم إنّ الجرب بيني و بين طاهر بن الحسين قد سكنت، فصر إليّ، فإني إليك مشتاق؛ فجئته/و قد بسط له على سطح زبيدة، و عنده سليمان بن جعفر عليه كساء روذباريّ [1] و قلنسوة طويلة، و جواربه بين يديه، و ضعف» جاريتة عنده، فقال لها: غنّيني فقد سررت بعمومتي؛ فاندفعت تغنّيه: هم قتلوه كي يكونوا مكانه # كما فعلت يوما بكسرى مراربه

بني هاشم كيف التواصل بيننا # و عند أخيه سيفه و نجائه

هكذا غنّت؛ و إنما هو:

و عند عليّ سيفه و نجائه

فغضب و تطير و قال لها: ما قصّتك ويحك! انثنى و انتهى و غنّيني ما يسرّني! فاندفعت و غنّت: هذا مقام مطرد # هدمت منازل و دوره

فازداد تطيرًا، ثم قال لها: ويحك! انتهى، غنّيني غير هذا، فغنّت: كليب لعمرى كان أكثر ناصرا # و أيسر جرما منك ضجّ بالدم

فقال لها: قومي إلى لعنة الله! فوثبت و كان بين يديه قرح بلور و كان لحبه إياه سمّاه باسمه محمدا، فأصابه طرف ذيلها فسقط على بعض الصواني فانكسر و تفتّت؛ فأقبل عليّ و قال: أرى و الله يا عمّ أنّ هذا آخر أيامنا؛ فقلت: كلا! بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين و يسرّك؛ قال: و دجلة و

اللّٰه يا بنيّ هادئة ما فيها صوت مجداف و لا أحد يتحرّك و هي كالطّست هادئة، فسمعت هاتفا يهتف: «قضي الأمر الذي فيه تستفتيان» . قال: فقال لي: أسمع ما سمعت يا عمّ؟ فقلت: و ما هو؟ و قد و الله سمعته-فقال: الصوت الذي جاء الساعة من دجلة؛ فقلت: ما سمعت شيئاً، / و ما هذا إلّا توهم؛ فإذا الصوت قد عاد يقول: «قضي الأمر الذي فيه تستفتيان» . فقال: انصرف يا عمّ بيّنك الله بخير، فمجال ألا تكون الآن قد سمعت ما سمعت؛ فانصرفت، و كان/آخر العهد به.

[1]روزباري: نسبة إلى روزبار و هو اسم يطلق على مواضع كثيرة في أصبهان و بغداد و غيرهما.

وفد على معاوية فخدعه عن مال له ثم استجدى معاوية فوبخه و شعره في ذلك وصلة معاوية له:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و محمد بن يحيى الصّوليّ و اللفظ له، قالا حدّثنا محمد بن زكريا الغلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الصّحّاح عن هشام بن محمد عن أبيه، قال محمد: و حدّثنا عبد الله [1] بن محمد و محمد بن عبد الرحمن جميعا عن مطرّف بن عبد الله عن عيسى بن يزيد، قال: وفد الوليد بن عقبة، و كان جوادا، على معاوية؛ ف قيل له: هذا الوليد بن عقبة بالباب؛ فقال: و الله ليرجعن [2] معطيا غير معطى، فإنه الآن قد أتانا يقول: عليّ دين و عليّ كذا و كذا؛ يا غلام ائذن له، فأذن له؛ فسأله و تحدّث معه، ثم قال: أما و الله إن كُنّا لنحبّ إيثار [3] مالك بالوادي و قد أعجب أمير المؤمنين، فإن رأيت أن تهيه ليزيد فعلت؛ فقال الوليد: هو ليزيد، ثم خرج و جعل يختلف إلى معاوية أياما، فقال له يوما: انظر يا أمير المؤمنين في شأني، فإنّ عليّ مئونة و قد أرهقني دين؛ فقال له معاوية: أ لا تستحي لحسبك و نسبك! تأخذ ما تأخذ فتبذره ثم لا تنفك تشكو دينا!؛ فقال له الوليد: أ فعل، ثم انطلق مكانه [4] فصار إلى الجزيرة، فقال: فإذا سئلت تقول لا # و إذا سألت تقول هات

تأبى فعال الخير لا # تروي و أنت على الفرات

أ فلا تميل إلى نعم # أو ترك لا حتى الممات

/قال: فبلغ معاوية مقدمه الجزيرة، فخافه و كتب إليه: أن أقبل إليّ؛ فكتب إليه: أعفّ و أستحيي [5] كما قد أمرتني # فأعط سواي ما بدا لك و انحل

سأحدو ركابي عنك إنّ عزيمتي # إذا نابني أمر كسلّة منصل [6]

و إني امرؤ للرأي مئى تطرّف # و ليس شبا قفل عليّ بمقفل

و رحل إلى الحجاز، فبعث إليه معاوية بجائزة.

[انقضت أخبار الوليد بن عقبة] [7].

صوت من المائة المختارة

ربما نّهني الإخ # وان و الليل بهيم

حين غارت و تدلّت # في مهاويها النجوم

[1] في حـ: «عبيد الله» .

- [2] في م: «مغيظا» .
- [3] في ط، ء، م: «إتيان» .
- [4] يريد أنه انطلق من فوره.
- [5] كذا في ح، م. و في باقي الأصول: «و أستغني» .
- [6] المنصل (بضمين و كمكرم) : السيف.
- [7] زيادة عن م.

و نعاس الليل في عيد # ني كالتأوي مقيم
 للتي تعصر لماً # أينعت منها الكروم
 أنا بالريّ مقيم # في قرى الريّ أهيم
 ما أراني عن قرى الـ # ريّ مدى دهري أريم

الشعر و الغناء لإبراهيم الموصليّ. و لحنه المختار ثقيل أوّل بإطلاق
 الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.
 و لإبراهيم أيضا فيه خفيف ثقيل، و قيل: إنه لابنه إسحاق. و فيه لأحمد
 بن يحيى المكيّ ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ و أحمد بن عبيد.

7-نسب إبراهيم الموصلي و أخباره

نسب إبراهيم الموصلي و نشأته:

هو-فيما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن حماد عن أبيه، و أخبرني به عبد الله بن الربيع عن وسواسة، و هو أحمد[1] بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي عن أبيه عن جدّه و عن حماد عن أبيه- إبراهيم بن ميمون أو ابن ماهان بن بهمن[2] بن نسل، و كان سبب نسبه إلى ميمون أنه كتب إلى صديق له فعنون كتابه: من إبراهيم بن ماهان؛ فقال له بعض فتيان الكوفة: أ ما تستحي من هذا الاسم! فقال: هو اسم أبي؛ فقال:

غَيْرُهُ؛ فقال: و كيف أُغير! فأخذ الكتاب فمحا ماهان و كتب ميمون، فبقي إبراهيم بن ميمون.

قال إسحاق عن أبيه: و أصلنا من فارس، و لنا بيت شريف في العجم، و كان جدنا ميمون هرب من جور بعض عمال بني/أمية، فنزل بالكوفة في بني عبد الله بن دارم، فكان بين إبراهيم و بين ولد نضلة بن نعيم رضاع. و أم إبراهيم امرأة من بنات الدهاقين[3] الذين هربوا من فارس لما هرب ميمون أبو إبراهيم، فنزلوا جميعا بالكوفة في بني عبد الله بن دارم، فتزوجها ماهان[4] بالكوفة فولدت إبراهيم و مات/في الطاعون[5] الجارف، و خلف إبراهيم طفلا.

و كان مولد إبراهيم سنة خمس و عشرين و مائة بالكوفة، و توفي ببغداد سنة ثمان و ثمانين و مائة، و له ثلاث و ستون سنة.

مات أبوه و هو صغير فكفله آل خزيمة بن خازم:

قال أحمد[6] بن أحمد بن إسماعيل وسواسة في خبره: و مات ماهان و خلف إبراهيم طفلا، فكفله آل خزيمة بن خازم.

[1] كذا ورد هذا الاسم في جميع النسخ هنا و سيرد فيما سيأتي في الصفحة التالية مضطربا فقد ورد في ب، س: «أحمد بن أحمد بن إسماعيل» و في ط: «محمد بن أحمد بن إسماعيل» و في ح: «أحمد بن إسماعيل وسواسة» و في م: «محمد بن إسماعيل وسواسة» .

[2] في م: «بهتر» .

[3] الدهاقين: جمع دهقان، و هو زعيم فلاحي العجم، و قيل: رئيس الإقليم.

[4] هو الذي يعرف بميمون كما تقدّم.

[5]المعروف في كتب التاريخ أن الطاعون الجارف وقع بالبصرة في سنة تسع و ستين هجرية، و هو سابع طاعون في الإسلام، فإن الأول كان على عهد النبي صلى الله عليه و سلم، و الثاني طاعون عمواس في عهد عمر رضي الله عنه، و الثالث بالكوفة في زمن أبي موسى الأشعري، و الرابع بالكوفة أيضا في زمن المغيرة بن شعبة، و الخامس الطاعون الذي مات فيه زياد، ثم الطاعون بمصر في سنة ست و ستين، ثم الطاعون الجارف في سنة تسع و ستين، و الطاعون الثامن بالشام في سنة تسع و سبعين، ثم الطاعون التاسع و هو طاعون القينات في سنة ست و ثمانين، و سمي بذلك لأنه بدأ في النساء و كان بالشام و واسط و البصرة، ثم طاعون غراب بالشام في سنة سبع و عشرين و مائة (انظر «النجوم الزاهرة» ج 1 ص 140، 199، 209، 212، 304 طبع دار الكتب المصرية) . و لعل المؤلف يريد بالجارف وصف طاعون وقع بالكوفة بعد سنة خمس و عشرين و مائة (التي ولد فيها إبراهيم الموصلي) بستين أو ثلاث.

[6]انظر الحاشية رقم 1 في الصفحة السابقة من هذا الجزء.

و قال يحيى بن عليّ في خبره: إنه كان لإبراهيم لما مات أبوه سنتان أو ثلاث، و خلف معه أخوين له من غير أمّه أكبر منه، فأقام إبراهيم مع أمّه و أخواله حتى ترعرع، فكان مع ولد خزيمة بن خازم في الكتاب [1]، فهذا السبب صار ولاؤه لبني تميم. و سأله الرشيد فقال: ما السبب بينك و بين بني تميم؟ فاقصّ عليه قصّته، / و قال: ربّونا يا أمير المؤمنين فأحسنوا تربيتنا، و نشأت فيهم و كان بيننا و ضاع، فتولونا بهذا السبب؛ فقال له الرشيد: ويحك! فما أراك إذا إلا مولاي؛ فقال: فهذه و الله قصّتي يا أمير المؤمنين.

ما قيل في سبب نسبته إلى الموصل:

قال يحيى بن عليّ في خبره: و كان سبب قولهم إبراهيم الموصليّ أنه لما نشأ و اشتدّ [2] و أدرك، صحب الفتيان و اشتهى الغناء طلبه، و اشتدّ أخواله عليه في ذلك و بلغوا [3] منه، فهرب منهم إلى الموصل، فأقام بها نحو من سنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان: مرحبا بالفتى الموصليّ، فلُقّب به [4]. و قال أحمد في خبره: إن سبب طلبه الغناء أنه خرج إلى الموصل، فصحب جماعة من الصعاليك كانوا يصيبون الطريق و يصيبه معهم، و يجمعون ما يفيدونه فيقصفون [5] و يشربون و يغتّون، فتعلم منهم شيئاً من الغناء و شدا، فكان أطيبهم و أحذقهم، فلما أحسّ بذلك من نفسه اشتهى الغناء و طلبه و سافر إلى المواضع البعيدة فيه. و ذكر ابن خردادبه [6] [1] قال الجوهرى في «الصحاح»: «الكتاب و المكتب واحد و جمعه كتاتيب». و نقل صاحب «اللسان» هذا القول ثم نقل عن المبرد قوله:

إن من جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ، و قال: المكتب: موضع التعليم و الكتاب: الصبيان. و ذكر شارح «القاموس» عن شرح الشفاء أن استعمال الكتاب للمكتب وارد في كلامهم و أنه استفاض بهذا المعنى كقوله:

و أتى بكتاب لو انبسطت يدي # فيهم رددتهم إلى الكتاب

انظر «الصحاح» و «الأساس» و «اللسان» و «القاموس» و «شرحه» مادة كتب).

[2] اشتد: قوي و هذه الكلمة مثبتة في م، س و ساقطة من باقي النسخ.

[3] أي استقصوا في إيذائه و تعنيفه.

[4] في ط، م، ء: «فلجت عليه»، يريد: لصقت به و غلبت عليه.

[5] يقصفون: يرقصون و يلعبون. و في «القاموس» و «شرحه»: «و أما القصف من اللهو و اللعب فغير عربيّ. و نص «الصحاح» يقال: إنها مولدة. و قال ابن دريد في الجمهرة: فأما القصف من اللهو فلا أحسبه عربيا صحيحا، و هكذا نقله الصاغاني. و يقال: هو الجلبة و الإعلان باللهو. و في الأساس: هو الرقص مع الجلبة... إلخ» .

[6] يلاحظ أن المؤلف وصف ابن خرداذبه بهذه العبارة في غير موضع من كتابه، مع أن ابن النديم ذكر ابن خرداذبه و مؤلفاته في كتابه «الفهرست» (ص 149 طبع أوروبا) و لم يتهمه أو يصفه بقلّة التحصيل و ضعف الرواية و خصوصا كتابه: «المسالك و الممالك» المطبوع بمدينة ليدن سنة 1306 هـ فإنه معدود من المصادر القيمة التي يعوّل عليها و يوثق بها. و قد اعتمد عليه في النقل ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» . و وصفه المسعودي المؤرّخ المشهور- و هو من معاصري ابن خرداذبه و أبي الفرج- في مقدمة كتابه «التنبيه و الإشراف» (ص 75 طبع مدينة ليدن) بقوله: «... و أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتاب المعروف «بالمسالك و الممالك»، و هو أعم هذه الكتب شهرة في خواص الناس و عوامهم في وقتنا هذا» .

و لعل سبب هذه الخصومة التي حملت أبا الفرج على أن يتحامل على ابن خرداذبه هو المنافسة و المعاصرة. و قد وصف المسعودي المنافسة و الحسد بين المعاصرين في مقدّمة كتابه «التنبيه و الإشراف» (ص 76، 77) بقوله: «على أن من شيم كثير من الناس الإطراء للمتقدّمين و تعظيم كتب السالفين، و مدح الماضي و ذم الباقي، و إن كان في كتب المحدثين ما هو أعظم فائدة و أكثر عائدة. و قد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني الحسن النظم، فينسبه إلى نفسه فلا يرى الأسماع تصغي إليه، و لا الإرادات تيمم نحوه؛ ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة و أقل فائدة، ثم ينحله عبد الله ابن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدّمين و من قد طارت أسماؤهم في المصنفين، فيقبلون على كتبها و يسارعون إلى نسخها، لا لشيء إلا لنسبتها إلى المتقدّمين، و لما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو في عصرهم و منافسته على المناقب التي يخص بها و يعني بتشييدها. و هذه طائفة لا يعبا بها كبار الناس، و إنما العمل على ذوي النظر و التأمل الذين أعطوا كل شيء حقه من العدل، و وفوه قسطه من الحق،

-و هو قليل التحصيل لما يقوله و يضمّنه كتبه-أن سبب نسبته إلى الموصل أنه كان إذا سكر، كثيرا ما يغني على سبيل الولوج:

/

أ نأجت من طرق موصل # أحمّل قلل خمريا[1]

من شارب الملوك فلا # بدّ من سكريا

و ما سمعت بهذه الحكاية إلا عنه؛ و إنما ذكرتها على غثائتها لشهرتها عند الناس، و أنها عندهم كالصحيح من الرواية في نسبة إبراهيم إلى الموصل، فذكرته دالاً على عواره.

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي و ابن أبي الأزهر قالا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أسلم أبي إلى الكتاب فكان لا يتعلم شيئاً، و لا يزال يضرب و يحبس و لا ينجح ذلك فيه، فهرب إلى الموصل و هناك تعلم الغناء، ثم صار إلى الرّي و تعلم بها أيضاً، و مهر و تزوّج هناك امرأته دوشار-و تفسير هذا الاسم أسدان[2]-/و طال مقامه هناك، و أخذ الغناء الفارسيّ و العربيّ، و تزوّج بها أيضاً شاهك أمّ إسحاق ابنه و سائر ولده. قال: و في دوشار هذه يقول إبراهيم، و له فيه غناء من الهزج:

دوشار يا سيّدي # يا غايّتي و منيتي

و يا سروري من جميد # ع الناس ردّي سنتي

أوّل مال وصله على الغناء من خادم لأبي جعفر، أنفقه في تعلم صنعة الغناء:

قال إسحاق و حدّثني أبي قال: أوّل شيء أعطيته بالغناء أنّي كنت بالرّي أنادم أهلها بالسويّة لا أرزؤهم شيئاً، و لا أنفق إلا من بقية مال كان معي انصرفت به من الموصل؛ فمّر بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عمّاله برسالة، فسمعني عند رجل من أهل الرّي، فشغف بي و خلع عليّ دوّاج سمّور[3]، له قيمة، و مضى بالرسالة و رجع و قد وصله العامل بسبعة آلاف درهم و كساه كسوة كثيرة، فجاءني إلى منزلي الذي كنت أسكنه فأقام عندي ثلاثة أيام، و وهب لي نصف الكسوة التي معه و ألفي درهم، فكان ذلك أوّل ما اكتسبته بالغناء، فقلت: و الله لا أنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التي أفادتها، و وصف لي رجل بالأبلة[4] يقال له جوانويه[5] كان حازقا، فخرجت إليه و صحبت فتيانها، فأخذت عنهم و غنيّتهم فشغفوا بي.

قصته مع جوانوبه الذي أراد أن يتعلم منه ثم سبب اتصاله بالمهدي:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال:
فلم يرفعوا المتقدّم إذ كان ناقصا، و لم ينقصوا المتأخر إذ كان زائدا،
فلمثل هؤلاء تصنف الكتب و تدوّن العلوم» اهـ.
[1] لعل هذا الشعر من لغة العامة في ذلك العهد كـ «الأغاني» التي
يتغنى بها العامة الآن.

[2] الأسد بالفارسية: «شر». و لعل «شار» لغة أو لهجة في هذه
اللفظة. و «دو» بمعنى اثنين.

[3] دوّاج سمور: ضرب من الثياب يتخذ من جلد حيوان يشبه السنور و
هي فراء ثمينة تتخذ للينها و خفتها و إدفائها و حسنها. و في س:
«دراج سمور» بالراء، و هو تحريف.

[4] الأبلّة (بضم الهمزة و الباء الموحدة و تشديد اللام و فتحها) : بلدة
على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة
البصرة، و هي أقدم من البصرة، لأن البصرة مصرت في أيام عمر بن
الخطاب رضي الله عنه، و كانت الأبلّة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل
كسرى و قائد.

[5] في م: «خولوبه» .

لما أتيت جوانوبه لم أصادفه في منزله، فانتظرت حتى جاء، فلما رأيته احتشمني و كان مجوسياً، فأخبرته بصناعتي و الحال التي قصدته فيها؛ فرحّب بي و أفرد لي جناحاً في داره، و وُكِّل بي أخته [1]، فقدّمت إليّ ما أحتاج إليه؛ فلما كان العشيّ عاد إلى منزله و معه جماعة من الفرس ممّن يغني، فنزلت إليه، فجلسنا في مجلس قد صفي [2] لنا فيه نبيذ و أعدت لنا فاكهة و رباحين، فجلسنا و أخذوا في شأنهم و ضربوا و غنّوا، فلم أجد عند أحد منهم فائدة؛ و بلغت التوبة إليّ، فضربت و غيّبت، فقاموا كلهم إليّ و قبلوا رأسي، و قالوا: سخرت منا، نحن إلى تعليمك و أمرني بملازمتك؛ فقلت له: أيها الأمير، إن لست أتكسّب بالغناء و إنما ألتدّه فلذلك تعلمته، و أريد العود إلى الكوفة، فلم أنتفع بذلك عنده و أخذني بملازمتك، و سألتني: من أين أنا؟ فانتسبت إلى الموصل، فلزمتني و عرفت بها؛ و لم أزل عنده أثيراً مكرّماً حتى قدم عليه خادم من خدم المهديّ، فلما رأيته عنده قال له: أمير المؤمنين أحوج إلى هذا منك، فدافعه عنّي؛ فلما قدم الرسول على المهديّ سأله عما رأى في طريقه و مقصده، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكرني فوصفني له؛ فأمره المهديّ بالرجوع إلى محمد و إشخاصي إليه، ففعل ذلك و جاء فأشخصني إلى المهديّ، فحظيت عنده و قدّمتني.

أول هاشميّ صحبه و أول خليفة سمعه:

قال وسواسة في خبره عن إسحاق فحدّثني أبي قال:

/كان أول هاشميّ صحبته [3] عليّ بن سليمان بن عليّ أخو جعفر و محمد، و كان فتاهم طرفاً و لهواً و سماحة، و وصفني له جوانوبه و مضى بي إليه، فوقع من قلبه كلّ موقع. و أول خليفة سمعني المهديّ، و صفت له فأخذني من عليّ بن سليمان، و ما سمع قبلي من المغيّين أحداً سوى فليح بن أبي العوراء و سباط، فإن الفضل بن الرّبيع وصلهما به.

نهاه المهدي عن الشرب و مصاحبة ابنيه موسى و هارون فلما

أبى ضربه و حبسه:

قال إسحاق: فحدّثني أبي قال: كان المهديّ لا يشرب فأرادني على ملازمتك و ترك الشرب فأبيت عليه، و كنت أغيب عنه الأيام، فإذا جئته جئته منتشياً، فغاضه ذلك منّي فضربني و حبسني، فحذقت الكتابة و القراءة في الحبس، ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس و التبدّل معهم؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما تعلمت هذه الصناعة للذّتي و عشرتي لإخواني، و لو أمكنتني تركها لتركها و جميع ما أنا فيه لله جلّ و عزّ؛ فغضب

غضبا شديدا و قال: لا تدخل على موسى و هارون البتة، فوالله لئن دخلت عليهما لأفعلنّ و لأصنعنّ؛ فقلت: نعم؛ ثم بلغه أنني دخلت عليهما و شربت معهما، و كانا مستهترين بالنبيذ، فضربني ثلاثمائة سوط، و قيّدني و حبسني.

قال أحمد بن إسماعيل في خبره قال عمّي إسحاق فحدّثني أبي: أنه كان معهما في نزهة لهما و معهما أبان الخادم، فسعى بهما و بي إلى المهديّ و حدّثه بما كتبا فيه، فدعاني [1] في م: «جارية» .

[2] في «مختار الأغاني» لابن منظور (ص 103 طبع مصر) : «هيئ» .

[3] كذا في ح. و في سائر الأصول: «عيسى» ، و هو تحريف. (راجع «المعارف» لابن قتيبة ص 190) .

فسألني فأنكرت، فأمر بي فجزدت فضربت ثلاثمائة و ستين سوطا؛ فقلت له و هو يضربني: إن جرمي ليس من الأجرام التي يحلُّ لك بها سفك/ دمي، و الله لو كان سرُّ ابنك تحت قدمي ما رفعتهما عنه و لو قطعنا، و لو فعلت ذلك لكنت في حالة أبان الساعي العبد؛ فلما قلت له هذا ضربني بالسيف في جفنه[1] فشجني به، و سقطت مغشيا علي ساعة، ثم فتحت عيني فوقعتا على عيني المهدي، فرأيتهما عيني نادم؛ و قال لعبد الله بن مالك: خذهُ إليك.

قال: و قبل ذلك ما تناول عبد الله بن مالك السوط من يد سلام الأبرش فضربني، فكان ضرب عبد الله عندي بعد ضرب سلام عافية، ثم أخرجني عبد الله إلى داره و أنا أرى الدنيا في عيني صفراء و خضراء[2] حمراء[2] من حرِّ السوط، و أمره أن يتخذ لي شبيها بالقبر فيصيرني فيه؛ فدعا عبد الله بكبش فذبح و سلخ و ألبسني جلده ليسكن الضرب، و دفعني إلى خادم له يقال له أبو عثمان سعيد التركي فصيرني في ذلك القبر، و وكل بي جارية له يقال لها جشة[3]؛ فتأديت ينزُّ كان في ذلك[4] القبر و بالبق، و كان فيه حلي[5] أستريح إليه، فقلت لجشة: اطلبي لي أجرة عليها فحم و كندر[6] يذهب عني هذا البق، فأتتني بذلك، فلما دحنت أظلم القبر علي و كادت نفسي تخرج من الغم، فاسترحت من أذاه إلى التتر فألصقت به أنفي حتى خفَّ الدخان، فلما ظننت أنني قد استرحت مما كنت فيه، إذا حيطان مقبلتان نحوي من شقِّ القبر تدوران حولي بحفيف شديد، فهملت أن أخذ واحدة بيدي اليمنى و الأخرى بيدي اليسرى فأما علي و إما لي، ثم كفيتهما، فدخلتا من الثقب الذي خرجتا منه، فمكثت في ذلك القبر ما شاء الله، ثم أخرجت منه؛ و وجَّهت إلى أبي عثمان الخادم أسأله أن يبيعي جشة لأكافئها عمّا أولتني ففعل، فزوَّجتها من حاجب لي، و لم تزل عندنا. قال إسحاق: مكثت عندنا حتى ماتت، و بقيت بنت لها يقال لها جمعة، فزوَّجتها من مولى لي في سنة أربع و ثلاثين و مائتين.

قال إبراهيم: و قلت في الحبس[و أنا مقيّد][7]:

ألا طال ليلي أراعي النجوم # أعالج في الساق كيلا ثقيلا

بدار الهوان و شرِّ الديار # أسام بها الخسف صبيرا جميلا

كثيرا الأخلاء عند الرّخاء # فلما حبست أراهم قليلا

لطول بلائي ملّ الصديق # فلا يأمننّ خليل خليلا

صنع و هو في الحبس لحننا في شعر أبي العتاهية:

قال: ثم أخرجني المهديّ و أحلفني بالطلاق و العتاق و كلّ يمين لا فسحة لي فيها ألا أدخل على ابنيه موسى [1] جفن السيف: غمده.

[2]زيادة عن م.

[3]في حـ: «حسنة» .

[4]كذا في م، و هو قريب مما جاء في «مختار الأغاني» لابن منظور (ص 104 طبع مصر) فقد ذكر فيه: «فتأذيت بنتن كان في ذلك القبر و بالبق» . و في سائر الأصول: «فتأذيت بنز عيسى باز و بالبق في ذلك القبر» . و عيسى باز: محلة كانت بشرقي بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدي، و كانت إقطاعاً له.

[5]كذا في ط، ء. و الحلبيّ (وزان غني) : يبيس ضرب من الكلاً يسمى النصبيّ، و في سائر الأصول: «و كان فيه خلاء» .

[6]الكندر (بضم فسكون فضم) : اللبان الذكر.

[7]زيادة عن حـ.

و هارون أبدا و لا أغنيهما، و خلّى سبيلي. قال: و صنعت في الحبس
لحنا[1]/في شعر أبي العتاهية لما حبسه المهديّ بسبب عتبه، و هو:

صوت

أيا ويح قلبي من نجّي البلبل # و يا ويح ساقي من قروح السّلاسل
و يا ويح نفسي ويحها ثم ويحها # أ لم تنج يوما من شباك الحبال
و يا ويح عيني قد أضرتّ بها البكا # فلم يغن عنها طبّ ما في المكاحل
ذريني أعلّل نفسي اليوم إنها # رهينة رمس في ثرى و جنادل
ذريني أعلّل بالشّراب فقد أرى # بقية عيشي هذه غير طائل

/الشعر لأبي العتاهية، و ذكر حمّاد أنه لجده إبراهيم. و الغناء لإبراهيم
رمل بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأوّل، و له في البيتين الأخيرين ثقل أوّل
بالوسطى.

طلبه الهادي لما ولي الخلافة و كان استتر منه برّا بيمينه للمهديّ:

قال حمّاد: فلما ولي موسى الهادي الخلافة استتر جدّي منه و لم يظهر
له بسبب الأيمان التي حلفه بها المهديّ، فكانت منازلنا تكبس في كل وقت
و أهلنا يروّعون بطلبه حتى أصابوه فمضوا به إليه، فلما عينه قال: يا سيّدي،
فارقت أمّ ولدي و أعزّ خلق الله عليّ، ثم غنّاه لحنه في شعره:

صوت

يا ابن خير الملوك لا تتركّني # غرضا للعدوّ يرمي حيالي[2]
فلقد في هواك فارقت أهلي # ثم عرّضت مهجتي للزوال
و لقد عفت في هواك حياتي # و تغرّبت بين أهلي و مالي

الشّعرو الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى. قال إسحاق:
فمؤله[3] و الله الهادي و خوّله، و بحسبك أنه أخذ منه في يوم واحد مائة و
خمسين ألف دينار[4]، و لو عاش لنا لبينا حيطان دورنا بالذهب و الفضة.

ما وصل إليه من الأموال و ما تركه و شيء عن مروءته:
قال حمّاد قال لي أبي: نظرت إلى ما صار إلى جدك من الأموال و
الغلّات[5] و ثمن ما باع من جواربه، فوجدته أربعة و عشرين ألف ألف درهم

سوى أرزاقه الجارية، و هي عشرة آلاف درهم في كل شهر، و سوى غلات
[1] كذا في ح، م. و في سائر الأصول: «من شعر... إلخ» .

[2] كذا في ط، ء، م. و في سائر الأصول: «حبالى» بالباء، و هو
تصنيف.

[3] مؤله و خوّله: أعطاه مالا و خولا.

[4] في «مختار الأغاني»: «درهم» .

[5] في ط، ء، م: «و الصلات» .

ضياعه، و سوى الصّلات النَّزرة التي لم يحفظها؛ و لا و الله ما رأيت أكمل مروءة منه، كان له طعام/معدّ في كل وقت؛ فقلت لأبي: أ كان يمكنه ذلك؟ فقال: كان له في كل يوم ثلاث شياه: واحدة مقطّعة في القدور، و أخرى مسلوخة و معلقة، و أخرى حيّة، فإذا أتاه قوم طعموا ما في القدور، فإذا فرغت قطعت الشاة المعلقة و نصبت القدور و ذبحت الحيّة فعلقت و أتى بأخرى فجعلت و هي حيّة في المطبخ؛ و كانت وظيفته لطعامه و طيبه و ما يتخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يجري و سوى كسوته؛ و لقد اتفق عندنا مرّة من الجوّاري الودائع لإخوانه ثمانون جارية، ما منهم واحدة إلا و يجري عليها من الطعام و الكسوة و الطيب مثل ما يجري لأخصّ جواريه، فإذا ردّت الواحدة منهم إلى مولاها وصلها و كساها، و مات و ما في ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار، و عليه من الدّين سبعمائة دينار قضيت منها.

اشترى منه الرشيد جارية و سأله الحطيطة من ثمنها فكان منه ما دل على سمو نفسه:

أخبرني محمد بن خلف وكيع و يحيى بن عليّ بن يحيى و ابن/المرزبان قالوا أخبرنا حمّاد بن إسحاق قال:

كان أبي يحدث أن الرشيد اشترى من جدّي جارية بستة و ثلاثين ألف دينار، فأقامت عنده ليلة، ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع: إنا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم، و نحن نحسب أنها من بابتنا[1] و ليست كما ظننتها، و ما قربتها، و قد ثقل عليّ الثمن و بينك و بينه ما بينكما، فإذهب إليه فسله أن يحطنا من ثمنها ستة آلاف دينار؛ قال:

فصار الفضل إليه فاستأذن[عليه][2] فخرج جدّي فتلقاه؛ فقال: دعني من هذه الكرامة التي لا مئونة بيننا فيها، لست ممّن يخدع، و قد جئتك في أمر أصدقك عنه، ثم أخبره الخبر كله؛ فقال له إبراهيم: إنه أراد أن يبلو قدرك عندي؛ قال: ذاك/أراد! قال: فمالي كله صدقة في المساكين إن لم أضعفه لك، قد حططتك[3] اثني عشر ألف دينار؛ فرجع الفضل إليه بالخبر؛ فقال: ويلك! ادفع إلى هذا ماله، فما رأيت سوقة قط أنبل نفسا منه. قال أبي: و كنت قد أتيت جدك فقلت: ما كان لحطيطة هذا المال معني و ما هو بقليل، فتغافل عني و قال: أنت أحمق، أنا أعرف الناس به، و الله لو أخذت المال منه كملا[4] ما أخذته إلا و هو كاره، و يحقد ذلك عليّ و كنت أكون عنده صغير القدر، و قد مننت عليه و على الفضل، و انبسطت نفسه و نشط و عظم قدري عنده، و إنما اشتريت الجارية بأربعين ألف درهم، و قد أخذت

بها أربعة و عشرين ألف دينار، فلما حمل المال إليه بلا حطيطة دعاني فقال لي: كيف رأيت يا إسحاق! من البصير أنا أم أنت؟ فقلت: بل أنت جعلني الله فداك.

حوار الفضل بن يحيى له و قد رآه خارجا من عند الفضل بن الربيع:

حدّثني وكيع قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني أبي قال:

[1]البابة: الوجه و الطريق، و يقال: هذا شيء من بابتك، أي يصلح لك (راجع الحاشية رقم 9 ص 179 من الجزء الأوّل من هذا الكتاب طبع دار الكتب المصرية) .

[2]زيادة عن م.

[3]كذا في ط، ء. و في م: «حططته» . و في سائر الأصول: «حططت» .

[4]كاملا (بفتحتين) أي كاملا وافيا. قال الليث: هكذا يتكلم به في الجمع و الوجدان سواء لا يثني و لا يجمع و ليس بمصدر و لا نعت و إنما هو كقولك: أعطيته المال كله. (انظر «المصباح المنير» و «اللسان» مادة كمل) .

لقي الفضل بن يحيى أبي وهو خارج من عند الفضل بن الربيع، و كانا متجاورين في الشَّمَّاسِيَّة [1]، فقال: من أين يا أبا إسحاق؟ أ من عند الفضل بن الربيع؟ قلت: نعم، غير معتذر من ذلك؛ فقال: خروج من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى! هذان والله أمران لا يجتمعان لك! فقال: والله لئن لم يكن في ما يتسع لكما حتى يكون الوفاء لكما جميعا واحدا ما في خير، والله لا أترك واحدا منكما/لصاحبه، فمن قبلني على هذا قبلني، و من لم يقبلني فهو أعلم؛ فقال له الفضل بن يحيى: أنت عندي غير متهم، و الأمر كما قلت، و قد قبلتك على ذلك.

كان في الحبس فذكر للرشيد فأحضره فغناه فوصله:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال حدثني أبي: أن الرشيد غضب عليه فقيده و حبسه بالرقّة [2]، ثم جلس للشرب يوما في مجلس قد زينته و حسّنه، فقال لعيسى بن جعفر: هل لمجلسنا عيب؟ قال: نعم، غيبة إبراهيم الموصلي عنه؛ فأمر بإحضاري فأحضرت في قيودي، ففكت عني بين يديه، و أمرهم فناولوني عودا و قال: غنني يا إبراهيم؛ فغنّيته: تَضَوُّعُ مَسْكَا بَطْنِ [3] نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ # بِه زَيْنَبُ فِي نَسْوَةِ خَفَرَاتِ [4]

فاستعاده و شرب و طرب، و قال: هنأتني يومي و سأهنتك بالصّلة، و قد وهبت لك الهنيء و المريء [5]؛ فانصرفت، فلما أصبحت عوّضت منهما مائتي ألف درهم.

نسبة هذا الصوت

صوت

تَضَوُّعُ مَسْكَا بَطْنِ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ # بِه زَيْنَبُ فِي نَسْوَةِ خَفَرَاتِ

مَرْرِنٌ بِفَجِّ [6] رَائِحَاتِ عَشِيَّةٍ # يَلْبِينُ لِلرَّحْمَنِ مَعْتَمِرَاتِ

/يَخْمَرُنْ [7] أَطْرَافَ الْبِنَانِ مِنَ التَّقِي # وَيَقْتَلُنَ بِالْأَلْحَاطِ مَقْتَدِرَاتِ [8]

[1] الشَّمَّاسِيَّة: محلة مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد و إليها ينسب باب الشَّمَّاسِيَّة. و فيها كانت دار معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه.

[2] الرقّة: مدينة على الجانب الشرقي من الفرات بينها و بين حرّان ثلاثة أيام.

[3] بطن نعمان: واد بين مكة و الطائف كثير الأراك.

[4] في م: «عطرات» .

[5] يريد أنه أقطعه ضيعتهما؛ و الهنيء و المريء كما في ياقوت: نهران بإزاء الرقة و الرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك و أحدث فيهما مدينة «واسط الرقة» . قال ياقوت نقلا عن البلاذري: ثم إن تلك الضيعة (أعني الهنيء و المريء) قبضت في أول الدولة العباسية و انتقلت إلى أم جعفر و زادت في عمارتها، ثم قال: و هما يسقيان عدّة بساتين، مستمدها من الفرات و مصبهما فيه.

[6] فِخ: موضع بينه و بين مكة ثلاثة أميال؛ روى أن النبيّ صلى الله عليه و سلم اغتسل به قبل دخوله مكة، و به كانت وقعة الحسين و عقبة، و به مقابر المهاجرين كل من جاور بمكة منهم فمات يوارى هناك. («معجم ما استعجم» للبكري) .

[7] يخمرن: يغطين.

[8] روى المبرد هذا البيت في الكامل هكذا:

يخبأن أطراف البنان من التقى # و يخرجن شطر الليل معتجرات

و معتجرات: مختمرات بالمعاجر، و المعجر: ثوب تشده المرأة على رأسها. -

و لما رأت ركب التَّميرِيَّ أَعْرَضَتْ # و كَنَّ من أن يلقينه حذرات

الشعر للتَّميرِيَّ [1] التَّقْفِيَّ. و الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق و يحيى المَكِّيَّ و عمرو بن بانة. و ذكر حبش أن فيه لعزّة الميلاء لحنا من الثقيل الأوّل.

أَنشده يحيى بن خالد بيتا فثناه و غنى فيه فأجازه:

أخبرني محمد بن مزيد و أحمد بن جعفر لحظة قالَا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ، و أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَمِيعًا عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ خَارِجًا مِنْ قَصْرِهِ الَّذِي عِنْدَ بَابِ السُّنَّمِاسِيَّةِ يَرِيدُ قَصْرَهُ الَّذِي بِبَابِ الْبَرْدَانِ [2] وَ هُوَ يَتَمَثَّلُ:

صوت

هَوَى بِتَهَامَةٍ وَ هَوَى بِنَجْدٍ # فَأَبْلَتَنِي [3] التَّهَائِمُ وَ التَّجُودُ

قال أبي: فزدته عليه:

أَقِيمُ بَذَا وَ أَذْكَرُ عَهْدَ هَذَا # فَلِي مَا بَيْنَ دَيْنِ هَوَى جَدِيدٍ

/قال: و صنعت فيه لحنا-قال الصُّوْلِيُّ فِي خَبْرِهِ: وَ هُوَ مِنْ خَفِيفِ الثَّقِيلِ-ثُمَّ صَرَّتْ إِلَيْهِ فَعَنِّيْتَهُ إِيَّاهُ؛ فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ وَ بَدَأْتَهُ الَّتِي [4] كَانَتْ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ بِسَرَجِهَا وَ لَجَامِهَا؛ فَقُلْتُ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ سَيِّدٍ خَيْرًا، فَإِنَّكَ تَأْتِي الْأَنْفُسَ وَ هِيَ شَوَارِدُ فَتَقْرُّهَا، وَ الْأَهْوَاءُ وَ هِيَ سَقِيمَةٌ فَتَصَحُّهَا؛ فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ أُخْرَى.

قال إبراهيم: ثم ضرب الدهر من ضربه [5]، فبينما أنا أسير معه إذ لقيه العباس بن الأحنف، و كان ساخطا عليه لشيء بلغه عنه، فترجّل له و أنشده:

صوت

بِاللَّهِ يَا غَضَبَانَ إِلَّا رَضِيْتُ # أَذَاكَرُ لِلْعَهْدِ أَمْ قَدْ نَسِيتُ

فقال: بل ذاكر يا أبا الفضل؛ فأضفت إلى هذا البيت:

لو كنت أبغي غير ما تشتهي # دعوت أن تبلى كما قد بليت

و صنعت فيه لحنا-قال الصُّوْلِيُّ فِي خَبْرِهِ: هُوَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ-قال: و عَنِّيْتَهُ بِهِ، فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ وَ ضَحَكْتُ؛ فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَضْحَكُ يَا سَيِّدِي؟ لَا زِلْتُ ضَاحِكًا مَسْرُورًا! فَقَالَ: ذَكَرْتُ مَا جَرَى فِي الصَّوْتِ الْأَوَّلِ وَ أَنَّهُ كَانَ

[1] هو محمد بن عبد الله بن نمير، شاعر غزل، من شعراء الدولة الأموية، مولده و منشؤه بالطائف. و كان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف، و له فيها أشعار كثيرة يتشعب بها. و له ترجمة في «الأغاني» (ج 6 ص 24 طبع بولاق) .

[2]البردان (بفتح الباء الموحدة و الراء و الدال المهملتين) : قرية من قرى بغداد عامرة و هي على شاطئ دجلة الشرقي، و بينها و بين بغداد خمسة فراسخ.

[3]في م: «فأبكتني» بالكاف.

[4]في ط، ء: «بدابته الذي كان...» و الدابة تطلق على المذكر و المؤنث.

[5]أي مرّ من مروره و مضى بعضه. (انظر «اللسان» مادة ضرب) .

مع الجائزة دابةً يسرجه و لجامه[1]، و لن تنصرف الليلة إلا على مثله، فقامت فقبلت يده؛ فأمر لي بألفي دينار آخرين، و قال: تلك الكثرة شكرت على الجائزة بكلام فزدناك، و الآن شكرت بفعل أوجب الزيادة، و لو لا أنني مضيق في هذا الوقت لضاعفتها، و لكنّ الدهر بيننا مستأنف جديد.

غنى الرشيد في طريقه إلى طوس بشعر له فاستحسن الغناء دون الشعر:

حدّثني لحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال:
/لما نزل الرشيد في طريقه إلى طوس[2] بشبداز[3] جلس يشرب
عنده، فكان إبراهيم الموصليّ أوّل من غنّاه، فابتدأ بهذا الصوت، و الشعر
له:

صوت

رأيت الدّين و الدّنيا # مقيمين بشبداز

أقاما بين[4] حجّاج # و غاز أيّما غاز

-و هو من الثقيل الأوّل- فأمر له بألف دينار، و لم يستحسن الشعر، و قال له: يا إبراهيم صنعتك فيه أحسن من شعرك؛ فخجل و قال: يا سيّدي شغل خاطري الغناء فقلت لوقتي ما حضرني؛ فضحك الرشيد من قوله و قال له:

صدق.

كان كثير الأصدقاء من الأشراف:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال:

كان جدّك محبّاً للأشراف كثير الأصدقاء منه، حتى إن كان الرشيد ليقول كثيراً: ما أعرف أحداً أكثر أصدقاء من إبراهيم.

كان مع الغناء كاتباً و شاعراً و خطيباً:

قال إسحاق: و ما سمعت أحسن غناء من أربعة: أبي، و حكم الوادي، و فليح ابن أبي العوراء، و سياط؛ فقلت له: و ما بلغ من حدّتهم؟ قال: كانوا يصنعون فيحسنون، و يؤدّون غناء غيرهم فيحسنون؛ فقلت: فأيّهم كان أحذق؟ قال: كانوا/بمنزلة خطيب أو كاتب أو شاعر يحسن صناعته، فإذا انتقل

عنها إلى غيرها لم يبلغ منها ما [1]كذا في ط، ء، و هو الذي يوافق الضمير في: «إلا على مثله». و في باقي الأصول: «بسرجهما و لجامها» .

[2]طوس (بضم أوّله و سين مهملة) : مدينة معروفة ما بين الرّيّ و نيسابور في أوّل عمل خراسان و فيها دفن هارون الرشيد. قال ابن حوقل: و على ربع فرسخ منها قبر علي بن موسى الرضا.

[3]كذا في ط، ء. و شبداز: موضع بين حلوان و قرميسين تبعد عن قرميسين يسرة بأقل من فرسخين. و في سائر الأصول: «شيراز» و هو تحريف. (راجع «معجم البلدان» في الكلام على شبداز و «المسالك و الممالك» لابن خرداذبه في كلامه على الطريق من مدينة السلام إلى أقاصي خراسان ص 18 طبع مدينة ليدن) .

[4]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «أقاما مع حجاج» . و الحجاج: الكثير الحج. يريد أن الدين و الدنيا قد اجتمعا للرشيد الذي كان كثير الحج و الغزو.

يبلغ من صناعته، و كان جدك كرجل مفوه، إن خطب أجزل، و إن كتب رسالة أحسن، و إن قال شعرا أحسن، و لم يكن فيهم مثله.

هو أول من علم الجواري الحسان الغناء و شعر أبي عيينة في ذلك:

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا حماد عن أبيه، و أخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه، و أخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة جميعا عن إسحاق قال: لم يكن الناس يعلمون الجارية الحسناء الغناء، و إنما كانوا يعلمونه الصفر و السود؛ و أول من علم الجواري المثمنات أبي، فإنه بلغ بالقيان كل مبلغ، و رفع من أقدارهن. و فيه يقول أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة المهلبى و قد كان هوي جارية يقال لها أمان فأغلى بها مولاها السوم، و جعل يردها إلى إبراهيم و إسحاق ابنة فتأخذ عنهما، فكلما زادت في الغناء زاد في سومه، فقال أبو عيينة: قلت لِمَا رأيت مولى أمان # قد طغى سومه بها طغيانا

لا جزى الله الموصليّ أبا إسد # حاق عتّا خيرا و لا إحسانا
جاءنا مرسلا بوحى من الشيب # طان أغلى به علينا القيانا
من غناء كأنه سكرات الـ # حبّ يصبي القلوب و الآذانا

شعر ابن سيابة فيه:

و قال فيه ابن سيابة [1]:

صوت

ما لإبراهيم في العـ # م بهذا الشأن ثاني
إنما عمر أبي إسد # حاق زين للزمان
/جثة الدنيا أبو إسد # حاق في كل مكان فإذا غنى أبو إسحا
ق أجابته المثاني [2] # منه يجنى ثمر اللهـ
و و ربحان الجنان

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان: خفيف ثقيل بالبنصر، و خفيف رمل بالوسطى عن عمرو و الهشامى.

شعر أبي العتاهية فيه و هو محبوس:
أخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة [3] قال:

[1] هو إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم، و له ترجمة في الجزء الحادي عشر من «الأغاني» طبع بولاق.

[2] سهل الهمز في «إسحاق» لضرورة الشعر.

[3] هو علي بن يزيد أبو دعامة، و قد مر في الجزء الرابع من هذا الكتاب ص 8 طبع دار الكتب المصرية.

كان سلم الخاسر عند أبي العتاهية، فأخبره سلم أنّ الرشيد حبس إبراهيم الموصلّي في المطبق [1]؛ فأقبل عليه أبو العتاهية فقال: سلم يا سلم ليس دونك ستر [2] # حبس الموصلّي فالعيش مرّ

/ما استطاب اللذات مذ سكن المط # بق رأس اللذات في الناس حرّ

ترك الموصلّي من خل # ق الله جميعا و عيشهم مقشعّر

حبس اللهو و السرور فما في ال # أرض شيء يلهي به أو يسرّ

و أنشدني بعض أصحابنا عن ابن المرزبان عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن أبي فنن لأبي العتاهية يخاطب إبراهيم الموصلّي لما حبس: أيا غمّي لغمّك يا خليلي # و يا ويلي عليك و يا عويلي

يعرّ عليّ أنّك لا تراني # و أنّي لا أراك و لا رسولي

و أنّك في محلّ أذى و ضنك # و ليس إلى لقائك من سبيل

و أنّي لست أملك عنك دفعا # و قد فوجئت بالخطب الجليل

قصته مع إبراهيم بن المهدي في لحن غناه عند الرشيد:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن عمر قال حدّثني أبو توبة صالح بن محمد عن القطرانيّ المغنّي عن محمد بن جبر، و كان المهديّ ربا، قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال: انصرفت ليلة من الشّماسيّة فمررت بدار إبراهيم الموصلّي، و إذا هو في روشن [3] له و قد صنع لحنه: ألا ربّ ندمان عليّ دموعه # تفيض على الخدين سخّا سجومها [4]

و هو يعيده و يلعب به بنغمه و يكرّره لتستوي له أجزاءه، و جواربه يضربن عليه، فوقف تحت الرّوشن حتى أخذته ثم انصرفت إلى منزلي، فما زلت أعيده حتى بلغت فيه الغاية، و أصبحت فغدوت إلى الشّماسيّة و اجتمعنا عند الرشيد، فاندفع إبراهيم فعّاه أوّل شيء غنّي، فلمّا سمعه الرشيد طرب و استحسّنه و شرب عليه، ثم قال له: لمن هذا يا إبراهيم؟ قال: لي يا سيّدي، صنّعه البارحة؛ فقلت: كذب يا أمير المؤمنين، هذا الصوت قديم و أنا أغنّيه؛ فقال لي: غنّه يا حبيبي، فغنّيته كما غنّاه؛ فبهت إبراهيم و غضب الرشيد، و قال له [5]: يا ابن الفاجرة! أتكذّبنني و تدّعي ما ليس لك!. قال: فضلّ إبراهيم بأسوا حال؛ فلمّا صليت العصر قلت للرشيد: يا أمير المؤمنين، الصوت و حياتك [1] المطبق: السجن تحت الأرض.

[2] في حـ: «سّر» .

[3] الروشن: خشب يخرج من حائط الدار إلى الطريق و لا يصل إلى جدار آخر يقابله و هو الشرفة.

[4] سجوم الدمع: سيلانه كثيرا كان أو قليلا.

[5] في الأصول ما عدا حـ: «و قال لي بابن الفاجرة» و لا يستقيم به الكلام. و كلمة «لي» ساقطة من حـ.

له و ما كذب، و لكنني مررت به البارحة و هو يرُدده على جارية له فوقفت حتى دار لي و استوى فأخذه منه؛ فدعا به الرشيد و رضي عنه، و أمر له بخمسة آلاف دينار.

نسبة هذا الصوت صوت

ألا ربّ ندمان عليّ دموعه # تفيض على الخدّين سخّا سجومها
حليم إذا ما الكأس دارت و هزّها [1] # رجال لديها قد تخفّ حلومها
الغناء لإبراهيم رمل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

قصته مع إبراهيم بن المهدي و ابن جامع عند الرشيد:
أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبي عن طيّاب [2] بن إبراهيم الموصليّ قال: كان إبراهيم بن المهديّ يقدّم ابن جامع و لا يفصلّ عليه أحدا، فأخبرني إبراهيم بن المهديّ قال: كنا في مجلس الرشيد و قد غلب النبيذ على ابن جامع، فعنّي صوتا فأخطأ في أقسامه؛ فالتفت إليّ إبراهيم فقال: قد خري [3] قد خري أستاذك فيه! و فهمت صدقه فيما قال؛ قال: فقلت له: انتبه أيها الشيخ و أعد الصوت، ففطن و أعاده و تحفّظ فيه و أصاب؛ فغضب إبراهيم و أقبل عليّ فقال: أعلمه الرّماية كلّ يوم # فلما استدّ [4] ساعده رمانى

و تنكّر لي و حلف ألاّ يكلمني؛ فقلت للرشيد بعد أيام: إن لي حاجة؛ قال: و ما هي؟ قلت: تأمر إبراهيم الموصليّ أن يرضى عنّي و يعود إليّ ما كان عليه؛ فقال: / و من إبراهيم حتى يطلب [5] رضاه! فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي أريده منه لا ينال إلا برضاه؛ فقال: قم إليه يا إبراهيم فقبّل رأسه؛ [فقام إليّ ليقبّل [6] رأسي]، فلما أكبّ عليّ قال: تعود؟ قلت: لا؛ قال: قد رضيت عنك رضا صحيحا، و عاد إلى ما كان عليه.

خرج مع الرشيد إلى الحيرة و غناه فأجازه:

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن عليّ بن يحيى قال: سمعت جدّي عليّا يحدّث عن إسحاق قال: قال أبي: خرجت مع الرشيد إلى الحيرة، فساعة نزل بها دعا بالغداء فتعدّى ثم نام، فاغتنمت قائلته فذهبت [1] هزّ فلان الكأس: كرهها.

[2] كذا في أكثر الأصول هنا و فيما يأتي في جميع الأصول في أكثر من موضع. و في ط، ء هنا: «طباب» بالباء الموحدة من تحت.

[3] في ح: «قد خزي أستاذك فيه» بالزاي و بدون تكرار.

[4] كذا في ط، ء، س و إحدى روايتي ح، و هي الرواية المشهورة. و استدّ: استقام. و في سائر الأصول «اشتدّ» بالشين المعجمة. قال الأصمعيّ: اشتدّ بالشين المعجمة ليس بشيء. و قال ابن برّي: هذا البيت ينسب إلى معن بن أوس قاله في ابن أخت له. و قال ابن دريد: هو لمالك بن فهم الأزدي، و كان اسم ابنه سليمة، رماه بسهم فقتله فقال البيت. قال ابن برّي: و رأيت في شعر عقيل بن علقمة يقول في ابنه عميس حين رماه بسهم. و بعده.

فلا ظفرت يمينك حين ترمي # و شلت منك حاملة البنان

[5] في ح، م: «تطلب» .

[6] الزيادة عن م.

فركبت أدور في ظهر الحيرة، فنظرت إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌ حسن الوجه، فاستأذنته في الدخول فأذن لي، فدخلت فإذا جنة من الجنان في أحسن تربة و أغزرها ماء، فخرجت فقلت له: لمن هذا البستان؟ فقال: لبعض الأشاعثة [1]؛ فقلت له: أبيع؟ فقال: نعم و هو على سوم؛ فقلت: كم بلغ؟ فقال: أربعة عشر ألف دينار؛ قلت: و ما يسمّى هذا الموضوع؟ قال: شماری؛ فقلت:

صوت

جنان شماری ليس مثلك منظر # لذي رمد أعيا عليه طيب

ترايك كافور و نورك [2]زهرة # لها أرج بعد الهدو يطيب [3]

/قال: و حضرتني فيه صنعة حسنة؛ فلما جلس الرشيد و أمر بالغناء غنّيته إياه أوّل ما غنّيت؛ فقال: ويلك! و أين شماری؟ فأخبرته القصة؛ فأمر لي بأربعة عشر ألف دينار؛ و غمّزني جعفر بن يحيى فقال: خذ توقيعه بها إليّ؛ و تشاغل الرشيد عني، فأعدت الصوت، فقال: ويلكم! أعطوا هذا دنائيره؛ فوثبت و قلت: يا سيّدي، وقّع لي بها إلى جعفر بن يحيى؛ فقال: أفعّل، و وقّع لي بها إليه؛ فلما حصل التوقيع عند جعفر أطلق لي المال و خمسة آلاف دينار من عنده؛ فلما حصل المال عندي كان أحبّ إليّ و أحسن في عيني من شماری.

عرض الرشيد أبياتا ليجيزها الشعراء ثم أمره فغنى فيها:
أخبرني [4] جعفر بن قدامة قال أخبرني أبو العيّن قال:

خرج الفضل بن الربيع يوما من حضرة الرشيد و معه رقعة فيها أربعة أبيات، فقال: إن أمير المؤمنين يأمر كلّ من حضر ممن يقول الشعر أن يجيزها، و هي: أهدى الحبيب مع الجنوب سلامه # فاردد إليه مع الشّمال سلاما

و اعرف بقلبك ما تضمّن قلبه # و تداولوا بهواكما الأيّاما

و إذا بكيت له فأيقن أنه # ستجود أدمعه عليك رهاما [5]

فاحبس دموعك رحمة لدموعه # إن كنت تحفظ أو تحوط ذماما

/فلم يوجد من يجيزها، فأمر إبراهيم فغنى فيها لحنا من خفيف الثقل.

انقطع عن الرشيد في سفره عند خمار و شعره في ذلك:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني أبو العباس البصريّ [6] قال حدّثني عبد الله بن الفضل بن الربيع قال سمعت أبي يقول: [1] الأشاعثة: منسوبون إلى الأثعث بن قيس بن معديكرب الكندي أبي محمد الصحابي، وفد على النبيّ صلى الله عليه و سلم و روى عنه و عن عمر رضي الله عنه، و نزل الكوفة و مات بها في آخر سنة أربعين هجرية و هو ابن ثلاث و ستين سنة.

[2] في حـ: «و نبتك» .

[3] في حـ: «و طيب» .

[4] هذا الخبر الذي يتدئ من قوله: «أخبرني جعفر» إلى قوله: «لحنا من خفيف الثقل» ساقط من ط، ء، م.

[5] الرهام: جمع رهمة (بالكسر) و هي المطر الضعيف.

[6] في حـ: «النصري» بالنون.

/لَمَّا خَرَجَ الرَّشِيدُ إِلَى الرَّقَّةِ [1] أَخْرَجَ مَعَهُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ، وَكَانَ بِهِ مَشْغُوفًا، فَفَقَدَهُ فِي بَعْضِ الْمَنَازِلِ أَيَّامًا وَطَلَبَهُ فَلَمْ يَخْبِرْهُ أَحَدٌ بِقِصَّتِهِ؛ ثُمَّ أَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ! مَا خَبْرُكَ وَ أَيْنَ كَانَتْ غَيْبَتُكَ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَدِيثِي عَجِيبٌ، نَزَلْنَا بِمَوْضِعٍ كَذَا وَ كَذَا، فَوُصِفَ لِي خَمَّارٌ، مِنْ ظَرْفِهِ وَ مِنْ نِظَافَةِ مَنْزِلِهِ كَيْتٌ وَ كَيْتٌ، فَتَقَدَّمْتُ أَمَامَ ثَقَلِي [2] وَ أَتَيْتُهُ مَخْفًا، فَوَافَيْتُ [3] أَطِيبَ مَنْزِلٍ وَ أَوْسَعَ رَحْلِ وَ أَطِيبَ طَعَامٍ وَ أَسْخَى نَفْسٍ، مِنْ شَابِّ حَسَنِ الْوَجْهِ ظَرِيفِ الْعَشْرَةِ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَلَمَّا أَرَدْتُ اللَّحَاقَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَقْسَمَ عَلَيَّ وَ أَخْرَجَ لِي مِنَ الشَّرَابِ مَا هُوَ أَطِيبٌ وَ أَجُودٌ مِمَّا رَأَيْتُ، فَأَقَمْتُ ثَلَاثًا، وَ وَهَبَتْ لَهُ دَنَائِرٌ كَانَتْ مَعِيَ وَ كَسُوءَةٌ، وَ قَلْتُ فِيهِ:

صوت

سقى لمنزل خمار قصفت [4] به # وسط الرصافة يوما بعد يومين
ما زلت أرهن أثوابي و أشربها # صفراء قد عتقت في الدن حولين
حتى إذا نفدت مني بأجمعها # عاودته بالربا دنًا بدئين
فقال «إزل بشين» حين ودّعني # و قد لعمرك زلنا عنه بالسين

-الشعر و الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر. قوله: «إزل بشين» كلمة سريانية، تفسيرها: امض بسلام، دعا له بها لما ودّعه-قال إبراهيم: فقال لي الرشيد: غنني هذا الصوت، فغنّيته إيّاه و زمر عليه برصوما، فوهب لي الرشيد مائة ألف درهم و أقطعني ضيعة، و بعث إلى الخمار فأحضر [5]، و أهدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصله؛ و وهب له إبراهيم عشرة آلاف درهم.

قصته مع ابن جامع و رؤياه:

أخبرني الحسين بن يحيى و محمد بن مزيد و وكيع قالوا جميعا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال: قال ابن جامع يوما لأبي: رأيت في منامي كأنّي و إيّاك راكبان في محمل، فسفلت حتى كدت تلصق بالأرض، و علا الشقّ الذي أنا فيه، فلأعلوتك في الغناء؛ فقال إبراهيم: الرؤيا حقّ و التأويل باطل، إنّي و إيّاك كتّا في ميزان، فرجحت بك و شالت كفتك و علوت فلصقت بالأرض، فلأبقينّ بعدك و لتموتنّ قبلي. قال إسحاق: فكان كما قال أبي، علا عليه و أفاد أكثر من فوائده، و مات ابن جامع قبله و عاش أبي بعده.

ألقى على جارية عبد الله بن الربيع صوتا أعجب ابن جامع فأخذ يستعيدها إياه:

أخبرني عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثتني خديجة بنت هارون بن عبد الله بن الربيع قالت حدثتني خمار[6] [1] في ح: «الكوفة» .

[2]الثقل (وزان سبب) : متاع المسافر و حشمه و كل شيء نفيس مصون.

[3]كذا في م. و في ط، ء: «فأتيت» . و في سائر الأصول: «فوافقت» ، و هو تحريف.

[4]انظر الحاشية رقم 4 ص 156 من هذا الجزء.

[5]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «فأحضره» .

[6]في ط: «قمار» .

جارية أبي-و كانت قندهاريّة [1]، اشتراها جدّي عبد الله و هي صبيّة ريّض [2] من آل يحيى بن معاذ بمائتي ألف درهم-قالت: ألقى عليّ إبراهيم الموصليّ لحنه في هذين البيتين:

صوت

إذا سرّها أمر و فيه مساءتي # قضيت لها فيما تريد على نفسي
و ما مرّ يوم أرتجي فيه راحة # فأذكره إلّا بكيت على أمس

/الشعر لأبي حفص [3] الشّطرنجيّ، و الغناء لإبراهيم ثقيّل أوّل بالوسطى-فسمعتني ابن جامع/يوما و أنا أغنيّه، فسألني: ممن أخذته؟ فأخبرته؛ فقال: أعيديه، فأعدته مرارا، و ما زال ابن جامع يتنعم [4] به معي حتى ظننت أنه قد أخذه، ثم كان كلما جاءنا قال لي: يا صبيّة، غنيّ ذلك الصوت، فكان صوته عليّ.

قصته مع مخارق في أخذه دراهم من يحيى البرمكي و أولاده:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبة قال قال مخارق:

أذن لنا أمير المؤمنين الرشيد أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيّام، و أعلمنا أنه مشغل فيها مع الحرم، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم-و أخبرني وسواسة و هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ بهذا الخبر فقال حدّثني أبي عن أبيه عن مخارق قال: اشتغل الرشيد يوما و اصطبح مع الحرم و قد أصبحت السماء متغيّمة، فانصرفنا إلى منازلنا. و لم يذكر في الخبر ما ذكره عمر بن شبة مما قدمت ذكره، و اتفقا هاهنا في أكثر الحكايات، و اللفظ فأكثره لرواية ابن الموصليّ-قال مخارق: و أصبحت السماء متغيّمة تطيشّ طيشًا خفيفًا، فقلت: و الله لأذهبنّ إلى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره ثم أعود، فأمرت من عندي أن يسوّوا مجلسا لنا إلى وقت رجوعي؛ فجئت إلى إبراهيم الموصليّ فإذا الباب مفتوح و الدّهليز قد كنس و البوّاب قاعد؛ فقلت: ما خبر أستاذي؟ فقال: ادخل، فدخلت فإذا هو جالس في رواق له و بين يديه قدور تغرغر [5] و أباريق تزهر، و الستارة منصوبة و الجوّاري خلفها، و إذا قدّامه طست فيه رطليّة و كوز و كأس، فدخلت أترنّم ببعض الأصوات، و قلت له: ما بال/الستارة لست أسمع من ورائها صوتا؟ فقال: إقعد ويحك! إنني أصبحت على الذي ظننت؛ فأتاني خبر ضيعة تجاورني، قد و الله طلبتها زمانا و تمّيتها فلم أملكها، و قد أعطيت بها مائة ألف درهم؛ فقلت: و ما يمنعك منها؟ فو الله لقد أعطاك الله أضعاف هذا المال و أكثر؛

قال: صدقت، و لكن لست أطيب نفسا أن أخرج هذا المال؛ فقلت: فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم؟ و الله ما أطمع في ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه! فقال: اجلس، خذ هذا الصوت، و نقر بقضيب معه على الدواة و ألقى عليّ: [1]قندهارية: نسبة إلى قندهار، و هي بلد من بلاد السند أو الهند مشهورة في الفتوح.

[2]الرّيض كسيد: الدابة أوّل ما تراض، يطلق على الذكر و الأنثى، يقال: غلام ريض، و ناقة ريض.

[3]هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس، نشأ في دار المهدي و تأدّب و كان لاعبا بالشطرنج مشغوفا به فلقب به لغلبته عليه، فلما مات المهدي انقطع إلى عليّة ابنته. و له ترجمة في الجزء التاسع عشر من «الأغاني» طبع بولاق.

[4]تنغم المغني: طرّب في الغناء.

[5]غرغرت القدر، صاتت عند الغلي.

صوت

نام الخليون من همّ و من سقم # و بتّ من كثرة الأحزان لم أتم

يا طالب الجود و المعروف مجتهدا # اعمد ليحني حليف الجود و الكرم

-الشعر لأبي النضير[1]، و الغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالنصر-
قال: فأخذته فأحكمته؛ ثم قال لي: امض الساعة إلى باب الوزير يحيى بن
خالد، فإنك تجد الناس عليه و تجد الباب قد فتح و لم يجلس بعد، فاستأذن
عليه قبل أن يصل إليه أحد، فإنه سينكر عليك مجيئك و يقول: من أين أقبلت
في هذا الوقت؟ فحدّثه بقصدك إياي و ما ألقيت إليك من خبر الصّيقة، و
أعلمه أنّي صنعت هذا/الصوت و أعجبتني، و لم أر أحدا يستحقّه إلا فلانة
جارتها، و أنّي ألقيته عليك حتى أحكمته لتطرحه عليها؛ فسيدعو بها و يأمر
بالستارة أن تنصب و يوضع له كرسيّ و يقول لك: اطرحه عليها بحضرتي،
فافعل و ائني بالخبر بعد ذلك. قال: فجنّت باب يحيى فوجدته كما وصف، و
سألني فأعلمته ما أمرني به، ففعل كلّ شيء قاله لي/إبراهيم، و أحضر
الجارية فألقيته عليها؛ ثم قال لي: تقيم عندنا يا أبا المهنا أو تنصرف؟ فقلت:
أنصرف أطال الله بقاءك فقد علمت ما أذن لنا فيه، قال: يا غلام، احمل مع
أبي المهنا عشرة آلاف درهم، و احمل إلى أبي إسحاق مائة ألف درهم ثمن
هذه الصّيقة، فحملت العشرة الآلاف الدرهم إليّ، و أتيت منزلي فقلت: أسرّ
يومي هذا و أسرّ من عندي، و مضى الرسول إليه بالمال؛ فدخلت منزلي و
نثرت على من عندي من الجوّاري دراهم من تلك البدره، و توسّدتها و أكلت
و شربت و طربت و سررت يومي كله؛ فلما أصبحت قلت: و الله لأتّين
أستاذي و لأعرفنّ خبره، فأتيته فوجدت الباب كهيئته بالأمس، و دخلت
فوجدته على مثل ما كان عليه، فترنّمت و طربت فلم يتلقّ ذلك بما يجب؛
فقلت له: ما الخبر؟ أ لم يأتك المال؟ قال: بلى! فما كان خبرك أنت بالأمس؟
فأخبرته بما كان و هب لي و قلت: ما[2] ينتظر من خلف الستارة، فقال:
ارفع السّجف فرفعته فإذا عشر[3] بدر؛ فقلت: و أيّ شيء بقي عليك في
أمر الصّيقة؟ قال: ويحك! ما هو و الله إلا أن دخلت منزلي حتى شححت عليها
فصارت مثل ما حويت قديما؛ فقلت: سبحان الله العظيم! فتصنع ما ذا! قال:
قم حتى ألقى عليك صوتا صنعته يفوق ذلك الصوت؛ فقامت و جلست بين
يديه، فألقى عليّ:

صوت

و يفرح بالمولود من آل برمك # بغاة التّدى و السيف و الرمح ذو النصل[4]

[1] ورد هذا الاسم في حـ: «لأبي النضر» . و في سائر الأصول: «لأبي بصير» ، و كلاهما تحريف عن «أبي النضير» . و اسمه عمر بن عبد الملك البصري مولى بني جمح، شاعر من شعراء البصرة صالح المذهب ليس من المعمودين المتقدمين و لا من المولدين الساقطين، و كان يغني بالبصرة على جوار له مولدات، و يظهر الخلاعة و المجون و الفسق، و يعاشر جماعة ممن يعرف بذلك الشأن، و كان أبان اللاحقي يعاشره ثم تصار ما و هجاه و هجا جواربه و افترقا على قلبي؛ ثم انقطع أبو النضير إلى البرامكة فأغنوه إلى أن مات.

(راجع ترجمته في «الأغاني» 10 ص 100 طبع بولاق) .

[2] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «ما كان ينتظر من خلف الستارة» و عبارة نهاية الأرب (ج 4 ص 354 طبع دار الكتب المصرية) : «فأخبرته بما كان و قلت: ما تنتظر؟ فقال: ارفع السجف... إلخ» .

[3] كذا في حـ. و في سائر النسخ: «عشرة» بتأنيث العدد.

[4] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «بغاة الندى و السيف و الرمح و النصل» و كذلك في «نهاية الأرب» (ج 4 ص 354 طبع دار الكتب المصرية) و القافية فيه مرفوعة، و آخر البيت الثاني فيه: «و لا سيما إن كان والده الفضل» . .

و تنبسط الآمال فيه لفضله # و لا سيما إن كان من ولد الفضل

-الشعر لأبي النضير[1]. و الغناء لإبراهيم ثقیل أوّل بالبصر عن الهشامي، و ذكر عمرو بن بانه أنه لإسحاق، و هو الصحيح. و فيه خفيف ثقیل، أظنه لحن إبراهيم. أخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة عن إسحاق أن أباه صنع هذا الصوت في طريقة خفيف الثقیل و عرضه على الفضل، فاستحسنه و أمر مخارقاً بالقائه على جواريه فألقاه على مراقش و قضيب فأخذتاه عنه-قال مخارق: فلما ألقى عليّ الصوت سمعت ما لم أسمع مثله قط، و صغر عندي الأوّل فأحكمته؛ ثم قال: انهض الساعة إلى الفضل بن يحيى، فإنك تجده لم يأذن لأحد بعد، و هو يريد الخلوة مع جواريه اليوم، فاستأذن عليه و حدّته بحدیثنا أمس، و ما كان من أبيه إلینا و إليك، و أعلمه أنّي قد صنعت هذا الصوت و كان عندي أرفع منزلة من الصوت الذي صنعته بالأمس، و أني ألقيته عليك حتى أحكمته و وجّهت بك قاصدا لتلقيه على فلانة جاريتة؛ فصرت إلى باب الفضل فوجدت الأمر على ما ذكر، فاستأذنت فوصلت؛ و سألتني: ما الخبر؟ فأعلمته بخبري في اليوم الماضي و ما وصل إليّ و إليه من المال؛ فقال: أخزى الله إبراهيم فما أبخله على نفسه!؛ ثم دعا خادما فقال: اضرب الستارة فضرِبها، فقال لي: ألقه، فلما غنّيته لم أتمّه حتى أقبل يجرّ مطرفه، ثم قعد على وسادة دون الستارة، و قال: أحسن و الله/أستاذك و أحسنت أنت يا مخارق؛ فلم أخرج حتى أخذته الجارية و أحكمته، فسرّ بذلك سرورا شديدا، و قال: أقم عندي اليوم؛ فقلت: يا سيدي إنما بقي لنا/يوم واحد، و لو لا أنّي أحبّ سرورك لم أخرج من منزلي؛ فقال: يا غلام احمل مع أبي المهنا عشرين ألف درهم و احمل إلى إبراهيم مائتي ألف درهم؛ فانصرفت إلى منزلي بالمال، ففتحت بكرة فنشرت منها على الجوّاري و شربت و سررت أنا و من عندي يومنا؛ فلما أصبحت بكرت إلى إبراهيم أتعرّف خبره و أعرفه خبري، فوجدته على الحال التي كان عليها أوّلا و آخرًا، فدخلت أترنّم و أصفّق؛ فقال لي: ادن؛ فقلت: ما بقي؟ فقال: اجلس و ارفع سجف هذا الباب فإذا عشرون بكرة مع تلك العشر[2]؛ فقلت: ما تنتظر الآن؟ فقال: ويحك! ما هو و الله إلا أن حصلت حتى جرت مجرى ما تقدّم؛ فقلت: و الله ما أظن أحدا نال في هذه الدولة ما نلته! فلم تبخل على نفسك بشيء تمثيته دهرا و قد ملّك الله أضعافه! ثم قال: اجلس فخذ هذا الصوت؛ و ألقى عليّ صوتا أنساني و الله صوتي الأوّلين:

أ في كلّ يوم أنت صبّ و ليلة # إلى أمّ بكر لا تفيق فتقصر
أحبّ على الهجران أكناف بيتها # فيا لك من بيت يحبّ و يهجر
إلى جعفر سارت بنا كلّ جسر [3] # طواها سراها نحوه و التهجر
إلى واسع للمجتدين فناؤه # تروح عطاياه عليهم و تبكر

-الشعر لمروان بن أبي حفصة يمدح به جعفر بن يحيى. و الغناء
لإبراهيم، و لم تقع إلينا طريقته-قال مخارق: ثم قال لي إبراهيم: هل سمعت
مثل هذا؟/فقلت: ما سمعت قط مثله. فلم يزل يرُدّده عليّ حتى أخذته،
[1]راجع الحاشية رقم 1 ص 179 من هذا الجزء.

[2]كذا في ح، و في سائر الأصول: «مع تلك العشرة» بتأنيث العدد.

[3]كذا في ط، ء و «نهاية الأرب» (ج 4 ص 355 طبع دار الكتب
المصرية) و الجسر: الناقة العظيمة. و في سائر الأصول: «حرة» .

ثم قال لي: امض إلى جعفر فافعل به كما فعلت بأخيه و أبيه؛ قال: فمضيت ففعلت مثل ذلك و خبرته ما كان منهما و عرضت عليه الصوت، فسر به و دعا خادما فأمره بضرب الستارة و أحضر الجارية و قعد على كرسي، ثم قال: هات يا مخارق؛ فاندفعت فألقيت الصوت عليها حتى أخذته؛ فقال: أحسنت و الله يا مخارق و أحسن أستاذك، فهل لك في المقام عندنا اليوم؟ فقلت: يا سيدي هذا آخر أيامنا، و إنما جئت لموقع الصوت مني حتى ألقيته على الجارية؛ فقال: يا غلام احمل معه ثلاثين ألف درهم و إلى الموصلي ثلاثمائة ألف درهم؛ فصرت إلى منزلي بالمال، فأقمت و من معي مسرورين نشرب بقيّة يومنا و نطرب، ثم بكرت إلى إبراهيم فتلقاني قائما و قال لي: أحسنت يا مخارق؛ فقلت: ما الخبر؟ فقال: اجلس فجلست، فقال لمن خلف الستارة: خذوا فيما أنتم فيه، ثم رفع السجف فإذا المال؛ فقلت: ما خبر الضيعة؟ فأدخل يده تحت مسورة [1] هو منكئ عليها فقال: هذا صدك الضيعة، سئل عن صاحبها فوجد ببغداد، فاشتراها منه يحيى بن خالد، و كتب إلي: قد علمت أنك لا تسخو [2] نفسا بشراء الضيعة من مال يحصل لك و لو حيزت لك الدنيا كلها، و قد ابتعتها لك من مالي و وجهت لك بصكها؛ و وجه إلي بصكها و هذا المال كما ترى؛ ثم بكى و قال لي: يا مخارق إذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء، و إذا خنكرت فخنكر [3] لمثل هؤلاء؛ / هذه ستمائة ألف و ضيعة بمائة ألف و ستون ألف درهم لك، حصلنا ذلك أجمع و أنا جالس في مجلسي لم أبرح منه، / فمتى يدرك مثل هؤلاء!.

طلب إليه موسى الهادي أن يغنيه و له حكمه:

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني أبي عن إسحاق قال: كان موسى الهادي شكس الأخلاق صعب المزاج [4]، من توقاه و عرف أخلاقه أعطاه ما أمّل، و من فتح فاه فاتفق له أن يفتحه بغير ما يهواه أقصاه و أطرحه، فكان [5] لا يحتجب عن ندمائه و لا عن المغنّين، و كان يكثر جوائزهم و صلاتهم و يواترهم [6]؛ فتغنّى أبي عنده يوما؛ فقال له: يا إبراهيم غنّي جنسا من الغناء الدّبّه و أطرب له و لك حكمك؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إن لم يقابلني زحل ببرده رجوت أن أصيب ما في نفسك. قال: و كنت لا أراه يصغي إلى شيء من الأغاني إصغاه إلى التّسبب و الرّقيق منه، و كان مذهب ابن سريج عنده أحمد من مذهب معبد، فغنّيته [7]؛ و إني لتعروني لذكراك هرة [8] # كما انتفض العصور بلله القطر

[2] في ط، ء: «لا تسخو نفسك» .

[3] لعله يريد: إذا غنيت فغن لمثل هؤلاء، فقد ورد في «الأغاني» (ج 17 ص 123 طبعة بولاق) في تعنيف الفضل بن الربيع لحفيده عبد الله بن عباس على تعلمه الغناء: «... و فضحت آباءك في قبورهم و سقطت الأبد إلا من المغنين و طبقة الخيالكين» . و قال صاحب «كتاب الألفاظ الفارسية المعربة» ، بعد أن أشار إلى هذه القصة: «هي جمع خيناكر و معناه المغني» . و أخبرنا ممن لديهم معرفة باللغة الفارسية أن «الخيالك» هو المغني المضحك.

[4] كذا في ح، م. و في سائر الأصول: «المرام» .

[5] لعله: «و كان» بالواو.

[6] واطر الصلات و غيرها: جعل بعضها يتبع بعضها.

[7] في ب، س: «فغنيته قوله» بزيادة كلمة «قوله» ، و لعلها زيدت سهوا من الطابع.

[8] كذا في هامش ح، و «الأمالي» (ح 1 ص 149 طبع دار الكتب المصرية) ، و هي الرواية المشهورة في هذا البيت و التي تلائم الشطر

فضرب بيده إلى جيب [1] درّاعته فحطّها ذراعاً، ثم قال: أحسنت والله!
زدني، فغئيت: فيا حبّها زدني جوى كلّ ليلة # و يا سلوة الأيّام موعدك
الحشر

/فضرب بيده إلى درّاعته فحطّها ذراعاً آخر أو نحوه، و قال: زدني
ويلك! أحسنت والله، و وجب حكمك يا إبراهيم؛ فغئيت: هجرتك حتى قيل لا
يعرف الهوى # و زرتك حتى قيل ليس له صبر

فرفع صوته و قال: أحسنت، لله [2] أبوك! هات ما تريد؛ قلت: يا سيّدي،
عين مروان بالمدينة؛ فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان، و
قال: يا ابن اللّخاء أردت أن تشهرني بهذا المجلس فيقول الناس: أطربه
فحكّمه، فتجعلني سمرا و حديثاً! يا إبراهيم الحرّاني: خذ بيد هذا الجاهل إذا
قمت، فأدخله في بيت مال الخاصّة، فإن أخذ كلّ ما فيه فخله و إياه؛
فدخلت فأخذت خمسين ألف دينار.

نسبة هذا الصوت

صوت

عجبت لسعي الدّهر بيني و بينها # فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبّها زدني جوى كلّ ليلة # و يا سلوة الأيّام موعدك الحشر
و يا هجر ليلي قد بلغت بي المدى # و زدت على ما ليس يبلغه الهجر
و إنني لتعروني لذكراك هرة # كما انتفض العصفور بلّله القطر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى # و زرتك حتى قيل ليس له صبر
أما و الذي أبكي و أضحك و الذي # أمات و أحيا و الذي أمره أمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى # أليفين منها لا يروعهما الدّعر [3]

-الشعر لأبي صخر الهذليّ. و الغناء لمعبد، و أوّل لحنه «و يا هجر
ليلي» و بعده الثاني ثم الأوّل من الأبيات ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. و
لابن سريج في السادس/و السابع و الرابع و الخامس ثقيل أوّل عن
الهشاميّ.

و لعريب في السادس و السابع/و الرابع و الخامس ثقيل أوّل أيضاً، و
للوائح فيها رمل، و هو مما صنعه الوائح قبلها فعارضته بلحنها. و قد نسب
قوم لحن معبد إلى ابن سريج و لحن ابن سريج إلى معبد.

اشترى جارية لجعفر بن يحيى فاستكثر ثمنها فأجابه:
أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

اشترى جدّك إبراهيم لجعفر بن يحيى جارية معنّية بمال عظيم، فقال جعفر: أيّ شيء تحسن هذه الجارية الثاني و ما فيه من تشبيهه. و في جميع الأصول: «فترة». و الفترة: الضعف.

[1]الدراعة: جبة مشقوقة المقدم. و جيبها: طوقها.

[2]في حـ: «لله درك» .

[3]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «النفر» .

حتى بلغت بها هذا المال كله؟ قال: لو لم تحسن شيئاً إلا أنها تحكي
قولي: لمن الدّيار ببرقة [1] الرّوحان

لكانت تساويه و زيادة؛ فضحك جعفر و قال: أفرطت!

نسبة هذا الصوت

صوت

لمن الدّيار ببرقة الرّوحان # إذ لا نبيع زماننا بزمان

صدع الغواني إذ رمين فؤاده # صدع الرّجاجة ما لذاك تدان

إن زرت أهلك لم أنول حاجة # و إذا هجرتك شقني هجراني

الغناء لمعبد، فيما ذكره الهشاميّ و أحمد بن المكيّ، ثقيل أوّل
بالوسطى، و نسبه غيرهما إلى حنين، و قال آخرون: إنه للغريض، و ذكر
حبش أنه ليزيد حوراء. و فيه لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر.

عدد أصواته:

أخبرني الحسين عن حمّاد قال قال لي أبي:

صنع جدّك تسعمائة صوت، منها ديناربة، و منها درهميّة، و منهما
فلسيّة، و ما رأيت أكثر من صنعته؛ فأما ثلاثمائة منها فإنه تقدّم الناس جميعاً
فيها، و أمّا ثلاثمائة، فشاركوه و شاركهم فيها، و أمّا الثلاثمائة الباقية، فلعب
و طرب؛ قال: ثم أسقط أبي الثلاثمائة الآخرة بعد ذلك من غناء أبيه، فكان
إذا سئل عن صنعة أبيه قال: هي ستّمائة صوت.

و قال أحمد بن حمدون قال لي إسحاق: من غناء أبي الذي أكرهه و
أستزريه صوته في شعر العباس بن الأحنف: أبكي و مثلي بكى من حبّ
جارية

فما أعلم له فيه معنى إلا استحسانه للشعر، فإن العباس أحسن فيه
جدّاً.

نسبة هذا الصوت

صوت

أبكي و مثلي بكى من حبّ جارية # لم يخلق الله لي في قلبها لينا

هل تذكرين وقوفي عند بابكم # نصف النهار و أهل الدار لاهونا

الشعر للعبّاس بن الأحنف، و الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى.

[1] برقة الروحان: روضة باليمامة تنبت الرمث (و هو شجر يشبه الغضي). .

سئل ابنه إسحاق عن طعنه على أبيه في صوت له فأجاب:
أخبرني لحظة قال أخبرني حمّاد بن إسحاق قال:

قال رجل لأبي: أخبرني عنك، لم طعنت على أبيك في صناعته:

قال لي فيها عتيق مقالا # فجرت مما يقول الدموع

قال: لأنه تعرّض لابن عائشة و له في هذا الشعر صنعة، و ابن عائشة ممن لا يعارض فلم يقاربه، و على أن صنعة أبي من جيّد الغناء لو كان صنعها في غير هذا الشعر، و لكنها اقترنت/بصنعة ابن عائشة فلم تقاربها، فسقط عندي لذلك.

نسبة هذا الصوت صوت

قال لي فيها عتيق مقالا # فجرت ممّا يقول الدموع

قال لي ودّع سليمان ودعها # فأجاب القلب لا أستطيع

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو، و قيل: إنه لابن عائشة. و فيه ثاني ثقيل ينسب إلى الهذليّ. و فيه خفيف ثقيل ينسب إلى ابن عائشة و إلى إبراهيم.

قصته بالرّيّ مع جارية من تلميذاته:

أخبرني الحسين بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد[1] بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق عن أبيه قال:

دخلت الرّيّ [2] فكنت آلف فتيانا من أهل النّعم بها و هم لا يعرفونني، فطال ذلك عليّ إلى أن دعاني أحدهم ليلة إلى منزله فبتّ عنده، فأخرج جارية له و مدّها لها ستارة فتغنّت خلفها، فرأيتها سالحة الأداء كثيرة الرواية، فشوّقتني إلى العراق و ذكرّتني أيامي بها، فدعوت بعود، فلما جيء به اندفعت فغنّيت صوتي في شعري:

أنا بالرّيّ مقيم # في قرى الرّيّ أهيم

و قد كنت صنعت هذا اللحن قديما بالرّيّ؛ فخرجت الجارية من وراء الستارة مبادرة إليّ، فأكبّت على رأسي و قالت: أستاذي و الله!؛ فقال لها مولاها: أيّ أستاذيك هذا؟ قالت: إبراهيم الموصليّ؛ فإذا هي إحدى الجواري اللاتي أخذن/عني و طال العهد بها؛ فأكرمني مولاها و برّني و خلع عليّ،

فأقمت مدّة بعد ذلك بالرّيّ و انتشر خبري بها، ثم كتب بحملي إلى والي البلد فأشخصت.

[1] كذا في ط، ء، هنا و فيما سيأتي في جميع الأصول في أكثر من موضع. و في سائر الأصول هنا: «محمد بن عبد الملك» و هو تحريف.

[2] الرّيّ: مدينة مشهورة من أمهات البلاد و أعلام المدن كثيرة الفواكه و الخيرات، و هي محط الحاج على طريق السابلة، و قصبة بلاد الجبال، بينها و بين نيسابور مائة و ستون فرسخا و إلى قزوين سبعة و عشرون فرسخا. (راجع «معجم ياقوت» في كلامه عليها) .

أرسل و هو في الحبس شعرا لبعض إخوانه فلما وقف عليه المهدي رق له و أطلقه:

أخبرني الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة صالح بن محمد قال حدّثني القطراني عن محمد بن جبر عن يحيى المكيّ قال: كُنّا يوما بين يدي المهديّ و قد حبس إبراهيم الموصليّ و ضربه و أمر بأن يلبس جبّة صوف، و كان يخرج على تلك الحال فيطرح على الجوّاري؛ فكتب إلينا ذات يوم، و نحن مصطّيحون و قد جادت [1] السماء بمطر صيف [2]، و بحضرتنا شيء من ورد مبكر: ألا من مبلغ قوما # من اخواني و جيراني

هنيئا لكم الشرب # على ورد و تهتان [3]
و أنّي مفرد وحدي # بأشجاني و أحزاني
فمن جفّ له جفن # فجفناي يسيلان

قال: فوقف المهديّ على رقعته و قرأها فرقّ له و أمر بطلبه في الوقت، ثم أطلقه بعد بأيّام.

شغف بجارية عليّ اليماني و قال فيها شعرا:

أخبرني الحسن قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني ابن المكيّ عن أبيه قال: كانت لعلّيّ اليمانيّ جارية فهويها إبراهيم و استهيم بها زمانا، و قال فيها:

صوت

كنت حرّاً فصرت عبد اليماني # من هوى شادن هواه براني
/و هو نصفان من قضيب و دعص [4] # زان صدر القضيب رمّاتان

اللحن لإبراهيم في هذين البيتين ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. و قد زعم قوم أن الشعر للحسين [5] بن الصّحاك.

نصح ابنه إسحاق بعض آل نهيك في الغناء فلامه فلما عرف هو أدب النهيكي عنى به:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال: كان بعض أهل نهيك [6] قد تعاطى الغناء، فلمّا ظنّ أنه قد أحكمه شاورني و أبي حاضر، فقلت له: إن قبلت [1] في الأصول: «جاءت» .

[2]الصيف (بتشديد الياء) : المطر الذي يجيء في الصيف، واحده صيفة (بتشديد الياء) ، يقال: أصابتنا صيفة غزيرة أي مطرة غزيرة في الصيف.

[3]هتنت السماء (من باب ضرب) هتنا و هتونا و هتانا و تهتانا: انصبت.

[4]الدعص (بالكسر) : كثيب الرمل.

[5]كذا في ط، ء. و قد أورد له أبو الفرج ترجمة في (ج 6 ص 170 طبع بولاق) . و في سائر الأصول: «للحسن» ، و هو تحريف.

[6]لعله من أسرة عثمان بن نهيك أحد قوَاد المنصور و الذي كلفه المنصور قتل أبي مسلم الخراساني حين يدخل عليه.

مَنِّي فلا تغرّ فلست فيه كما أَرْضَى؛ فصاح أبي عليّ صيحةً شديدةً ثم قال لي: و ما يدريك يا صبيّ! ثم أقبل على الرجل فقال: أنت يا حبيبي بضدّ ما قال، و إن لزمّت الصنّاعة برعت فيها؛ فلما خلا بي قال لي: يا أحمق! ما عليك أن يخزي الله مائة ألف مثل هذا! هؤلاء أغنياء ملوك، و هم يعيروننا بالغناء، فدعهم يتهتكوا به و يعيروا و يفتضحوا و يحتاجوا إلينا فننتفع بهم، و يبين فضلنا لدى الناس بأمثالهم. قال: و لزمه التّهيكّي يأخذ عنه و يبزّه فيجزل، فكان إذا غنّى فأحسن قال له: بارك الله فيك، و إذا أساء قال: بارك الله عليك؛ و كثر ذلك منه حتّى عرف التّهيكّي معناه فيه، فغنّى يوماً و أبي ساه عنه فسكت و لم يقل له شيئاً؛ فقال له: جعلت فداك، يا أستاذي، أ هذا الصوت من أصوات «فيك» / أم «عليك»؟ فضحك أبي و لم يكن علم [1] أنه قد فطن لقوله، ثم قال له: و الله لأقبلنّ عليك حتّى تصير كما تشتهي، فإنك ظريف أديب؛ و غني به حتى حسن غناؤه و تقدّم. و فيه يقول أبي: أوجب الله لك الحد # ق على مثلي بظرفك

لن تراني بعد هذا # ناطقا إلا بوصفك

و ترى القوّة فيما # تشتهيه بعد ضعفك

احتكم إليه مخارق و إسحاق فحكم لإسحاق:

أخبرني إسماعيل قال حدّثني عمر بن شبّه عن إسحاق، أخبرني به الصّوليّ عن عون بن محمد عن إسحاق قال: غنّى مخارق بين يدي الرشيد صوتاً فأخطأ في قسمته؛ فقلت له: أعد فأعاده، و كان الخطأ خفياً، فقلت للرشيد: يا سيّدي، قد أخطأ فيه؛ فقال لإبراهيم بن المهديّ: ما تقول فيما ذكره إسحاق؟ قال: ليس الأمر كما قال، و لا هاهنا خطأ؛ فقلت له: أ ترضى بأبي؟ قال: إي و الله، و كان أبي في بقايا علة؛ فأمر الرشيد بإحضاره و لو محمولاً، فجيء به في محفّة؛ فقال لمخارق: أعد الصوت، فأعاده؛ فقال: ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت؟ فقال: قد أخطأ فيه؛ فقال له: هكذا قال ابنك إسحاق، و ذكر أخي إبراهيم أنه صحيح؛ فنظر إليّ ثم قال: هاتوا دواة، فأتي بها و كتب شيئاً لم يقف عليه أحد ثم قطعه و وضعه بين يدي الرشيد، و قال لي: اكتب بذكر الموضوع الفاسد من قسمة هذا الصوت، فكتبته و ألقيته فقرأه و سرّ، و قام فألقاه بين يدي الرشيد، فإذا الذي قلناه جميعاً متفق؛ فضحك و عجب، و لم يبق/أحد في المجلس إلا قرّظ و أثنى و وصف، و لا أحد خالف إلا خجل و ذلّ و أذعن.

و قال أبي في ذلك:

ليت من لا يحسن العد # م كفانا شر علمه

فاخبر الحق ابتداء # و قس العلم بفهمه

طيب الریحان لا تع # رفه إلا بشمه

حديث بين ابنه إسحاق و الرشيد في المال الذي أخذه هو من الرشيد:

حدّثني جحظة قال حدّثني هبة الله، و حدّثني محمد بن مزيد قال حدّثنا
حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: عن أبي يوما بحضرة الرشيد:

[1] كذا في ح. و في أ، م: «و لم يكن علم الله أنه... إلخ» . و في
سائر الأصول: «و لم يكن علم أبي أنه... إلخ» .

سلي هل قلاني من عشير صحبته # و هل ذمّ رحلي في الرّفاق رفيق

فطرب و استعاده و أمر له بعشرين ألف درهم، فلما كان بعد سنين[1]، خطر ببالي ذلك الصوت و ذكرت قصّته، فغنّيته إياه؛ فطرب و شرب، ثم قال لي: يا إسحاق، كأني في نفسك ذكرت حديث أبيك و أنّي أعطيته ألف دينار على هذا الصوت فطمعت في الجائزة!؛ فضحكت ثم قلت: و الله يا سيّدي ما أخطأت؛ فقال: قد أخذ ثمنه أبوك مرّة فلا تطمع؛ فعجبت من قوله، ثم قلت: يا سيّدي، قد أخذ أبي منك أكثر من مائتي[2] ألف دينار ما رأيته ذكرت منها غير هذا الألف على بختي[3] أنا؛ فقال: ويحك! أكثر من مائتي[2] ألف دينار؟! قلت: إي و الله!؛ فوجم و قال: أستغفر الله من ذلك، ويحك! فما الذي خلف منها؟ قلت: خلف/عليّ ديونا مبلغها خمسة آلاف دينار قضيتها عنه؛ فقال: ما أدري أيّنا أشدّ تضييعا! و الله المستعان.

نسبة هذا الصوت

صوت

سلي هل قلاني من عشير صحبته # و هل ذمّ رحلي في الرّفاق رفيق

و هل يحتوي القوم الكرام صحابتي # إذا اغبرّ مخشيّ الفجاج عميق[4]

و لو تعلمين الغيب أيقنت أنّي # لكم و الهدايا المشعرات[5] صديق

الشعر ينسب إلى مضرّس بن قرط[6] الهلاليّ و إلى قيس بن ذريح، و فيه بيت يقال: إنه لجريز. و الغناء مختلط في أشعار الثلاثة المذكورين، و نسبته تأتي في أخبار قيس بن ذريح، إلا أن الغناء في هذه الثلاثة الأبيات لمعبد ثقيل أوّل بالخنصر في[7] مجرى البنصر عن إسحاق.

رأى و هو في سرداب له سنورتين تغنيان فحفظ الصوت:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني نشوة الأشنانية[8] قالت أخبرني أبو عثمان يحيى المكيّ قال: تشوّق يوما إبراهيم الموصليّ إلى سرداب له، و كانت فيه بركة ماء تدخل من موضع إليه و تخرج إلى بستان، فقال: أشتهي أن أشرب يومي و أبيت ليلتي في هذا/ السرداب ففعل ذلك، فبينما هو نائم في نصف الليل فإذا [1] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «سنتين» .

[2] في م: «مائة ألف دينار» .

[3] قال صاحب «المصباح»: البخت: الحظ وزنا و معنى و هو أعجمي و من هنا توقف بعضهم في كون البخت التي هي أصل البخاتي (أي الإبل) عربية. و في «الصحاح» و «القاموس» و «شرحه»: أنه معرّب أو مولد. و في «شفاء الغليل» و «اللسان»: أن العرب تكلمت به. و قال الأزهرى: لا أدري أ عربيّ هو أم لا.

[4] كذا في ط، ء، و هو الموافق لما جاء في «الأمالي» (ج 2 ص 257 طبع دار الكتب المصرية). و في سائر الأصول: «مخشيّ العجاج سحيق» .

[5] الهدايا: ما يهدي إلى البيت الحرام من النعم لتنحر. و المشعرات: المعلمات بعلامة يعرف بها أنها هدى.

[6] كذا في ط، ء، و «الأمالي». و في سائر الأصول: «قرظة» و هو تحريف.

[7] كذا في ط، ء، م. و في سائر الأصول: «ثقل أول بالخنصر و مجرى البنصر» .

[8] في ط، ء: «نشو الأشناسية» .

سُورَتَانِ [1] قَدْ نَزَلَتَا مِنْ دَرَجَةِ السَّرْدَابِ، بِيضَاءِ وَ سُودَاءِ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا: أ تَرَاهِ نَائِمًا [2]؟ فَقَالَتْ السُّودَاءُ: هُوَ نَائِمٌ؛ فَانْدَفَعَتِ السُّودَاءُ فَعَنَّتْ بِأَحْسَنِ صَوْتٍ:

عفا مزج [3] إلى لصق [4] # إلى الهضبات من هكر [5]

إلى قاع التُّغَيْرِ [6] إلى # قرار حلال [7] ذي حدر [8]

قال: فمات إبراهيم فرحا و قال: يا ليتهما أعاده! فأعاده مرارا حتى أخذه، ثم تحرّك فقامت السُّورَتَانِ، و سمع إحداهما تقول للأخرى: و الله لا طرحه على أحد إلا جنّ، فطرحه من غد على جارية له فجئت.

نسبة هذا الصوت

الغناء فيه لمالك ثقيل أول بالوسطى عن يحيى المكي و عمرو بن بانه.

طلب من الفضل بن يحيى مالا فحصل له عليه ممن قضى

حوادثهم:

أخبرني الحسن بن عليّ و عمّي قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال:

/أتيت الفضل بن يحيى يوما، فقلت له: يا أبا العباس، جعلت فداك! هب لي دراهم فإنّ الخليفة قد حبس يده؛ فقال: ويحك يا أبا إسحاق! ما عندي مال أرضاه لك، ثم قال: هاه! إلا أن هاهنا خصلة [9] أتانا رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه، و وجه إلينا بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبتنا؛ فما فعلت ضياء جاريتك؟ قلت: عندي، جعلت فداك! قال: فهو ذا، أقول لهم يشترونها منك فلا تنقصها من خمسين ألف دينار؛ فقبلت رأسه ثم انصرفت؛ فبكر عليّ رسول صاحب اليمن و معه صديق لي، فقال: جاريتك فلانة عندك؟ فقلت: عندي؛ فقال: اعرضها عليّ، فأخرجتها؛ قال: بكم؟ قلت: بخمسين ألف دينار و لا أنقص منها دينارا واحدا، و قد أعطاني بها الفضل بن يحيى أمس هذه العطيّة؛ فقال لي: أريدها له؛ فقلت له: أنت أعلم، إذا اشتريتها فصيرها لمن شئت؛ [1] السنورة: الهرة.

[2] كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «نرى نائما» .

[3] كذا في أكثر الأصول. و مزج (بالضم ثم السكون) : ماء بينه و بين المدينة ثلاثون فرسخا أو نحوها. و في ب، ح. س: «مزج» (بالحاء المهملة)

، و هو تصحيف.

[4] كذا في جميع الأصول، و لم نعثر على هذا الاسم في المرجع التي بين أيدينا. و لعله مصحف عن «لصف» (بالفاء) ، و هو بركة غربيّ طريق مكة بين المغيثة و العقبة على ثلاثة أميال من صيب غربيّ واقصة. (راجع «معجم البلدان» لياقوت و «القاموس» و «شرحه» في «لصف»).

[5] هكر (بفتح أوّله و كسر ثانيه و راء مهملة) : موضع على نحو أربعين ميلا من المدينة.

[6] كذا في ط، ء. و النكير (بفتح أوله و كسر ثانيه) : موضع بين هجر و البصرة. و في سائر الأصول: «البقير» بالباء الموحدة، و لم نعثر عليه في المراجع التي بين أيدينا.

[7] حلال (بكسر الحاء و تخفيف اللام) : من نواحي اليمن.

[8] كذا في ط، ء. و الحدر (بالدال المهملة) : ما انحدر من الأرض و هو الصيب. و في سائر الأصول: «ذي حذر» بالذال المعجمة، و هو تصحيف.

[9] كذا في الأصول، و ظاهر سياق الكلام يقتضي أن يكون المراد مخرجا أو فرصة و نحو ذلك. فلعل كلمة «خصلة» محرّفة عما يؤدّي هذا المعنى.

فقال لي: هل لك في ثلاثين ألف دينار مسلمة لك؟ قال: و كان شراء الجارية على أربعمائة دينار، فلما وقع في أذني ذكر ثلاثين ألفاً أرتج عليّ و لحقني زمع[1]، و أشار عليّ صديقي الذي معه إلبيع، و خفت و الله أن يحدث بالجارية حدث أو بي بالفضل بن يحيى، فسلمتها و أخذت المال؛ ثم بكرت على الفضل بن يحيى، فإذا هو جالس وحده؛ فلما نظر إليّ ضحك، ثم قال لي: يا ضيق الحوصلة[2]! حرمت نفسك عشرين ألف دينار؛ فقلت له: جعلت فداك، دع ذا عنك، فو الله لقد دخلني شيء أعجز عن وصفه و خفت أن تحدث بي حادثة أو بالجارية أو بالمشتري أو بك، أعاذك الله من كل سوء، فبادرت بقبول الثلاثين ألف دينار؛ فقال: لا ضير، يا غلام جيء بالجارية، فجاء بجاريتي بعينها؛ فقال: خذها مباركاً لك فيها، فإنما أردنا منفعتك و لم نرد الجارية؛ فلما نهضت[3]، قال لي: مكانك، إن صاحب إرمينية قد جاءنا فقضينا حوائجه و نفذنا كتبه، و ذكر أنه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا بها ما نحب، فاعرض عليه جاريتك هذه و لا تنقصها من ثلاثين ألف دينار؛ فانصرفت بالجارية و بكر إليّ رسول صاحب إرمينية و معه صديق لي آخر، فقاولني بالجارية، فقلت: لست أنقصها من ثلاثين ألف دينار؛ فقال لي: معي على الباب عشرون ألف دينار تأخذها مسلمة، بارك الله لك فيها؛ فدخلني و الله مثل الذي دخلني في المرّة الأولى و خفت مثل خوفي الأول، فسلمتها و أخذت المال؛ و بكرت على الفضل بن يحيى فإذا هو وحده؛ فلما رأي ضحك و ضرب برجله الأرض و قال: ويحك! حرمت نفسك عشرة آلاف دينار؛ فقلت: أصلحك الله، خفت و الله ما خفت في المرّة الأولى؛ قال: لا ضير، أخرج يا غلام جاريتك؛ فجاء بجاريتي بعينها، فقال: خذها، ما أردناها و لا أردنا إلا منفعتك[4]؛ فلما ولت الجارية صحت بها: ارجعي فرجعت؛ فقلت: أشهدك، جعلت فداك، أنها حرّة لوجه الله و أني قد تزوّجتها على عشرة آلاف درهم، كسبت لي في يومين/خمسين ألف دينار، فما جزاؤها إلا هذا؛ فقال:

وَقَّعت إن شاء الله.

سمع أحد الخمارين غناؤه فبهت:

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق قال قال لي أبي:

/كنت في شبابي ألزم أصحاب قطربل[5] و باري[6] و بنّي[7] و ما أشبه هذه المنازل[8]، فأخذ فيهم الخمار[1] الزمع (بالتحريك) : شبه رعدة

تأخذ الإنسان.

[2] ضيق الحوصلة هنا كناية عن التسرع و شدة الحرص. و في كتاب «ما يعول عليه في المضاف و المضاف إليه» أن ضيق الحوصلة يكنى به عن البخل.

[3] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «ذهبت لأقوم» .

[4] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «ما أردنا إلا منفعتك» .

[5] قطربل (بضم أوّله و إسكان ثانيه و ضم الراء المهملة أو فتحها، و تشديد الباء المضمومة، و يروى بفتح أوّله و طائه) : قرية بين بغداد و عكبرا تنسب إليها الخمر، كانت متنزها للبطالين و حانة للخمارين و قد أكثر الشعراء من ذكرها. (راجع «معجم البلدان» لياقوت و «معجم ما استعجم» للبكري) .

[6] باري (بكسر الراء) : قرية من أعمال كلواذي من نواحي بغداد، كانت بها بساتين و متنزهات، يقصدها أهل البطالة.

[7] بنى (بكسر أوّله و تشديد ثانيه و القصر) : قرية على شاطئ دجلة من نواحي بغداد بينهما نحو فرسخين، و هي تحت كلواذي، و كانت في بغداد قربتان تسميان بهذا الاسم. و إحداهما أراد أبو نواس حين قال:

ما أبعد الرشيد من قلب تضمنه # قطر بل فقري بني فكلواذي

انظر «معجم البلدان» لياقوت) .

[8] في ط، ء: «المواخير» . -

اللطف، يحسبوني[1]بالشراب الجيّد و يخبؤه لي، فجئت إلى باري
يوما فلقيني خمّاري، فقال لي: يا أبا إسحاق عندي شيء من بابتك[2]، و قد
كنت عملت لحني هذا:

صوت

اشرب الرّاح و كن في # شريك الرّاح وقورا

فاشرب الرّاح رواحا # و ظلّاما و بكورا

-الشعر و الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى[3].
و فيه لمنصور زلزل الضارب خفيف رمل عن حبش-قال: فدخلت بيته و
بزلت[4]دّته و جعلت أرجع الصوت؛ فبهت ينظر إليّ و النبيذ يجري حتى امتلأ
الإنياء و فاض؛ فقلت له: ويحك! شرابك قد فاض؛ فقال: دعني من شرابي،
بالله مات لك إنسان في هذه الأيام؟ فقلت: لا؛ قال: فما بال حلقك هذا
حزينا[5]؟.

ألقي على مخارق صوتا فلما أخذه بكى و مدحه:

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك
الزّيّات قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن عمّه طيّاب بن إبراهيم قال: دخلت
على أبي يوما و عنده مخارق و أبي يلقي عليه هذا الصوت:

صوت

طربت و أنت معنيّ كئيب # و قد يشناق ذو الحزن الغريب

و شافك بالموقر[6]أهل خاخ[7] # فلا أمم هناك و لا قريب

و كم لك دونها من عرض أرض # كأنّ سرايها الجاري سيب

لعمرك إنّني برفيم[8]قيس # و جارة أهلها لأنا الحريب

[1]كذا في ط، ء، م. و في باقي الأصول: «فيجيئني» .

[2]البابة: الوجه و المذهب. و في «اللسان» : «يقال: هذا شيء من
بابتك أي يصلح لك» .

[3]في ط، ء: «في مجرى البنصر» .

[4]بزل الدنّ: ثقبه ليسيل ما به من خمر.

[5] في ب، س: «زين» بدون ألف في آخره. و في سائر الأصول: «حزين حزين» مكرّرا.

[6]الموقر: اسم موضع من عمل البلقاء بنواحي دمشق. ثم قال البكريّ في «معجم ما استعجم»: «و في شعر الأحوص ما ينبئك أن الموقر من شق اليمن قال: ألا طرقتنا بالموقر شغفر # و من دون مسراها قديد و عزور

بواد يمان نازح جل نبتة # غضا و أراك ينضح الماء أخضر»

[7]خاخ: موضع بين الحرمين، و يقال له: روضة خاخ بالقرب من حمراء الأسد بالمدينة.

[8]لم نوفق إلى «رقيم قيس» في المراجع التي بين أيدينا، و الموجود «الرقيم» بدون إضافة، و هو موضع بقرب البلقاء من أطراف الشام، كان ينزله يزيد بن عبد الملك. فلعل رقيم قيس هو هذا الرقيم. و يرجح هذا أن الشعر هنا يدل على أن «رقيم قيس» قريب من «الموقر» الذي هو بجهة البلقاء. و قد ورد «الرقيم» مع «الموقر» هذا في شعر كثير يمدح يزيد بن عبد الملك: يزرن على تنائيه يزيدا # بأكناف الموقر و الرقم

-الشعر للأحوص، و الغناء لإبراهيم ما خوريّ بالبنصر عن عمرو-قال: فلما أخذه مخارق جعل أبي يبكي، ثم قال له: يا مخارق، نعم وسيلة[1] إبليس أنت في الأرض، أنت و الله بعدي صاحب اللواء في هذا الشأن.

استغزه ابنه إسحاق فتفاخرا في الغناء فحكم له:

أخبرني الحسن بن عليّ و عمّي قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: لما صنع أبي لحنه في:

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد # و شفت أنفسنا مما تجد

خاصمته و عبته في صنّعه، و قلت له: أما بإرائك من ينتقد أنفاسك و يعيب محاسنك و أنت لا تفكر! تجيء إلى صوت قد عمل فيه ابن سريج لحناً فتعارضه بلحن لا يقاربه و الشعر أوسع من ذلك! فدع ما قد اعتوره[2] صناعة القدماء و خذ في غيره؛ فغضب، و كنت لا أزال أفاخره بصنعتي و أعيب ما يعاب من صنّعه، فإن قبل منّي فذلك، و إن غضب داريته و ترصّيته؛ فقال لي: ما يعلم الله أني أدعك أو تفاخرنى بخير صوت صنّعه في الثقل الثاني في طريقة هذا الصوت؛ فلمّا رأيت الجدّ منه اخترت صنعتي في هذا اللحن: قل لمن صدّ عاتبا # و نأى عنك جانباً

/قد بلغت الذي أرد # ت و إن كنت لاعباً

و كان ما تجارينا و نحن نتساير خارجين إلى الصحراء نقطع فضلة خمار بنا[3]؛ فقال: من تحبّ أن يحكم بيني و بينك؟ فقلت: من ترى أن يحكم هاهنا؟ قال: أوّل من يطلع[علينا][4] أعني لحنى و تغنيه لحنك؛ فطمعت فيه و قلت نعم؛ فأقبل شيخ نبطيّ يحمل شوكا على حمار له، فأقبل عليه أبي فقال: إني و صاحبي هذا قد تراضينا بك في شيء؛ قال: و أيّ شيء هو؟ فقلنا: زعم كل واحد منّا أنه أحسن غناء من صاحبه، /فتسمع منّي و منه و تحكم؛ فقال: على اسم الله؛ فبدأ أبي فغنى لحنه، و تبعته فغنيّ لحنى، فلما فرغت أقبل عليّ فقال لي: قد حكمت عليك عافاك الله و مضى؛ فلطمني أبي لطمه ما مرّ بي مثلها منه قط، و سكتّ فما أعدت عليه حرفاً و لا راجعته بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقنا.

نسبة هذين الصوتين

صوت

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد # و شفت أنفسنا ممّا تجد

و استبدت مرّة واحدة # إنما العاجز من لا يستبدّ

[1] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «نعم فيشلة...» .

[2] اعتور الشيء: تداوله و تعاطاه.

[3] كذا في ط، ء و الخمار: بقبة السكر. و في سائر الأصول:
«خمارينا» بالتثنية.

[4] زيادة عن ط، ء.

زعموها سألت جاراتها[1] # ذات يوم و تعزّت تبترد[2]
 أ كما ينعتني تبصرني # عمركنّ الله أم لا يقتصد
 فتضاحكن[3] و قد قلن لها # حسن في كلّ عين من توّد
 حسدا حمّله من أجلها # و قدما كان في الناس الحسد

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و لحن إبراهيم فيه ثاني ثقيل بالوسطى. و فيه لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البنصر. و فيه لمالك خفيف ثقيل بالخنصر و البنصر عن يحيى المكيّ، و ذكره إسحاق في هذه الطريقة و لم ينسبه إلى أحد، و قال الهشاميّ: أدلّ شيء على أنه لمالك شبيهه للحنه: اسلمي يا دار من هند

/ و فيه لمثيّم ثقيل أوّل. و أما لحن إسحاق الذي فاخر به صنعة أبيه، فقد كتب شعره و الصنعة فيه- و هما جميعا لإسحاق، و لحنه ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو- في أخبار إسحاق.

كان زلزل في الحبس فعمل فيه إبراهيم شعرا و غناه الرشيد فأطلقه:

و ذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ حمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه قال:
 كان الرشيد قد وجد على منصور زلزل لشيء بلغه عنه، فحبسه [5] عشر سنين أو نحوها؛ فقام الرشيد يوما لحاجته، فجعل إبراهيم يغنيّ صوتا صنعه في شعر كان قاله في حبس زلزل، و هو: هل دهرنا بك راجع يا زلزل # أيّام يبغينا العدو المبطل

أيّام أنت من المكاره آمن # و الخير متّسع علينا مقبل
 يا بؤس من فقد الإمام و قربه # ما ذا به من ذلّة لو يعقل
 ما زلت بعدك في الهموم مردّدا # أبكي بأربعة [6] كأني مثل

-الشعر و الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو- قال: و دخل الرشيد و هو في ذلك/ فجلس في مجلسه، ثم قال: يا إبراهيم، أيّ شيء كنت تقول؟ فقال: خيرا يا سيّدي؛ فقال: هاته فتلكا، فغضب الرشيد و قال: هاته فلا مكروه عليك، فردّ الغناء؛ فقال له: أ تحبّ أن تراه؟ فقال: و هل ينشر أهل القبور؟ فقال: هاتوا زلزلا، فجاءوا به و قد ابيضّ رأسه و لحيته فسرّ به إبراهيم؛ و أمره فجلس، و أمر/ إبراهيم فغنىّ و ضرب عليه فزلزلا الدنيا، و شرب الرشيد على ذلك رطلا، و أمر بإطلاق زلزل و أسنى جائزتهما

و رضي عنه و صرفه إلى منزله. قال: و زلزل [1] في ب، س: «جارتها»
بالإفراد.

[2] تبترد: تغتسل بالماء البارد.

[3] في «الكامل» للمبرد: «فتهانفن» . و الإهناف و المهانفة و التهانف:
ضحك فيه فتور كضحك المستهزئ. و خصه بعضهم بضحك النساء. (راجع
«الكامل» للمبرد ص 594 طبع ليبزج و الحاشية رقم 3 ص 186 من الجزء
الأول من «الأغاني» من هذه الطبعة) .

[4] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «و الشعر جميعا...» .

[5] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «فحبسه عنه» بزيادة كلمة
عنه.

[6] يريد بالأربعة: اللحاظين و الموقين للعنيين، فإن الدمع يجري من
الموقين فإذا غلب و كثر جرى من اللحاظين أيضا.

أول من أحدث هذه العידان الشّبايط [1]، و كانت قديما على عمل عيدان الفرس، فجاءت عجا من العجب. قال: و كانت أخت زلزل تحت إبراهيم، و قد ولدت منه.

حديثه عن أول أستاذ له في الغناء:

أخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

أول من تعلّمت منه الغناء مجنون، كان إذا صيح به: يا مضر، يهيج و يرحم؛ فبلغني أنه يغني أصواتا فيجيدها، أخذها عن قدماء أهل الحجاز، فكنت أدخله إليّ فأطعمه و أسقيه و أخدمه حتى آخذ عنه، و كان حاذقا؛ فأول صوت أخذته عنه: أرسلني بالسّلام يا سلم إني # منذ علقتكم غنيّ فقير

فالغنى إن ملكت أمرك و الفقد # ر بأبي أزور من لا يزور

ويح نفسي! تسلو النفوس و نفسي # في هوى الرّيم ذكرها ما يحور

من لنفس تتوق أنت هواها # و فؤاد يكاد فيك يطير

ثم مكثت زمانا آخذ عنه، و كان إذا عاد إليه عقله من أحمق الناس و أقومهم على ما يؤدّيه؛ ثم غاب عنيّ فما أعرف خبره.

و هذا الشعر للوليد بن يزيد. و الغناء ليونس خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، و ذكر غيره أنه لعمر [2] الواديّ، و فيه لوجه القرعة ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش.

خرج مع الرشيد إلى الشام فأحسن إليه و خلع عليه ثيابه:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال: خرجت مع الرشيد إلى الشام لَمّا غزا، فدعاني يوما فدخلت إليه إلى مجلس لم أر أحسن منه مفروش بأنواع الرّخام، فأكل و أمرني فأكلت معه، و جعلت أتولى خدمته إلى العصر، ثم دعا بالنبيذ فشرب و سقاني معه، ثم خلع عليّ خلعة وشي من ثيابه و أمر لي بألف دينار، ثم قال: انظر يا إبراهيم، كم من يد أوليتك إيّاها اليوم! نادمتني مفردا، و أكلتني، و خلعت عليك ثيابي من بدني، و وصلتك، و أجلستك في إيوان مسلمة بن عبد الملك تشرب معي؛ فقلت: يا سيدي، ما ذهب عليّ شيء من تفضلك، و إنّ نعمك عندي لأكثر من أن تحصى، و قبّلت رجله و الأرض بين يديه.

هو أول من غنى الرشيد بعد أن ولى الخلافة بشعر له فيه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال قال دعبل بن عليّ: لمّا ولى الرشيد الخلافة و جلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور و دخل عليه المغنّون، كان أوّل من غنّاه إبراهيم الموصليّ بشعره فيه، و هو: [1]الشبابيط: جمع شبوط، و هو ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الرأس كأنه بربط: (عود) .

[2] في ب، س: «لعمرو الوادي» ، و هو تحريف.

صوت

إذا ظلم البلاد[1] تجللتنا # فهارون الإمام لها[2] ضياء
 بهارون استقام العدل فينا # و غاض الجور و انفسح الرجاء
 / رأيت الناس قد سكنوا إليه # كما سكنت إلى الحرم الطّباء
 تبعت من الرسول سبيل حقّ # فشأنك في الأمور به اقتداء

/فقال له الخادم من خلف الستارة: أحسنت يا إبراهيم في شعرك و
 غنائك، و أمر له بعشرين ألف درهم.

لجن إبراهيم في هذا الصوت ثقيل أوّل بالسبابة و الوسطى عن أحمد
 بن المكي.

**دخل على قوم يعنيه هاشم بن سليمان فلما عرفوه أكرموه، و
 شعره في ذلك:**

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني يزيد بن محمد المهلبيّ قال حدّثني
 أبي قال: كنت أنا و أبو سعيد التّهدّيّ[3] و هاشم بن سليمان المغنّي يوما
 مجتمعين في بستان لنا و نحن نشرب و هاشم يغنينا؛ فلما توسّطنا أمرنا إذا
 نحن برجل قد دخل علينا البستان جميل الهيئة حسن الرّيّ، فلما بصرنا به
 من بعيد، وثب هاشم يعدو حتى لقيه، فقبّل يده و عانقه، و لم يعرفه أحد
 منا، ف جاء و سلم سلام الصّديق على صديقه، ثم قال: خذوا في شأنكم،
 فإني اجتزت بكم فسمعت غناء أبي القاسم فاستخفني و أطربني، فدخلت
 إليكم واثقا بأنه لا يعاشر إلاّ فتى ظريفا يستحسن هذا الفعل و يسرّه، و لي
 في هذا إمام و هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فإنه سمع
 غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال: إنما أدخلني عليكم مغنّيكم لما غنّي:
 قل لكرام بابنا يلجوا # ما في التّصابي على الفتى حرج

و أنا أعلم أنّ نفوسكم متعلقة بمعرفتي، فمن عرفني فقد اكتفى، و
 من جهلني فأنا إبراهيم الموصليّ؛ فقمنا فقبّلنا رأسه و سررنا به أتمّ سرور،
 و انعقدت بيننا و بينه يومئذ مودّة، ثم غاب عتّا غيبة طويلة، و إذا هاشم قد
 أنفذ إلينا منه رقعة فيها: أ هاشم هل لي من سبيل إلى التي # تفرّق همّ
 النفس في كل مذهب

معنّة صرفا كأنّ شعاعها # تصرّم نار أو توقّد كوكب
 /ألا ربّ يوم قد لهوت و ليلة # بها و الفتى التّهدّيّ و ابن المهلب

ندير مداما بيننا بتحيّة # و تفدية بالنفس و الأمّ و الأب

سرق عقق لابنه إسحاق خاتما له فهجاه:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

[1] كذا في الأصول. و مع استقامة الكلام به لا يبعد أن يكون: «إذا ظلم البلاء...» .

[2] في ط، ء: «لنا» .

[3] كذا في ب، س، م، أ. و في ط، ء، ح: «المهري» بالميم و الراء. و سيذكر هذا الاسم في الشعر الآتي مضطربا أيضا ففي ب، س: «النهدي» . س، م، أ: «المهدي» . و في ح: «البهري» و في ط، ء: «المهري» ، و «النهدي» و «المهري» من النسب المعروفة و لم نوفق إلى وجه الصواب في هذا الاسم.

كان [1] لي و أنا صبيّ عقق [2] قد ربّيته و كان يتكلّم بكلّ شيء سمعه، فسرق خاتم ياقوت كان لأبي [3] قد وضعه على تكأته و دخل الخلاء ثم خرج و لم يجده، فطلبه و ضرب غلامه الذي كان واقفا، فلم يقف له على خبر؛ فبينما أنا ذات يوم في دارنا إذ أبصرت العقق قد نبش ترابا فأخرج الخاتم منه و لعب به طويلا، ثم ردّه فيه و دفنه، فأخذته و جئت به إلى أبي، فسرّ بذلك و قال يهجو العقق: إذا بارك الله في طائر # فلا بارك الله في العقق

طويل الذنابي [4] قصير الجناح # متى ما يجد غفلة يسرق

يقلّب عينين في رأسه # كأنهما قطرتا زئبق

قصته مع ابن جامع بين يدي الرشيد و ما كان منه في رضا الرشيد عن محمد الزّرف:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن المكيّ، و ذاكرت أبا أحمد بن جعفر لحظة بهذا الخبر فقال حدّثني به محمد بن أحمد بن يحيى المكي/المرتجل [5] عن أبيه عن جدّه، و وجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل فجمعت الروايات كلها: / أنّ الرشيد قال يوما لجعفر بن يحيى: قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاط الأمر فيها فهلّم أقاسمك إياها و أخيرك، فاقتسما المغنّين، على أن جعلاً بإزاء كل رجل نظيره، و كان ابن جامع في حيّز الرشيد و إبراهيم في حيّز جعفر بن يحيى، و حضر الندماء لمحنة [6] المغنّين، و أمر الرشيد ابن جامع فغنى صوتا أحسن فيه كلّ الإحسان و طرب الرشيد غاية الطرب، فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم: هات يا إبراهيم هذا الصوت فغنى؛ فقال: لا و الله يا أمير المؤمنين ما أعرفه، و ظهر الانكسار فيه؛ فقال الرشيد لجعفر: هذا واحد، ثم قال لإسماعيل بن جامع: غنّ يا إسماعيل، فغنى صوتا ثانيا أحسن من الأول و أرضى في كل حال، فلما استوفاه قال الرشيد لإبراهيم: هات يا إبراهيم، قال: و لا أعرف هذا؛ فقال: هذان اثنان، غنّ يا إسماعيل، فغنى ثالثا يتقدّم الصوتين الأوّلين و يفضلهما، فلما أتى على آخره، قال: هات يا إبراهيم، قال: و لا أعرف هذا أيضا؛ فقال له جعفر: أخزيتنا أخزاك الله. قال: و أتمّ ابن جامع يومه و الرشيد مسرور به، و أجازه بجوائز كثيرة و خلع عليه خلعاً فاخرة، و لم يزل إبراهيم منخدلاً منكسراً حتى انصرف. قال: فمضى إلى منزله، فلم يستقرّ فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزّرف [7]، و كان محمد من المغنّين

المحسنين، و كان أسرع من عرف في أيامه في أخذ صوت يريده أخذه، و كان الرشيد قد وجد عليه في بعض ما يجده الملوك على أمثاله فألزمه بيته و تناساه؛ فقال إبراهيم للزُّف: إني اخترتك على من هو [1] في ب، س، م: «و كان» .

[2]العقعق: طائر على قدر الحمامة و هو على شكل الغراب، و جناحه أكبر من جناحي الحمامة، و العرب تتشاءم به و تضرب به المثل في السرقة و الخيانة و الخبث.

[3]كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «فوضعه» .

[4]الذنابي: الذنب.

[5]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «المرتحل» بالحاء المهملة، و هو تصحيف.

[6]المحنة: الاختبار، يقال: محنه إذا اختبره و جرّبه.

[7]في ط، ء: «الرف» (بالراء المهملة) . (راجع الحاشية رقم 2 ص 306 من الجزء الأوّل من «الأغاني» من هذه الطبعة) .

أحبّ إليّ منك، لأمر لا يصلح له غيرك، فانظر كيف تكون[1]! قال: أبلغ في ذلك محبتك إن شاء الله تعالى؛ فأدّى إليه الخبر و قال: أريد أن تمضي الساعة/إلى ابن جامع، فتعلمه أنك صرت إليه مهتئا بما تهيا له عليّ، و تنقّصني[2] و تثلّبي[3] و تشتمني، و تحتال في أن تسمع منه الأصوات و تأخذها منه، و لك ما تحبّه من جهتي من عرض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله. قال: فمضى من عنده و أستاذن على ابن جامع فأذن له، فدخل و سلم عليه و قال: جئتك مهتئا بما بلغني من خبرك، و الحمد لله الذي أخزى ابن الجرمقانيّة[4] على يدك، و كشف الفضل في محلك من صناعتك؛ قال: و هل بلغك خبرنا؟ قال: هو أشهر من أن يخفى على مثلي؛ قال: وبحك! إنه يقصر عن العيان؛ قال: أيها الأستاذ، سرّني بأن أسمع من فيك حتى أرويه عنك، و أسقط بيني و بينك الأسانيد؛ قال: أقم عندي حتى أفعّل؛ قال: السمع و الطاعة؛ فدعا له ابن جامع بالطعام فأكلا و دعا بالشراب، ثم ابتدأ فحدّثه بالخبر حتى انتهى إلى خبر الصوت الأوّل؛ فقال له الرّف: و ما هو أيها الأستاذ؟ فغناه ابن جامع إياه، فجعل محمد يصقّ و ينعر[5] و يشرب و ابن جامع مجتهد في شأنه حتى أخذه عنه. ثم سأله عن الصوت الثاني، فغناه إياه، و فعل مثل فعله في الصوت الأوّل، ثم كذلك في الصوت الثالث؛ فلما أخذ الأصوات الثلاثة كلّها و أحكمها قال له: يا أستاذ، قد بلغت ما أحبّ، فتأذن لي في الانصراف؟ قال: إذا شئت؛ فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم؛ فلما طلع من باب داره قال له: ما وراءك؟ قال: كلّ ما تحب، ادع لي بعود، فدعا له به، فضرب و غناه الأصوات؛ قال إبراهيم: و أبيك/هي بصورها[6] و أعيانها، ردّدها عليّ الآن، فلم يزل يردها حتى صحّت لإبراهيم، و انصرف الرّف إلى منزله؛ و غدا إبراهيم إلى الرشيد، فلما دعا بالمعّيين دخل فيهم، فلما بصر به قال له: أو قد حضرت! ما كان ينبغي لك أن تجلس في منزلك شهرا بسبب ما لقيت من ابن جامع! قال: و لم ذلك يا أمير المؤمنين؟ جعلني الله فداءك! و الله لئن أدنت لي أن أقول لأقولنّ؛ قال: و ما عساک أن تقول؟ قل؛ فقال: إنه ليس ينبغي لي و لا لغيري أن يراك نشيطا لشيء فيعارضك، و لا أن تكون متعصّبا لحيز و جنبه[7] فيغالبك، و إلا فما في الأرض صوت لا أعرفه، قال: دع ذا عنك، قد أقررت أمس بالجهالة بما سمعت من صاحبنا، فإن كنت أمسكت عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليوم، فليس هاهنا عصبية و لا تمييز، فاندفع فأمّر الأصوات كلّها، و ابن جامع مصغ يسمع منه، حتى أتى على آخرها؛ فاندفع ابن جامع فحلف بالإيمان المحرّجة أنه ما عرفها قط و لا سمعها و لا هي إلا من

صنعته، و لم تخرج إلى أحد غيره؛ فقال له: ويحك! فما أحدثت بعدي؟ قال: ما أحدثت حدثاً؛ فقال: يا إبراهيم بحياتي اصدقني! فقال: و حياتك لأصدقك، رميته بحجره [8]، فبعثت له بمحمد الزّف و ضمننت له ضمانات، أولها رضاك عنه، [1] في ب، س، ح: «كيف يكون» .

[2] كذا في ب، س. و في ط، ء: «و تقصيني» بالباء الموحدة أي تعييني و تشتمني.

[3] ثلّبه: عابه و تنقصه.

[4] الجرمقاني، و مثله الجرمقي: واحد الجرامقة، و هم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام. (انظر «القاموس» و «شرحه» مادّة جرمق) .

[5] نعر الرجل (من بابي ضرب و منع) : صاح و صوّت بخيشومه.

[6] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «بصورتها» .

[7] الجنبية: الناحية.

[8] في أساس البلاغة: «و رمى فلان بحجره إذا قرن بمثله» .

فمضى فاحتال[1] لي عليه حتى أخذها عنه و نقلها إليّ، و قد[2] سقط
الآن اللوم عني بإقراره، لأنه ليس عليّ أن أعرف ما صنعه هو و لم يخرج
إلى الناس، و هذا باب من الغيب، و إنما يلزمني أن يعرف[3] هو شيئاً من
غناء الأوائل و أجهله أنا، و إلاّ فلو لزمني أن أروى صنعته للزمه أن يروى
صنعتي، و لزم كلّ واحد منا لسائر[4] طبقته و نظرائه مثل ذلك، فمن قصّر
عنه كان مذموماً ساقطاً؛ فقال له الرشيد: صدقت يا إبراهيم، و
نضحت[5] عن نفسك، و قمت بحجّتك؛ ثم أقبل على ابن جامع فقال له: يا
إسماعيل، أتيت أتيت! دهيت دهيت! أبطل عليك الموصليّ ما فعلته به أمس و
انتصف اليوم منك؛ ثم دعا بالرّفّ فرضي عنه.

الأصوات التي غنى بها ابن جامع و بيان ما يتصل بها:

قال عليّ بن محمد: سألت خالي أبا عبد الله بن حمدون و قد تجارينا
هذا الخبر: هل تعرف أصوات ابن جامع هذه؟ فأخبرني أنه سمع إسحاق
يحكى هذه القصة، و ذكر أنّ الصوت الأوّل منها:

صوت

بكيّت نعم بكيّت و كلّّ إلف # إذا بانّت قرينته بكها

و ما فارقت لبنى عن تقال[6] # و لكن شقوة بلغت مداها

الشعر لقيس بن ذريح، و الغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى. و فيه
ليحيى المكيّ ثاني ثقيل آخر بالخنصر و البنصر من كتابه. و فيه لإبراهيم
ثقيل[7] أوّل عن الهشاميّ.

قال: و الثاني منها.

صوت

عفت دار سلمى بمفضى الرّغام # رباح تعاقبها[8] كلّّ عام

خلاف[9] الحلول بتلك الطّلّول # و سحب الدّبول بذاك المقام

/و أنس الديار و قرب الجوار # و طيب المزار و ردّ السلام

و دهر غرير[10] و عيش السّرور # و نأى الغيور و حسن الكلام

الشعر لحمّاد الرّاوية. و الغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالبنصر؛
[11] ذلك الحزنبيل عن عمرو بن أبي عمرو.

[1] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «فمضى حتى احتال... إلخ» .

- [2] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «و نقلتها حتى سقط» .
- [3] في ب، س: «ألا يعرف» . و ظاهر أنه تحريف.
- [4] كذا في ط، ء، ح. و في سائر الأصول: «كسائر» ، و هو تحريف.
- [5] كذا في ط، ء. و نضح الرجل عن نفسه: دفع عنها بالحجة. و في سائر الأصول: «نصحت» بالصاد المهملة، و هو تصحيف.
- [6] كذا في أكثر الأصول. و التقالي: التباغض. و في ب، ح: «ثقال» (بالثاء المثلثة) و هو تصحيف.
- [7] في ط، ء: «ثقل أول آخر» .
- [8] في ط، ء: «توارثها» .
- [9] كذا في ط، ء، ح. أي بعده. و في باقي الأصول: «خلال» باللام.
- [10] كذا في ح، ط، ء. و في سائر الأصول: «عزيز» .
- [11] زيادة عن ط، ء. -

قال ابن حمدون: و هذا الصوت عجيب الصنعة، كثير النغم، محكم العمل، من صدور أغاني ابن جامع و متقدّم صنعته، و كان المعتصم معجبا به، و كثيرا ما كان يسكت المغنّين إذا غنّى بحضرته فلا يسمع سائر يومه غيره.

قال: و الثالث منها:

صوت

نزف البكاء دموع عينك فاستعر # عينا لغيرك دمعا مدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها # أ رأيت عينا للبكاء تعار

الشعر للعبّاس بن الأحنف. و الغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالوسطى؛ و قال ابن حمدون: و عارضه إبراهيم بعد ذلك في [هذا][1] الشعر، فصنع فيه لحنًا من الرّمل بالبصرة في مجراها، فلم يلحقه و لا قاربه. قال: و قد صنع أيضا في هذا الشعر لحن خفيف فاسد الصنعة محدث ليس ينبغي أن يذكر هاهنا.

حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني أبو عبد الله الحزنبلي قال حدّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال: أنشد بشار قول العبّاس بن الأحنف:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر # عينا لغيرك دمعا مدرار

/فقال بشار: لحق و الله هذا الفتى بالمحسنين، و ما زال يدخل نفسه معنا و نحن نخرجه حتى قال هذا الشعر.

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال: أنشد الرشيد قول العبّاس:

من ذا يعيرك عينه تبكي بها # أ رأيت عينا للبكاء تعار

فقال: يعيره من لا حاطه الله و لا حفظه.

و مما يغنّى فيه من قصيدة العبّاس بن الأحنف الرائيّة التي هذا الصوت [2] الأخير منها قوله:

صوت

الحبّ أوّل ما يكون لجابة # تأتي به و تسوقه الأقدار

حتى إذا سلك الفتى ليج الهوى # جاءت أمور لا تطاق كبار

عنه ابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر. و فيه لشاطرة امرأة منصور زلزل
ثقل[9] أول بالوسطى عن الهشامي. و ذكر [1] في س، ب، م: «التي هي
الصوت الآخر منها». و في ح: «التي هي الصوت الأول منها» .
[2] في ح: «ثاني ثقيل أول بالوسطى» .

ابن المكّي المرتجل أنّ هذه الأصوات الثلاثة المسروقة [1] من ابن
جامع: /

يا قبر بين بيوت آل محرّق [2]

و:

عفا طرف القرية [3] فالكثيب

و أسقط منها قوله:

نرف البكاء دموع عينك فاستعر

و:

بكيث نعم بكيث و كلّ إلف

نسبة هذين الصوتين صوت

يا قبر بين بيوت آل محرّق # جادت عليك رواعد و بروق

/ أمّا البكاء فقلّ عنك كثيره # و لئن بكيث فبالبكاء حقيق [4]

/الشعر لرجل من بني أسد يرثي خالد بن نضلة [5] و رجلا آخر [6] من
بني أسد كانا نديمين للمنذر [7] بن ماء [1] في ط، ء: «المعروفة» .

[2] آل محرّق هنا: هم ملوك الحيرة من لخم، و محرّق الذي أضيفوا
إليه هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي أحد ملوكهم، و يقال له: المحرّق
الأكبر. و لقب به أيضا من اللخمين عمرو بن هند من ملوكهم، و يقال له:
المحرّق الثاني، و ابن النعمان بن المنذر شاعر.

و فيهم يقول الأسود بن يعفر:

ما ذا أوّمل بعد آل محرّق # تركوا منازلهم و بعد إباد

و محرّق-أيضا: لقب الحارث بن عمرو أبي شمر ملك الشام من آل
جفنة لأنه أوّل من حرق العرب في ديارهم. و يقال لآل جفنة أيضا: آل
محرّق (ملخص عن «اللسان» ، و «القاموس» و «شرحه» مادة حرق، و
«المعارف» لابن قتيبة ص 317) .

[3] القرية (بضم أوّله و فتح ثانيه و تشديد الياء تصغير قرية) : تطلق
على عدّة أماكن كما ذكر ياقوت في معجمه، و منها موضع بناوحي المدينة

ذكره ابن هرمة في قوله: انظر لعلك أن ترى بسويقة # أو بالقرية دون مفضي عاقل

و القرية أيضا: من أشهر قرى اليمامة، لم تدخل في صلح خالد بن الوليد يوم قتل مسيلمة الكذاب. و المرجح أنها هي المعنية بهذا الشعر، و ذلك لذكرها مع ملحاء التي هي واد من أعظم أودية اليمامة، و ستأتي فيما بعد عند ذكر الشعر.

[4] في ط، ء: «خليق» .

[5] كذا في جميع الأصول هنا و «معجم ما استعجم» للبكري (ص 694 طبع أوروبا) و «الشعر و الشعراء» لابن قتيبة (ص 144 طبع أوروبا) و «سيرة ابن هشام» (ج 1 ص 401 طبع أوروبا) و «معجم البلدان» لياقوت (ج 3 ص 792 طبع أوروبا) . و في «أمالي القالي» (ج 3 ص 195 طبع دار الكتب المصرية) و «شرح قصيدة ابن عبدون» (ص 132 طبع أوروبا) و «الأغاني» (ج 19 ص 86 طبع بولاق) : «خالد بن المضلل» . و كلاهما محتمل هنا أن يكون هو المراد و لا سيما أنهما كانا يظلهما عصر واحد و أن كليهما أسدى. و قد عنى هذين الخالدين الأسود بن يعفر في قوله: فإن يك يومي قد دنا و إخاله # كواردة يوما إلى ظمء منهل

فقبلي مات الخالدان كلاهما # عميد بني حجان و ابن المضلل

[6] هو عمرو بن مسعود. و قد رثتهما هند بنت معبد بن نضلة-كما في «سيرة ابن هشام» و «معجم ما استعجم» للبكري. و هذا يرجح أنه خالد بن نضلة-قالت لما قتلا: ألا بكر الناعي بخيري بني أسد # بعمرو بن مسعود و بالسيد الصمد

و تعني بالسيد الصمد: خالد بن نضلة عمها.

[7] يؤيد الأصول هنا في أن صاحب القصة هو المنذر بن ماء السماء ما ورد في «أمالي القالي» (ج 3 ص 195 طبع دار الكتب المصرية)

السماء، فقتلها في سخطه عليهما؛ و خبر ذلك مشهور في أخبار ابن[1]جامع. و الغناء لابن جامع، و له فيه لحنان: ثقيل أوّل بالوسطى، و رمل بالبنصر، و قيل: إن الرّمل لابن سريج. و ذكر حبش أن لمحمد صاحب البرام فيه لحن من الثقيل الثاني بالوسطى.

/و منها:

صوت

عفا رسم[2]القرية فالكثيب # إلى ملحاء[3]ليس بها عريب[4]

تأبّد[5]رسمها و جرى عليها # سفى[6]الريح و التّرب الغريب

فإنك و أطراحك وصل سعدى # لأخرى في مودّتها نكوب

كتاقبة لحلي مستعار # بأذنيها فشأنهما[7]التّقوب

فردّت حلي جارتها إليها # و قد بقيت بأذنيها ندوب[8]

الشعر لابن هرمة. و الغناء لابن جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. [عن إسحاق][9]. و فيه للغريض ثاني ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو. و قال عمرو: فيه لحن للهدلي، و لم يجنّسه.

أخبرني[10]محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني عيسى بن أيوب القرشيّ قال حدّثني غيث بن عبد الكريم عن فليح بن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حرب[11] عن أبيه قال: /مررت بآبن هرمة و هو جالس على دكان[12] في بني زريق، فقلت له: يا أبا إسحاق، ما يجلسك هاهنا؟ قال: بيت كنت قلته ثم انقطع عليّ الرويّ فيه و تعذّر عليّ ما أشتهيه، فأبغضته و تركته؛ قلت: ما هو؟ قال: () و «كتاب الأوائل» لإسماعيل بن هبة الله الموصلي، و «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على الغريين (ج 3 ص 792). و الذي في «سيرة ابن هشام» (ج 1 ص 401) و «كتاب المعارف» لابن قتيبة (ص 319) و «شرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون» (ص 132 طبع أوروبا) و «معجم ما استعجم» للبكري و «طبقات الشعراء» لابن قتيبة: أن صاحب القصة هو النعمان بن المنذر بن ماء السماء.

[1]بالبحث في أخبار ابن جامع التي ذكرت في الجزء السادس من «الأغاني» طبع بولاق لم نجد بينها هذا الخبر، و إنما وجد في أخبار عبيد بن الأبرص في الجزء التاسع عشر طبع بولاق.

[2] فيما تقدم في جميع الأصول و في ط، ء هنا: «طرف القرية» .

[3] ملحاء: واد من أعظم أودية اليمامة.

[4] عريب: أحد.

[5] تأبد المنزل: أقفر.

[6] السفى: التراب المنذري المتبدد.

[7] في ط، ء: «فشانتها» .

[8] الندوب: آثار الجرح في الجسم.

[9] الزيادة عن ط، ء.

[10] كذا ورد هذا الخبر مقدا في ط، ء على الذي يليه، و هو الذي يناسب اطراد السياق.

[11] في ط، ء: «مولى خزاعة» .

[12] الدكان: الدكة المبنية للجلوس عليها.

فإنك و أطراحك وصل سعدي # لأخرى في مودتها نكوب

قال: قلته ثم انقطع بي فيه؛ فمّرت بي جويرة صفراء مليحة كنت أستحسنها أبداً و أكلّمها إذا مّرت بي، فمّرت اليوم فرأيتها و قد ورم وجهها و تغيّر خلقها، [عما أعرف][1]، فسألته عن خبرها فقالت: [كان في بني فلان عرس أردت حضوره][1] فاستعار لي أهلي حليا و ثقبوا أذني لألبسه فورم وجهي و أذناي كما ترى، فردّوه و لم أشهد العرس؛ قال ابن هرمة: فاطرد لي الشعر فقلت: كثاقبة لحلي مستعار # بأذنيها فشأنهما الثقوب

فردت حلي جارتها إليها # و قد بقيت بأذنيها ندوب

سرق إبراهيم بن المهدي شعره و لحنه و غنى به الرشيد:

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدّثني العباس بن الفضل قال حدّثني أبي قال: قال الرشيد لإبراهيم بن المهديّ و إبراهيم الموصليّ و ابن جامع و ابن أبي الكّثّات: باكروني غداً، و ليكن كلّ واحد قد قال شعرا إن كان يقدر أن يقوله، و غنّى فيه لحناً، و إن لم يكن شاعرا غنّى في شعر غيره. قال إبراهيم بن المهديّ: فقمّت في السّحر و جهدت أن أقدر على شيء أصنعه فلم يتّفق لي، فلما خفت طلوع الفجر دعوت بغلّمانني و قلت لهم: إني أريد أن أمضي إلى موضع و لا يشعر بي أحد/حتى أصير إليه، و كانوا[2] يبيتون على باب داري، فقمّت فركبت و قصدت دار إبراهيم الموصليّ، و كان قد حدّثني أنه إذا أراد الصنعة لم ينم حتى يدبّر ما يحتاج إليه، و إذا قام لحاجته في السّحر[3] اعتمد على خشبة له في المستراح، فلم يزل يقرع عليها حتى يفرغ من الصوت و يرسخ في قلبه، فجئت حتى وقفت تحت مستراحه، فإذا هو يرّدّد هذا الصوت:

صوت

إذا سكبت في الكأس قبل مزاجها # ترى لونها في جلدة الكأس مذهبا

و إن مزجت راعت بلون تخاله # إذا ضمّنته الكأس في الكأس كوكبا

أبوها نجا[4] المزن و الكرم أمّها # فلم أر زوجا[5] منه أشهى و طيبا

فجاءتك[6] صفرا أشبهت غير جنسها # و ما أشبهت في اللون أمّا و لا أباً

قال: فما زلت واقفا أستمتع منه الصوت حتى أخذته؛ ثم غدونا إلى الرشيد، فلما جلسنا للشّرب خرج الخادم إليّ فقال: يقول لك أمير المؤمنين: يا ابن أمّ غنّني؛ فاندفعت فغنّيت هذا الصوت و الموصليّ في الموت حتى فرغت [1] الزيادة عن ط، ء.

[2] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «و كانوا في زيديات لي يبيتون فيها على باب داري فقامت فركبت في إحداها و قصدت...» . و لم ندر ما الزيديات التي كانوا يبيتون فيها ثم ركب هو إحداها. و لعلها ضرب من العجل (العربات) نسب إلى زبيدة زوج الرشيد.

[3] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «في استحي» . و الحش (مثلث الحاء) في الأصل: البستان، و أطلق على موضع قضاء الحاجة و المتوضأ لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين. و الجمع: حشوش.

[4] النجاء: جمع النجو و هو السحاب الذي قد هراق ماءه ثم مضى، و قيل: هو السحاب أوّل ما ينشأ.

[5] الزوج: النوع و الصنف.

[6] كذا في ط، ء: و في سائر الأصول: «مخائل صفرا» و هو تحريف.

منه، فشرب عليه و أمر لي بثلاثمائة ألف/درهم؛ فوثب إبراهيم الموصليّ فحلف بالطلاق و حياة/الرشيد أنّ الشعر له قاله البارحة و غنّي فيه، ما سبقه إليه أحد؛ فقال إبراهيم: يا سيدي، فمن أين هو لي أنا لو لا كذبه و بهته [1]! و إبراهيم يضطرب و يضحّ [2]؛ فلما قضيت أربا من العبت به قلت للرشيد: الحقّ أحقّ أن يتبع، و صدقته؛ فقال للموصليّ: أمّا أخي فقد أخذ المال و لا سبيل إلى ردّه، و قد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضا مما جرى عليه، فلو بدأت أنت بالصوت لكان هذا حظك؛ فأمر له بها فحملت إليه.

سأله محمد بن يحيى أن يقيم عنده في يوم مهرجان و له كل الهدايا التي تهدي إليه، فلما صارت إليه فرّقها جميعا:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن مخارق قال: أتى إبراهيم الموصليّ محمد بن يحيى بن خالد في يوم مهرجان، فسأله محمد أن يقيم عنده؛ فقال: ليس يمكنني لأن رسول أمير المؤمنين قد أتاني [3]؛ قال: فتمرّ بنا إذا انصرفت و لك عندي كلّ ما يهدى إليّ اليوم؟ فقال: نعم، و ترك في المجلس صديقا له يحصي ما يبعث [به] [4] إليه؛ قال: فجاءت هدايا عجيبة من كلّ ضرب؛ قال: و أهدي إليه تمثال فيل من ذهب عيناه ياقوتتان؛ فقال محمد للرجل: لا تخبره بهذا حتى يبعث به إلى فلانة ففعل؛ و انصرف إبراهيم إليه فقال: أحضرنى ما أهدي لك، فأحضره ذلك كله إلا التمثال، و قال: لا بدّ من صدقك، كان من الأمر كذا و كذا؛ فقال: لا! إلاّ عليّ الشريطة و كما ضمننت، فجيء بالتمثال؛ فقال إبراهيم: أ ليس الهدية لي فأعمل فيها ما أريد؟ قال: بلى، قال: فردّ التمثال على الجارية؛ و جعل يفرّق الهدايا على جلساء محمد شيئا شيئا و على جميع من حضر من إخوانه و غلمانه و على من في دور الحرم [5] من جواربه حتى لم يبق منها شيء، ثم أخذ من المجلس تفّاحتين لما أراد الانصراف و قال: هذا لي، و انصرف؛ فجعل محمد يعجب من كبر نفسه و نبه.

زاره الرشيد ليلا و غنّته جواربه:

و قال أحمد بن المرزبان حدّثني بعض كتاب السلطان: أنّ الرشيد هبّ ليلة من نومه، فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود قريب من الأرض فركبه، و خرج في درّاعة وشي مثلثا بعمامة و شيء ملتحفا بإزار وشي، بين يديه أربعمائة/خادم أبيض [6] سوى الفرّاشين، و كان مسرورا [7] الفرغانيّ جريئا عليه لمكانه عنده، فلما خرج من باب القصر قال: أين يريد أمير

المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أردت منزل الموصليّ. [قال مسرور: [8] فمضى و نحن معه و بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم؛ فخرج فتلقاه و قبّل حافر حماره و قال له: يا أمير المؤمنين، أ في مثل هذه الساعة تظهر! قال: نعم، شوق طرق لك [1] البهت (بالضم) : الافتراء و الكذب.

[2] في ط، ء: «و يصيح» .

[3] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «لأن رسول أمير المؤمنين قاعد» .

[4] الزيادة عن ط، ء.

[5] في ب، س: «في دور الخدام» .

[6] في ط، ء: «أسود» .

[7] كذا في ط، ء. و في باقي الأصول: «منذر الفرغاني» . و لم نعثر على هذا الاسم فيما بين أيدينا من الكتب التي تحدّثت عن حياة الرشيد الخاصة و العامة.

[8] الزيادة عن ط، ء.

بي؛ ثم نزل فجلس في طرف الإيوان و أجلس إبراهيم؛ فقال له إبراهيم: يا سيدي أتنشط لشيء تأكله؟ فقال: نعم، خاميز[1] طبي، فأتي به كأنما كان معدًا له، فأصاب منه شيئًا يسيرًا، ثم دعا بشارب حمل معه؛ فقال الموصلي: يا سيدي، أأغنيك أم تغنيك إماؤك؟ فقال: بل الجواري؛ فخرج جواري إبراهيم فأخذن صدر الإيوان و جانبه؛ فقال: أ يضربن كلهن أم واحدة؟ فقال: بل تضرب اثنتان اثنتان و تغني واحدة/فواحدة، ففعلن ذلك حتى مرّ صدر الإيوان و أحد جانبه و الرشيد يسمع و لا ينشط[2] لشيء من غنائهن، إلى أن غنت صبيّة من حاشيته[3].

يا موري الرّند قد أعيت قواده # اقبس إذا شئت من قلبي بمقباس

ما أقبح الناس في عيني و أسمعهم # إذا نظرت فلم أبصرك في الناس

قال: فطرب لغنائها و استعاد الصوت مرارا و شرب أرطالا، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكت، فاستدناها فتقاعست، فأمر بها فأقيمت حتى وقفت[4] بين يديه، فأخبرته بشيء أسرته إليه؛ فدعا بحماره فركبه و انصرف، ثم التفت إلى إبراهيم فقال: ما ضرّك ألا تكون خليفة؟! فكادت نفسه تخرج، حتى دعا به و أدناه بعد ذلك. قال: و كان الذي خبّرتة[به][5] أن الصنعة في الصوت لأخته عليّة بنت المهدي، و كانت الجارية لها و جهت بها إلى إبراهيم يطارحها، فغار الرشيد. و لحن الصوت خفيف رمل.

شعره في ابنة خمارة كان يالفها:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان أبي يالف خمّارة بالرّقة يقال لها بشرة[6] تنزل الهنيء[7] و المريء، و كانت لها بنت من أحسن الناس وجها فكان أبي يتحلّاها[7]، ثم رحل الرشيد عن الرّقة إلى بلاد الروم[في بعض غزواته][8]، فقال أبي فيها: /

أيا بنت بشرة ما عاقني # عن العهد بعدك من عائق

نفى التّوم عني سنا بارق # و أشهقني في ذرى شاهق

قال: و فيها يقول[أيضا][9] من أبيات له، و له فيها صنعة من الرّمل الأوّل: [1]الخاميز: اسم أعجمي تعريبه عامص و أمص، و بعضهم يقول: عاميص و أميص، و هو طعام يتخذ من لحم عجل بجلده، أو مرق السكباچ (الأكارع تطبخ بمرق فيه عصير الليمون ثم تغرف بمرقتها و تترك حتى تبرد و يجمد المرق فيكون في قوام الفالودج، و هو أيضا لحم أو سمك يطبخ بخل) المبرد المصفى من الدهن.

[2] في ط، ء: «و لا ينسبط» .

[3] أي من حاشية الإيوان. و في ط، ء و «مختار الأغاني» : «من حاشية الصفة» . و الصفة: شبه البهو الواسع الطويل السمك، و هي أيضا: طرته، أي طرفه و حرفه.

[4] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «أوقفت» بزيادة الهمزة، و هي لغة رديئة.

[5] الزيادة عن ط، ء.

[6] في «شرح القاموس» (مادة بشر): «و بشرة بالكسر اسم جارية عون بن عبد الله» ، ثم ذكر البيت إلا أنه نسبه إلى إسحاق لا إلى أبيه.

[7] راجع الحاشية رقم 4 ص 166 من هذا الجزء.

[8] تحلى الشيء و استحلاه و احلواه بمعنى.

[9] زيادة عن ط، ء.

صوت

و زعمت أنني ظالم فهجرتني # و رميت في قلبي بسهم نافذ
و نعم ظلمتك فاغفري و تجاوزي # هذا مقام المستجير العائد

ذكر حماد في هذا الخبر أن لحن جدّه من الرّمل. و وجدت في كتاب
أحمد بن المكيّ أنّ له فيهما لحنين: أحدهما ثقيل أوّل و الآخر ثاني ثقيل.

أغانيه في السجن:

حدّثني عيسى بن الحسين[1] الورّاق قال حدّثني عبد الله بن أبي
سعد[2] قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ قال: حبس الرشيد
إبراهيم الموصليّ عند أبي العباس (يعني أباه عبد الله[3] بن مالك) فسمعناه
ليلة و قد صنع هذا اللحن و هو يكرره حتى يستوي[4] له: يا أخلاء قد مللت
مكاني # و تذكّرت ما مضى من زماني

شربي الراح إذ تقوم علينا # ذات دلّ كأثها غصن بان

قال: و غنى في الحبس أيضا:

سألا طال ليلي أراعي النجوم # أعالج في السّاق كبلًا[5] ثقيلًا

زعم علويه الأعسر أنه دخل عليه في مرضه في علته و هو يترنم فأنكر ابنه إسحاق ذلك:

حدّثني عيسى قال حدّثني عبد الله قال حدّثني محمد بن عبد الله بن
مالك قال حدّثني علويه الأعسر قال: دخلت على إبراهيم الموصليّ في علته
التي توقّى فيها و هو في الأبن[6] و به القولنج[7] الذي مات فيه، و هو
يترنم بهذا الصوت:

صوت

تغيّر مني كلّ حسن و جدّة # و عاد على ثغري فأصبح أثرما

و محل أطرافي فزالت فصوصها # و حتّى عظامي عوجها و المقومًا

[1] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «الحسن»، و هو تحريف.

[2] في ب، س في هذا الموضع: «عبد الله بن أبي محمد»، و هو

تحريف.

[3] كان صاحب الشرطة في أيام المهدي فالهادي فالرشيد و كان من
أكابر القوّاد و تولى أرمينية و أذربيجان. (انظر الحاشية رقم 1 من «كتاب

التاج» للجاحظ ص 81 طبع بولاق) .

[4]كذا في ط، ء. و في باقي الأصول: «حتى تسوّى له» .

[5]الكبل (بالفتح و يكسر) : القيد.

[6]الأبزن (مثلث الهمزة) : حوض من حديد أو من نحاس مصنوع على شكل التابوت على قدر قامة الإنسان أو أقصر منها، عليه غطاء مثقوب، يضع فيه الأطباء المريض و يخرجون رأسه من الثقب فيداوونه بصب المطبوخات أو الماء المغلي بالأدوية الحارة.

[7]القولنج (و قد تكسر لامه أو هو مكسور اللام و تفتح القاف و تضم) : مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل و الريح.

قال محمد: فحدّثت بهذا الحديث إسحاق الموصليّ، فقال: كذب ابن الزانية! والله ما كان يجترئ [أن] [1] يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس للناس إلا بعد جهد، فكيف يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس في الأبن.

نسبة هذا الصوت

الشعر والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان ماخوريّ بالوسطى عن عمرو، و ثاني ثقيل عن ابن المكيّ.

غنت المقتدر إحدى جواريه لحنا له:

حدّثني جحظة قال:

كان المقتدر يدعونا في الأحيان، فكان يحضر من المغنّين إبراهيم بن أبي العبيس و كنيز و إبراهيم بن قاسم و أنا و وصيف الزامر، و كان أكثر ما ندعى له أن جواريه/ [كنّ] [2] يطالبه بإحضارنا ليأخذن منا أصواتا قد عرفتها و يسمعنا، فنغنيّ فيأخذن ما يستحسنه، فإذا انصرفنا أمر لكل واحد من إبراهيم و كنيز دبة و إبراهيم بثلاثمائة دينار، و لي بمائتي دينار، و لوصيف بمائتي دينار، و لسائر من لعله أن يحضر معنا بمائتين إلى المائة الدّينار إلى الألف الدّرههم [3]، فيكون [4] إذا حضرنا من وراء ستارة و هو جالس مع الجوّاري، فإذا أراد اقتراح شيء جاءنا الخدم فأمرونا أن نغنيّه، و بين يدي كل واحد منا قنينة فيها خمسة أرطال نبيذ و قدح و مغسل [5] و كوز ماء؛ فغنت يوما صلفة جارية زرياب بصنعة إبراهيم الموصليّ:

تغيّر منّي كلّ حسن و جدّة # و عاد على ثغري فأصبح أثرما

فشربت عليه، فاستعاده المقتدر مرارا و أنا أشرب عليه؛ فأخذ إبراهيم بن أبي العبيس بكتفي و قال: يا مجنون! إنما دعيت لتغنيّ لا لتغنيّ و تطرب و تشرب، فلعلك تسكر، حسبك!؛ فأمسكت طمعا أن تردّه بعد ذلك، فما فعلت و لا اجتمعنا بعدها، و ما سمعت قبل ذلك و لا بعده أحدا غنىّ هذا الصوت أحسن مما غنّته. قال: و كان المقتدر [6] ابتاعها من زرياب.

رأى سوداء بمكة تبكي زوجها يشعر فيحث عنه حتى ردّه إليها:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن [7] أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن عليّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ عن أبيه قال:

/بيننا أنا بمكة أجول في سككها إذا أنا بسوداء قائمة ساهية باكية،
فأنكرت حالها و أدمنت النظر إليها؛ فبكت و قالت:

[1]زيادة يقتضيها السياق، و في ط، ء: «ما كان غيري يدخل على أبي
إسحاق... إلخ» .

[2]الزيادة عن ط، ء.

[3]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «بمائتين المائة الدينار إلى
المائة الدرهم» .

[4]كذا في ط. و في سائر الأصول: «فنكون» بالنون.

[5]المغسل (بكسر السين و فتحها) : ما يغسل فيه.

[6]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «المعتضد» . و يلاحظ أن
جميع النسخ قد اتفقت في أوّل الخبر على أنه المقتدر.

[7]كذا في ط، ء هنا و فيما سيأتي في جميع الأصول و فيما مر في
الجزء الثالث (ص 192 من هذه الطبعة) . و في سائر الأصول هنا:

«عبيد الله» ، و هو تحريف.

أ عمرو علام تجبّنتني # أخذت فؤادي و عدّبتني

فلو كنت يا عمرو و خبرتني[1] # أخذت حذاري فما نلتني

فقلت لها: يا هذه، من عمرو؟ قالت: زوجي؛ قلت: و ما شأنه؟ قالت: أخبرني أنه يهواني و ما زال يطلبني حتى تزوّجته، فلبث معي قليلا ثم مضى إلي جدّة و تركني؛ فقلت لها: صفه لي؛ قالت: أحسن من أنت رائيه سمرة و أحلاهم حلاوة و قدّا؛ فركبت رواحلي مع غلmani و صرت إلى جدّة، فوقف في موضع المرفأ أتبصّر من يحمل من السفن، و أمرت من يصوت: يا عمرو يا عمرو، و إذا أنا به خارجا[2] من سفينة على عنقه صنّ [3] فيه طعام، فعرفته بصفتها و نعتها إياه، فقلت: أ عمرو علام تجبّنتني # أخذت فؤادي و عدّبتني

فقال: هيه [4]!! رأيتها و سمعت منها؟ فقلت: نعم، فأطرق هنيهة يبكي، ثم اندفع فغنى به أملح غناء سمعته، و ردّده عليّ حتى أخذته منه، و إذا هو أحسن الناس غناء؛ فقلت له: أ لا ترجع إليها؟ فقال: طلب المعاش يمنعني؛ فقلت: كم يكفّك معها في كلّ سنة؟ فقال: ثلاثمائة درهم-قال إسحاق: قال لي أبي: فو الله يا بنيّ لو قال ثلاثمائة دينار لطابت نفسي بها-فدعوت به فأعطيته ثلاثة آلاف درهم، و قلت له: هذا/لعشر سنين على أن تقيم معها، فلا تطلب المعاش إلا حيث هي مقيمة معك، و يكون ذلك فضلا؛ و رددته معي إليها.

كان يغني الرشيد ليلة فبلغه ما أغضبه فما زال يغنيه حتى سرّ الرشيد و أجزل صلته:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدّثنا عليّ بن محمد التّوفليّ [5] قال حدّثنا صالح بن عليّ (يعني الأضخم) [6] عن إبراهيم الموصليّ-قال: و كان صالح جاره-قال: بينا أنا عشية في منزلي إذ أتاني خادم من خدم الرشيد فاستحثّني بالركوب [إليه] [7] فخرجت شبيها بالراكض، فلما صرت إلى الدّار عدل بي عن المدخل إلى طرق لا أعرفها، فانتهي بي إلى دار حديثة البناء، فدخلت صحنا واسعاً، و كان الرشيد يشتهي الصّحون الواسعة، فإذا هو جالس على كرسيّ في وسط ذلك الصّحن، ليس عنده أحد إلا خادم يسقيه، و إذا هو في لبسته التي كان يلبسها في الصيف: غلالة [8] رقيقة متوشّح عليها بإزار رشيديّ [9] عريض العلم مضرّج [10]؛ فلما رأيته هسّ لي و سرّ، و قال: يا موصليّ، إني اشتيت أن أجلس في هذا الصّحن فلم [1] في ط، ء: «حذرتني» .

[2] في الأصول: «خارج» .

[3] كذا في أكثر الأصول. و الصنّ (بالفتح) : شبه السلة المطبقة، يجعل فيها الطعام و الخبز. و في ب، س: «ضبن» بالضاد و الباء، و الضبن: الحمل، و هو لا يلتئم مع ما بعده.

[4] هيه (بكسر الهاء الأخيرة و فتحها) : معناه طلب الحديث و الاستزادة منه.

[5] كذا في ط، ء، و هو الموافق لما جاء في «الأغاني» (ج 3 ص 174 من هذه الطبعة) و الطبري (قسم 3 ص 596 طبع أوروبا) . و في سائر الأصول: «محمد بن يحيى النوفلي» .

[6] في ب، س: «الأضحم» بالحاء المهملة، و هو تصحيف. (انظر الطبري قسم 3 ص 596) .

[7] زيادة عن ط، ء.

[8] الغلالة: الشعار الذي يلبس تحت الثياب و يلي شعر الجسد.

[9] في «مختار الأغاني» : «سندي» .

[10] مضرج: مصبوغ بضرب من الصبغ أحمر. -

يُنْفِق لي إلا اليوم، و أحببت ألا يكون معي و معك أحد، ثم صاح بالخدّام[1]، فوافاه مائة و صيف، و إذا هم بالأرقه مستترون بالأساطين[2] حتى لا يراهم، فلما ناداهم جاءوا جميعا، فقال: مقطعة لإبراهيم، و كان هو أوّل من قطع المصلّيات، فأتيّت بمقعد فألقي لي تجاه وجهه بالقرب منه؛ / و دعا بعود فقال: بحياتي أطربني بما قدرت؛ قال: ففعلت و اجتهدت في ذلك و نشطت و رجوت الجائزة في عشيتي؛ فينا أنا كذلك إذ جاءه مسرور الكبير، فقام مقامه الذي كان إذا قامه علم الرشيد أنه يريد أن يسأّره بشيء، فأوما إليه بالدنو، [فدنا][3] فألقي في أذنه كلمة خفيفة[4] ثم تنحى، فاستشاط غضبا و احمرّت عيناه/ و انتفخت أوداجه، ثم قال: حتّام أصبر على آل بني أبي طالب! و الله لأقتلنهم و لأقتلن شيعتهم و لأفعلنّ و لأفعلنّ!؛ فقلت: إنا لله! ليس عند هذا أحد يخرج غضبه عليه، أحسبه و الله سيوقع بي، فاندفعت أعني:

صوت

نعم عونا على الهموم ثلاث # مترعات من بعدهنّ ثلاث

بعدها أربع تنمة عشر # لا بطاء لكنهنّ حثا[5]

فإذا ناولتكهنّ جوار # عطرات بيض الوجوه خناث

تمّ فيها لك السرور و ما # طيب عيشا إلا الخناث الإناث

قال: ويلك! اسقني ثلاثا لا أمت[6]هما؛ فشرب ثلاثا متتابعة، ثم قال: غنّ فغنّيت، فلما قلت: ... ثلاث

مترعات من بعدهنّ ثلاث

قال: هات ويلك ثلاثا!، ثم قال لي: غنّ، فلما غنّيته قال: حتّ عليّ بأربع تنمة العشر، ففعل؛ فو الله ما استوفى آخرهنّ حتى سكر، فنهض ليدخل، ثم قال: قم يا موصلّي فانصرف، يا مسرور، أقسمت عليك بحياتي و بحقيّ إلا سبقته[7] إلى منزله/ بمائة ألف درهم، لا أستأمر فيها و لا في شيء منها؛ فخرجت و الله و قد أمنت خوفي و أدركت ما أمّلت، و وافيت منزلي و قد سبقتني المائة الألف الدّرهه إليه.

أخذ عن ابن جامع في سكره صوتا غنى به الرشيد فطرب و

قرّبه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن الحسن[8] بن عبد الخالق قال حدّثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن

- الرَّبِيع قال: [1]عبارة ط، ء: «.... ثم صاح يا غلام... إلخ» .
- [2]الأساطين: الأعمدة.
- [3]زيادة عن ط، ء.
- [4]في ب، س، ح: «خفية» .
- [5]حاث: مسرعات.
- [6]كذا في ط، ء، أ. و في سائر الأصول: «لا أموت» .
- [7]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «إلا شيعته» .
- [8]كذا في ط، ء و الطبري (قسم 3 ص 322 طبع أوروبا) . و في سائر الأصول: «الحسين» ، و هو تحريف.

خرج [رسول][1] الرشيد ذات ليلة إلى المغنين فقال: غنوا: يا خليلي قد مللت ثوائي # بالمصلى و قد سئمت [2] البقيعا [3]

بلغاني [4] ديار هند و سعدى # و ارجعاني فقد هويت الرجوعا

قال: فغناه ابن جامع، فلما فرغ منه طرب الرشيد و شرب؛ فقال له إبراهيم الموصلي: يا سيدي، فاسمعه من نبيطيك فغناه، فجعل ابن جامع يزحف من أول البيت إلى آخره، و طرب هارون فقال: ارفعوا الستارة؛ فقال له ابن جامع: مني و الله أخذه يا أمير المؤمنين؛ فأقبل على إبراهيم فقال: بحياتي صدق؟ قال: صدق و حياتك يا سيدي؛ قال: و كيف أخذته و هو أبخل [5] الناس إذا سئل شيئاً؟ قال: تركته يغنيه و كان إذا سكر يسترسل فيه فيغنيه مستويا و لا يتحرز مني، فأخذته على هذا منه حتى وفيت [6] به.

كانت لزلزل جارية مطبوعة فلما مات عنها أخبر هو بها الرشيد فابتاعها و أعتقها:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان برصوما الزامر و زلزل الصارب من سواد أهل الكوفة من أهل الخشنة [7] و البذاذة و الدناءة، فقدم بهما أبي معه سنة حج، و وقفهما على الغناء العربي و أراهما وجوه التعم و ثقّفهما حتى بلغا المبلغ الذي بلغاه من خدمة الخليفة، و كان أطبع أهل دهرهما في صناعتهما؛ فحدثني أبي قال: كان لزلزل جارية قد ربّأها و علمها الضرب و سألني مطارحتها [فطارحتها] [8]، و كانت مطبوعة حاذقة؛ قال: فكان يصونها أن يسمعها أحد؛ فلما مات بلغني أنها تعرض في ميراثه للبيع، فصرت إليها لأعرضها؛ فغنت: أقفر من أوتاره العود # فالعود للأوتار معمود

و أوحش المزمارة من صوته # فما له بعدك تغريد

/من للمزامير و عيدانها # و عامر اللذات مفقود

الخمير تبكي في أباريقها # و القينة الخمصانة الرود [9]

قال: و هذا شعر رثاه به صديق له كان بالرقة [10]؛ قال: فأبكت و الله عيني و أوجعت قلبي. فدخلت على الرشيد [1] التكملة عن ط، ء، إذ المعروف عن الخلفاء أنهم كانوا يجلسون وراء ستارة بينها و بين الندماء عشرون ذراعاً، و كان يوكل بهذه الستارة حاجب ينهى إلى المغنين ما يريده الخليفة. (انظر «كتاب التاج» للجاحظ ص 37 طبع بولاق) في كلامه على

الرشيد و غيره من ملوك الإسلام و الفرس، و سيأتي في بقية الخبر ما يؤيد ذلك.

[2] في ط، ء: «شئت» .

[3] المصلي و البقيع: موضعان بالمدينة.

[4] في ط، ء: «بلغا بي... و راجعا بي» .

[5] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «قال: و كيف أخذته؟ قال: هو أبخل الناس إذا سئل شيئا، فتركته... إلخ» .

[6] يريد: جئت به وافيا تماما لم أنقص منه شيئا.

[7] كذا في أكثر الأصول. و الخشنة (بضم أوله و تسكين ثانيه) : الخشونة، و رجل ذو خشنة: صعب لا يطاق. و البذاذة: رثاة الهيئة.

و في أ: «الخسة» بالسين المهملة.

[8] زيادة عن ط، ء.

[9] الرؤد (وزان قفل و سهلت همزته) : الشابة الناعمة الحسنة.

[10] كذا في ط، ء. و في باقي الأصول: «رثاه به صديق له كان يألفه فأبكت... إلخ» .

فحدّثته بحدِيثها، فأمر بإحضارها فحضرت؛ فقال لها: غنّي الصوت الذي حدّثني إبراهيم عنك أنك غنّيته، فغنّته و هي تبكي؛ فرقّ الرشيد لها و تغرّرت [1] عيناه، و قال لها: أ تحبّين أن أشتريك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، /لقد عرضت عليّ ما يقصر عنه الأمل، و لكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيّدي فينتفع بي؛ فازداد رقةً عليها، و قال: غنّي صوتاً آخر، فغنّت: العين تظهر كتماني و تبديه # و القلب يكتّم ما ضمّنته فيه

فكيف ينكتم المكتوم بينهما # و العين تظهره و القلب يخفيه

فأمر بأن تتباع و تعتق، و لم يزل يجري عليها إلى أن ماتت.

قصته مع الرشيد بشأن الجارية التي عرض بها في مجلسه:
أخبرنا محمد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن جدّه قال:

قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم، بكرّ عليّ غداً حتى نصطبح؛ فقلت [2] له: أنا و الصبح كفرسي رهان؛ فبكرت فإذا أنا به خالياً [3]، و بين يديه جارية كأنها خوط بان أو جدل عنان، حلوة المنظر، دمثة الشمائل، و في يدها عود؛ فقال لها: غنّي، فغنّت في شعر أبي نواس و هو: توهمه قلبي فأصبح حدّه # و فيه مكان الوهم من نظري أثر [4]

و مرّ بفكري خاطراً فجرحته # و لم أر جسماً قطّ يجرحه الفكر

و صافحه قلبي فألم كفه # فمن غمز قلبي في أنامله عقر

قال إبراهيم: فذهبت و الله بعقلي حتى كدت أن أفتضح، فقلت: من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه التي يقول فيها الشاعر: لها قلبي الغداة و قلبها لي # فنحن كذاك في جسدين روح

/ثم قال لها: غنّي، فغنّت:

صوت

تقول غداة البين إحدى نسائهم # لي الكبد الحريّ فسر و لك الصبر

و قد خنقتها عبرة فدموعها # على حدّها بيض و في نحرها صفر

-الشعر لأبي الشّيب. و الغناء لعمر و بن بانة، خفيف رمل بالوسطى من كتابه و فيه لميّة ثاني ثقيل و خفيف رمل آخر-قال: فشرب و سقاني ثم سقاها، ثم قال: غنّ يا إبراهيم؛ فغنّيت حسب ما في قلبي غير متحفّظ

من شيء: [1] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «فغنته و هي تبكي فتغررت عينا الرشيد... إلخ» .

[2] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «فكنت أنا و الصبح... إلخ» .

[3] في الأصول: «خال» بالرفع، و القواعد تأباه، إذ هو حال من الضمير في «به» .

[4] أثر الجرح (بالضم و بضميتين أيضا) : أثره يبقى بعد ما يبرأ.

تشرب قلبي حبها و مشى به # تمشي حميا الكأس في جسم شارب
و دب هواها في عظامي فشققها # كما دب في الملسوع سم العقارب

قال: ففطن بتعريضي، و كانت جهالة مني؛ قال: فأمرني بالانصراف، و لم يدعني شهرا و لا حضرت مجلسه؛ فلما كان بعد شهر دس إليّ خادما معه رقعة، فيها مكتوب: قد تخوّفت أن أموت من الوجـ # د و لم يدر من هويت بما بي

/يا كتابي فأقر السلام على من # لا أسمي و قل له يا كتابي
إنّ كفا إليك قد بعثتني[1] # في شقاء مواصل و عذاب

فأتاني الخادم بالرقعة؛ فقلت له: ما هذا؟ قال: رقعة الجارية فلانة التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين؛ فأحسنت القصة فشتت الخادم و وثبت عليه و ضربته ضربا شفيت به نفسي و غيظي، و ركبت إلى الرشيد من فوري فأخبرته القصة/و أعطيته الرقعة؛ فضحك حتى كاد يستلقى، ثم قال: على عمد فعلت ذلك بك لأمتحن مذهبك و طريقتك، ثم دعا بالخادم؛ فلما خرج رأني فقال لي: قطع الله يديك و رجلك، ويحك! قتلنتني؛ فقلت: القتل و الله كان بعض حقا لما وردت به عليّ، و لكن رحمتك فأبقيت عليك، [و أخبرت أمير المؤمنين ليأتي في عقوبتك بما تستحقه. فأمر لي الرشيد بصلة سنية [2]؛ و الله يعلم أني ما فعلت الذي فعلت عفافا و لكن خوفا.

سأله الرشيد كيف يصنع ألحانه فأجابه:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني حماد بن إسحاق قال: أخبرني أبي أنه سمع الرشيد و قد سأل جدّي إبراهيم كيف يصنع إذا أراد أن يصوغ الألحان، فقال: يا أمير المؤمنين، أخرج الهمّ من فكري و أمثل الطرب بين عينيّ، فتسوغ[3] لي مسالك الألحان[التي أريد][3] فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مصيبا ظافرا بما أريد؛ فقال: يحقّ لك يا إبراهيم أن تصيب و تظفر، و إنّ حسن وصفك لمشاكل حسن صنعتك و غنائك.

فراصة يونس الكاتب فيه:

أخبرني ابن المرزبان قال حدّثني حماد عن أبيه عن جدّه قال: أدركت يونس الكاتب و هو شيخ كبير فعرضت عليه غنائي؛ فقال: إن عشت كنت مغنيّ دهرك.

كان أحد من يتصرّفون في كل مذهب من الأغاني:

قال حمّاد قال لي محمد بن الحسن: كان لكل واحد من المغنّين مذهب في الخفيف و الثقيل، و كان معبد ينفرد بالثقل، و ابن سريج بالرّمل، و حكم بالهزج، /و لم يكن في المغنّين أحد يتصرّف في كل مذهب من الأغاني إلا ابن سريج و إبراهيم جدّك و أبوك إسحاق.

[1] في ط، ء، و «مختار الأغاني»: «إن كفا إليكم كنيّتي» .

[2] الزيادة عن ط، ء، و «مختار الأغاني» .

[3] كذا في ط، ء، و في ح: «فيشرع» . و في سائر الأصول:

«فيسرع» .

رآه ثمامة بن أشرس مع يزيد حوراء مصطبحين يغنياه فأعجب بما كانا فيه:

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن الطيّب السرخسيّ قال حدّثني أحمد بن ثابت العبديّ عن أبي الهذيل العلاف رأس المعتزلة عن ثمامة بن أشرس قال: مررت بإبراهيم الموصليّ و يزيد حوراء و هما مصطبحان[1]، و قد أخذتا بينهما صوتا يغنيانه: هذا بيتا و هذا بيتا، و هو:

صوت

أيا جبلي نعمان بالله خليا # سليل[2] الصبا يخلص إليّ نسيمها
فإنّ الصبا ربح إذا ما تنسّمت # على نفس مهموم تجلّت همومها

طلب الخلوة في بيته يوما فزعم بأن إبليس زاره و طارحه الغناء:

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال: سألت الرشيد أن يهب لي يوما في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه و لا بسبب، لأخلو فيه بجواريّ و إخواني، فأذن لي في يوم السبت، و قال لي[3]: هو يوم أستثقله، فإله فيه بما شئت؛ فأقمت يوم[4] السبت بمنزلي و تقدّمت في إصلاح[5] طعامي و شرابي بما احتجت إليه، و أمرت بؤابي فأغلق الأبواب و تقدّمت[6] إليه ألاّ يأذن/عليّ لأحد؛ فبينما أنا في مجلس و الخدم[7] قد حقّوا بي و جواريّ يترددن بين يديّ، إذا أنا بشيخ ذي هيئة و جمال، عليه خفّان قصيران و قميصان ناعمان، /و على رأسه قلنسوة لاطئة[8]، و بيده عكّازة مقمّعة بفضّة، و روائح المسك تفوح منه حتى ملأ البيت و الدار؛ فداخني بدخوله عليّ مع ما تقدّمت فيه غيظ ما تداخني قطّ مثله، و هممت بطرد بؤابي و من حبّني لأجله؛ فسلمّ عليّ أحسن سلام فرددت عليه، و أمرته بالجلوس فجلس، ثم أخذ[بي][9] في أحاديث الناس و أيام العرب و أحاديثها و أشعارها حتى سلّى[10] ما بي من الغضب، و ظننت أنّ غلماني تحرّوا مسرّتي بإدخالهم مثله عليّ لأدبه و ظرفه؛ فقلت: هل لك في الطعام؟ فقال: لا حاجة لي فيه؛ فقلت: هل لك في الشراب؟ فقال: ذلك إليك، فشربت رطلا و سقيته مثله؛ فقال لي: يا أبا إسحاق، هل لك أن تغني لنا شيئا من صنعتك و ما[11] قد نفقت به [1]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «مصطبحان» .

[2]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «نسيم الصبا» .

- [3] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «فقال: هو... إلخ» .
- [4] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «فأقمت في يوم... إلخ» .
- [5] في ب: «في اصطلاح» و هو تحريف.
- [6] تقدمت إليه: أمرته.
- [7] في ب، س، م: «و الحرم» .
- [8] يقال: تقلس باللاطئة و هي قلنسوة صغيرة تلتأ (تلق) بالرأس.
- [9] زيادة عن ط، ء، ح.
- [10] لعله ضمن «سلى» معنى أذهب و أزال، على أنه لا يبعد أن يكون أصله «سل» . و في ط، ء: «سلا» .
- [11] كذا في ب، س، ح و «مختار الأغاني» لابن منظور. و في ط، ء: «من صنعتك ما قد فقت به... إلخ» . و في م: «من صنعتك ما قد تغنيت به... إلخ» .

عند الخاصّ و العامّ؟ فغاضني قوله، ثم سهّلت على نفسي أمره فأخذت العود فجسسته ثم ضربت فغنيّت؛ فقال: أحسنت يا إبراهيم؛ فازداد غيظي و قلت: ما رضي بما فعله من دخوله عليّ بغير إذن و اقتراحه أن أغنيه حتى سمّاني و لم يكتني و لم يجمل مخاطبتي!. ثم قال: هل لك أن تزيدنا؟ فتذمّمت [1] فأخذت العود فغنيّت؛ فقال: أجدت يا أبا إسحاق! / فأتّم [2] حتى نكافئك و نغنيك؛ فأخذت العود و تغنيّت و تحفّطت و قمت بما غنيته إياه [قياماً] [3] تامّاً ما تحفّطت مثله و لا قمت بغناء كما قمت به له بين يدي خليفة قط و لا غيره، لقوله لي: أكافئك؛ فطرب و قال: أحسنت [4] يا سيدي، ثم قال: أ تاذن لعبدك بالغناء؟ فقلت: شأنك، و استضعفت عقله في أن يغنيني بحضرتي بعد ما سمعه منّي؛ فأخذ العود و جسّه و حبسه، فو الله لخلته ينطق بلسان عربيّ لحسن ما سمعته من صوته [5]، ثم تغنى:

صوت

و لي كبد مقروحة من يبيعني # بها كيدا ليست بذات قروح

أباها عليّ الناس لا يشترونها # و من يشتري ذا علّة [6] بصحيح

أئنّ من الشوق الذي في جوانبي # أنين غصيص بالشراب جريح

قال إبراهيم: فو الله لقد ظننت الحيطان و الأبواب و كلّ ما في البيت يجيبه و يغنيّ معه من حسن غنائه، حتى خلت و الله أنّي أسمع أعضائي [7] و ثيابي تجاوبه، و بقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام و لا الجواب و لا الحركة لما خالط قلبي؛ ثم غنى:

صوت

ألا يا حمامات اللوى عدن عودة # فإني إلى أصواتكنّ حزين

فعدن فلما عدن كدن يمتنني # و كدت بأسراري لهنّ أبين

/ دعون بترداد الهدير كأنما # سقين حميّا أو بهنّ جنون

فلم تر عيني مثلهنّ حمائما # بكين و لم تدمع لهنّ عيون

-لم أعرف في هذه الأبيات لحنا ينسب إلى إبراهيم، و الذي عرفته لمحمد بن الحارث بن بسحّتر [8] خفيف رمل-فكاد، و الله أعلم، عقلي أن يذهب طربا و ارتياحا لما سمعت؛ ثم غنى: [1] تدمم الرجل: استنكف، يقال: لو لم أترك الكذب تأثما لتركته تدمما، أي مجانية للدم.

[2] في ط، ء و «مختار الأغاني» : «فأتمم هزارك» . و الهزار: كلمة فارسية من معانيها الأنشودة و المقطوعة.

[3] الزيادة عن ط، ء.

[4] في ط، ء: «أحسننت يا سيدي و يا أوثق عددي» .

[5] في ط، ء: «من ضربه» .

[6] في ط، ء: «ذا عرّة» . و العرّة: الجرب.

[7] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «أني و عظامي و ثيابي... إلخ»

[8] كذا في ط، ء. و قد صححه الأستاذ الشنقيطي في عدّة مواضع بنسخته الخاصة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (144 أدب ش) . و قد ورد في سائر الأصول: «بشخير» و هو تصحيف.

صوت

/

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد # لقد زادني مسراك وجدا على وجد

أ أن هتفت و رقاء في رونق الصّحى [1] # على فنن [2] غصّ الثّبات من الرّند [3]

بكيت كما يبكي الحزين صباة # و ذبت من الحزن المبرّح و الجهد [4]

و قد زعموا أنّ المحبّ إذا دنا [5] # يملّ و أنّ النأى يشفي [6] من الوجد

بكلّ تداوينا فلم يشف ما بنا # على أنّ [7] قرب الدار خير من البعد

ثم قال: يا إبراهيم، هذا الغناء الماخوريّ فخذهُ و انج نحوه في غنائك و علّمه جواربك؛ فقلت: أعده عليّ، فقال: لست [8] تحتاج، قد أخذته و فرغت منه، ثم غاب من بين يديّ [9]؛ فارتعت [10] و قمت إلى السيف فجرّدتَه، و عدوت نحو أبواب الحرم فوجدتها مغلقة، فقلت للجوّاري: أيّ شيء سمعتنّ عندي؟ فقلن [11]: سمعنا أحسن غناء سمع قط؛ فخرجت متحيراً إلى باب الدار فوجدته مغلقا، فسألت البوّاب عن الشيخ؛ فقال لي: أيّ شيخ هو؟ و الله ما دخل إليك اليوم أحد؛ فرجعت لأتأمل أمرِي، فإذا هو قد هتف [بي] [12] من بعض جوانب البيت: لا بأس عليك يا أبا إسحاق، أنا إبليس و أنا كنت جليساك و نديمك اليوم، فلا ترع. فركبت إلى الرشيد و قلت: لا أطرفه [13] أبدا بطرفة مثل هذه، فدخلت إليه فحدّثته بالحديث؛ فقال: ويحك! تأمل هذه الأصوات [14]، هل أخذتها؟ فأخذت العود أمتحنها، فإذا هي راسخة في صدري كأنها لم تزل؛ فطرب الرشيد [عليها] [15] و جلس يشرب و لم يكن عزم على الشراب، و أمر لي بصلة و حملان [9] و قال: الشيخ كان أعلم بما قال لك من أنك أخذتها و فرغت منها، فليته أمتعنا بنفسه يوما واحدا كما أمتعك.

[1] رونق الصّحى: حسنه و إشراقه.

[2] كذا في ط، ء و «شرح الحماسة» للتبريزي (ج 3 ص 145). و في سائر الأصول و «ديوان ابن الدمينة» المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحت رقم (6 أدب ش): «غصن».

[3] الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية. و قد ورد هذا البيت في أكثر الأصول بعد البيت الذي يليه، و قد وضعناه كما ورد في ط، لانسجام الكلام بذلك.

[4] روى هذا البيت في «شرح الحماسة» هكذا:

بكيت كما يبكي الوليد و لم تكن # جليدا و أبديت الذي لم تكن تبدي

[5] كذا في ط، ء، م و «الأغاني» (ج 15 ص 156 طبع بولاق) و هو الموافق لما جاء في شرح ديوان الحماسة» للتبريزي و «ديوانه» . و في سائر الأصول: «إذا نأى» .

[6] في ط، ء: «يسلي» .

[7] في ط، ء و «شرح الحماسة» : «على ذاك قرب... إلخ» .

[8] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «ليس» .

[9] في ط، ء و «مختار الأغاني» : «من بين عيني» .

[10] كذا في ط، ء و «مختار الأغاني» . و في سائر الأصول: «فارتفعت» .

[11] في ب، س: «فقلنا» و هو تحريف.

[12] الزيادة عن ط، ء و «مختار الأغاني» .

[13] أطرفه: أتحفه و أتاه بالحديث الجديد.

[14] كذا في ط، ء و «مختار الأغاني» . و في سائر الأصول: «الأبيات»

[15] الحملان (بالضم) : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.

نسبة هذه الأصوات

أمّا الصوت الأوّل فالذي أعرفه فيه خفيف رمل لمحمد بن الحارث بن بُسْحَر، و لم يقع إليّ فيه صنعة لإبراهيم. و الصوت الثاني الذي أوّله: ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

فشعره ليزيد[1] بن الطّثريّة[2]، و الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو. و فيه لمحمد بن الحسن بن مصعب ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ و عمرو. و ذكر إبراهيم أنّ فيه لحنا لدحمان و لحنا لابنه الزبير، و لم يذكر في أيّ طريقة هما.

هكذا حدّثنا ابن أبي الأزهر بهذا الخبر؛ و ما أدري ما أقول فيه، و لعل إبراهيم صنع هذه الحكاية ليتنقّق بها، أو صنعت و حكيت عنه. إلا أنّ للخبر أصلا الأشبه بالحق منه ما حدّثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و أحمد بن عبيد الله بن عمّار قالا حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه قال: صنعت لحنا فأعجبني، و جعلت أطلب شعرا فعسر ذلك عليّ، و رأيت في المنام كأنّ رجلا لقيني فقال: يا إبراهيم، أعيالك شعر لغنائك هذا الذي تعجب به؟ قلت نعم؛ قال: فأين أنت من قول ذي الرّمة حيث قال: /

ألا يا اسلمي يا دارميّ عن البلى # و لا زال منهلاً بجرعائك[3]القطر

/و إن لم تكوني غير شام[4]بقفرة # تجرّبها الأذيال صيفيّة[5]كدر

قال: فانتبهت و أنا فرح[6]بالشعر، فدعوت من ضرب عليّ و غنيته فإذا هو أوفق ما خلق الله، فلمّا علمت [ذلك، و عملت][7]هذا الغناء في شعر ذي الرّمة، تنبّهت عليه و على شعره فصنعت فيه ألحانا ماخوريّة، منها:

صوت

أ منزلتي ميّ سلام عليكما # هل الأزمن اللاني مررن رواج

و هل يرجع التسليم أو يكشف العمى # ثلاث الأثافي[8]أو رسوم بلاقع

[1]كذا في جميع الأصول و «الأمالي» لأبي عليّ القالي (ج 3 ص 104 طبع دار الكتب المصرية). و قد نسبت هذه الأبيات في «الأغاني» (ج 15 ص 156 طبع بولاق) و «شرح الحماسة» للتبريزي (ج 3 ص 145) لعبد الله بن الدمينه، و هي مذكورة في «ديوانه» .

[2]في ب، ح: «الطبرية» بالباء الموحدة، و هو تصحيف.

[3]الجرعاء: الرملة المستوية لا تنبت شيئاً.

[4]كذا في جميع الأصول و «ديوان ذي الرمة» طبع أوروبا. و الشام:
جمع شامة، و هي بقعة تخالف لون الأرض؛ أي و إن أصبحت جزءاً أسود من
الأرض قد فقد كل ما كان له من معالم. و قد ذكر ذو الرمة هذا المعنى أيضاً
في قوله: كأن ديار الحيّ بالزرق خلقة # من الأرض أم مكتوبة بمداد
أي كأنها خلقة من الأرض سوداء. و الزرق: كئيب بالدهناء.

[5]الصيفية: رياح الصيف. و الكدر: جمع كدراء و هي التي في لونها
غبرة.

[6]في ب، ح: «جموح» .

[7]الزيادة عن ط، ء.

[8]كذا في ط، ء هنا. و فيما سيأتي في «الأغاني» (ج 16 ص 129
طبع بولاق) و «المخصص» (ج 17 ص 100، 125) : ثلاث الأثافي و الديار
البلاقع

صنعة إبراهيم في هذين الشعريين جميعا من الماخوريّ بالوسطى، و هو خفيف الثقل الثاني. و أخباره كلها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرّمة مشروحة.

سأل الرشيد أن يختصه بالغناء في شعر ذي الرمة و كان الرشيد يؤثره:

حدّثني [محمد بن] [1] مزيد قال حدّثني حمّاد عن أبيه قال قال [لي] [1] أبي: قال [لي] [1] جعفر بن يحيى يوما و قد علم أنّ الرشيد أذن لي و للمغنين في الانصراف يومئذ: صر إليّ حتى أهب [2] لك شيئا حسنا-فصرت إليه فقال لي: أيما أحبّ إليك: أهب لك الشيء الحسن الذي و عدتك به، أم [3] أرشدك إلى شيء تكسب به ألف ألف درهم؟ فقلت: بل يرشدني الوزير-أعزّه الله-إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائه إياي هذا الحسن [4]؛ فقال: إنّ أمير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرّمة حفظ الصّبا [5] و يعجبه و يؤثره، فإذا سمع فيه غناء، أطربه أكثر مما يطربه غيره مما لا يحفظ شعره؛ فإذا غنّيته فأطربته و أمر لك بجائزة، فقم على رجلك قائما و قبّل الأرض بين يديه و قل له: لي حاجة غير هذه الجائزة أريد أن أسألها أمير المؤمنين، و هي حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة و لا تضرّه و لا ترزؤه؛ فإنه سيقول لك: أيّ شيء حاجتك؟ فقل: قطيعة تقطعنيها سهلة عليك لا قيمة لها و لا منفعة فيها لأحد؛ فإذا أجابك إلى ذلك، فقل له: تقطعني شعر ذي الرّمة أعني فيه ما أختاره و تحظر على المغنين جميعا أن [6] يداخلوني فيه، فإني أحبّ شعره و أستحسنه فلا أحبّ أن ينغصه عليّ أحد منهم، و توثّق منه في ذلك؛ فقبلت ذلك القول منه، و ما انصرفت من عنده بعد ذلك إلا بجائزة؛ / و توخّيت وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدته، فقامت فسألت كما قال لي، و تبيّنت السرور في وجهه، و قال: ما سألت شططا، قد [7] أقطعتك سؤلتك؛ فجعلوا يتضحكون من قولي و يقولون: لقد استضحمت القطيعة و هو ساكت؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أ تاذن لي في التوثّق؟ قال: توثّق كيف شئت؛ فقلت: بالله و بحقّ رسوله و بتربة أمير المؤمنين المهديّ إلا جعلتني على ثقة من ذلك بأنك [تحلف] [8] لي أنك لا تعطي أحدا من المغنين جائزة على شيء يغنيه في شعر ذي الرّمة فإنّ ذلك وثيقتي؛ فحلف مجتهدا لهم لئن غناه أحد منهم في شعر ذي الرّمة لا أثابه بشيء و لا برّه و لا سمع غناءه؛ فشكرت فعله و قبّلت الأرض بين يديه و انصرفنا. فغنيّت مائة صوت و زيادة [9] في شعر ذي الرّمة، فكان إذا سمع

منها صوتا () و ورد في كثير من كتب الأدب و منها ديوان ذي الرمة هكذا:
ثلاث الأثافي و الرسوم البلاقع

و كذلك أوردته أكثر معاجم اللغة شاهدا على تعريف المضاف إليه في
العدد. و في باقي الأصول هنا: «ثلاث أثاف أو رسوم بلاقع» .

(و الأثافي) الأحجار التي توضع عليها القدر، واحدها أثفية (بضم الهمزة
و كسرهما) .

[1]التكلمة عن ط، ء.

[2]كذا في ط، ء، و هو الصواب لأن «وهب» يتعدى إلى المفعول الأوّل
باللام، و قد جاء في التنزيل: **لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا** . و أنكر سيبويه أن
يقال: أهبك كذا؛ و نقل عن أبي عمرو أنه سمع أعرابيا يقول لآخر: انطلق
معي أهبك نبلا. و في سائر الأصول: «حتى أهبك» .

[3]يراد هنا التعيين، فلهذا وضعنا «أم» بدل «أو» التي وردت في
الأصول.

[4]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «المال» .

[5]في ط، ء: «كأنه حفظ الصبي» .

[6]كذا في ط، ء، أ. و في سائر الأصول: «ألا يداخلوني» .

[7]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «و قال: أقطعتك... إلخ» .

[8]زيادة عن ط.

[9]كذا في ح. و في سائر الأصول: «و زيادة عليها في شعر... إلخ» .

طرب و زاد طربه و وصلني فأجزل، و لم ينتفع به أحد منهم غيري؛ فأخذت منه و الله بها ألف ألف درهم و ألف ألف درهم.

رأى في منامه من أرشده إلى الغناء في شعر ذي الرمة فغنى به الرشيد فأجزل صلته:

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدّثني [1] هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو خالد الأسلميّ قال حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال: قال إبراهيم الموصليّ: أرتج عليّ فلم أجد شعرا أصوغ فيه غناء أغنّي فيه الرشيد، / فدخلت إلى بعض حجر داري مغموما، فأسبلت الستور عليّ و غلبتني عيني، فتمثّل لي/ في البيت شيخ أشوه الخلقة، فقال لي: يا موصليّ، ما لي أراك مغموما؟ قلت: لم أصب شعرا أغنّي فيه الرشيد الليلة؛ قال: فأين أنت عن قول ذي الرّمة: ألا يا اسلمي يا دارميّ على البلى # و لا زال منهلا بجرعائك [2] القطر

و إن [3] لم تكوني غير شام بقفرة # تجرّبها الأذيال صيفيّة كدر [4]

أقامت [5] بها حتى ذوي العود في الثرى [6] # و ساق الثريا في ملاءته [7] الفجر

و حتى اعتلى [8] البهمى [9] من الصيف نافض # كما نفضت خيل نواصيها شقر

قال: و غنّاني فيه بلحن و كزّره حتى علقته [10] فانتبهت و أنا أديره، فناديت جارية لي و أمرتها بإحضار عود، و ما زلت أترنّم بالصوت و هي تضرب حتى استوى [لي] [11]؛ ثم صرت إلى هارون فغنّيته إياه، فأسكت [12] المغنّين، ثم قال: أعد فأعدت، فما زال ليلته يستعيدنيه، فلما أصبح أمر لي بثلاثين ألف درهم و بفرش البيت الذي كنّا فيه، و قال: عليك بشعر ذي الرّمة فغنّ فيه؛ فصنعت فيه غناء كثيرا، فكنت أغنّيه به [فيعجبه] [11] و يجزل صلتي.

[1] كذا ورد هذا السند في ط، ء قد ورد في سائر الأصول هكذا: «أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدّثني هارون بن عمرو الجرجانيّ قال... إلخ» .

[2] راجع الحاشية رقم 1 ص 236 من هذا الجزء.

[3] في ط، ء و «ديوانه» طبع أوروبا: «فإن لم» بالفاء.

[4] راجع الحاشية رقم 3 ص 236 من هذا الجزء.

[5] في ط، ء: «أقاموا» بالواو.

[6] في «شرح شواهد الكبرى» للإمام العيني («الموضوع على هامش الخزانة» للبغدادي ج 2 ص 7 طبع بولاق) : «والتوى» .

[7] ملاءة الفجر: بياضه؛ شبه بالملاءة و هي الثوب الأبيض.

[8] في ديوانه و شرح الشواهد الكبرى المذكور: «اعتري» .

[9] البهمي (للواحد و الجمع) : نبت تجد به الغنم وجدا شديدا ما دام أخضر، فإذا يبس و عظم خرج له شوك مثل شوك السنبل ثم كان كالأيرعاه الناس حتى يصيبه المطر من عام مقبل و ينبت من تحته حبه الذي سقط من سنبله. و النافض: يبس يقع فيها فينفضها؛ و هذا في أول القيظ قبل شدة الحر. قال أبو عمرو: نافض: يريد ربح الصيف، و شبه شوك البهمي إذا وقعت عليه فايض بنواصي خيل شقر.

(انظر «شرح ديوان ذي الرمة» طبع أوروبا) .

[10] كذا في ط، ء. يريد: حتى علمته و حفظته، يقال: علق فلان أمره إذا علمه. و في سائر الأصول: «عقلته» .

[11] زيادة عن ط، ء.

[12] في ط، ء: «فأمسك المغنون بإسكاته ثم قال... إلخ» .

غنى الرشيد و معه زلزل و برصوما فأطربوه:

أخبرني عمي و ابن المرزبان و الحسن بن عليّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله السلميّ قال حدّثنا أبو غانم مولى جبلة [1] بن يزيد السلميّ قال: اجتمع إبراهيم الموصليّ و زلزل و برصوما بين يدي الرشيد، فضرب زلزل و زمر برصوما و غنى إبراهيم:

صوت

صحا قلبي و راع [2] إليّ عقليّ # و أقصر باطلاي و نسيت جهلي

رأيت الغانيات و كنّ صوراً [3] # إليّ صرمني و قطعن حبلي

فطرب هارون حتى وثب على رجليه و صاح: يا آدم، لو رأيت من يحضرني [4] من ولدك اليوم لسرّك! ثم جلس و قال: أستغفر الله. الشعر الذي غنى فيه إبراهيم لأبي العتاهية. و الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر.

غاضب الرشيد جارية يحبها فغناه بشعر للعباس بن الأحنف فترضاها:

حدّثني جحظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان الرشيد يجد بماردة و جدا شديدا؛ فغضبت عليه و غضب عليها، و تمادى بينهما الهجر أياما؛ فأمر جعفر بن يحيى العباس بن الأحنف فقال: راجع أحبّك الذين هجرتهم # إنّ المتيمّ قلما يتجنّب

إنّ التجنّب إن تناول منكما # دبّ السلّو له فعزّ المطلب

/و أمر إبراهيم الموصليّ فعنى فيه الرشيد؛ فلما سمعه بادر إلى ماردة فترضاها؛ فسألت عن السبب في ذلك فعرفته، فأمرت لكل واحد من العباس و إبراهيم بعشرة آلاف درهم، و سألت الرشيد أن يكافئهما عنها، فأمر لهما بأربعين ألف درهم.

نال أوّل جائزة خرجت لشاعر من الرشيد:

أخبرني جعفر بن قدامة عن حمّاد عن أبيه قال:

أوّل جائزة خرجت لشاعر من الرشيد لمّا ولي الخلافة جائزة لإبراهيم [5]، فإنه قال يمدحه لمّا ولي: [1] في ط، ء: «مولى يزيد بن جبلة»

[2] كذا في أكثر الأصول. و راع بمعنى: رجع. و في ب، س: «راع»
بالغين المعجمة، و هو تصحيف.

[3] كذا في ح. و صور إلى كذا (من باب علم) إذا أمال عنقه و وجهه
إليه فهو أصور و الأنثى صوراء و الجمع: صور. و في سائر الأصول: «خزرا»

[4] في ط، ء: «من بحضرتي» .

[5] كذا في ط، ء. و إبراهيم هذا هو إبراهيم الموصلي صاحب الترجمة،
و في ابن خلكان في «ترجمة يحيى البرمكي» ج 2 ص 360 إلى 366 بعد
أن ذكر قصة هذا الشعر قال: «و في ذلك يقول الموصلي و أظنه إبراهيم
النديم أو ابنه إسحاق» . و في سائر الأصول: «لأبي فائد» و هو تحريف.

صوت

/

ألم تر أنّ الشمس كانت مريضة # فلما ولي هارون أشرق نورها

فألبست[1]الدنيا جمالا بوجهه # فهارون و اليها و يحيى وزيرها

و عثى فيه، فأمر له بمائة ألف درهم، و أمر له يحيى بخمسين ألف درهم.

قامر الرشيد بالنرد فتقامر له:

أخبرنا الحسين بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن[2]مالك قال حدّثني إسحاق الموصليّ:

أنّ أباه لعب يوما مع الرشيد بالنرد في الخلعة التي كانت على[3]الرشيد و الخلعة التي كانت عليه هو، فتقامر[4]للرشيد، فلما قمره قام إبراهيم فنزع ثيابه، ثم قال للرشيد: حكم النرد الوفاء به، و قد قمرت و وقّيت لك، فاليس ما كان عليّ؛ / فقال له الرشيد: ويلك! أنا ألبس ثيابك!؛ فقال: إي و الله إذا أنصفت، و إذا لم تنصف قدرت و أمكنك؛ قال: ويلك! أ و أفندي منك؟ قال: نعم؛ قال: و ما الفداء؟ قال: قل أنت يا أمير المؤمنين فإنك أولى بالقول؛ فقال: أعطيك كلّ ما عليّ؛ قال: فمر به يا أمير المؤمنين و أنا أستخير الله في ذلك؛ فدعا بغير ما عليه فلبسه و نزع ما كان عليه فدفعه إلى إبراهيم.

فطنة ابن جامع و إبراهيم في صناعة الموسيقى:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبة قال حدّثني عليّ بن عبد الكريم قال:

زار ابن جامع إبراهيم[الموصليّ][5]؛ فأخرج إليه ثلاثين جارية فضربن جميعا طريقة واحدة و عثين؛ فقال ابن جامع. في الأوتار وتر غير مستو؛ فقال إبراهيم: يا فلانة شدّي مثناك، فشدّته فاستوى؛ فعجبت أوّلا من فطنة ابن جامع لوتر في مائة و عشرين و ترا غير مستو، ثم ازداد عجبى من فطنة إبراهيم له بعينه.

غناؤه عند خمار بالرقّة:

أخبرني إسماعيل بن يونس و حبيب بن نصر[المهلبيّ][5]قالا حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني أبي قال:

كنا مع الرشيد بالرقة و كان هناك خمّار أقصده أشتري منه شرابا حسنا طيبا، و ربما شربت في حانته، فأتيته يوما فبزل[6] لي دنا في باطية[7] له، فرأيت لونه حسنا صافيا، فاندفعت أغني:

[1] في ط، ء: «تليست» .

[2] كذا في ط، ء، و فيما سبق في مواضع كثيرة في جميع الأصول و فيما سيأتي أيضا. و في سائر الأصول هنا: «محمد بن عبد الملك» ، و هو تحريف.

[3] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «مع» و هو تحريف.

[4] كذا في ط، ء، و لعله يريد أنه تظاهر بالغلب للرشيد. و في سائر الأصول: «فتقامر الرشيد» .

[5] زيادة عن ط، ء.

[6] كذا في ط، ء. و بزل الدن: ثقبه، و يقال: بزل الشراب إذا صفاه. و في سائر الأصول: «فنزل» بالنون، و هو تصحيف.

[7] الباطية: إناء من الزجاج يملأ من الشراب و يوضع بين الشرب يغترفون منه.

صوت

اسقني صهبا صرفا # لم تدنس بمزاج
 اسقني و الليل داج # قبل أصوات الدجاج
 يا أبا وهب خليلي # كل هم لانفراج
 حين توهت [1] بقلبي # في أعاصير الفجاج [2]

-الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم هزج بالوسطى عن عمرو. و فيها لسياط ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق-قال: فدهش الخمار يسمع صوتي، فقلت له: ويحك! قد فاض النيذ من الباطية؛ فقال: دعني من النيذ يا أبا إسحاق، ما لي أرى صوتك حزينا حريقا [3]، مات لك بالله إنسان؟؛ فلما جئت إلى الرشيد حدثته بذلك فجعل يضحك.

قصته مع الجواري اللاتي عقنه عن موعد الرشيد و خروج الرشيد إليهن معه متخفيا:

و ذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ المدائنيّ حدّث قال: [قال] [4] إبراهيم الموصليّ قال لي الرشيد يوما: يا إبراهيم، إني قد جعلت غدا للحريم، و جعلت ليلته للشرب مع الرجال، و أنا مقتصر عليك من المغيّين، فلا تشتغل غدا بشيء و لا تشرب نبذا، و كن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة؛ فقلت: السمع و الطاعة لأمر المؤمنين؛ فقال: و حقّ أبي لئن تأخرت أو اعتللت بشيء لأضربنّ / عنقك، أ فهمت؟ فقلت: نعم، و خرجت فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه/ و لا قرأت رقعة لأحد، حتى إذا صليت المغرب ركبت قاصدا إليه، فلما قربت من فناء داره مررت بفناء قصر، و إذا زنبيل [5] كبير مستوثق منه بحبال و أربع عرى آدم و قد دلي من القصر، و جارية قائمة تنتظر إنسانا قد وعد ليجلس فيه، فنازعني نفسي إلى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، و لعله أن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك، فلم أزل أنازع نفسي و تنازعني حتى غلبتني، فنزلت فجلست فيه، و مدّ الزنبيل حتى صار في أعلى القصر، ثم خرجت فنزلت، فإذا جوار كأنهنّ المها جوس، فضحكن و طربن، و قلن: قد جاء و الله من أردناه؛ فلما رأيني من قريب تبادرن إلى الحجاب و قلن: يا عدوّ الله، ما أدخلك إلينا؟ فقلت: يا عدوّات الله، و من الذي أردتنّ إدخاله؟ و لم صار أولى بهذا منّي؟ فلم يزل هذا دأبا و هنّ يضحكن و أضحك معهنّ؛ ثم قالت إحداهنّ: أمّا من أردناه فقد فات، و ما هذا إلا ظريف، فهلمّ نعاشره عشرة جميلة؛ فأخرج إليّ طعام و دعيت إلى أكله، فلم يكن فيّ فضل إلا أنّي كرهت أن أنسب إلى سوء

العشرة، فأصبت منه إصابة معدّر [6]، ثم جيء بالنبذ فجعلنا نشرب، و أخرجن إليّ ثلاث جوار لهنّ فغنّين غناء [1] كذا في ط، ء، ح. و في سائر الأصول: «نوهت» بالنون، و هو تصحيف.

[2] الفجاج: جمع فجّ و هو الطريق الواسع الواضح بين جبلين و هو أوسع من الشعب. و في ط، ء، ح: «في أعاصير العجاج» بالعين المهملة بدل الفاء.

[3] في ط، ء، ح: «حرفا» .

[4] زيادة عن ط، ء.

[5] في ط، ء: «زبيل» و هي بمعنى «الزنبيل» .

[6] كذا في ط، ء. و المعذر: المعتذر. و في باقي الأصول: «إصابة مقدرة» ، بالقاف و الدال المهملة.

مليحا، فغنت إحداهنّ صوتا لمعبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيم، هذا له؛ فقلت: كذبت ليس هذا له، هذا لمعبد؛ فقالت: يا فاسق، و ما يدريك الغناء ما هو؛ ثم غنت الأخرى صوتا للغريض، فقالت [تلك][1]: أحسن إبراهيم، هذا له أيضا؛ فقلت: كذبت يا خبيثة، هذا للغريض؛ فقالت: اللهم أخزه، وبلك! / و ما يدريك! ثم غنت الجارية صوتا لي، فقالت تلك: أحسن ابن سريج، هذا له [2]؛ فقلت: كذبت هذا لإبراهيم، و أنت تنسين غناء الناس إليه و غناه إليهم؛ فقالت: ويحك! و ما يدريك!؛ فقلت: أنا إبراهيم، فتباشرن بذلك جميعا و طربن كلهن و ظهرن كلهن لي و قلن: كتمنا نفسك و قد سررتنا [3]؛ فقلت: أنا الآن أستودعكن الله؛ فقلن: و ما السبب؟ فأخبرتهنّ بقصتي مع الرشيد؛ فضحكن و قلن: الآن و الله طاب حبسك، علينا و علينا إن خرجت أسبوعا؛ فقلت: هو و الله القتل؛ قلن: إلى لعنة الله. فأقمت و الله عندهنّ أسبوعا لا أزول، فلما كان بعد الأسبوع ودّعني و قلن: إن سلمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا، قلت نعم؛ فأجلسني في الزنيل و سرّحت؛ فمضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد، و إذا النداء قد أشيع ببغداد في طلبي و أنّ من أحضرني فقد سوّغ ملكي و أقطع مالي؛ فاستأذنت فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد؛ فلما رأني شتمني و قال: السيف و النّطع! إيه يا إبراهيم، تهاونت بأمرني و تشاغلتي بالعوامّ عما أمرتك به و جلست مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدت [4] عليّ لذتي!؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك، و ما أمرت به غير فائت، و لي حديث عجيب ما سمع بمثله قط و هو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختيارا، فاسمعه، فإن كان عذرا فاقبله و إلا فأنت أعلم؛ قال: هاته فليس ينجيك؛ فحدّثته، فوجم ساعة ثم قال: إن هذا لعجب، أفتحضرني معك هذا الموضوع؟ قلت: نعم، و أجلسك معهنّ إن شئت قبلي حتى تحصل/عندهنّ، و إن شئت فعلى موعد؛ قال: بل على موعد؛ قلت: أفعل؛ فقال: انظر؛ قلت: ذلك حاصل إليك متى شئت؛ فعدل عن رأيه فيّ و أجلسني و شرب/و طرب؛ فلما أصبحت أمرني بالانصراف و أن أجيئه من عندهنّ؛ فمضيت إليهنّ في وقت الوعد، فلما وافيت الموضوع إذا الزنيل معلق، فجلست فيه و مدّه الجوّاري فصعدت، فلما رأيتهنّ تباشرن و حمدن الله على سلامتي، و أقمت ليلتي [5]، فلما أردت الانصراف قلت لهنّ: إن لي أخا هو عدل [6] نفسي عندي، و قد أحبّ معاشرتكن و وعدته بذلك؛ فقلن: إن كنت ترضاه فمرحبا به؛ فوعدتهن ليلة غد و انصرفت و أتيت الرشيد و أخبرته؛ فلما كان الوقت خرج معي متخفيا [7] حتى أتينا الموضوع، فصعدت و صعد بعدي و

نزلنا[8]جميعا، و قد كان الله ووقني لأن قلت لهن: إذا جاء صديقي فاستترن عني و عنه و لا يسمع لكن نطقة، و ليكن ما تخترنه من غناء أو تقلنه من قول مراسلة؛ فلم يتعدّين ذلك و أقمن على أتم ستر و خفر، و شربنا شربا كثيرا، و قد كان أمرني ألا أخاطبه بأمر المؤمنين، فلما أخذ منّي النبيذ قلت سهوا: يا أمير المؤمنين، فتواثبن من وراء الستارة حتى غابت عنا حركاتهنّ؛ فقال لي: يا إبراهيم لقد أفلت من أمر عظيم، و الله لو برزت إليك واحدة [1]زيادة عن ط، ء.

[2]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «هذا له أيضا» بزيادة كلمة «أيضا» ، و هو تحريف.

[3]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «سررنا» .

[4]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «حتى فسدت لذتي» .

[5]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «ليلتين» .

[6]العدل: النظير.

[7]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «مختفيا» .

[8]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «و بتنا» .

منهنّ لضربت عنقك، قم بنا، فانصرفنا؛ و إذا هنّ له، قد كان غضب عليهنّ فحبسهنّ في ذلك القصر؛ ثم وجّه من غد بخدم فردّوهنّ إلى قصره، و وهب لي مائة ألف درهم، و كانت الهدايا و الألفاظ تأتيني بعد ذلك [منهنّ] [1].

غنى الرشيد فأجزل صلته:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبي قال: /دخلت على الرشيد [يوما] [2] فقال لي: أنا اليوم كسلان خائر [3]، فإن غيّتني صوتا يوقظ نشاطي أحسنت صلتك؛ فغنيته؛ و لم ير في الدنيا محبّان مثلنا # على ما نلاقي من ذوي الأعين الخزر

صفّيان لا نرضى الوشاة إذا وشوا # عفيفان لا نغشى [4] من الأمر ما يزري

فطرب، و دعا بالطعام فأكل و شرب، و أمر لي بخمسين ألف درهم.

طلب إليه يحيى بن خالد أن يمتحن صوتا لدنانير ثم أجازته:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني إسحاق قال قال لي أبي قال لي يحيى بن خالد: إنّ ابنتك دنانير قد عملت صوتا أعجيني و أعجبت أيضا هي به، فقلت لها: لا تعجبي به حتّى أعرضه على أبيك أبي إسحاق؛ فقلت له: و الله ما في معرفة الوزير-أعزّه الله- به و لا غيره [5] من الصنائع مطعن، و إنه لأصحّ العالم تمييزا و أثقبه فطنة، و ما أعجبه إلاّ و هو صحيح حسن؛ فقال: إن كنت كما تقول أيضا، فإنّ أهل كلّ صناعة يمارسونها أفهم بها ممّن يعلمها عن عرض من غير ممارسة، و لو كنا في هذه الصناعة متساويين لكان الاستظهار برأيك أجود، لأنّ ميلي إلى صناعة الصوت ربما حسّن عندي ما ليس بالحسن، و إنما يتمّ سروري به بعد سماعك إياه و استحسانك له على الحقيقة؛ فمضيت فوجدت ستارة منصوبة و أمرا قد تقدّم فيه قبلي؛ فجلست فسلمت على الجارية، و قلت لها: تغيّني الصّوت الذي/ذكره لي الوزير أعزه الله؛ فقالت: إن الوزير قال لي: إن استجاده فعرفّيني ليتّم سروري به، و إلاّ فاطو الخبر عني لئلاّ تزول رتبته عندي؛ فقلت: هاتيه حتى أسمع؛ فغئت تقول: /

نفسى أ كنت عليك مدّعا # أم حين أزمع بينهم خنت

إن كنت هائمة بذكرهم # فعلى فراقهم ألا حمت

قال: فأحسنت و الله و ما قصرت، فاستعدته لأطلب فيه موضعا لأصلحه فيكون لي فيه معنى فما وجدت؛ قلت: أحسنت و الله يا بنيّة ما

شئت؛ ثم عدت إلى يحيى فحلفت له بأيمان رضيها أنّ كثيرا من حدّاق المغنّين لا يحسنون أن يصنعوا مثله، و لقد استعدته لأرى فيه موضعا يكون لي فيه عمل فما وجدت؛ فقال: وصفك لها من [1]زيادة عن ط، ء.

[2]زيادة عن ط، ء.

[3]كذا في ط، ء. و خثرت نفسه: غثت و اختلطت. و في سائر الأصول: «حائر» و هو تحريف.

[4]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «نخشى» بالخاء المعجمة، و هو تحريف.

[5]في ط، ء: «بهذه الصناعة و لا غيرها من الصنائع... إلخ» .

أجله[1]يقوم مقام تعليمك إياها، فقد و الله سررتني و سأسرك، فلما انصرفت أتبعني بخمسين ألف درهم.

قصته مع فتاة شاعرة بحضرة الرشيد:

حدّثني عمي و ابن المرزبان قالا حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله السلمي قال حدّثني عمر بن شبة قال حدّثني إسحاق، و لم يقل عن أبيه، قال: و الله إني لفي منزلي ذات يوم و أنا مفكر في الرّكوب مرّة و في القعود مرّة، إذا غلامي قد دخل و معه خادم الرشيد يأمرني بالحضور من وقتي، فركبت و صرت إليه؛ فقال لي: اجلس يا إبراهيم حتى أريك عجبا، فجلست؛ فقالت: عليّ بالأعرابية و ابنتها؛ فأخرجت إليّ أعرابية و معها بنية لها عشر أو أرجح؛ فقال: يا إبراهيم، إن هذه الصبيّة تقول الشعر؛ فقلت لأُمّها: ما يقول أمير المؤمنين؟ فقالت: هي هذه قدّامك فسلسها؛ فقلت: يا حبيبة، أ تقولين الشعر؟ فقالت نعم؛ فقلت: أنشديني بعض ما قلت؛ فأنشدتني:

صوت

تقول لأثراب لها و هي تمترى[2] # دموعا على الخدين من شدّة الوجد

أكلّ فتاة لا محالة نازل # بها مثل ما بي أم بليت به وحدي

براني له حبّ تنسّب في الحشى # فلم يبق من جسمي سوى العظم و الجلد

وجدت الهوى حلوا لذيذا بديئة[3] # و آخره مرّ لصاحبه مردي

قال السبّي[4] في خبره: قال إسحاق: و كان أبي حاضرا، فقال: و الله لا تبرح يا أمير المؤمنين أو نصنع في هذه الأبيات لحنا؛ فصغت فيها أنا و أبي و جميع من حضر. و قال الآخرون: قال إبراهيم: فما برحت حتى صنعت فيه لحنا و تغنّيت به و هي حاضرة تسمع. قال ابن المرزبان في خبره، و لم يذكره عمّي، فقالت: يا أمير المؤمنين، قد أحسن رواية ما قلت، أ فتأذن لي أن أكافئه بمدح أقوله فيه؟ قال: افعلي؛ فقالت:

صوت

ما لإبراهيم في العل # م بهذا الشأن ثاني

إنما عمر أبي إس # حاق زين للزمان

منه يجنى ثمر اللّه # و و ریحان الجنان

جنت الدنيا أبو إس # حاق في كلّ مكان

قال: فأمر لها الرشيد بجائزة، و أمر لي بعشرة آلاف درهم، فوهبت لها شطرها.

[1] كذا في أ، م. و في سائر الأصول: «من أجلك» .

[2] تمترى دموعا: تستدرّها و تستخرجها.

[3] في الأصول: «بدينه» و هو تحريف.

[4] الشبي: هو أبو زيد عمر بن شبة، منسوب إلى والده شبة، و عمر بن شبة هو الذي تقدم في الخبر. و في الأصول: «الشعبي» ، و هو تحريف.

/اللحن الذي صنعه إبراهيم في شعر الأعرابية ثقيل أول بالوسطى. و فيه لعلويه ثاني ثقيل. و أما/الشعر الثاني فهو لابن سيابة لا يشك فيه. و لإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقيل.

غنى للرشيد و غناه غيره فأجازهم، و غناه علويه فغضب عليه:
أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كنت أخذت بالمدينة من مجنون بها هذا الصوت، و غنيته الرشيد و قلت:

صوت

هما فتانان لَمَّا [1]تعرفا [2]خلقي # و بالشباب على شيبى تدلان [2]
رأيت عرسِي لَمَّا ضَمَّنِي كبرى # و شخت أزمعتا صرمني و هجراني
كلّ الفعال الذي يفعلنه حسن # يصبي فؤادي و ييدي سرّ أشجاني
بل احذرا صولة من صول شيخكما # مهلا على الشيخ مهلا يا فتانان

فطرب و أمر لي بظبية [3]كانت ملقاة بين يديه، فيها ألف دينار مسيِّفة [4]؛ و كان ابن جامع حاضرا، فقال: اسمع يا أمير المؤمنين غناء العقلاء ودع غناء المجانين، و كان أشدّ خلق الله حسدا، فعناه:

صوت

و لقد قالت لأتراب لها # كالمها يلعبن في حجرتها
خذن عني الطلّ لا يتبعني # و مضت [5]سعيها إلى قبتها
/فطرب و شرب، و أمر له بألف و خمسمائة دينار. ثم تبعه محمد بن حمزة وجه القرعة [فغني] [6]:

صوت

يمشون فيها بكلّ سابعة # أحكم فيها القتير [7] و الحلق
يعرف إنصافهم إذا شهدوا # و صبرهم حين تشخص الحدق
فاستحسنه و شرب عليه، و أمر له بخمسمائة دينار. ثم غنى علويه:
[1] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «لم» و لا يستقيم بها الوزن.
[2] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «يعرفا» و «يدلان» بالياء
المثناة من تحت، و مرجع الضمير مؤنث.

- [3]الطبية: الجراب، و قيل: الجراب الصغير خاصة.
- [4]يقال: درهم مسيف إذا كانت جوانبه نقيه من النقش.
- [5]من ط، ء: «وعدت» .
- [6]زيادة عن ط، ء.
- [7]القتير: رعوس المسامير في الدرع.

صوت

يجحدن ديني بالنهار و أفتضي # ديني إذا و قد[1]التعاس الرّقد
و أرى الغواني لا يواصلن امرأ # فقد الشّباب و قد يصلن الأمردا

فدعا به الرشيد و قال له: يا عاصّ بظنّ أمّه! أ تغنّي في مدح المرد و ذمّ الشّيب و ستارتي منصوبة و قد شبت و كأنك تعرّض بي! ثم دعا مسرورا فأمره أن يأخذ بيده فيضربه ثلاثين درّة و يخرجّه من مجلسه، ففعل؛ و ما انتفعنا به بقية يومنا و لا انتفع بنفسه، و جفا علويه شهرا، ثم سألناه فيه فأذن له[2].

[قال أبو الفرج][3]: لإبراهيم أخبار مع خنث المعروفة بذات الخال، و كان يهواها، جعلتها في موضع آخر من هذا الكتاب[4]؛ لأنها منفردة بذاتها مستغنية عن إدخالها في غمار أخباره. و له في هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له و لغيره؛ و قد شرطت أن/الشيء من أخبار الشعراء[و]المغنين إذا كانت هذه سبيله أفرد، لئلا يقطع بين القرائن و النظائر مما تضاف إليه و تدخل فيه.

شعره و مرضه و زيارة الرشيد له و موته:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال: سمعت إسحاق الموصليّ/يقول: لمّا دخلت سنة ثمان و ثمانين و مائة اشتدّ أمر القولنج على أبي و لزمه، و كان يعتاده أحيانا، فقعد عن[5]خدمة الخليفة و عن نوبته في داره؛ فقال في ذلك:

صوت

ملّ و الله طيببي # من[6]مقاساة الذي بي
سوف أنعى عن قريب # لعدوّ و حبيب

و غنّي فيه لحننا من الرّمل، فكان آخر شعر قاله و آخر لحن صنعه.

أخبرني الصّوليّ عن محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه: أن الرشيد ركب حمارا و دخل إلى إبراهيم يعوده و هو في الأبنز جالس، فقال له: كيف أنت يا إبراهيم؟ فقال: أنا و الله يا سيّدي كما قال الشاعر:
[1]وقذه التعاس: أسقطه و غلبه.

[2]في الأصول هنا، ما عدا ط، ء، بعد هذا الكلام هذه العبارة: «نسبة ما في هذا الخبر من «الأغاني» لم يذكرها»، و لعلها زبدت سهوا من

النسخ، إذ لا معنى لها في سياق الكلام.

[3]زيادة عن ط، ء. و في باقي الأصول: «و لإبراهيم» بزيادة الواو.

[4]هذا الموضوع يقع في الجزء الخامس عشر طبع بولاق ص 79-85.

[5]كذا في أكثر النسخ. و في ب، س: «فقعد في الأبن عن خدمة... إلخ» .

[6]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «عن» . -

سقيم ملّ منه أقربوه # و أسلمه المداوي و الحميم

فقال الرشيد: إنا لله! و خرج، فلم يبعد حتى سمع الواعية [1] عليه.

أمر الرشيد ابنه المأمون أن يصلي عليه مع آخرين:
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبة قال:

مات إبراهيم الموصليّ سنة ثمان و ثمانين و مائة، و مات في ذلك اليوم الكسائيّ النحويّ و العباس بن الأحنف الشاعر و هشيمة [2] الخمّارة، فرفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمون أن يصلي عليهم، فخرج فصوّوا بين يديه؛ فقال: من هذا الأوّل؟ قيل: إبراهيم؛ فقال: أخروه و قدّموا العباس بين الأحنف، فقدّم فصلّى عليهم؛ فلما فرغ و انصرف، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ فقال: يا سيّدي، كيف آثرت العباس بالتّقمة على من حضر؟ قال: لقوله:

و سعى بها ناس فقالوا إنّها # لهي التي تشقى بها و تكابد [3]

فجدتهم ليكون غيرك ظنّهم [4] # إنّني ليعجني المحبّ الجاحد

ثم قال: أ تحفظها؟ قلت نعم؛ فقال: أنشدني باقيها؛ فأنشدته: لما رأيت الليل سدّ طريقه # عنيّ و عدّ بني الظلام الراكد

و النّجم في كبد السماء كأنه # أعمى تحيّر ما لديه قائد

ناديت من طرد الرّقاد بصدّه # عمّا [5] أعالج و هو خلو هاجد

يا ذا الذي صدع الفؤاد بهجره # أنت البلاء طريفه و التّالد

ألقيت بين جفون عيني حرقه # فإلى متى أنا ساهر يا راقد

/فقال المأمون: أ ليس من قال هذا الشعر حقيقا بالتّقمة؟ فقلت: بلى و الله يا سيّدي.

ذهب برصوما الزامر مع ابنه إسحاق إلى المجلس الذي كان يجلس فيه و بكاؤه عليه:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال: قال لي برصوما الزامر: أ ما في حقّي و خدمتي و ميلي اليكم و شكركي لكم ما أستوجب به أن تهب لي يوما من عمرك تفعل فيه ما أريد و لا تخالفني في شيء؟ فقلت: بلى و وعدته بيوم؛ فأتاني فقال: مر لي بخلعة، ففعلت و جعلت فيها جبة و شى؛ فلبسها ظاهرة و قال: امض بنا إلى المجلس الذي كنت آتي أباك فيه؛ فمضينا جميعا إليه و قد خلّفته و طيّبته؛

فلما صار على باب المجلس رمى بنفسه إلى الأرض فتمرغ في التراب و بكى و أخرج نايه و جعل [1]كذا في ط، ء، ح. و الواعية: الصراخ على الميت. و في سائر الأصول: «الناعية» .

[2]هكذا وردت مضبوطة في ط (بضم الهاء و فتح الشين) ، و هي: امرأة كانت تتبع الخمر، و كانت جارة لإسحاق الموصلي، و قد رثاها بأبيات يرميها فيها بالقيادة. (انظر ترجمة إسحاق الموصلي فيما سيأتي من هذا الجزء) .

[3]في ط، ء: «و تجاهد» .

[4]في ط، ء: «همهم» .

[5]كذا في ط، ء و «ديوانه» . و في سائر الأصول: «عمن» .

ينوح/في زمره و يدور في المجلس و يقبل المواضع التي كان أبو إسحاق يجلس فيها و يبكي و يزمر حتّى قضى من ذلك و طرا، ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشققها[1]، و جعلت أسكته و أبكي معه، فما سكن إلا بعد حين؛ ثم دعا بثيابه فلبسها و قال: إنما سألتك أن تخلع عليّ لئلا يقال: إن برصوما إنما خرق ثيابه ليخلع[2] عليه ما هو خير منها؛ ثم قال: امض بنا إلى منزلك فقد اشتفيت مما أردت؛ فعدت إلى منزلي و أقام عندي يومه، و انصرف بخلعة مجدّدة.

المراثي التي قبلت فيه:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبة قال حدّثني القاسم[3] بن يزيد قال: /لما مات إبراهيم الموصليّ دخلت على إبراهيم بن المهديّ و هو يشرب و جواربه يغتّين، فذكرنا[4] إبراهيم الموصليّ و حذقه و تقدّمه، فأفضنا في ذلك و إبراهيم مطرق، فلما طال كلامنا و قال كلّ واحد منا مثل ما قاله صاحبه، اندفع إبراهيم بن المهديّ يغتّي في شعر لابن سيابة يرثي[به][5] إبراهيم- و يقال: إن الأبيات لأبي الأسد[6]-: تولى الموصليّ فقد تولت # بشاشات المزاهر و القيان

و أيّ بشاشة بقيت فتبقى # حياة الموصليّ على الزمان

ستبكيه المزاهر[7] و الملاهي # و تسعدهنّ عاتقة الدّنان

و تبكيه الغويّة إذ تولّى # و لا تبكيه تالية القران[8]

قال: فأبكي من حضر؛ و قلت أنا في نفسي: أفتراه هو إذا مات من بيكيه: المحراب أم المصحف؟! قال: و كان كالشامت بموته.

أخبرني يحيى بن عليّ قال قال أنشدني حمّاد قال: أنشدني أبي لنفسه يرثي أباه، و أنشدها غير يحيى و فيها زيادة على روايته: أقول له لما وقفت بقبره # عليك سلام الله يا صاحب القبر

أيا قبر إبراهيم حيّيت حفرة # و لا زلت تسقى الغيث من سبل[9] القطر

/لقد عزّني[10] و جدي عليك فلم يدع # لقلبي نصيبا من عزاء و لا صبر

[1] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «يشققها» .

[2] كذا في ط، ء و في سائر الأصول: «ليخلع عليه هو خيرا منها» .

[3] في ط، ء: «القاسم بن يزيد الموصلي» .

[4] كذا في ط، ء: و في سائر الأصول: «فذكرن» .

[5] زيادة عن ط، ء.

[6] كذا في ط، ء: و هو نباتة بن عبد الله الحماني، من شعراء الدولة العباسية، و قد أورد له أبو الفرج ترجمة في (ج 12 ص 174 طبع بولاق) ، و قد ذكرت في ترجمته هذه الأبيات يرثي بها إبراهيم الموصللي. و في سائر الأصول: «الأسل» باللام، و هو تحريف.

[7] في س: «المزامر» بالميم.

[8] القرآن: القرآن.

[9] السبل (بالتحريك) : ما سال من المطر.

[10] عزه الوجد: غلبه.

و قد كنت أبكي من فراقك ليلة # فكيف و قد صار الفراق إلى الحشر

أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل [بن إبراهيم] [1] الموصليّ الملقب بوسواسة [2] قال: أنشدني حمّاد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصليّ: سلام على القبر الذي لا يجينا # و نحن نحّي تربه و نخاطبه

ستبكيه أشراف الملوك إذا رأوا # محلّ التصابي قد خلا منه جانبه
و يبكيه أهل الطّرف طرّاً كما بكى # عليه أمير المؤمنين و حاجبه
و لمّا بدا لي اليأس منه و أنزفت [3] # عيون بواكيه و ملّت نواده
و صار شفاء النفس [4] من بعض ما بها # إفاضة دمع تستهلّ سواكيه
جعلت على عينيّ للصبح عبرة # و لليل أخرى ما بدت لي كواكيه

قال: و أنشدني أيضا حمّاد لأبيه يرثي أباه:

عليك سلام الله من قبر فاجع # و جادك من نوء السّماكين وابل [5]
/ هل أنت محيّي القبر أم أنت سائل # و كيف تحيّا تربة و جنادل
أظللّ كأنّي لم تصيني مصيبة # و في الصّدر من وجد عليك بلابل
و هوّن عندي فقدّه أنّ شخصه # على كل حال بين عينيّ مائل

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيوب المدنيّ قال أنشدني إبراهيم بن عليّ بن هشام لرجل يرثي إبراهيم الموصليّ: /

أصبح اللّهُ تحت عفر التراب # ثابوا في محلّة الأحباب
إذ ثوى الموصليّ فانقرض اللّهُ # و بخير الإخوان و الأصحاب
بكت المسمعات حزنا عليه # و بكاه الهوى و صفو الشراب
و بكت آلة المجالس حتى # رحم العود دمة المضراب [6]

ذكره ابنه إسحاق عند الرشيد و بكى فلاتفه و وصله:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال:

[1] زيادة عن ط، ء.

[2] في الأصول: «وسواسة» و لقب تتعدّى بالباء.

[3] أنزفت العين: فنى ماؤها، و يقال أنزف الرجل البئر إذا استخرج ماءها كله، فهو لازم متعد.

[4] كذا في ط، ء. و في باقي الأصول: «شفاء الناس» .

[5] وردت هذه الأبيات في ط، ء بزيادة هاء للوصل على رويها و ورد فيها الشطر الأخير من البيت الثاني هكذا: «و كيف يحيا تربه و جنادله» .

[6] في ط، ء: «دمعة المحراب» . و من معاني المحراب صدر البيت و أكرم موضع فيه.

دخلت إلى الرشيد بعقب[1] وفاة أبي، و ذلك بعد شهر من يوم وفاته، فلما جلست و رأيت موضعه الذي كان يجلس فيه خاليا دمعت عيني، فكففتها و تصبّرت؛ و لمحني الرشيد فدعاني إليه و أدناني منه، فقبّلت يده و رجله و الأرض بين يديه، فاستعبر، و كان رقيقا؛ فوثبت قائما ثم قلت: في بقاء الخليفة الميمون # خلف من مصيبة المحزون

لا يضير المصاب رزء إذا ما # كان ذا مفرغ إلى هارون

فقال لي: كذاك و الله هو، و لن تفقد من أبك ما دمت حيّا إلا شخصه؛ و أمر بإضافة[2] رزقه إلى رزقي؛ فقلت: بل يأمر أمير المؤمنين به إلى ولده، ففي خدمتي إياه ما يغنيني؛ فقال: اجعلوا رزق إبراهيم لولده و أضعفوا رزق إسحاق.

صوت من المائة المختارة أحد الأصوات من المائة المختارة:

يا دار سعدى بالجزع[3] من ملل[4] # حَيَّيت من دمنة[5] و من طلل

إني إذا ما البخيل أمّنها # باتت ضمورا[6] مّني على وجل[7]

لا أمتع العوذ بالفصال و لا # أبتاع إلا قريبة الأجل

العوذ: الإبل التي قد نتجت، واحدها عائد. يقول: أنحرها و أولادها للأضياف فلا أمتعها. و الضّموز: الممسكة عن أن تجتر. ضمز الجمل بجرتّه إذا أمسك عنها، و دسع[8] بها إذا استعملها. يقول: فهذه الناقة من شدة خوفها على نفسها مما رأت من نحر نظائرها قد امتنعت من جرتّها فهي ضامزة.

الشعر لابن هرمة. و الغناء في اللحن المختار لمرزوق الصراف[9] ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر [1] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «بعقيب». و العقيب: المعاقب، و يستقيم الكلام به على تقدير محذوف، أي بوقت عقيب وقت وفاة أبيه، أو على أن يكون مصغرا.

[2] في ط، ء: «بإفاضة» .

[3]الجزع (بالكسر و يفتح) : منعطف الوادي و وسطه أو منقطعه. و في ط، ء: «الخيف» و هو ما انحدر عن غلف الجبل و ارتفع عن مسيل الماء.

[4] ملل (بالتحريك) : منزل على طريق المدينة إلى مكة بينه و بين المدينة ثمانية و عشرون ميلا.

[5] في ب: «دجنة» بالجيم، و هو تحريف.

[6] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «بانت ضمورا» و هو تصحيف.

[7] ورد هذا البيت و الذي بعده في «الأمالى» (ج 3 ص 110 طبع دار الكتب المصرية) بتقديم الذي بعده عليه، و هو الأنسب ليرجع الضمير فيه إلى مذكور. و في تفسير المؤلف للبيتين ما يشعر بهذا الترتيب.

[8] كذا في ط، ء. و دسع الرجل: قاء ملء الفم. و في ب، س: «رسغ» (بالراء و الغين المعجمة) . و في سائر الأصول: «رسع» بالراء و العين المهملة، و كلاهما تحريف.

[9] كذا في ط، ء، أ هنا و فيما سبق في جميع الأصول في الجزء الرابع في آخر ترجمة فليح بن أبي العوراء. و في سائر الأصول هنا: «لمرزوق الضراب» .

عن إسحاق، و يقال إنه ليحيى بن واصل. و ذكر عمرو بن بانه أن فيه لدحمان لحنا من الثقيل الأول بالبنصر، [و أن فيه لابن محرز لحنا من/الثقيل الثاني بالبنصر][1] في الثالث ثم الثاني، و وافقه ابن المكي. قال: و فيه لدحمان خفيف رمل بالوسطى في الأول و الثالث؛ و ذكر الهشامي/أن هذا اللحن بعينه ليونس و أن الثقيل الثاني لإبراهيم، و أن لمعبد فيه لحنا من الثقيل الأول بالوسطى، و أن فيه للهدلي خفيف ثقيل، و أن فيه رملا ينسب إلى ابن محرز [أيضا][1].

8- شيء من ذكر ابن هرمة أيضا

طلب يحيى بن عروة من ابنة ابن هرمة زادا فردته فذكرها بقول أبيها:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهرري و نوفل بن ميمون عن يحيى بن عروة بن أذينة قال: خرجت في حاجة لي، فلما كنت بالسبالة [2] وقفت على منزل إبراهيم بن علي بن هرمة، فصحت: يا أبا إسحاق، فأجابتنني ابنته: من هذا؟ فقلت: انظري، فخرجت إليّ فقلت: أعلمي أبا إسحاق؛ فقلت: خرج و الله أنفا؛ قال: فقلت: هل من قرى؟ فإني مقو [3] من الزاد؛ قالت: لا و الله، ما صادفته حاضرا؛ قلت: فأين قول أبيك: لا أمتع العوذ بالفصال و لا # أبتاع إلا قريبة الأجل

قالت: بذاك [4] و الله أفناها-أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية بمثل هذا الخبر سواء، و زاد فيه: -قال: فأخبرت إبراهيم بن هرمة بقولها، فضمها إليه و قال: بأبي أنت و أمي! أنت و الله ابنتي حقا، الدار و المزرعة لك.

ذكر بشعر له في الكرم فأذهب غنمه الناس و كان بخيلا:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني نوفل بن ميمون قال حدثني مرقع [5] قال: كنت مع ابن هرمة في سقيفة [6] أم أذينة، فجاءه راع بقطعة [7] من غنم يشاوره فيما يبيع منها، و كان قد أمره ببيع بعضها؛ قال مرقع: فقلت: يا أبا إسحاق، أين عزب عنك قولك: لا غنمي مد في الحياة لها # إلا لدرك [8] القرى و لا إبلي

و قولك فيها أيضا:

لا أمتع العوذ بالفصال و لا # و لا أبتاع إلا قريبة الأجل

[1] زيادة عن ط، ء.

[2]السيالة (بفتح أوله و تخفيف ثانيه) : أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.

[3]أقوى القوم: فتى زادهم.

[4]في ط، ء، ح: «فذاك» .

[5]في ط، ء: «موقع» بالواو.

[6]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «سفينة ابن أذينة» .

[7]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «بقطيعة» ، و هو تحريف.

[8]في ط، ء: «إلا دراك» .

فقال لي: مالك أخزاك الله! من أخذ منها شيئاً فهو له؛ فانتهبناها[1] حتى وقف الراعي و ما معه منها شيء.

و حدّثنا بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد التّوفليّ عن أبيه:

أن ابن هرمة كان اشترى غنما للربح[2]، فلقيه رجل فقال له: أ لست القائل:

لا غنمي مدّ في الحياة لها # إلا لدرك القرى و لا إيلي

قال: نعم؛ قال: فو الله إني لأحسبك تدفع عن هذه الغنم المكروه بنفسك، و إنك لكاذب؛ فأحفظه[ذلك][3] فصاح: من أخذ منها شيئاً فهو له؛ فانتهبها الناس جميعاً؛ و كان ابن هرمة أحد البخلاء.

أول شعر قاله ابن هرمة:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني نوفل بن ميمون قال حدّثني زفر بن محمد[4] الفهري: أن هذه القصيدة أول شعر قاله ابن هرمة.

سمع مزيد بيتا له في الفخر فتهكم به:

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي: حدّثنا عبد الله بن الوليد الأزديّ قال حدّثني جعفر بن محمد بن زيد بن عليّ بن الحسين[5] قال:

سمع مزيد[6] قول ابن هرمة:

/

لا أمتع العود بالفصال و لا # أبتاع إلاّ قريبة الأجل

قال: صدق ابن الخبيثة، إنّما كان يشتري الشاة للأضحى فيذبحها من ساعته.

ذهب إليه قوم من قريش للعبث به فكان بينهم حوار ظريف:

أخبرنا وكيع قال حدّثنا حمّاد عن أبيه[عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن محمد بن زيد عن أبيه][7] قال:

اجتمع قوم من قريش أنا فيهم، فأحببنا أن تأتي ابن هرمة فنعبث به، فتزوّدنا زادا كثيرا ثم أتينا لنقيم عنده، فلما انتهينا إليه خرج إلينا فقال: ما

جاء بكم؟ فقلنا: سمعنا شعرك فدعانا إليك لما سمعناك قلت:

/

إنّ امرأ جعل الطريق لبيته # طنبا[8] وأنكر حقه للئيم

[1] كذا في حـ. و في ط، ء: «فانتهبنا». و في سائر الأصول: «فانتهبناها له...» .

[2] كذا في حـ، ط، ء. و في سائر الأصول: «للذبح»، و هو تحريف.

[3] زيادة عن ط، ء.

[4] في ط، ء: «زفر بن الحارث الفهري» .

[5] كذا في ط، ء و هو الموافق لما جاء في كتاب «المعارف» لابن قتيبة (ص 111 طبع أوروبا). و في سائر الأصول: «الحسن» .

[6] كذا في ط، ء و كتاب «البخلاء» للجاحظ (ص 9 طبع أوروبا) و «عيون الأخبار» طبع دار الكتب المصرية (انظر مقدّمته ص م حاشية رقم 3). و في «شرح القاموس» (مادة زيد): مزيد كمحدث اسم رجل صاحب «النوادر»، و ضبط كمعظم، و وجد بخط الذهبي ساكن الزاي مكسور العين. (باختصار). و في سائر الأصول: «مزيد» بالياء المثناة التحتية، و هو تصحيف.

[7] التكملة عن ط، ء.

[8] الطنب (بضم النون و تسكينها): جبل الخباء و السرادق و نحوهما، و قد يستعار للطرف و الناحية. فلعله يريد أنه أقام بيته على الطريق فكانت الطريق طرفا له. و في الحديث: «ما بين طنبي المدينة أحوج مني إليها» أي ما بين طرفيها. و في حـ:

«ضرب الطريق... # طزقا...»

إلخ» .

و سمعناك تقول:

و إذا تنوّر طارق[1]مستبح # نبحت فدلتّه عليّ كلابي
و عوين يستعجلنه فلقينه # يضربنه بشراشر[2]الأذنان

و سمعناك تقول:

كم ناقة قد وجأت[3]منحرها # بمستهلّ الشؤبوب أو جمل
لا أمتع العوذ بالفصال و لا # أبتاع إلاّ قريبة الأجل

قال: فنظر إلينا طويلا ثم قال: ما على وجه الأرض عصابة أضعف عقولا و لا أسخف دينا منكم؛ فقلنا له: يا عدوّ الله يا دعِيّ، أتيناك زائرِين [و] [4]تسمعنا هذا الكلام؛ فقال: أ ما سمعتم الله تعالى يقول للشّعراء: **وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ** أ فيخبركم الله أنّي أقول ما لا أفعل و تريدون منّي أن أفعل ما أقول؛ [قال] [4]فضحكنا منه و أخرجناه معنا، فأقام عندنا في نزهتنا يشركنا في زادنا حتى انصرفنا إلى المدينة.

إعجاب الأصمعي به:

أخبرنا عمّي قال حدّثني محمّد بن سعيد الكرانيّ عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال: /الحكم الخصريّ، و ابن ميادة، و رؤبة، و ابن هرمة، و طفيل الكنانيّ، و مكين العذريّ، كانوا على ساقه [5] الشعراء، و تقدّمهم ابن هرمة بقوله: لا أمتع العوذ بالفصال و لا # أبتاع إلاّ قريبة الأجل

قال عبد الرحمن: و كان عمّي معجبا بهذا البيت مستحسنا له، و كان كثيرا ما يقول: أ ما ترون كيف قال! و الله لو قال هذا حاتم لما زاد و لكان كثيرا؛ ثم يقول: ما يؤخّره عن الفحول إلاّ قرب عهده. انتهى.

تفضيل مروان بن أبي حفصة له:

أخبرني محمد بن يزيد و الحسين بن يحيى و وكيع عن حمّاد عن أبيه قال: قلت لمروان بن أبي [6]حفصة: من أشعر المحدثين من طبقتكم عندك؟ لا أعنيك؛ قال: الذي يقول: لا أمتع العوذ بالفصال و لا # أبتاع إلاّ قريبة الأجل

ناقض ابن الكوسج شعرا له فتهدّد مواليه إن لم يأتوه به

مربوطا:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدنيّ عن أبي حذافة قال: لمّا قال ابن هرمة:

- [1] في ط، ء: «راكب» .
- [2] شراشر الأذنان: أطرافها.
- [3] وجأه: ضربه بسكين و نحوه.
- [4] زيادة عن ط، ء.
- [5] الساقية: المؤخرة، يقال: فلان في ساقية الجيش أي في مؤخرته.
- [6] كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «مروان بن حفصة» ، و هو تحريف.

لا أمتع العود بالفصال و لا # أبتاع إلا قريبة الأجل

قال ابن الكوسج مولى آل حنين يجيبه:

ما يشرب البارد القراح و لا # يذبح من جفرة[1] و لا حمل[2]

كأنه قردة يلاعها # قرد بأعلى الهضاب من ملل

/قال: فقال ابن هرمة: لئن لم أوت به مربوطا لأفعلنّ بآل حنين و لأفعلنّ؛ فوهبوا لابن/الكوسج مائة درهم و ربطوه و أتوا به ابن هرمة فأطلقه[3]؛ فقال ابن الكوسج: و الله لئن عاد لمثلها لأعودنّ[4].

**غنى ابن جامع الرشيد ما شغله به عن غيره فعلم إبراهيم
مخارقا لحنا تفوق به عليه:**

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال: كنا عند الرشيد في بعض أيامنا و معنا ابن جامع، فغناه ابن جامع و نحن يومئذ بالرقة: هاج شوقا فراقك الأحبابا # فتناسيت أو نسيت الرباب

حين صاح الغراب بالبين منهم # فتصاممت إذ سمعت الغرابا

لو علمنا أنّ الفراق وشيك # ما انتهينا حتى نرور القبابا

أو علمنا حين استقلّت نواهم # ما أقمنا حتى نرّم[5] الركابا

-الغناء لابن جامع رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، و له فيه أيضا ثقل أول بالوسطى عن عمرو. و ذكرت دنانير عن فليح أنّ فيه لابن سريج و ابن محرز لحنين-. قال: فاستحسنه الرشيد و أعجب به و استعاده مرارا و شرب عليه أرطالا حتى سكر، و ما سمع غيره و لا أقبل على أحد، و أمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار؛ فلما انصرفنا قال لي إبراهيم: لا ترم[6] منزلك حتى أصير إليك؛ فصرت/إلى منزلي، فلم أغير ثيابي حتى أعلمني الغلام بموافاته، فتلقّيته في دهليزي[7]، فدخل و جلس و أجلسني بين يديه ثم قال لي: يا مخارق، أنت فسيلة[8] منّي و حسني لك و قبيحي عليك، و متى تركنا ابن جامع على ما ترى غلبنا على الرشيد، و قد صنعت صوتا على طريقة [1]الجفرة: من أولاد الشاء إذا عظم و استكرش، قال أبو عبيد: إذا بلغ ولد المعزى أربعة أشهر و جفر جنباه و فصل عن أمه و أخذ في الرعي فهو: جفر، و الأثى جفرة.

[2] كذا في ط، ء، ح، و هو الأنسب للمعنى. و في سائر الأصول: «جمل» بالجيم.

[3] عبارة ط، ء: «فأطلقه و قال: و الله لئن عاد إلى مثلها لأعودن» . و هي تفيد أن المهذد ابن هرمة لا ابن الكوسج، على خلاف ما يفيدده باقي الأصول.

[4] إلى هنا انتهى المؤلف من أخبار ابن هرمة و عاد إلى إبراهيم الموصلي، و لهذا عنونا به هذه الصفحة و ما بعدها إلى أخبار إسحاق.

[5] زم البعير: خطمه و وضع فيه الزمام.

[6] رام المكان يريمه: برحه، و أكثر ما يستعمل منفيا.

[7] الدهليز (بالكسر) : اسم الممر الذي بين باب الدار و وسطها، فارسيّ معرّب. قال يحيى بن خالد: «ينبغي للإنسان أن يتأنق في دهليزه، لأنه وجه الدار، و منزل الضيف، و موقف الصديق حتى يؤذن له، و موضع العلم، و مقيل الخدم، و منتهى حدّ المستأذن» .

[8] الفسيلة: النخلة الصغيرة تقلع من الأرض أو تقطع من الأم فنغترس.

صوته الذي غنّاه أحسن صنعة منه و أجود و أشجى، و إنما يغلبني عند هذا الرجل بصوته، و لا مطعن عليّ صوتك، و إذا أطربته و غلبته عليه بما تأخذه مني قام ذلك لي[1]مقام الظفر؛ و سيصبح أمير المؤمنين غدا فيدخل الحمام و نحضر ثم يخرج فيدعو بالطعام و يدعو بنا و يأمر ابن جامع فيردّ الصوت الذي غناه و يشرب عليه رطلا و يأمر له بجائزة، فإذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يردّ ردّته حتى تغنيّ ما أعلمك إياه الساعة، فإنه يقبل عليك و يصلك، و لست أبالي ألا يصلني بعد أن يكون إقباله عليك؛ فقلت: السمع و الطاعة؛ فألقى عليّ لحنه: يا دار سعدي بالجزع من ملل

و ردّده[2]حتى أخذته و انصرف؛ ثم بكر عليّ فاستعاد الصوت فردّته حتى رضيه، ثم ركبنا و أنا أدرسه حتى صرنا إلى دار الرشيد؛ فلما دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئا فشيئا، و كان إبراهيم أعلم الناس به، ثم أمر ابن جامع فردّ الصوت و دعا برطل فشربه، و لما استوفاه و استوفى ابن جامع صوته لم أدعه يتنفّس حتى اندفعت فغنيّت صوت إبراهيم، فلم يزل يصغى إليه و هو باهت حتى استوفيته؛ /فشرب و قال: أحسنت و الله! لمن هذا الصوت؟ فقلت: لإبراهيم؛ فلم يزل يستدنييني حتى صرت قدّام سريره، و جعل يستعيد الصّوت فأعيده و يشرب [عليه][3]رطلا، فأمر لإبراهيم بجائزة سنّية و أمر لي بمثلها؛ و جعل ابن جامع يشغب و يقول: يجيء بالغناء فيدسّه في أستاها الصّبيان! إن كان محسنا فليغنه هو، و الرشيد يقول[له][3]: دع ذا عنك، فقد و الله استقاد منك و زاد عليك.

صوت من المائة المختارة

تولّى شبابك إلا قليلا # و حلّ المشيب فصبرا جميلا

كفى حزنا بفراق الصّبا # و إن أصبح الشّيب منه بديلا

الشعر و الغناء لإسحاق. و لحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق بن عمرو.

[1]كذا في ط، ء. و في سائر الأصول: «قام ذلك مني» .

[2]في م: «و رددته» .

[3]الزيادة عن ط، ء.

9- أخبار إسحاق بن إبراهيم

نسب إسحاق الموصلي وكنيته:

قد مضى نسبه مشروحا في نسب أبيه؛ و يكنى أبا محمد، و كان الرشيد[1] يولع به فيكنيه أبا صفوان، و هذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب مزحا.

منزلته في العلوم و تقدير الخلفاء و الناس له:

و موضعه من العلم، و مكانه من الأدب، و محله من الرواية، و تقدّمه في الشعر، و منزلته في سائر المحاسن، أشهر من أن يدلّ عليه فيها بوصف؛ و أما الغناء فكان أصغر علومه و أدنى ما يوسم به و إن كان الغالب عليه و على ما كان يحسنه؛ فإنه كان له في سائر أدواته نظراء و أكفاء و لم يكن له في هذا نظير؛ فإنه لحق بمن مضى فيه و سبق من بقي، و أحب[2] للناس جميعا طريقه فأوضحها، و سهّل عليهم سبيله و أثارها؛ فهو إمام أهل صناعته جميعا، و رأسهم و معلمهم؛ يعرف ذلك منه الخاصّ و العامّ، و يشهد به الموافق[3] و المفارق؛ على أنه كان أكره الناس للغناء و أشدّهم بغضا لأن يدعى إليه أو يسمّى به. و كان يقول: لوددت أن أضرب، كلما أراد مرید مني أن أغنيّ و كلما قال قائل إسحاق الموصلي المغنيّ، عشر مقارع، لا أطيق أكثر من ذلك، و أعفى من الغناء و لا ينسبني من يذكرني إليه.

و كان المأمون يقول: لو لا ما سبق على السنة الناس و شهر به عندهم من الغناء لوليت القضاء بحضرتي، فإنه أولى به / و أعفّ و أصدق و أكثر دينا و أمانة من هؤلاء القضاة.

مشايخه الذين تلقى عنهم:

و قد روى الحديث و لقي أهله: مثل مالك بن أنس، و سفيان بن عيينة، و هشيم بن بشير[4]، و إبراهيم[5] بن [1] كذا في جميع الأصول، و المعروف أن الرشيد لم يعاصر إسحاق بن إبراهيم بن مصعب في بغداد، و أن إسحاق المصعبي و أهل بيته من أهل يوشنج من أعمال خراسان و لم يدخلوا بغداد إلا بعد دخول المأمون فيها، و معلوم أيضا أن إسحاق المصعبي هو الذي أوقع هذه الكنية على إسحاق كما سيجيء في شعر للموصلي بعث به إليه، و الغالب أن في الأصول تحريفا، و الأجدر به أن يكون «المأمون» بدل «الرشيد» ليتسق التاريخ و تتلاءم الحوادث بعضها مع بعض (انظر «التاج» للجاحظ الحاشية رقم 1 ص 31 طبع المطبعة الأميرية).

[2] لِحِب الطرِيق: سلكه و أوضحه، و يستعمل لازماً فيقال: لِحِب الطرِيق إذا وضح. و في س «ألحِب» و هو بمعنى «لِحِب» المتعدّي.

[3] لعلّه «المرافق و المفارق» أي القريب و البعيد.

[4] هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلميّ، يكنى أبا معاوية، مات في خلافة الرشيد سنة 183 هـ.

[5] هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري و يكنى أبا إسحاق، و كان ثقة كثير الحديث و ربما أخطأ فيه، توفي ببغداد سنة 183 هـ.

سعد، و أبي معاوية [1] الصّري، و روح [2] ابن عباد، و غيرهم من شيوخ العراق و الحجاز. و كان مع كراهته الغناء أضنّ خلق الله و أشدّهم بخلا به على كل أحد حتى على جواريه و غلمانه و من يأخذ عنه منتسبا إليه متعصّبا له فضلا عن غيرهم.

هو الذي صحح أجناس الغناء بطبعه من غير أن يطلع على كتب القدماء:

و هو الذي صحّح أجناس الغناء و طرائقه و ميّزه تمييزا لم يقدر عليه أحد قبله و لا تعلق به أحد بعده، و لم يكن قديما مميزا على هذا الجنس، إنما كان يقال الثقيل، و ثقيل الثقيل، و الخفيف، و خفيف الخفيف. و هذا عمرو بن بانه، و هو من تلاميذه، يقول في كتابه: الرمل الأوّل، و الرمل الثاني؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى و البنصر، و لا يعرف المجاري التي ذكرها إسحاق في كتابه، مثل ما ميّز الأجناس، فجعل الثقيل الأوّل أصنافا، فبدأ فيه بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها، ثم بما كان بالسبابة في مجرى البنصر، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة؛ ثم جعل الثقيل الأوّل صنفين، الصنف الأوّل منهما هذا الذي ذكرناه، و الصنف الثاني القدر الأوسط من الثقيل الأوّل، و أجراه المجرى الذي تقدّم من تمييز الأصابع و المجاري، و ألحق جميع الطرائق و الأجناس بذلك و أجراها على هذا الترتيب. ثم لم يتعلّق بفهم ذلك أحد بعده فضلا عن أن يصنّفه في كتابه؛ فقد ألف جماعة من المغنّين كتبا، منهم يحيى المكيّ- و كان شيخ الجماعة و أستاذهم، و كلهم كان يفتقر إليه و يأخذ عنه غناء الحجاز، و له صنعة كثيرة حسنة متقدّمة، و قد كان إبراهيم الموصليّ و ابن جامع يضطران إلى الأخذ عنه- ألف كتابا جمع فيه الغناء القديم، و ألحق فيه ابنه الغناء المحدث إلى آخر أيامه، فأتيا فيه في أمر الأصابع بتخليط عظيم، حتى جعل أكثر ما جنّساه من ذلك مختلطا فاسدا، و جعل بعضه، فيما زعما، تشترك الأصابع كلّها فيه؛ و هذا محال؛ و لو اشتركت الأصابع لما احتيج إلى تمييز الأغاني و تصييرها مقسومة على صنفين: الوسطى و البنصر. و الكلام في هذا طويل ليس موضعه هاهنا؛ و قد ذكرته في رسالة عملتها لبعض إخواني ممن سألني شرح هذا، فأثبته و استقصيته استقصاء يستغنى به عن غيره. و هذا كله فعله إسحاق و استخرجه بتمييزه، حتى أتى على كل ما رسمته الأوائل مثل إقليدس و من قبله و من بعده من أهل العلم بالموسيقى، و وافقهم بطبعه و ذهنه فيما قد أفنوا فيه الدهور، من غير أن يقرأ لهم كتابا أو يعرفه.

فأخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال:

كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فسأل إسحاق الموصليّ-أو سأله محمد بن الحسن بن مصعب- بحضرتي، فقال له: يا أبا محمد، أ رأيت لو أنّ الناس جعلوا للعود وترا خامسا للتّغمة الحادّة التي هي العاشرة على مذهبك، أين كنت تخرج منه؟ فبقي إسحاق واجما ساعة طويلة مفكرا، و احمرّت أذناه و كانتا عظيمتين، و كان إذا ورد عليه مثل هذا احمرّتا و كثر ولوعه بهما؛ فقال لمحمد بن الحسن: الجواب في هذا لا يكون كلاما إنّما يكون بالضرب، فإن كنت تضرب أريتك أين تخرج؛ فخجل و سكت عنه مغضبا، لأنّه كان أميرا و قابله من الجواب بما لا يحسن، فحلم عنه. قال عليّ بن يحيى: فصار إليّ به و قال لي: يا أبا الحسن، إنّ هذا/الرجل سألني عما سمعت، و لم يبلغ علمه أن يستنبط مثله بقريحته، و إنّما هو شيء قرأه من كتب الأوائل، و قد بلغني أنّ التراجمة [1]اسمه محمد بن خازم مولى ليني عمرو بن سعد، و كان ثقة كثير الحديث يدلّس، توفي بالكوفة سنة 195 هـ.

[2]هو روح بن عبادة القيسي من بني قيس بن ثعلبة و يكنى أبا محمد و كان ثقة، توفي سنة 205 هـ.

عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطينه؛ فوعده بذلك، و مات قبل أن يخرج إليه شيء منها. و إنما ذكرت هذا بتمام أخباره كلها و محاسنه و فضائله، لأنه من أعجب شيء يؤثر عنه: أنه استخرج بطبعه علما رسمته الأوائل لا يوصل إلى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأوّل في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعّة في الموسيقى، ثم تعلم ذلك و توصل إليه و استنبطه بقربحته، فوافق ما رسمه أولئك، و لم يشدّ عنه شيء يحتاج إليه منه، و هو لم يقرأه و لا [1] له مدخل إليه و لا عرفه، ثم تبين بعد هذا، بما أذكره من أخباره و معجزاته في صناعته، فضله على أهلها كلهم و تميّزه عنهم، و كونه سماء هم أرضها، و بحرا هم جداوله.

اسم أمه و جنسها:

و أمّ إسحاق امرأة من أهل الرّيّ يقال لها شاهك؛ و ذكر قوم أنها دوشار التي كانت تغنى/بالدفّ، فهويها إبراهيم و تزوّجها. و هذا خطأ، تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتا، و إسحاق و سائر ولد إبراهيم من شاهك هذه.

برنامج دراسته اليومي:

أخبرني يحيى بن عليّ المنجم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال:

بقيت دهرا من دهري أغلّس في كلّ يوم إلى هشيم فأسمع منه، ثم أصير إلى الكسائيّ أو الفراء أو ابن غزّالة [2] فأقرأ عليه جزءا من القرآن، ثم آتي منصور/زلزل [3] فيضار بني طريقين [4] أو ثلاثة، ثم آتي عاتكة [5] بنت شهدة فأخذ منها صوتا أو صوتين، ثم آتي الأصمعيّ و أبا عبيدة فأناشدهما و أحدّتهما فأستفيد منهما، ثم أصير إلى أبي فأعلمه ما صنعت و من لقيت و ما أخذت و أتعدّي معه، فإذا كان العشاء رحّت إلى أمير المؤمنين الرشيد.

تعلم الضرب بالعود من زلزل:

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

أخذ منّي منصور زلزل إلى أن تعلّمت مثل ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم.

جاء إلى ابن عائشة فأكرمه:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال:

كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فرحّب به و قال: هاهنا يا أبا محمد إلى جنبي، فلئن بَعُدت بيننا الأنساب، لقد قرّبت بيننا الآداب.

[1] كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «و هو لم يقرأه و لا المدخل إليه... إلخ» .

[2] كذا في جميع الأصول. و قد جاء في «شرح القاموس» (مادة غزل) : «و عبد الواحد بن أحمد بن غزال مقرئ» .

[3] كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «ثم آتي منصورا زلزلا» . و إذا اجتمع علمان لمسمى واحد جازت الإضافة و الاتباع على أن يكون الثاني بدلا أو عطف بيان.

[4] كذا في أ، م. و الطرق (بالفتح) : صوت أو نغمة بالعود و نحوه، يقال: تضرب هذه الجارية كذا طرفا. و في ب، س، ح: «طرفين» بالفاء. و في ء: «طريقين» ، و كلاهما تحريف.

[5] عاتكة بنت شهدة: إحدى المغنيات المحسنات، و أمها جارية الوليد بن يزيد و كانت مغنية أيضا. (انظر الكلام عليها في «الأغاني» ج 6 ص 57 طبع بولاق) .

تقدير المأمون له:

أخبرني الحسن [1] بن عليّ الخفاف قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال حدّثنا ابن [2] شبيب من جلساء المأمون عنه: أنه قال يوما و إسحاق غائب عن مجلسه: لو لا/ ما سبق على السنة الناس و اشتهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء، فما أعرف مثله ثقة و صدقا و عفة و فقها. هذا مع تحصيل المأمون و عقله و معرفته.

سأل الفضل بن الربيع أن يوصي به سفيان بن عيينة في رواية الحديث و تقدير سفيان له:

أخبرنا يحيى بن علي قال حدّثنا الفضل بن العباس الوراق قال حدّثنا المخرميّ [3] عن أبيه قال: سمعت إسحاق الموصليّ يقول:

صرت إلى سفيان بن عيينة لأسمع منه، فتعدّ ذلك عليّ و صعب مرامه، فرأيتُه عند الفضل بن الربيع، فسألته أن يعرّفه موضعي من عنايته و مكاني من الأدب و الطلب و أن يتقدّم إليه بحديثي؛ ففعل و أوصاه بي فقال: إنّ أبا محمد من أهل العلم و حملته. قال: فقلت: تفرض لي عليه ما حدّثني به؛ فسأله في ذلك، ففرض لي خمسة عشر حديثا في كل مجلس؛ فصرت إليه فحدّثني بما فرض لي؛ فقلت له: أعزّك الله، صحيح كما حدّثني به؟ قال: نعم، و عقد بيده شيئا؛ قلت: أ فأرويه عنك؟ قال: نعم، و عقد بيده شيئا آخر، ثم قال: هذه خمسة و أربعون حديثا، و ضحك إليّ و قال: قد سرّني ما رأيت من تقصّيك في الحديث و تشدّدك فيه على نفسك، فصر إليّ متى شئت حتى أحدثك بما شئت.

تقدير أبي معاوية الضرير له:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الجمان و عون بن محمد الكنديّ قال:

سمعنا إسحاق الموصليّ يقول:

جئت يوما إلى أبي معاوية الضّرير و معي مائة حديث، فوجدت حاجبه يومئذ رجلا ضريرا؛ فقال لي: إنّ أبا معاوية قد ولّاني اليوم حجّيته لينفعني؛ فقلت: معي مائة حديث و قد جعلت لك مائة درهم إذا قرأتها؛ فدخل و استأذن لي فدخلت؛ فلما عرفني أبو معاوية دعاه فقال له: أخطأت، و إنما جعلت لك مثل هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأما أبو محمد و أمثاله فلا؛ ثم أقبل عليّ يرغبني في الإحسان إليه و يذكر ضعفه و عنايته به؛ فقلت له:

احتكم في أمره، فقال: مائة/دينار؛ فأمرت بإحضارها الغلام، و قرأت عليه ما أردت و انصرفت.

كان يجري على ابن الأعرابي ثلاثمائة دينار في كل سنة و إكبار ابن الأعرابي له:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني عليّ بن محمد الأسديّ قال حدّثني أحمد بن يحيى الشّيباني ثعلب قال:

وقف أبو عبد الله بن الأعرابيّ على المدائنيّ، فقال له: إلى أين يا أبا عبد الله؟ فقال: أمضي إلى رجل هو كما قال الشاعر:

[1] في الأصول هنا: «الحسين» ، و هو تحريف.

[2] في ح، ء و هامش أ: «حدثنا من شئت من جلساء المأمون» .

[3] المخرميّ: نسبة إلى المخرم (بضم الميم و فتح الخاء المعجمة و تشديد الراء مع الكسر) : محلة ببغداد.

نحمل أشباحنا إلى ملك # نأخذ من ماله و من أدبه

فقال له: و من ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي. قال أبو بكر: و البيت لأبي تمام الطائي.

و قد أخبرني بهذا الخبر عن ثعلب محمد بن القاسم الأنباري فقال فيه: كان إسحاق يجري على ابن الأعرابي في كل سنة ثلاثمائة دينار، و أهدى له ابن الأعرابي شيئا من كتاب النوادر كتبه له بخطه؛ فمر ابن الأعرابي يوما على باب دار الموصلي و معه صديق له؛ فقال له صديقه: هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق؛ فقال: هذه دار الذي نأخذ من ماله و من أدبه.

رأى في المنام جريرا يلقي كبة شعر في فيه فأول ذلك بتورثه الشعر:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: رأيت في منامي كأن جريرا جالس ينشد شعره و أنا أسمع منه، فلما فرغ أخذ بيده كبة شعر فألقاها في فمي فابتلعها؛ فأول ذلك بعض من ذكرته له أنه ورثني الشعر. قال يزيد بن محمد: و كذلك كان، لقد مات إسحاق و هو أشعر أهل زمانه.

تعلم الضرب بالعود من زلزل و أعطاه مالا كثيرا:

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى و محمد بن مزيد قال[1] حدثنا حماد بن إسحاق قال: قال لي أبي: أعطيت منصورا زلزلا من مالي خاصة حتى تعلمت ضربه بالعود نحو من مائة ألف درهم سوى ما أخذته له من الخلفاء و من أبي. قال: و كانت في زلزل قبل أن يعرف الصوت و يفهمه بلادة أول ما يسمعه، حتى لو ضرب هو و غلامه على صوت لم يعرفاه قبل لكان غلامه أقوى منه؛ فإذا تفهمه جاء فيه من الضرب بما لا يتعلق به أحد البتة.

ثناء أبي زياد الكلابي عليه حين أجاز بيتا له ارتجالا:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق، [و أخبرني به الأخفش عن الفضل عن إسحاق، و أخبرني به يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق][2]، و أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب عن إسحاق قال: قال لي أبو زياد الكلابي: أولم جار لي يكنى أبا سفيان وليمة و دعاني لها، فانتظرت رسوله حتى تصرم يومي فلم يأت، فقلت لا مرأتي: إن[3]

أبا سفيان ليس بمولم # فقومي فهاتي فلقه من حوارك[4]

[1] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «قال» و هو تحريف.

[2] هذه الزيادة ساقطة من ب، س.

[3] في ب، س: «و إن» . و ظاهر من سياق الكلام أن البيت لم يتقدّمه شعر.

[4] كذا فيما سيأتي في الأصول. و الفلقة: القطعة. و الحوار (بالضم و قد يكسر) : ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم و يفصل. و في الأصول هنا: «قفرة من حوارك» ، و هو تحريف.

قال إسحاق: فقلت له: أ ليس غير هذا؟ فقال: لا، إنما أرسلته يتيما؛ فقلت: أ فلا أجزه؟ قال: شأنك؛ فقلت له:

فبيتك خير من بيوت كثيرة # و قدرك خير من وليمة جارك

/قال: فضحك ثم قال: أحسنت بأبي أنت و أمي، جئت و الله به قبلا [1] ما انتظرت به القرب، و ما ألوم الخليفة أن يجعلك في سماره و يتملح بك، و إنك لمن طراز ما رأيت بالعراق مثله، و لو كان الشباب يشتري لا انتعته لك بإحدى عيني و يمني يدي، و على أن فيك بحمد الله و منه بقيّة تسرّ الودود، و ترغم الحسيود. هذا لفظ يزيد المهلبيّ و الأخفش. و أخبرني بهذا الخبر محمد بن عبد الله بن عمّار فقال حدّثني عمر بن شبة قال حدّثني إسحاق قال قال لي إمّا/شذاد بن عقبة و إما أبو مجيب [2]:

قالت امرأة القتال الكلابيّ له: هل لك في فلقة من حوار نطبخها لك؟ فقال: لا و الله، نحن على وليمة أبي سفيان و دعوته، و كان أبو سفيان رجلا من الحيّ زوّت إليه امرأته تلك الليلة؛ فجعل ينظر دخانا فلا يراه، فقال:

إنّ أبا سفيان ليس بمولم # فقومي فهاتي فلقة من حوارك

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدّم من الذي قبله.

أنشد أعرابيا شعرا له فمدحه:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبيّ قال حدّثني إسحاق قال:

أنشدت أعرابيا فهما شعرا لي، فقال: أفقرت و الله يا أبا محمد؛ قلت: و ما أفقرت؟ قال: رعيت قفرة لم ترع قبلك. (يريد: أبدعت).

دخل على المأمون و عقيد يغنيه فتبين خطأ في الغناء لم يتبينه أحد ممن حضر:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش و عمّي قالا حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعت إسحاق الموصليّ يقول:

دخلت على المأمون يوما و عقيد يغنيه ارتجالا و غيره يضرب عليه؛ فقال: يا إسحاق، كيف تسمع مغنيّنا هذا؟ فقلت: هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري؟ قال: نعم، سألت عمّي إبراهيم فوصفه و قرّظه و استحسّنه؛ فقلت له:

يا أمير المؤمنين-أدام الله سرورك، و أطاب عيشك-إنّ الناس قد أكثروا في أمرِي حتى نسبتني فرقة إلى التّزید في علمي؛ فقال لي: فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لزمك؛ فقلت لعقيد: اردد هذا الصوت الذي غنّيته أنفا، و تحفّظ فيه و ضرب ضاربه عليه؛ فقلت لإبراهيم بن المهديّ: كيف رأيته؟ فقال: ما رأيت شيئا يكره و لا سمعته؛ [1]القبل (بالتحريك) : الارتجال أي التّكلم بكلام لم يكن قد أعدّه، يقال: تكلم قبلأ فأجاد، و اقتبل الكلام و الخطبة اقتبالا إذا ارتجلهما و لم يكن أعدّهما. و القبل أيضا: أن يورد الرجل إبله فيستقي على أفواهها و لم يكن هيا لها قبل ذلك شيئا. و القرب (بالتحريك) : أن يكون بين القوم و بين الماء ليلة أو عشية فيعجلون بإبلهم و يسوقونها إليه سوقا شديدا. يريد أنه جاء به ارتجالا و عفو الخاطر من غير أن يتريث به و يكد سعيًا في طلبه.

[2]كذا في ح و كذلك صححه المرحوم الشنقيطي في نسخته، و هو أبو مجيب الريفی، كما سیأتي ذكره بعد قليل في أخبار إسحاق. و قد جاء مضطربا في سائر الأصول هنا.

فأقبلت على عقيد فقلت له حين استوفاه: في أيّ طريقة هذا الصوت الذي غنّيته؟ قال: في الرّمل؛ فقلت للضارب:

في أيّ طريقة ضربت أنت؟ قال: في الهزج الثقيل؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما عسيت أن أقول في صوت يغني مغنيه رملا و يضرب ضاربه هزجا، و ليس هو صحيحا في إيقاعه الذي ضرب عليه!. قال: و تفهّمه إبراهيم بن المهديّ بعدي، فقال: صدق يا أمير المؤمنين، الأمر فيه الآن بين؛ فغاطني، فقلت له: بأيّ شيء بان الآن ما لم يكن بينا قبل؟ أتوهم أنك استنبطت معرفة هذا! و إنما قلته لما علمته من جهتي كما يقوله الغلمان العجم و سائر من حضر اتّباعا لي و اقتداء بقولي. فقال له المأمون: صدق، فأمسك؛ و جعل يتعجّب من ذهاب ذلك على كل من حضر، و كثاني في ذلك اليوم مرّتين.

إعجاب الأصمعيّ بيتين له في الفخر:

أخبرني أحمد بن جعفر لحظة قال حدّثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال حدّثني أبي:

/أنّ الأصمعيّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخزيمة[1] بن خازم:

إذا كانت الأحرار أصلي و منصبي # و دافع ضيمي خازم و ابن خازم

عطست بأنف شامخ و تناولت # يداي الثريا قاعدا غير قائم

قال: فجعل الأصمعيّ يعجب منهما و يستحسنهما، و كان بعد ذلك يذكرهما و يفضلهما.

سبب ولاءه لخازم بن خزيمة:

قال ابن حمدون: و كان السبب في تولي إسحاق خازم بن خزيمة بن خازم، أنّ مناظرة جرت بينه و بين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالطا[2]، فقال له ابن جامع: يا من إذا قلت له يا ابن زانية لم أخف أن يكذبني أحد؛ فمضى إلى خازم بن خزيمة، فتولاه و انتمى إليه، فقبل ذلك منه، و قال هذين البيتين.

امتحنه المعتصم في صوت فأجاب بأنه محدث لامرأة و كان لعريب:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال: قال إسحاق: كانت عندي[3]/صنّاجة كنت بها معجبا؛ و اشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة

المأمون؛ فبينما أنا ذات يوم في منزلي إذا بابي يدقُّ دقًّا شديدًا، فقلت:
انظروا من هذا؛ قالوا: رسول أمير المؤمنين؛ فقلت: ذهبت صُنَّاجتي،
تجده ذكرها له ذاك فبعث إليَّ فيها؛ فلمَّا مضى بي الرسول انتهيت إلى
الباب و أنا مثخن [4]، فدخلت فسلمت، فردَّ السلام، و نظر إلى تغيُّر وجهي
فقال:

اسكن فسكنت؛ و سألني عن صوت و قال: أ تدري لمن هو؟ فقلت:
أسمعه ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك؛ فأمر/جارية من وراء
الستارة فغنته و ضربت، فإذا هي قد شبَّهته بالقديم؛ فقلت: زدني معها عودا
آخر فإنه أثبت [1] هو خزيمة بن خازم بن خزيمة، كان هو و أبوه من أشرف
الدولة العباسية، و قد ولى أبوه خراسان و عمان لأبي جعفر المنصور، و كان
هو من قوَّاد الرشيد المبرزين الذين قاموا له بجلائل الأعمال (انظر كتاب
«المعارف» لابن قتيبة ص 213 و «تاريخ الطبري» قسم 3 ص 602 و 648
و 683 إلخ) .

[2] كذا في ب. و تغالطا: تعاديا و تشاتما، و المغالطة: شبه المعارضة،
يقال: مالك تغالطني و تغالطني، و تعارضني و تغايطني. و في سائر
الأصول: «تغالطا» بالطاء المهملة، و المغالطة: الإيقاع في الغلط.

[3] الصناجة: الضاربة بالصنج. و الصنج (لفظ دخيل) : صفيحة مدورة
تتخذ من صفر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب.

[4] مثخن: مهموم محزون، يقال: أثخنه الهم إذا غلبه.

لي، فزادني عودا آخر؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا الصوت محدث لا مرأة ضاربة؛ فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لما سمعته و سمعت لينة عرفت أنه من صنعة النساء؛ و لما رأيت جودة مقاطعه علمت أن صاحبه ضاربة؛ فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لأنها قد حفظت مقاطعه و أجزاءه، ثم طلبت عودا آخر ليكون أثبت لي فلم أشكك؛ فقال: صدقت، الغناء لعريب.

امتنح بإدخال لحن رومي في شعر عربي و غنى في درج أصوات، فلما سمعه عرفه و استخرجه:

نسخت من كتاب ابن أبي سعيد[1]: حدّثني إسحاق بن إبراهيم الطاهري[2] قال: حدّثني مخارق مولاتنا قالت:

كان لمولاي الذي علّمني الغناء فرّاش رومي، و كان يغني بالروميّة صوتا مليح اللحن؛ فقال لي مولاي:

يا مخارق، خذي هذا اللحن الروميّ فانقلبه إلى شعر من أصواتك العربيّة حتى أمتحن به إسحاق الموصليّ فأعلم أين يقع من معرفته، ففعلت ذلك؛ و صار إليه إسحاق فاحتبسه مولاي، فأقام و بعث إليّ أن أدخلي اللحن الروميّ في وسط غنائك؛ فغنيته إياه في درج أصوات مرّت قبله، فأصغى إليه إسحاق، و جعل يتفهّمه و يقسّمه و يتفقد أوزانه و مقاطعه و يوقع عليه بيده، ثم أقبل على مولاي فقال: هذا صوت روميّ اللحن، فمن أين وقع إليك؟ فكان مولاي بعد ذلك يقول: ما رأيت شيئا أحسن من استخراجة لحنا روميّا لا يعرفه و لا العلة فيه، و قد نقل إلى غناء عربيّ و امتزجت نغمه حتى عرفه و لم يخف عليه.

فضل في مجلس الواثق زلزلا على ملاحظ فتحذاه ملاحظ فأظهر هو براعة فائقة:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني عبد الله[3] بن عمرو عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني علويه الأعرس، و وجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمد بن نصر الشاميّ عن جدّه حمدون بن إسماعيل قال:

تناظر المغنّون يوما عند الواثق، فذكروا الصّراب و حذقهم، فقدّم إسحاق زلزلا على ملاحظ، و لملاحظ في ذلك الرئاسة على جميعهم؛ فقال له الواثق: هذا حيف و تعدّ منك؛ فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين، اجمع بينهما

و امتحنهما، فإن الأمر سينكشف لك فيهما؛ فأمر بهما فأحضرا؛ فقال له إسحاق؛ إن للضَّرَابِ أصواتا معروفة، أ فأمتنهما بشيء منها؟ قال: أجل، افعل؛ فسمي ثلاثة أصوات كان أولها:

عَلَّقَ قلبي طيبة السَّيبِ [4]

فضربا عليه، فتقدّم زلزل و قصّر عنه ملاحظ؛ فعجب الوراق من كشفه عما ادّعا في مجلس واحد. فقال له [1] هو أبو عبيد الله بن أبي سعيد الوراق، و كان أخباريا نسابة راوية للشعر. و في ب، س: «ابن أبي سعد» ، و هو تحريف.

[2] كذا في حـ (بالطاء المهملة) ، و قد صححه كذلك الأستاذ الشنقيطي في نسخته. و هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب حاكم بغداد في أيام المأمون و المعتصم و الوراق، و هو من قرابة طاهر بن الحسين، و إليه ينسب. و في باقي الأصول هنا: «الطاهري» بالطاء المعجمة، و هو تصحيف. على أنه سيأتي في الأصول جميعا أكثر من مرة «الطاهري» بالمهملة كما في حـ هنا.

[3] تكرر هذا السند أكثر من مرة في أخبار إسحاق، و فيه عبد الله بن أبي سعد بدل عبد الله بن عمرو.

[4] السيب (بكسر أوله و سكون ثانيه) : كورة من سواد الكوفة، و هو أيضا نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة، و موضع بخوارزم. (مختصر من «معجم البلدان» لياقوت) . -

ملاحظ: فما باله يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس! و لم لا يضرب هو! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لم يكن أحد في زماني أضرب مني إلا أنكم أعفتموني، فتفلت مني؛ و على أن معي بقية لا يتعلق بها أحد من/هذه الطبقة؛ /ثم قال: يا ملاحظ، شوّش عودك و هاته، ففعل ذلك ملاحظ؛ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا يخلط الأوتار تخليط متعنّت فهو لا يألو ما أفسدها، ثم أخذ العود فجسّه ساعة حتى عرف مواقعه[1]، ثم قال: يا ملاحظ، عنّ أيّ صوت شئت، فغنّي ملاحظ صوتا، و ضرب عليه إسحاق بذلك العود الفاسد التسوية فلم يخرج عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نقرة واحدة، و يده تصعد و تنحدر على الدّساتين[2]؛ فقال له الواصل: لا و الله ما رأيت مثلك و لا سمعت به! اطرح هذا على الجوّاري؛ فقال: هيهات يا أمير المؤمنين، هذا لا تعرفه الجوّاري و لا يصلح لهنّ، إنما بلغني أنّ الفهليذ ضرب يوما بين يدي كسري فأحسن، فحسده رجل من حدّاق أهل صنعته، فترقّبته حتى قام لبعض شأنه، ثم خالفه إلى عوده فشوّش بعض أوتاره، فرجع فضرب و هو لا يدري، و الملوك لا تصلح في مجالسها العيدان، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصّة، فامتحن العود فعرف ما فيه، ثم قال: «زه[3] و زه و زهان زه» ، و وصله بالصلّة التي كان يصل بها من خاطبه هذه المخاطبة؛ فلمّا تواطأت الرواية بهذا أخذت نفسي و رضتها عليه و قلت: لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منّي، فما زلت أستنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا و أنا أعرف نغمته كيف هي، و المواضع التي يخرج النغم كلها/منه فيها، من أعاليها إلى أسافلها، و كلّ شيء منها يجانس شيئا غيره، كما أعرف ذلك في مواضع الدّساتين؛ و هذا شيء لا تفني[4] به الجوّاري. قال له الواصل: صدقت، و لئن متّ لتموتنّ هذه الصناعة معك؛ و أمر له بثلاثين ألف درهم.

نسبة هذا الصوت

صوت

علّق قلبي طيبة السّيب # جهلا فقد أغري بتعذبي

نمت عليها حين مرّت بنا # مجاسد[5] ينفحن بالطّيب

تصدّها عنّا عجوز لها[6] # منكورة[7] ذات أعاجيب

[1] كذا في «مختار الأغاني» لابن منظور. و في الأصول: «حتى عرف مواقعه فغنى، ثم قال... إلخ» بزيادة كلمة «فغنى»، و ظاهر أنها مقحمة.

[2] كذا في ح. و الدساتين: و الدستانات: ما عليه أطراف أوتار العود من مقدمه، و هي كلمة فارسية، و تسمى العرب ذلك: العتب (بالتحريك) . و في سائر الأصول: «الرساتين» بالراء، و هو تحريف.

[3] كلمة فارسية و معناها: أحسنت أحسنت.

[4] كذا في ح و «مختار الأغاني» ، إلا أنه رسم في ح: «لا تفيء» بالهمز، و لعله تحريف من الناسخ. و لا تفي: لا تأتي به وافيًا، أي إن الجواري يقصرن عنه و لا يستطعن أداءه. و في سائر الأصول: «لا تغني» .

[5] المجاسد: القمصان، واحدها مجسد (بضم الميم من أجسده بالهمز، أو جسده بالتضعيف) و هو ما صيغ بالجسد أي الزعفران.

[6] كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «لنا» .

[7] منكرة: مبغضة مكروهة.

فكلّما همت [1] بإتيانها # قالت: توقّي عدوة الدّئب

الشعر و الغناء لإبراهيم، هزج ثقيل بالسبّابة في مجرى البنصر.

أخذت عنه جاريته دمن صوتا على غرة منه لبخله بالغناء:

حدّثني عليّ بن هارون قال حدّثني محمد بن موسى اليزيديّ قال حدّثني دمن جارية إسحاق الموصليّ، و كانت من كبار جواربه و أحظى من عنده، و لقيتها فقلت لها: أيّ شيء أخذت عن مولاك من الغناء؟ فقلت: لا و الله ما أخذت أنا عنه و لا واحدة من جواربه صوتا قطّ! كان أبخل بذلك، و ما أخذت منه قطّ إلاّ صوتا واحدا، و ذلك أنه انصرف من دار الخليفة و هو مثخن سكرًا [2]، فدخل/إلى بيت كان ينام فيه، فرأى عودا معلقا فأخذه بيده، و قال لخادمه: يا غلام، صح لي بدمن؛ فجاءني الغلام فخرجت، فلما بلغت الباب إذا هو مستلق على فراشه و العود في يده و هو يصنع هذا الصوت و يردّده، و قد اسحنفر [3] في نغمه و تنوق [4] فيها حتى/استقام له، و هو:

صوت

ألا ليك لا يذهب # و نيط الطّرف بالكوكب

و هذا الصّبح لا يأتي # و لا يدنو و لا يقرب

فلما سمعته علمت أنّي [إن] [5] دخلت إليك أمسك، فوقفت أستسمعه حتى فرغ منه و أخذته عنه؛ فلما فرغ منه وضع العود من يده، و ذكر أنه قد طلبني فقال: يا غلام، أين دمن؟ فقلت: ها أنا ذي؛ فقال: مذ كم أنت واقفة؟ فقلت: منذ ابتدأت بالصوت و قد أخذته؛ فنظر إليّ نظر مغضب أسف، ثم قال: غيّبه، فغيّبته حتى استوفيته؛ فقال لي و قد فتر و خجل: قد بقيت عليك فيه بقيّة أنا أصلحها لك؛ فقلت: لست أحتاج إلى إصلاحك إياه، و قد و الله أخذته على رغمك؛ فضحك. لحن هذا الصوت من الهزج بالبنصر، و الشعر و الغناء لإسحاق.

غنى إبراهيم بن المهديّ عند المعتصم صوتا لابن جامع فأظهر هو خطأ فيه ثم هزأ بإبراهيم:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال قال لي إسحاق:

كنت عند المعتصم و عنده إبراهيم بن المهديّ، فغنى إبراهيم صوتا لابن جامع أخلّ ببعضه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ترك ابن جامع الناس يحجلون خلفه و لا يلحقونه. و في هذا الصوت خاصّة؛ فقلت: و الله يا أمير المؤمنين،

ما صدق، / و ما هذا الصوت بتأمّ الأجزاء؛ فقال: كذب و اللّٰه يا أمير المؤمنين؛ فقلت: يا سيّدي، أنا أوقفه على نقصانه، فمره فليعد يا أمير المؤمنين؛ فأعاد البيت الأوّل فأقامه و طمع في الإصابة؛ فقلت: آفته في [1]همت: أصله «هممت» حذفت إحدى الميمين تخفيفاً. و شرط جواز هذا الحذف في الماضي أن تكون عينه مكسورة نحو ظل تقول فيه: «ظلمت» على الإتمام و «ظلمت» (بفتح أوّله أو بكسره بنقل حركة عين الفعل إلى الفاء) على الحذف. و لكن ابن الأنباري حكى «همت» في هممت مع أنه مفتوح العين. و هم بالشيء: نواه و أرادته.

[2]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «و هو مثخن سكران» .

[3]كذا صححه الأستاذ الشنقيطي في نسخته. و اسحنفر في الشيء: مضى فيه و لم يتمكث. و في الأصول: «استخفر» .

[4]تنوّق في الشيء: جوّده و تأنق فيه.

[5]التكلمة عن أ، ح، م.

البيت الثاني، فليردده؛ فردّه فنقص من أجزائه و فسمته، فعرفته فأقرّ به؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي و صناعة آبائي و إبراهيم يكلمني فيها، و أنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها مسألة واحدة؛ فقال: أو يعفيني أمير المؤمنين من كلامه؟ فأعفاه.

و قد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلب عن إسحاق؛ فذكر نحو ما ذكره يحيى، و ذكر أنّ القصة كانت بين يدي المعتصم؛ و زاد فيها فقال: أنا أسأله عن ثلاثين مسألة و أوقفه على خطئه فيها، فإن لم يقرّ بذلك أقرّ به مخارق و علويه؛ فقال: أو يعفيني أمير المؤمنين من كلامه! فإنه يعدل عندي البختج [1]؛ قلت: يا أمير المؤمنين، و ما يفعل البختج؟ قال: يسلم؛ قلت [2]: قد و الله فعل ذلك كلامي به، و منه هرب؛ فضحك و عطى فاه و قام؛ فظنّ إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ أنّي قد أغضبتّه، فضرب بيده إلى السيف؛ فقلت له: لا تحسب أنّي أغضبتّه؛ فما كنت لأكلم عمّه بين يديه بهزء [3] من غير إذنه، فأمسك؛ و كان لا يقدم أحد أن يكلم الخليفة بحضرته بما فيه الوهن إلا بادر إلى سيفه تعظيماً للأمير [4] و إجلالاً له.

عرف في مجلس المأمون خطأ في وتر بين ثمانين و ترا و عشرين جارية بغنين:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم الهاشميّ عن إسحاق، و أخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: /دعاني المأمون و عنده إبراهيم بن المهديّ، و في مجلسه عشرون جارية قد أجلس عشرا عن يمينه و عشرا عن يساره و معهنّ العيدان يضربن بها؛ فلما دخلت سمعت من الناحية اليسرى خطأ فأنكرته؛ فقال المأمون: يا إسحاق، أ تسمع خطأ؟ فقلت: نعم و الله يا أمير المؤمنين؛ فقال لإبراهيم: هل تسمع خطأ؟ فقال: لا؛ فأعاد عليّ السؤال، فقلت: بلى و الله/ يا أمير المؤمنين، و إنه لفي الجانب الأيسر؛ فأعاد إبراهيم سمعه إلى الناحية اليسرى ثم قال: لا و الله يا أمير المؤمنين، ما في هذه الناحية خطأ؛ فقلت يا أمير المؤمنين: مر الجوّاري اللواتي على اليمين يمسكن، فأمرهنّ فأمسكن؛ فقلت لإبراهيم: هل تسمع خطأ؟ فتسمّع ثم قال: ما هاهنا خطأ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، يمسكن و تضرب الثامنة. فأمسكن و ضربت الثامنة، فعرف إبراهيم الخطأ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، هاهنا خطأ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم: يا إبراهيم، لا تمار إسحاق بعدها؛ فإن رجلا فهم الخطأ بين

ثمانين وترا و عشرين حلقا لجدير الأّ تماريه؛ فقال: صدقت يا أمير المؤمنين.
و قال الحسين بن يحيى في خبره: و كان في الأوتار كلّها مثنى فاسد
التسوية. و قال فيه: فطرب أمير المؤمنين المأمون، و قال: لله درّك يا أبا
محمد؛ فكأنّني يومئذ.

ثناء الواثق عليه:

أخبرني أحمد بن جعفر لحظة قال حدّثني أحمد بن حمدون قال:
[1]البختج (كقنفذ كما جاء في «شرح القاموس») : العصير المطبوخ.

[2]في جميع الأصول: «قال» و هو لا يتفق مع السياق.

[3]في ح: «بها» بالراء، و البهر: القذف و البهتان. و في أ، ع، م:
«بهذا» .

[4]في ح، ع: «للأمر» .

سمعت الواثق يقول: ما غنّاني إسحاق قط إلا ظننت أنه قد زيد لي في ملكي، و لا سمعته يغني غناء ابن سريج إلا ظننت أنّ ابن سريج قد نشر، و إنه ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضرا، فيتقدّمه عندي و في نفسي بطيب [1] الصوت، حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو و رأيت من ظننته يتقدّمه ينقص؛ و إنّ إسحاق لنعمة/من نعم الملك التي لم يحظ [2] بمثلها؛ و لو أنّ العمر و الشباب و النشاط مما يشتري لأشتريتها له بشرط ملكي.

سأل المأمون أن يكون دخوله إليه مع العلماء ثم مع الفقهاء:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال: سأل إسحاق الموصليّ المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم و الأدب و الرواة لا مع المغنّين، فإذا أراد الغناء غنّاه؛ فأجابته إلى ذلك؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء؛ فأذن له. قال: فحدّثني محمد بن الحارث بن بسحّتر أنه كان هو و مخارق و علويه جلوسا في حجرة لهم ينتظرون جلوس المأمون و خروج الناس من عنده، إذ دخل يحيى بن أكثم و عليه سواده [3] و طوليته، و يده في يد إسحاق يماشييه، حتى جلس معه بين يدي المأمون، فكاد علويه أن يجنّ، و قال: يا قوم، أسمعتم بأعجب من هذا! يدخل قاضي القضاة و يده في يد مغنّ حتى يجلسا بين يدي الخليفة!. ثم مضت على ذلك مدّة، فسأل إسحاق المأمون أن يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة و الصلاة معه في المقصورة؛ قال: فضحك المأمون و قال: و لا كلّ ذا يا إسحاق! و قد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم؛ و أمر له بها.

ما كان يمتاز به في مجلس الواثق:

حدّثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني أبو عبد الله بن حمدون قال: كان المغنّون جميعا يحضرون مجلس الواثق و عيدانهم معهم إلا إسحاق، فإنه كان يحضر بلا عود للشرب و المجالسة؛ فإن أمره الخليفة أن يغني أحضر له عودا، فإذا غنّى و فرغ سلّ من بين يديه إلى أن يطلبه. و كان الواثق كثيرا ما يكتّيه، رفعا له/من أن يدعوه باسمه؛ و كان إذا غنّى و فرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناء و لم يعد منه حرفا إلا أن يكون في بعض بيت فيتمّه، ثم يقطع و يضع العود من يده.

علي بن يحيى يحدث عن تفوّقه في فنه:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه في خبر ذكر إسحاق[4] فيه، فقال: و عارض معبدا و ابن سريج فانتصف منهما، و كان إبراهيم بن المهديّ يناظره و يجادله في الغناء و ينازعه في صناعته، /و لم يبلغه؛ و ما رأيت بعد إسحاق مثله.

[1] في ب، س: «يطيب الصوت» بالياء المثناة التحتية، و هو تصحيف.

[2] في ب، س: «لم يحظ أحد بمثلها» .

[3] السواد: شعار بني العباس كان يرتديه أشياعهم. و الطويلة: قلنسوة عالية مدعمة بعيذان كان يلبسها القضاة. (انظر الحاشيتين رقم 2، 3 من الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص 414، من هذه الطبعة) . و في ب، ح، س: «سواده و طيلية» . و في أ، ع، م: «سواده و طويلة» ، و كلاهما تحريف.

[4] في الأصول: «في خبر ذكره إسحاق فيه» .

عابه إبراهيم بن المهدي بترك التحريك في الغناء فبعث هو إليه بكلام غاظه:

أخبرني عمِّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال قال لي محمد بن راشد الخنَّاق[1]: سمعت علويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصلي: إن إبراهيم بن المهدي يعيبك بتركك تحريك الغناء؛ فقال له إسحاق: ليتنا نفي بما علمناه، فإننا لا نحتاج إلى الزيادة فيه. [ثم][2] قال له: فإنه يزعم أن حلاوة الغناء تحريكه، و تحريكه عنده أن يكون كثير التَّعم، و ليس يفعل ذلك، إنما يسقط بعض عمله لعجزه عنه، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسكدار[3] للكتاب، و هو حينئذ بأن يسمَّى المحذوف أشبه منه بأن يسمَّى المحرَّك؛ فضحك علويه ثم قال: فإن إبراهيم يسمِّي غناءكم هذا الممسك المنادي؛ قال إسحاق: هذا من لغات الحاكة؛ لأنهم يسمُّون الثوب الجافى[4] الكثير العرض و الطول المدادي؛ و على هذا القياس فينبغي لنا أن نسمِّي غناءه المحرَّك الصُّرابي، و هو الخفيف السخيف[5] من الثياب في لغة الحاكة، حتى ندخل الغناء/في جملة الحياكة و نخرجه عن جملة الملاهي؛ ثم قال لعلويه؛ بحياتي عليك إلا ما أعدت عليه ما جرى؛ فقال له: لا و حياتك لا فعلت؛ فإنه يعلم ميلي إليكم، و لكن عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الخنَّاق؛ فكلمه إسحاق و أقسم عليه أن يؤبده[6]، ففعل و سار إلى إبراهيم فأخبره، فجعل كلما أخبره شيئاً تعيَّظ و شتم إسحاق بأقبح شتم؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره؛ فجعل[9] كلما أخبره بشيء من ذلك ضحك و صفق سرورا لغيظ إبراهيم من قوله.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِّي قال حدَّثني علي بن محمد التوفلي قال أخبرني محمد بن راشد الخنَّاق قال: إني لفي منزلي يوما مع الظهر إذ دخل عليَّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فسررت بمكانه؛ فقال: قد جاءت بي إليك حاجة؛ قال قلت: قل ما شاء الله؛ قال: دعني في بيتك، و دع غلاميك عندي: بديحا و سليمان-و كانا خادمين مغتَّيين-و مرهما أن يغتَّيانني، و ائتني بفلان ليغتَّيني أيضا، بحياتي عليك، و انطلق إلى إبراهيم ابن المهدي، فإنه سيسرُّ بمكانك، فاشرب معه أقداحا، ثم قل[له][8]: يا سيدي، أسألك عن شيء، فإذا قال: سل، فقل له: أخبرني عن قولك:

ذهبت من الدنيا و قد ذهبت مئِّي

أيّ شيء كان معنى صنعتك فيه؟ و أنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك الذي صنّعه فيه إلا أن تقول: «ذهبتو» بالواو، فإن قلت: «ذهبت» و لم تمدها انقطع اللحن و الشعر، و إن مددتها قبح الكلام و صار على كلام التّبّط؛ فقلت له: يا أبا محمد، كيف أخاطب/إبراهيم بهذا؟ فقال: هو حاجتي إليك و قد كلّفتك إياها، فإن استحسننت أن تردّني [1]كذا في ب، ح هنا و فيما سيأتي في أكثر الأصول، و في سائر الأصول هنا: «الخفاف» .

[2]زيادة يقتضيها السياق.

[3]الأسكدار: كلمة فارسية معناها حامل البريد.

[4]الجافي من الثياب: الغليظ.

[5]السخيف من الثياب: القليل الغزل.

[6]كذا في الأصول. و لعل صوابه: «يؤديه» أي يبلغه.

[7]كذا في ح. و في سائر الأصول: «فجعل كلما جاءه و أخبره... إلخ» و ظاهر أن كلمة «جاءه و» هنا مقحمة.

[8]الزيادة عن ح.

فأنت أعلم؛ قال: أفعل ذلك لموضعك على ما فيه علي؛ ثم أتيت إبراهيم، و جلست عنده ملياً، و تجارينا[1] الحديث إلى أن خرجنا إلى ذكر الغناء، فخاطبته بما قال لي إسحاق، فتغير لونه و انكسر، ثم قال: يا محمد، ليس هذا من كلامك، هذا من كلام الجرمقاني[2] ابن الزانية؛ قل له عني: أنتم تصنعون هذا للصناعة، و نحن نصنعه للهو و اللعب و العبث. قال: فخرجت إلى إسحاق فحدثته بذلك فقال: الجرمقاني و الله منا أشبهنا بالجرامقة لغة و هو الذي يقول: «ذهبوا»؛ و أقام عندي يومه فرحا بما بلغته إبراهيم عنه من توقيفه على/خطئه.

كان محمد بن راشد صديقا له فنقل عنه حديثا لابن المهدي ففسد ما بينهما و شعره في ذلك:

قال علي بن محمد قال لي أبي:

كان محمد بن راشد صديقا لإسحاق ثم فسد ما بينهما؛ فإنه طابق[3] إبراهيم بن المهدي عليه، و بلغه عنه من توقيعه أنه يذكره. و كان في محمد بن راشد رداءة و نقل للأحاديث؛ فقال فيه إسحاق: و ندمان صدق لا تخاف أداته # و لا يلفظ الأخبار لفظ ابن راشد

دعاني إلى ما يشتهي فأجبت # إجابة محمود الخلائق ماجد

فلا خير في اللذات إلا بأهلها # و لا عيش إلا بالخليل المساعد

قال: فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء و أمرهم بهجاء إسحاق؛ فهجوه بأشعار لم تبلغ مراده، فلم يظهرها.

و بلغ ذلك إسحاق فقال فيه:

/

و أبيات شعر رائعات كأنها # إذا أنشدت في القوم من حسنها سحر

تحفّر و اقلولى[4] لردّ جوابها # أبو جعفر يغلي كما غلت القدر

فلم يستطعها غير أن قد أعانه # عليها أناس كي يكون له ذكر

فيا ضيعة الأشعار إذ يقرضونها # و أضيع منها من يرى أنها شعر

قال: فعاد محمد بن راشد بإسحاق و استكفّه و صالحه، فرجع إليه.

أخذ إبراهيم بن المهدي صوتا له و غير فيه فلما عرف ذلك
غضب:

أخبرني عمِّي قال حدَّثني عليُّ بن محمد بن نصر الشاميِّ قال حدَّثني منصور بن محمد بن واضح: أن إبراهيم بن المهديِّ طرح في منزل أبيه:

[1] كذا في الأصول، و لعله «تجازبنا الحديث» .

[2] راجع الحاشية رقم 3 ص 207 من هذا الجزء.

[3] طابقه على الأمر: وافقه و مالأه.

[4] كذا في ح، و كذلك صحها الأستاذ الشنقيطي في نسخته. و تحفز الرجل و اقلولى: إذا استقل على رجليه و لما يستو قائما و قد تها للوثوب. و في سائر الأصول: «تحفر» (بالراء المهملة) ، و هو تصحيف.

صوت

أ من آل ليلى عزفت الطلولا # بذي حرص[1] ما ثلاث منولا
 بلين و تحسب آياتهنّ # عن فرط حولين رقا محيلا[2]

-الشعر لكعب بن زهير[3]. و الغناء لإسحاق، و له فيه لحنان: ثاني ثقيل مطلق في مجرى البصر، و ماخوريّ بالوسطى. و فيه للزبير بن دحمان خفيف ثقيل-قال: فجاءنا إسحاق يوماً، و أقام عند أبي، و أخرجنا إليه جواربنا، و مرّ الصوت الذي طرحه إبراهيم/بن المهديّ من غنائه؛ فقال إسحاق: من أين لك هذا؟ قال: طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أعزّه الله تعالى؛ فقال إسحاق: و ما لأبي إسحاق أعزّه الله و لهذا الصوت! هذا أنا صنعته، و ليس هو كما طرّحه. قال: فسأله أبي أن يعنّيه، فعنّاه و ردّه[4] حتى صبحّ لمن عنده؛ فقال لي أبي: اكتب إلى أبي إسحاق أن أبا محمد أعزّه الله صار إليّ فاحتبسته، و أنه عنّي بحضرتي الصوت الذي ألقيته في منزلك الذي أسكنه، فزعم أنه صنعه، و أنه ليس على ما أخذه الجوّاري عنك، فأحببت أن أعلم ما عندك، جعلني الله فداك. قال: فكتبت[5] الرقعة و أنفذتها إلى إبراهيم. فكتب: نعم، جعلت فداك، صدّق أبو محمد أعزّه الله، الصوت له، و هو على ما ذكره، لكّني لعبت في وسطه لعباً أعجبني. قال: فقرأ إسحاق الرقعة فغضب غضباً شديداً، ثم قال لي: اكتب إليه: «إذا أردت يا هذا أن تلعب فالعب في غناء نفسك لا في غناء الناس، و ما حاجتك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك، فاصنع أنت إن كنت تحسن، و العب في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو و اللعب غير مشارك في جدّ الناس بلعبك و مفسد له بما لا تعلمه. يا أبا/إسحاق، أيّدك الله، ليس هذا الصوت مما يتهيأ لك أن تمخرق[6] فيه و تقول: جندرته». قال: و كان إبراهيم يقول: إنه يجندر صنعة القدماء و يحسنها.

مناظرته إبراهيم بن المهدي في الغناء بين يدي المعتصم:

قال عليّ بن محمد حدّثني جدّي حمدون:

أن إسحاق قال لإبراهيم بن المهديّ بحضرة المعتصم: ما تقول فيمن يزعم أنّ ابن سريج و ابن محرز و معبدا و مالكا و ابن عائشة لم يكونوا يحسنون تمام الصنعة/و لا استيفاء الغناء، و يعجزون عما به يكمل و يتمّ و يحسن، [1] ذو حرص: واد لبني عبد الله بن غطفان، بينه و بين معدن النقرة خمسة أميال. (انظر «معجم ياقوت» في اسم ذي حرص و النقرة).

[2] فرط الشيء: مضى و ذهب. و أحال: أتى عليه أحوال أي سنون.

[3] ورد هذا الشعر في «ديوان زهير بن أبي سلمى» و «شرحه» للأعلم الشنتمري و ثعلب و غيرهما من النسخ المخطوطة و المطبوعة المحفوظة بدار الكتب المصرية ضمن قصائده، و قد مدح به سنان بن أبي حارثة أبا هرم و هما ممدوحاه و لم يكونا ممدوحى كعب حيث يقول فيه: إليك سنان الغداة الرحيد # ل أعصى النهاية و أمضى الفئولا

كما ذكره لزهير أيضا أبو عبيد البكري و ياقوت الحموي في معجميهما أثناء كلامهما على «حرض» ، و ذكره المؤلف له أيضا في ترجمته (ج 9 ص 152 طبع بولاق) و قد ورد في جميع هذه المصادر «سلمى» بدل «ليلى» و سلمى هذه محبوبته التي يشبب بها في شعره.

[4] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فردده» بالفاء بدل الواو.

[5] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فكتبته الرقعة» ، و هو تحريف.

[6] مخرق: مؤه. و جندره: أصلحه و صقله. قال في «اللسان» (مادة جدر) : «قال الجوهري: و جندرت الكتاب إذا أمررت القلم على ما درس منه ليتبين. و كذلك الثوب إذا أعدت وشبه بعد ما كان ذهب، قال: و أظنه معرّبا» .

و أنه أقدر على الصنعة منهم؟ قال: أقول: إنه جاهل أحق؛ قال: فأنت تزعم أنه قد كانت بقيت عليهم أشياء لم يهتدوا لها و لم يحسنوها، فتنبّهت عليها أنت و تمتتها و حسنتها بجندرتك؛ قال: فضحك المعتصم و بقي إبراهيم واجما مطرقا، و لم ينتفع بنفسه بقيّة يومه؛ و ما سمعته أنا و لا غيري بعد ذلك اليوم يتبجح بغناء يصلحه من غناء المتقدّمين، حتى يطنب في صنعته و يشتهى استماعه منه، كما كان يدّعي قديما. قال: و كان حمدون يقول: كان إبراهيم يأكل المغنّين أكلا، حتى يحضر إسحاق، فيداريه إبراهيم و يطلب مكافأته، و لا يدع إسحاق تبكيته و معارضته؛ و كان إسحاق أفته، كما أنّ لكل شيء آفة.

غنى المأمون بشعر ذي الرمة فأجازه:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:
خرجت يوما من داري و أنا مخمور أتنسّم الهواء، فمررت برجل ينشد
رجلا معه لذي الرّمة:

صوت

أ لم تعلمي يا مِيّ أُنّي و بيننا # مهاو لطرف العين فيهنّ مطرح[1]
ذكرتك أن مرّت بنا أمّ شادن[2] # أمام المطايا تشرئبّ و تسنح
من المؤلفات الرمل أدماء[3] حرّة # شعاع الصّحى في متنها يتوضّح
/هي الشّبه أعطافا و جيدا و مقلّة # و مية منها بعد أبهى و أمّح
كأن البرى[4] و العاج عيجت متونه # على عشر نهى[5] به السيل أبطح
لئن كانت الدنيا عليّ كما أرى # تبارح من مِيّ فللموت أروح

فأعجبني، فصنعت فيه لحنًا غنّيت به المأمون، فأخذت به منه مائة ألف درهم. لحن إسحاق في هذه الأبيات أوّل مطلق في مجرى البنصر.

[1] مهاو: جمع مهواة و هي ما بين الجبلين. يريد الشاعر أن يصفها بأنها مهاو بعيدة يسرح فيها البصر فلا يرده شيء.

[2] أم شادن: كنية الطيبة، و الشادن: ولدها الذي قد قوي و طلع قرناه و استغنى عن أمه. و يقال: ظبية مشدن أي ذات شادن يتبعها.

و تشرئب: ترفع رأسها لتنظر، و كل رافع رأسه مشرئب. و في ب، ح: «تستريب» و هو تحريف. و تسنح: تعرض، و قيل: تسنح: تأتي عن شمالك.

[3] كذا في س، و «ديوان ذي الرمة» (ص 80) طبع كلية كمبردج. و يروى «من الألفات الرمل» ، يقال: ألف المكان و ألفه. و في سائر الأصول: «المولعات» . و يروى: من الموطنات. و الأدماء: واحدة الأدم، و هي-كما قال الأصمعيّ-: الطباء البيض تعلوهن جدد فيهن غبرة، فإن كانت خالصة البياض فهي الآرام. و حرة: كريمة. و يتوضح: يبرق.

[4] البرى: الخلاخيل، الواحدة برة، و كل حلقة تسميها العرب برة. و العاج: أسورة تتخذها نساء العرب من العاج، و عيجت: لويت.

و العشر: شجر ناعم لين مستو. شبه ساعديها و ساقها بشجر العشر في الاستواء و اللين.

[5] كذا في ح و «ديوانه» و وردت مصححة بخط الأستاذ الشنقيطي أيضا. و نهى الشيء: أبلغه و أوصله، و نهاه: بلغ نهايته (بالتضعيف فيهما) ، و هذا المعنى غير مراد. و في سائر الأصول: «تهمى» و هو تحريف. و الأبطح: بطن الوادي. و مرجع الضمير في «به» شجر العشر مرادا به مكانه الذي ينبت فيه. و عدّي «نهى» بالباء لأنه ضمن معنى «حبس» ، أي إن بطن الوادي حمل السيل و أبلغه للمكان الذي ينبت فيه شجر العشر و حبسه به فهو لذلك ربان ممتلئ. (انظر نسخة مخطوطة من «ديوان ذي الرمة» بشرح الأعلام الشنتمري محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 1840 أدب ص 43) .

دس إليه أبو أحمد بن الرشيد غلامين على أنهما لأحد وجوه خراسان مع هدية ليعلمهما، و قصة ذلك أمام الوراق:

حدّثني يحيى بن محمد الطاهريّ قال حدّثني ينشو مولى أبي أحمد بن الرشيد قال:

اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد، و اشترى رفيقي محمومًا [1]، فدفعنا إلى وكيل له أعجميّ خراسانيّ، و قال له: انحدر بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصليّ؛ و دفع إليه مائة ألف درهم، و شهرّيًا [2] بسرجه و لجامه، و ثلاثة أدراج [3] من فضّة/مملوءة طيبا، و سبعة تخوت [4] من بزّ خراسانيّ، و عشرة أسفاط [5] من بزّ مصر، و خمسة تخوت وشي كوفيّ، و خمسة تخوت خزّ سوسيّ، و ثلاثين ألف درهم للنفقة؛ و قال للرسول: عرّف إسحاق أنّ هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خراسان، و جّه بهما إليه ليتفصّل و يعلمهما أصواتا اختارها، و كتبها له في درج [6]، و قال له: كلما علمهما صوتا ادفع إليه ألف درهم، حتى يتعلّما بها مائة صوت، فإذا علمهما الصوتين اللذين بعد المائة فادفع إليه الشّهريّ، ثم إذا علمهما الثلاثة التي بعد الصوتين، فادفع إليه بكل صوت درجا من الأدراج، ثم لكل صوت بعد ذلك تختا أو سفظا، حتى ينفد ما بعثت به معك؛ ففعل، و انحدرنا إلى بغداد، فأتينا إسحاق، و غنّينا بحضرتة، و بلغه الوكيل الرسالة؛ فلم يزل يلقى علينا الأصوات حتى أخذناها كل أمرنا سيّدنا.

ثم سرنا [7] إلى سرّ من رأى، فدخلنا إليه و غنّيناه جميع ما أخذناه فسرّه ذلك. و قدم إسحاق سرّ من رأى، و لقيه مولانا، فدعا بنا و أوصانا بما أراد، و غدا بنا إلى الوراق و قال: إنكما ستريان إسحاق بين يديه، فلا تسلما عليه و لا توهماه أنكما رأيتماه قط، و ألبسنا أقبية خراسانية و مضينا معه؛ فلمّا دخلنا على الوراق قال له: يا سيّدي، هذان غلامان اشترى لي من خراسان يغنّيان بالفارسيّة؛ فقال: غنّيا، فضربنا ضربا فارسيّا و غنّينا غناء فهليديّا؛ فطرب الوراق و قال: أحسنتما، فهل تغنّيان بالعربية؟ قلنا: نعم، و اندفعنا نغني ما أخذناه عن إسحاق/و هو ينظر إلينا و نحن نتغافل عنه، حتى غنّينا أصواتا من غنائه؛ فقام إسحاق ثم قال للوراق: و حياتك يا سيّدي و بيعتك، و إلاّ كلّ ملك لي صدقة و كل مملوك لي حرّ إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي و من قصّتهما كيت و كيت؛ فقال له أبو أحمد: ما أدري ما تقول! هذان اشتريتهما من رجل نخّاس خراسانيّ؛ فقال له: بلغ و لعك [8] إليّ! و نخّاس خراسانيّ من أين يحسن [أن] يختار مثل تلك الأغاني!

فضحك أبو أحمد ثم قال: صدق، أنا احتلت عليه، و لو رمت أن يعلمهما ما أخذاه منه إذا علم أنهما لي بعشرة أضعاف ما أعطيته لما فعل؛ فقال له إسحاق: قد تمّت عليّ حيلته. و قال أبو أحمد للوائق: إن أردتهما فخذهما؛ فقال: لا أفجعك بهما يا عمّ، و لكن لا تمنعني حضورهما؛ فقال له: قد بذلت [1] في ح: «بجمما» .

[2]الشهرية (بالكسر) : ضرب من البراذين و هو بين البرذون و المقرف من الخيل، و في الأساس: «بين الرمكة و الفرس العتيق» .

و الرمكة: البرذونة، و الجمع الشهاري.

[3]الأدرج: جمع درج (بالضم) و هو سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها و أدواتها، و يجمع أيضا على درجة (بكسر ففتح) .

[4]التخت: وعاء تصان فيه الثياب، فارسيّ، و قد تكلمت به العرب.

[5]أسفاط: جمع سفظ (بالتحريك) و هو ما يعبى فيه الطيب و ما أشبهه من أدوات النساء، و قيل: هو كالجوالق أو كالقفة.

[6]الدرج (بالفتح و بالتحريك) : الذي يكتب فيه، يقال: أنفذته في درج الكتاب أي في طيه. و هو يطلق على الصحيفة من أي نوع و من أي مقياس. و قد فصل القلقشندي في «صبح الأعشى» (ج 6 ص 189-196) مقادير قطع الورق و ما يناسب كل مقدار منها من الأقلام و مقادير البياض في أوّل الدرج و حاشيته و بعد ما بين السطور في الكتابات فارّج إليه.

[7]في أ، ع، م: «ثم سرنا ثم دخلنا إلى سرّ من رأى» .

[8]الولع: الكذب.

لك الملك فلم تؤثره، أفتراي أمنعك الخدمة! فكنا نخدمه بنوبة.

كان في مجلس الواثق مع الندماء لا المغنين فإذا أمره الواثق بالغناء أتى له بعود فغناه:

حدّثني لحظة قال حدّثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدّثني ابن فيلا الطنبوريّ و كان قد دخل على الواثق و غناه، قال: قال الواثق في بعض العشايا: لا يبرح أحد من المغنين الليلة، فقد عزمت على الصّبح في غد؛ فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلا إسحاق فإنه قال له: لا و حياتك ما أبيت؛ قال: فلا و الله ما كان له عند الواثق معارضة أكثر من أن قال له: في حياتي إلا بكرت [1] يا أبا محمد. قال: فرأيت مخارقاً و علويه قد تقطعا غيظاً؛ و بتنا في بعض الحجر، فقالا لي [2]: اجلس على باب الحجر، فإذا جاء إسحاق فعرفنا حتى ندخل بدخوله؛ فلم نلبث أن جاء إسحاق مع أحمد بن أبي داود يماشيه في زهّ و سواده و طريلته [3] مثل طويلته، فدخلت فأعلمتهما؛ فقامت على علويه القيامة/ و قال: يا هؤلاء، خيناكر [4] يدخل إلى الخليفة مع قاضي القضاة! أسمعتم بأعجب من هذا البخت قط!؛ فقال له مخارق: دع هذا عنك، فقد و الله بلغ ما أراد. و لم نلبث أن خرج ابن أبي دواد و دعي [5] بنا فدخلنا، فإذا إسحاق جالس في صف الندماء لا يخرج منه، فإذا أمره الواثق أن يغني خرج عن صفهم قليلاً و أتى بعود فغنى الصوت الذي يأمره به؛ فإذا فرغ من القدح قطع الصوت الذي يأمره به حيث بلغ و لم يتمه، و رجع إلى صفّ الجلساء.

قصته مع إبراهيم بن المهديّ في مجلس الرشيد:

أخبرني محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقّب بوسواسة قال حدّثني حمّاد قال: قال لي أبي: كنت عند الرشيد يوماً، و عنده ندماءؤه و خاصّته و فيهم إبراهيم/بن المهديّ، فقال لي الرشيد: يا إسحاق تغنّ:

شربت مدامة و سقيت أخرى # و راح المنتشون و ما انتشيت

فغنيته؛ فأقبل عليّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي: ما أصبت يا إسحاق و لا أحسنت؛ فقلت: ليس هذا مما تحسنه و لا تعرفه، و إن شئت فغني، فإن لم أجدك أنك تخطئ فيه منذ ابتدائك إلى انتهاكك قدمي حلال. ثم أقبلت على الرشيد فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتني و صناعة أبي، و هي التي قرّبتنا منك و استخدمتنا لك و أوطأنا بساطك، فإذا نازعناها [6] أحد بلا علم لم نجد بداً من الإيضاح و الذب؛ فقال: لا غرو [7] و لا لوم عليك؛ فقام

الرشيد ليبول؛ فأقبل إبراهيم بن المهديّ عليّ و قال: /ويلك يا إسحاق! أ
تجترئ عليّ و تقول ما قلت يا ابن الفاعلة! [1] في الأصول: «إلا بكر» .

[2] في الأصول: «فقال لي» ، و هو تحريف.

[3] انظر الحاشيتين رقم 2 و 3 ص 414 من الجزء الأوّل من طبعة هذا
الكتاب.

[4] انظر الحاشية رقم 3 ص 183 من هذا الجزء.

[5] في أ، ء، س: «و دعا بنا» .

[6] كذا في ح، م، ء. و في سائر الأصول: «نازعنا بها» .

[7] في أ، ء: «لا عدو» . و العدو (وزان غزو) : الظلم.

لا يكتفي؛ فداخني ما لم أملك نفسي معه؛ فقلت له: أنت تشتمني، و أنا لا أقدر على إجابتك و أنت ابن الخليفة و أخو الخليفة، و لو لا ذلك لكنت أقول لك: يا ابن الزانية؛ أو ترى أنني كنت لا أحسن أن أقول لك: يا ابن الزانية؛ و لكن قلبي في ذمك ينصرف جميعه إلى خالك الأعلم[1]، و لولاك لذكرت صناعته و مذهبه-قال إسحاق: و كان ببطارا-قال: ثم سكت، و علمت أنّ إبراهيم يشكوني و أن الرشيد سوف يسأل من حضر مما جرى فيخبرونه، فتلافيت ذلك[2]، ثم قلت: أنت تظنّ أنّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهذّدي بذلك و تعاديني كما تعادي سائر أولياء أخيك حسدا له و لولده على الأمر! فأنت تضعف عنه و عنهم و تستخفّ بأوليائهم تشقيا؛ و أرجو ألا يخرجها الله عن يد الرشيد و ولده، و أن يقتلك دونها؛ فإن صارت إليك-و بالله العياذ-فحرام عليّ العيش يومئذ، و الموت أطيب من الحياة معك، فاصنع حينئذ ما بدا لك. قال: فلما خرج الرشيد وثب إبراهيم فجلس بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، شتمني و ذكر أمي و استخفّ بي؛ فغضب و قال: ما تقول؟ و بلك! قلت: لا أعلم، فسل من حضر؛ فأقبل على مسرور[3] و حسين؛ فسألهما عن القصة؛ فجعلا يخبرانه و وجهه يتربّد[4] إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة، فسرى عنه و رجع لونه، و قال لإبراهيم: ما له ذنب، شتمته فعزّفت أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إليّ موضعك و أمسك عن هذا. فلما انقضى المجلس و انصرف الناس، أمر بالأبرح، و خرج كل من حضر حتى لم يبق غيري؛ فسأء ظنيّ و أهمتني نفسي؛ فأقبل عليّ و قال: و بلك/يا إسحاق! أتراني لم أفهم قولك و مرادك! قد و الله زبيته[5] ثلاث مرات، أتراني لا أعرف وقائعك و أقدامك و أين ذهبت! و بلك! لا تعد؛ حدّثني عنك، لو ضربك إبراهيم، أ كنت أقتصّ لك منه فأضربه و هو أخي يا جاهل؟! أتراني لو أمر غلمانة فقتلوك أ كنت أقتله بك؟! فقلت: يا أمير المؤمنين، قد و الله قتلتني بهذا الكلام، و لئن بلغه ليقتلني، و ما أشك في أنه قد بلغه الآن؛ فصاح بمسرور الخادم و قال: عليّ بإبراهيم الساعة فأحضر، و قال: قم فانصرف؛ و قلت لجماعة من الخدم، و كلهم كان لي محباّ و إليّ مائلا و لي مطيعا؛ فأخبروني بما يجري، فأخبروني من غد أنه لمّا دخل و بّخه و جهّله و قال له: أ تستخفّ بخادمي و صنيعتي و نديمي و ابن نديمي/و ابن خادمي و صنيعتي و صنيعة أبي في مجلسي، و تقدم عليّ و تستخفّ بمجلسي و حضرتي؟ هاه هاه[6].! أتقدم على هذا و أمثاله! و أنت مالك و للغناء، و ما يدريك ما هو! و من أخذك[7] به و طارحك إياه حتى تتوهم أنّك تبلغ مبلغ إسحاق الذي غذي به و علمه و هو صناعته! ثم تظن أنّك تخطئه فيما لا تدريه، و يدعوك إلى

إقامة الحجة عليك فلا تثبت لذلك و تعتصم بشتمه! أ ليس هذا مما يدلّ على السقوط و ضعف العقل و سوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك و غلبة لذّتك على مروءتك و شرفك ثم إظهارك إياه و لم تحكمه، و ادّعائك ما لا تعلمه حتّى ينسبك الناس إلى الجهل المفرط! لا تعلم-ويلك-أنّ هذا سوء أدب و قلة معرفة و قلة مبالاة بالخطأ و التكذيب و الردّ القبيح!. ثم قال: و الله العظيم و حقّ رسوله، و إلا فأنا نفيّ من المهديّ، لئن أصابه [1]الأعلم: الذي بشفته العليا أو في جانبها شق.

[2]عبارة «مختار الأغاني» لابن منظور: «فتلافت ذلك بأن قلت...» .

[3]مسرور و حسين: خادمان كانا للرشيد.

[4]تريد وجهه: تغير و تعبس.

[5]زناء (بالتشديد) : قذفه و نسبه إلى الزنا.

[6]هاه هاه: تكون حكاية لضحك الضاحك و للوعيد. و تكون أيضا في موضع أه التي للتوجع.

[7]كذا في ح و المختصر. و في سائر الأصول: «و من أخذ لحنه و طارحك... إلخ» .

أحد بسوء، أو سقط عليه حجر من السماء، أو سقط من على دابته، أو سقط/عليه سقفه، أو مات فجأة، لأقتلنك به؛ و الله! و الله! و الله! فلا تعرض له و أنت أعلم، قم الآن فاخرج؛ فخرج و قد كاد أن يموت. فلما كان بعد ذلك دخلت إليه و إبراهيم عنده، فأعرضت عن إبراهيم؛ و جعل ينظر إليه مرّة و إليّ مرّة و يضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبتك في إسحاق و ميلك إليه و إلى الأخذ عنه، و إنّ هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى، و الرضا لا يكون بمكروه، و لكن أحسن إليه و أكرمه و اعرف حقّه و برّه وصله، فإذا فعلت ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبته بيد منبسطة و لسان منطلق؛ ثم قال لي: قم إلى مولاك و ابن مولاك فقبل رأسه؛ فقامت إليه و قام إليّ و أصلح الرشيد بيننا.

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر صوت

أعادل قد نهيت فما انتهيت # و قد طال العتاب فما ارعوبت

أعادل ما كبرت وفيّ ملهى # و لو أدركت غابتك انتهيت

شربت مدامة و سقيت أخرى # و راح المنتشون و ما انتشيت

أبيت معدّبا قلقا كئيبا # لما ألقاه من ألم و فوت [1]

الغناء لابن محرز ثقيل عن ابن المكيّ. و فيه رمل بالوسطى.

أرسل إليه الرشيد ذات ليلة فحضر ثم غناه و نادمه:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أرسل إليّ الرشيد ذات ليلة، فدخلت إليه فإذا هو جالس و بين يديه جارية عليها قميص مؤرّد و سراويل مؤرّدة و قناع مؤرّد كأنها ياقوتة على وردة؛ فلما رأني قال لي: اجلس، فجلست؛ فقال لي: غنّ، فغنّيت: /

تشكّي الكميّ الجري لما جهده # و بين لو يسطيع أن يتكلّم

فقال: لمن هذا اللحن؟ فقلت: لي يا أمير المؤمنين؛ فقال: هات لحن ابن سريج، فغنّيته إياه؛ فطرب و شرب رطلا و سقي الجارية رطلا و سقاني رطلا؛ ثم قال: غنّ، فغنّيته:

صوت

/

هاج شوقي بعد ما # شيب أصداعي بروق

موهنا[2]و البرق ممّا # ذا الهوى قدما يشوق

فقال: لمن هذا الصوت؟ فقلت: لي؛ فقال: قد كنت سمعت فيه لحننا
آخر؛ فقلت: نعم، لحن ابن محرز؛ قال: هاته، فغنيته فطرب و شرب رطلا،
ثم سقى الجارية رطلا و سقاني رطلا؛ ثم قال: غنّ، فغنيته: [1] في هذا
الشعر إقواء و هو اختلاف حركة الروي.

[2]الموهن، و مثله الوهن: نحو من نصف الليل، و قيل: هو بعد ساعة
منه، و قيل: هو حين يدبر الليل.

أ فاطم مهلا بعض هذا التدلّل # و إن كنت قد أزمعت صرمني فأجملي

فقال لي: ليس هذا اللحن أريد، غنّ رمل ابن سريج؛ فغنّيته و شرب رطلا و سقي الجارية رطلا، ثم قال: حدّثني، فجعلت أحدّثه بأحاديث القيان و المغنّين طورا، و أحاديث العرب و أيامها و أخبارها تارة، و أنشده أشعار القدماء و المحدثين في خلال ذلك، إذ دخل الفضل بن الرّبيع، فحدّثه حديث ثلاث جوار ملكهنّ و وصفهنّ بالحسن و الإحسان و الظرف و الأدب؛ فقال له: يا عبّاسيّ، هل تسخو نفسك بهنّ؟ و هل لك من سلوة عنهنّ؟ فقال له: و الله يا أمير المؤمنين، إني لأسخو بهنّ و بنفسي، فيها فداك الله؛ ثم قام فوجّه بهنّ إليه، فغلبن على قلبه، و هنّ سحر و ضياء و خنت ذات الخال؛ و فيهنّ يقول: /

إنّ سحرا و ضياء و خنت # هنّ سحر و ضياء و خنت

أخذت سحر و لا ذنب لها # ثلثي قلبي و ترباها التلث

نزل على عبید الله بن محمد بن عائشة بالبصرة و نادمه:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال:

أتيت عبید الله بن محمد بن عائشة بالبصرة، فلمّا دخلت إليه حصرت؛ فقال لي: إنّ الحصر رائد[1] الحياء، و الحياء عقيد الإيمان، فانبسط و أزل الوحشة، فلئن باعدت بيننا الأحساب، لقد قرّبت بيننا الآداب؛ فقلت[له][2]: و الله لقد سررتني بخطابك، و زدتنني ببرك عجزا عن جوابك؛ و الله درّ القطاميّ حيث يقول: أمّا قريش فلن تلقاهم أبدا # إلّا و هم خير من يحفى و ينتعل

أهدى له أحمد بن هشام زعفرانا و كتب له شعرا فرد هو عليه

بشعر:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هفّان قال:

وجه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصليّ بزعفران رطب و كتب إليه: اشرب على الزعفران الرّطب متكئا # و انعم نعمت بطول اللّهو و الطّرب

فحرمه الكأس بين الناس واجبة # كحرمه الودّ و الأرحام و الأدب

قال: فكتب إليه إسحاق:

أذكر أبا جعفر حقّا أمّت به # أنّي و إياك مشغوفان بالأدب

و أنا قد رضعنا الكأس درّتها[3] # و الكأس حرمتها أولى من التّسب

ودع الفضل بن يحيى في خروجه إلى خراسان بشعر فوصله:
حدّثنا الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن
أبيه قال: [1] كذا صحها الأستاذ الشنقيطي في نسخته. و في الأصول:
«زائد» بالزاي المعجمة.

[2] زيادة عن ب، ح، م.

[3] أصل الدرة: اللبن.

لَمَّا أَرَادَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى الْخُرُوجَ إِلَى خِرَاسَانَ وَدَعَّتْهُ، ثُمَّ أَنْشَدَتْهُ بَعْدَ التَّوْدِيعِ: /

فِرَاقَكَ مِثْلَ فِرَاقِ الْحَيَاةِ # وَفَقْدَكَ مِثْلَ افْتِقَادِ الدَّيْمِ

عَلَيْكَ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ وِفَاءٍ # أَفَارِقُ فَيْكَ وَكَمْ مِنْ كَرَمِ

قَالَ: فَضَمَنِي إِلَيْهِ، وَ أَمْرٌ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَ قَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لَوْ حَلَّيْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بِصَنْعَةٍ/ وَ أَوْدَعْتُهُمَا مِنْ يَصْلُحُ مِنَ الْخَارِجِينَ مَعَنَا، لِأَهْدِيَتْ بِذَلِكَ إِلَيَّ أَنْسَا وَ أَذْكَرْتَنِي بِنَفْسِكَ؛ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ وَ طَرَحْتَهُ عَلَى بَعْضِ الْمَغْتَنِّينَ؛ فَكَانَ كِتَابُهُ لَا يَزَالُ يَرُدُّ عَلَيَّ وَ مَعَهُ أَلْفُ دِينَارٍ يَصْلُنِي بِذَلِكَ كُلَّمَا غَنَّى بِهَذَا الصَّوْتِ. قَالَ الصَّوْلِيُّ: وَ هُوَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّمْلِ.

حَدِيثُهُ عَمَّا حَمَلَهُ الْأَصْمَعِيُّ مِنْ كِتَابٍ حِينَ خَرَجَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى الرَّقَّةِ:

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ لِي الْأَصْمَعِيُّ: لَمَّا خَرَجْنَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى الرَّقَّةِ قَالَ لِي: هَلْ حَمَلْتَ مَعَكَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، حَمَلْتُ مِنْهَا مَا خَفَّ حَمَلُهُ؛ فَقَالَ: كَمْ؟ فَقُلْتُ: ثَمَانِيَةَ عَشْرٍ صَنْدُوقًا؛ فَقَالَ: هَذَا لَمَّا خَفَّفْتَ، فَلَوْ ثَقَّلْتَ كَمْ كُنْتَ تَحْمِلُ؟ فَقُلْتُ: أَضْعَافُهَا؛ فَجَعَلَ يَعْجَبُ.

شِعْرُ إِسْحَاقَ فِي الْمَعْتَصِمِ حِينَ وَلِيَ الْخِلاَفَةَ:

أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ قَالَ: لَمَّا وَلِيَ الْمَعْتَصِمُ دَخَلَ إِلَيْهِ فِي جَمَلَةِ الْجُلَسَاءِ وَ الشُّعْرَاءِ؛ فَهَنَّأَهُ الْقَوْمُ نِظْمًا وَ نَثْرًا وَ هُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا؛ فَأَنْشَدْتُهُ:

صَوْتٌ

لَا حَ بِالْمَفْرُقِ [1] مِنْكَ الْفَتِيرِ [2] # وَ ذُوِي غِصَنِ الشُّبَابِ التَّضِيرِ

هَزَيْتَ أَسْمَاءَ مَنِّي وَ قَالَتْ # أَنْتَ يَا ابْنَ الْمُوَصِّلِيِّ كَبِيرِ

/ وَ رَأَتْ شَيْبَا بِرَأْسِي [3] فَصَدَّتْ # وَ ابْنِ سَيِّئِ بِشَيْبِ جَدِيرِ

لَا يَرُوعَنَّكَ شَيْبِي فَإِنِّي # مَعَ هَذَا الشَّيْبِ حَلُو مَزِيرِ [4]

قَدْ يَفْلُ [5] السِّيفِ وَ هُوَ جِرَازِ # وَ يَصُولُ اللَّيْثِ وَ هُوَ عَقِيرِ [6]

يَا بَنِي الْعَبَّاسِ أَنْتُمْ شِفَاءُ # وَ ضِيَاءُ لِلْقُلُوبِ وَ نُورِ

أَنْتُمْ أَهْلُ الْخِلاَفَةِ فِينَا # وَ لَكُمْ مَنبَرُهَا وَ السَّرِيرِ

[1]المفرق (كمقعد و مجلس) : وسط الرأس و هو الذي يفرق فيه الشعر.

[2]القتير: الشيب، و قيل: هو أوّل ما يظهر منه.

[3]في «تجريد الأغاني» لابن واصل: «علاني» .

[4]المزير: الطريف.

[5]الفل: ثلم ينال حد السيف. و الجراز (بالضم) : الماضي القطاع.

[6]عقير: مجروح أو مقطوع القوائم.

لا يزال الملك فيكم مدى الدَّه # ر مقيما ما أقام ثبير[1]
 و أبو إسحاق خير إمام # ما له في العالمين نظير
 ما له فيما يريش و ييري # غير توفيق الإله وزير
 واضح الغرّة للخير فيه # حين يبدو شاهد و بشير
 زانه هدي تقى و جلال # و عفاف و وقار و خير
 لو تباري جوده الريح يوما # نزعت و هي طليح[2]حسير

شعره في المعتصم يوم مقدمه من غزاة:
 قال: فأمر لي بجائزة فضّلتني بها على الجماعة. ثم دخلت إليه يوم
 مقدمه من غزاته، فأنشدته قولي فيه:

صوت

لأسماء رسم عفا باللّوى # أقام رهينا لطول البلى
 تعاوره الدهر في صرفه # بكرّ الجديدين حتى عفا
 إذ[3]البين لم تخش روعاته # و لم يصرف الحيّ صرف الرّدى
 /و إذ ميعة[4]اللهو تجري بنا # و حبل الوصال متين القوى
 فذلك دهر مضى فابكه # و من ضاق ذرعا بأمر بكى
 و هل يشفيئك من غلّة # بكاؤك في إثر ما قد مضى
 إلى ابن الرشيد إمام الهدى # بعثنا المطيّ تجوب الفلا
 /إلى ملك حلّ من هاشم # ذؤابة مجد منيف الدّرى
 إذا قيل أيّ فتى هاشم # و سيّدها كان ذاك الفتى
 به نعش الله آمالنا # كما نعش الأرض صوب الحيا
 إذا ما نوى فعل أكرومة # تجاوز من جوده ما نوى
 كساه الإله رداء الجمال # و نور الجلال و هدى التقى

قال: فأمر[5]لي بجائزة، و قال: لست أحسب هذا لك إلا بعد أن تقرن
 صناعتك فيه بالأخرى (يعني أن أغنيّ فيه و في: «هزئت أسماء منى»
) ! فصنعت في:

هزئت أسماء منى....

[1]ثبير: من جبال مكة بينها و بين عرفة.

[2] طليح: تعب هزيل. و حسير: كليل معي.

[3] في الأصول: «إذا» .

[4] ميعة اللهو و الشباب و النهار و السكر و كل شيء: أوله و أصله.

[5] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «قال فأمر له» ، و هو تحريف.

لحنا، و في:

لأسماء رسم عفا باللوى

لحنا آخر و غنّيته بهما، فأمر لي بألفي دينار.

نسبة هذين الصوتين

هزئت أسماء مئى و قالت # أنت يا ابن الموصليّ كبير

لحن إسحاق في أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيل أوّل بالوسطى. و الآخر: لأسماء رسم عفا باللوى # أقام رهينا لطول البلى الغناء لإسحاق ثاني ثقيل بالوسطى.

**غنى أحمد بن عبيد الله بن أبي العلاء لحنا له فنظر إليه مخارق
شزرا ثم بين له السبب:**

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن عبيد الله بن أبي العلاء قال: غنّيت يوما بين يدي الواثق لحن إسحاق في: هزئت أسماء مئى و قالت # أنت يا ابن الموصليّ كبير

قال: فنظر إليّ مخارق نظرا شزرا و عضّ شفته عليّ؛ فلما خرجنا من بين يدي الواثق قلت: يا أستاذ، لم نظرت إليّ ذلك النظر؟ أنكرت عليّ شيئا أم أخطأت في غنائى؟ فقال لي: ويحك! أتدري أيّ صوت غنّيت! إن إسحاق جعل صيحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيق وعر صعب المرتقى، أحد جانبي ذلك الطريق حرف الجبل، و عن جانبه الآخر الوادي؛ فإن مال مرتقيه عن محجّته إلى جانب الوادي هوى، و إن مال إلى الجانب الآخر نطحه حرف الجبل فتكسّر؛ صر إليّ غدا حتى أصحّحه لك.

بنى لحنه في «هزئت أسماء» على أذان عبد الوهاب المؤذن:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثت من غير وجه: أن إسحاق بات ليلة عند المعتصم و هو أمير، فسمع لحنا لعبد الوهاب المؤذن أدن به على باب المعتصم، فأصغى إليه فأعجبه، فأعاد المبيت ليلة أخرى عنده حتى استقام له اللحن؛ فبنى عليه لحنه: هزئت أسماء مئى و قالت

**فصد إبراهيم بن المهديّ يوما فأرسل هو إليه غلامه بديحا بلحن
له يغنيه إياه:**

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ: أنّ إبراهيم بن المهديّ فصد يوما، فكتب إليه إسحاق يتعرّف خبره و يدعو له بالسلامة و حسن العقبى، و كتب إليه: إني سأهدي إليك هديّة للفصد حسنة؛ فوجّه إليه بديحا غلامه، فغنّاه لحنه في: /هزئت أسماء مني و قالت

فاستحسنه إبراهيم و قال له: قد قبلنا الهدية، فإن كان لك في طرحه على الجوّاري فافعل؛ فقال له: بذلك

أمرني، و قال لي: إنك ستقول لي هذا القول، فقال: إن قاله لك فقل له: لو لم أمرك بطرحه لم يكن هديّة؛ فضحك إبراهيم، / و ألقاه بديح على جواربه. و قد ذكر عليّ بن محمد بن نصر هذا الخبر، فذكر أنه كتب [1] إلى أبيه بهذه الهدية؛ و هذا خطأ، لأن الشعر في تهنة المعتصم بالخلافة، و إبراهيم الموصليّ مات في حياة الرشيد، فكيف يهدى إليه هذا الصوت!.

غنى محمد بن الحارث بصوت له أمام مخارق فأعجب به:
أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن أبي العلاء [2] قال: اندفع محمد بن الحارث بن بسحرّ يوماً يغني هذا الصوت؛ فالتفت إلينا مخارق فقال: خرج [3] ابن الزانية!.

**محاورته لعلويه في مجلس الفضل بن الربيع أو علي بن هشام
و دفعه ما اتهمه به:**

حدّثني عمّي قال حدّثني أبو جعفر محمد بن الدهقانة اللّديم قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال: دعاني الفضل بن الربيع و دعا علويه و مخارقا، و ذلك في أيام المأمون بعد رجوعه و رضاه عنه إلا أنّ حاله كانت ناقصة متضعضة؛ فلما اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاق الموصليّ يسأله أن يصير إليه و يعلمه الحال في اجتماعنا عنده؛ فكتب إليهم: لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت، و أنا أصير إليكم بعد ساعة؛ فأكلنا و جلسنا نشرب حتى قرب العصر، ثم وافى إسحاق فجلس، و جاء غلامه يقطرميز [4] نبيذ فوضعه/ناحية، و أمر صاحب الشراب بإسقائه منه، و كان علويه يغني الفضل بن الربيع في لحن لسياط اقترحه الفضل عليه و أعجبه، و هو: فإن تعجبي أو تبصري الدّهر طمّني [5] # بأحدثه طمّ المقصّص بالجلّم [6]

فقد أترك الأضياف تندي رحالهم # و أكرمهم بالمحض و التأمك السنم [7]

- و لحنه من الثقيل الثاني- فقال له إسحاق: أخطأت يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت، و أنا أصلحه لك؛ فجنّ علويه و اغتاظ و قامت قيامته؛ ثم أقبل على علويه فقال له: يا حبيبي، ما أردت الوضع منك بما قلته لك، و إنما أردت تهذيبك و تقويمك، لأنك منسوب الصواب و الخطأ إلى أبي و إليّ، فإن كرهت ذلك تركتك و قلت لك: أحسنت و أجملت؛ فقال له علويه: و الله ما هذا أردت، و لا أردت إلا ما لا تتركه أبدا من سوء عشرتك! أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لّمّا دعاك الأمير و عرّفك أنه قد نشط للاصطباح: ما حملك على الترفع عن مباركته و خدمته مع صنائعه عندك، و ما كان ينبغي أن يشغلك عنه شيء إلا الخليفة! ثم تجيئه و معك قطرميز نبيذ ترفّعا عن شرابه

كما ترفّعت عن طعامه و مجالسته إلا كما تشتهي و حين تنشيط، كما تفعل الأكفاء، بل تزيد على فعل الأكفاء؛ [1] في الأصول: «فذكر أنك كتبت إلى أبيه بهذه الهدية... إلخ» ، و ظاهر أنه تحريف.

[2] ورد هذا الاسم فيما سبق-قبل هذا الخبر بخبرين-: «... أحمد بن عبيد الله بن أبي العلاء» .

[3] خرج: نبغ.

[4] القطرميز: قلة كبيرة من الزجاج. قال الشاعر:

أنا لا أرتوي بطاس و كاس # فاسقنيها بالزق و القطرميز

[5] طمني: غمرني.

[6] الجلم (بالتحريك) : الذي يجز به الشعر و الصوف، و مثله الجلمان بلفظ التثنية.

[7] المحض: اللبن الخالص بلا رغوة. و التامك: العظيم السنام من الإبل، و مثله السنم. -

ثم تعمد إلى صوت قد اشتهاه و اقترحه و سمعه جميع من حضر فما عابه منهم أحد فتعبه ليتم تنغيصك إياه لذته!؛ أما و الله لو[1]الفضل بن يحيى أو أخوه[2]جعفر دعاك إلى مثل/ما دعاك إليه الأمير، بل بعض أتباعهم، لبادرت و باكرت و ما تأخرت و لا اعتذرت؛ قال: فأمسك الفضل عن الجواب إعجابا بما خاطب به علوه إسحاق؛ فقال له إسحاق: أمّا ما ذكرته من تأخري عنه إلى الوقت الذي حضرت فيه، فهو يعلم أنّي لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع، إن وثق بذلك منّي و إلا ذكرت له الحجة سرّاً من حيث لا يكون لك و لا لغيرك فيه مدخل. و أما ترفعي عنه، فكيف أترفع عنه و أنا أنتسب إلى صنائعه و أستمنحه و أعيش من فضله مذ كنت، و هذا تضريب[3]لا أبالي به منك. و أما حملي النبيذ معي، فإنّ لي في النبيذ شرطاً من طعمه و ريحه، /و إن لم أجده لم أقدر على الشرب و تنعص عليّ يومئذ، و إنما حملته ليتم نشاطي و ينتفع بي. و أما طعني عليّ ما اختاره، فإنّي لم أطعن على اختياره، و إنما أردت تقويمك، و لست و الله تراني متتبعا لك بعد هذا اليوم و لا مقوماً شيئاً من خطئك؛ و أنا أغنيّ له-أعزه الله-هذا الصوت فيعلم و تعلم و يعلم من حضر أنك أخطأت فيه و قصّرت. و أما البرامكة و ملازمتي لهم فأشهر من أن أجده، و إني لحقيق فيه بالمعذرة، و أخرى أن أشكرهم على صنيعهم و بأن أذيعه و أنشره، و ذلك و الله أقلّ ما يستحقونه منّي.

ثم أقبل على الفضل-و قد غاظه مدحه لهم-فقال: اسمع منّي شيئاً أخبرك به مما فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي و لا عند أبي قبلي، فإن وجدت لي عذراً و إلا فلم: كنت في ابتداء أمري نازلاً مع أبي في داره، فكان لا يزال يجري بين غلماني و غلمانه و جواربيّ و جواربه الخصومة، كما تجري بين هذه الطبقات، فيشكونهم إليه، فأتيين الصّجر و التنكر في وجهه؛ فاستأجرت داراً بقربه و انتقلت إليها أنا و غلماني و جواربيّ، و كانت داراً واسعة، فلم أرض ما معي من الآلة لها و لا لمن يدخل إليّ من إخواني أن يروا مثله عندي؛ ففكرت في ذلك و كيف/أصنع، و زاد فكري حتى خطر بقلبي قبح الأحداث من نزول مثلي في دار بأجرة، و أني لا آمن في وقت أن يستأذن عليّ[صاحب داري][4]، و عندي من احتشمة و لا يعلم حالّي، فيقال صاحب دارك، أو يوجّه في وقت فيطلب أجرة الدار و عندي من احتشمة؛ فضاق بذلك صدري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحد؛ فأمرت غلامي بأن يسرج لي حماراً كان عندي لأمضي إلى الصحراء أتفرّج فيها مما دخل على قلبي، فأسرجه و ركبت برداء و نعل؛ فأفضى بي المسير و أنا مفكر لا أميز

الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد؛ فتواثب
غلمانة إليّ؛ و قالوا: أين هذا الطريق؟ فقلت: إلى الوزير؛ فدخلوا فاستأذنوا
لي؛ و خرج الحاجب فأمرني بالدخول، و بقيت خجلا، قد وقعت في أمرين
فاضحين: إن دخلت إليه برداء و نعل و أعلمته أنّي قصدته في تلك الحال
كان سوء أدب، و إن قلت له: كنت مجتازا و لم أقصدك فجعلتك طريقا كان
قبيحا؛ ثم عزمت فدخلت؛ فلما رأيته تبسّم و قال: ما هذا الرّيّ يا أبا محمد!
اجتبتنا لك بالبر و القصد و التفقّد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقا؛ فقلت: لا و
الله يا سيدي، و لكني أصدقك؛ قال:

هات؛ فأخبرته القصّة من أولها إلى آخرها؛ فقال: هذا حقّ مستو، أ فهذا
شغل قلبك؟ قلت: إي و الله! و زاد فقال:

لا تشغل قلبك بهذا، يا غلام، ردّوا حماره و هاتوا له خلعة؛ فجاءوني
بخلعة تامّة من ثيابه فلبستها، و دعا بالطعام فأكلت و وضع النبيذ فشربت و
شرب فغنيته، و دعا في وسط ذلك بدواة و رقعة و كتب أربع رقاع ظننت
بعضها توقيعا [1] كذا في حـ و «مختار الأغاني» لابن منظور (ص 147) . و
في سائر الأصول: «لو لا الفضل» ، و هو تحريف.

[2] كذا في «مختار الأغاني» لابن منظور. و في الأصول: «الفضل بن
يحيى و أخوه... إلخ» بالواو، و لا تستقيم بها العبارة.

[3] التضريب: الإغراء بين القوم.

[4] التكملة عن «مختار الأغاني» .

لي بجائزة، فإذا هو قد دعا بعض و كلائه فدفع إليه الرّقاع و ساّره بشيء، فزاد طمعي في الجائزة؛ و مضى الرجل و جلسنا نشرب و أنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العتمة؛ ثم اتّكأ يحيى فنام، فقممت و أنا منكسر خائب فخرجت و قدّم لي /حماري؛ فلمّا تجاوزت الدار قال لي غلامي: إلى أين تمضي؟ قلت: إلى البيت؛ قال: قد و الله بيعت دارك، و أشهد على/صاحبها، و ابتع الدّرب كله و وزن ثمنه، و المشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرّفك، و أظنه اشترى ذلك للسلطان، لأنّي رأيت الأمر في استعجاله و استحثائه أمراً سلطانياً؛ فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي، و جئت و أنا لا أدري ما أعمل؛ فلمّا نزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي ساّره يحيى قد قام إليّ فقال لي:

ادخل-أيّدك الله-دارك حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه؛ فطابت نفسي بذلك، و دخلت و دخل إليّ فأقرّني توقيع يحيى: «يطلق لأبي محمد إسحاق مائة ألف درهم يبتاع له بها داره و جميع ما يجاورها و يلاصقها» .

و التوقيع الثاني إلى ابنه الفضل: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره، فأطلق إليه مثلها لينفقها على إصلاح الدار كما يريد و بنائها على ما يشتهي» . و التوقيع الثالث إلى جعفر: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يبتاع له بها منزل يسكنه، و أمر له أخوك بدفع مائة ألف [درهم][1] لينفقها على بنائها و مرمتها على ما يريد، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يبتاع بها فرشاً لمنزله» . و التوقيع الرابع إلى محمد: «قد أمرت لأبي محمد إسحاق أنا و أخواك بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يبتاعه و نفقة ينفقها عليه و فرش يتذله، فمر له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته» . و قال الوكيل: قد حملت المال و اشتريت كل شيء جاورك بسبعين ألف درهم، و هذه كتب الالبياعات باسمي و الإقرار لك، و هذا المال بورك لك فيه فاقبضه؛ فقبضته و أصبحت أحسن حالا من أبي في منزلي و فرشي و آلتى؛ و لا و الله ما هذا بأكبر شيء فعلوه لي، أ فألام على شكر هؤلاء! فبكى/الفضل بن الربيع و كل من حضر[2]، و قالوا: لا و الله لا تلام على شكر هؤلاء. ثم قال الفضل: بحياتي عنّ الصوت و لا تبخل على أبي الحسن بأن تقوّمه له؛ فقال: أ فعل؛ و عنّاه، فتبيّن علويه أنه كما قال، فقام فقبّل رأسه و قال: أنت أستاذنا و ابن أستاذنا و أولى بتقويمنا و احتمالنا من كل أحد؛ و ردّه[3] إسحاق مرّات حتى استوى لعلويه.

و لقد روي في هذا الخبر بعينه أن هذه القصة كانت عند عليّ بن هشام، و قد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون و أبو عبد الله الهاشميّ قالا:

دعا عليّ بن هشام إسحاق الموصليّ و سأله أن يصطحب عنده و يبكر فأجابته؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهرا و عنده مخارق و علويه؛ فقال له عليّ بن هشام: أين كنت الساعة يا أبا محمد؟ قال: عاقني أمر لم أجد من القيام به بدّا؛ فدعا له بطعام فأصاب منه، ثم قعدوا على نبيذهم، و تغيّى علويه صوتا، الشعر فيه لابن ياسين، و هو:

صوت

إلهي منحت الودّ متّي بخيلة # و أنت على تغيير ذاك قدير

شفاء الهوى بتّ الهوى و اشتكاؤه # و إنّ امرأ أخفى الهوى لصبور

-الغناء لسليمان أخي أحيحة، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو- فقال له إسحاق: أخطأت وبلك! فوضع [1] الزيادة عن م، و «مختار الأغاني» لابن منظور.

[2] كذا في «مختار الأغاني». و في الأصول: «حضره» بزيادة الهاء.

[3] رده: أعاده مثل ردّه.

علّويه العود و شرب رطلا و شرب عليّ بن هشام؛ ثم تناول العود و غنّي:

صوت

و لقد أسمو إلى غرف # في طريق موحش جدده[1]

حوله الأحراس تحرسه # و لديه جاثما أسده

-الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو- فقال له إسحاق: أخطأت وبيك! فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له: دعاك الأمير-أعزّه الله- لتبكر إليه، فجثته ظهرا، و غنّيت صوتين يشتهيها الأمير-أعزّه الله- عليّ فخطأتني فيهما، و زعمت أنك لا تغنّي بين يدي الأمير-أعزّه الله- و لا تغنّي إلا بين يدي خليفة أو وليّ عهد، و لو دعاك بعض البرامكة لكنت تسرع إليه ثم تغنّي منذ غدوة إلى الليل! فقال إسحاق: إني و الله ما أردت انتقاصا منك، و لا أقول مثله لغيرك و لا أريد ازدراء من أحد، و لكنني أردت بك خاصّة التقويم و التأديب؛ فإن ساءك ذلك تركتك في خطئك. ثم أقبل على عليّ بن هشام، فقال له: أعزّك الله، إني أحدثك عن البرامكة بما يقيم عذري فيما ذكره: دخلت على يحيى بن خالد يوما، و لم أكن أردت الدخول عليه، و إنما ركبت متبذّلا[2] لهم أهمني، و كنت نازلا مع أبي في داره، فضقت صدرا بذلك و أحببت الثقله عنه، و نظرت فإذا يدي تقصر عما يصلحني؛ ثم ذكر الخبر نحو ما قلته. و زاد فيه: أنه دخل إلى يحيى بن خالد و هو مصطبح، فلما رآه نعر[3] و صفق، و أنه وقع له بمائتي ألف درهم، و وقع له كلّ من جعفر و الفضل بمائة و خمسين ألفا، و كلّ واحد من موسى و محمد بمائة ألف مائة ألف. و قال فيه: فبكى عليّ بن هشام و من حضر، و قالوا: /لا يرى و الله مثل هؤلاء أبدا؛ و أخذ إسحاق العود فغنّي الصوتين فأتى فيهما بالعجائب؛ فقام علّويه فقبّل رأسه و قال له: أنت أستاذنا و ابن أستاذنا، و ما بنا عن تقويمك غنّي؛ ثم غنّي بعد ذلك لحنه: «تشكى الكميت الجري» ، و لم يزل يغنّي بقرية يومه كلما شرب عليّ بن هشام؛ ثم انصرف فأتبعه عليّ بن هشام بجائزة سنّية.

قال عبد الله بن العباس الربيعي: إنه لا يقاربه في الصنعة أحد:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا عون بن محمد قال حدّثني عبد الله بن العباس الربيعيّ قال: أحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فلما جلست و اطمأننت، أخرج إليّ خادمه رقعة، فقال: اقرأ ما فيها و اعمل بما رسمه الأمير أعزّه الله؛ فقرأتها فإذا فيها قوله:

صوت

يرتاح للدّجن[4] قلبي و هو مقتسم # بين الهموم ارتياح الأرض للمطر
إني جعلت لهذا الدّجن نحلته[5] # ألا يزول و لي في اللهو من وطر

[1]جدده (بضم ففتح) : معالمه، واحده جدّة.

[2]التبذل: ترك التزين و التهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة
التواضع.

[3]نعر: صاح و صوّت.

[4]الدجن: إلباس الغيم الأرض، و قيل: إلباسه أقطار السماء.

[5]النحلة: المذهب و النوع، يعني أنه جعل لهذا الدجن ما يناسبه من
الشراب و اللهو، و كان من عادتهم أنهم يستحسنون ذلك إذا أذجن اليوم.

و تحت هذين البيتين: «تقدّم- جعلت فداك- إلى من بخصرتك من المغنّين بأن يغنّوا في هذين البيتين، و ألق جميع ما يصنعونه على فلانة؛ فإذا أخذته فأنفذها إليّ مع رسولي»؛ فقلت: السمع و الطاعة لأمر الأمير أعزّه الله، فهل صنع فيهما أحد قبلي؟ فقال: نعم، إسحاق الموصليّ؛ فقلت: و الله لو كلف إبليس أن يصنع فيهما صنعة يفضل إسحاق فيها بل يساويه بل يقاربه، ما قدر على ذلك و لا بلغ مبلغه؛ فضحك حتى استلقى، و قال: صدقت و الله! و هكذا يقول من/ يعقل لا كما يقول/ هؤلاء الحمقى، و لكن اصنع فيهما على كل حال كما أمر؛ فقلت: أفعل و قد برئت من العهدة؛ فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت و الله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القرّادين.

أخبره أحد الخلفاء بظهور الشيب فيه فبكى و قال في ذلك شعرا و غنى فيه:

حدّثني جحظة قال حدّثني ميمون قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال:
قال لي المعتصم أو قال لي الواثق: لقد ضحك الشيب في عارضيك؛
فقلت: نعم يا سيّدي، و بكيت؛ ثم قلت أبياتا في الوقت و غنّيت فيها: تولى
شبابك إلا قليلا # و حلّ المشيب فصبرا جميلا

كفى حزنا بفراق الصّبا # و إن أصبح الشيب منه بديلا

و لمّا رأى الغانيات المشيد # ب أغصين دونك طرفا قليلا

سأندب عهدا مضى للصّبا # و أبكى الشباب بكاء طويلا

فبكى الواثق و حزن و قال: و الله لو قدرت على ردّ شبابك لفعلت بشطر ملكي؛ فلم يكن لكلامه عندي جواب إلا تقبيل البساط بين يديه.

جهد المغنون أن يأخذوا لحنا له فلم يستطيعوا أن يفوا به:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني حمدون بن إسماعيل قال: لمّا صنع أبوك لحنه في: قف بالديار التي عفا القدم # و غيرتها الأرواح [1] و الدّيم

رأيتهم (يعني المغنّين) يأخذونه عنه و يجهدون فيه؛ فتوقّي و الله و ما أخذوا منه إلا رسمه.

نسبة هذا الصوت

صوت

قف بالديار التي عفا القدم # وغيّرتها الأرواح و الدّيم
لَمَّا وقفنا بها نسائلها # فاضت من القوم أعين سجم[2]

[1]الأرواح: جمع ريح كالأرياح و الرياح.

[2]سجم: جمع سجوم، يقال: سجمت العين الدمع (من بابي ضرب و
قعد) : أسالته قليلا كان أو كثيرا، فالعين ساجمة و سجوم.
و يقال: سجم الدمع (من باب قعد) : سال، فالفعل لازم متعد.

ذكرا لعيش مضى إذا ذكروا # ما فات منه فإنه سقم

و كل عيش دامت غضارته # منقطع مرّة و منصرم

الشعر و الغناء لإسحاق، ثقیل أوّل بالوسطى من جميع أغانيه.

حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني هارون اليتيم قال حدّثني عفيف بن عنبسة قال: كنت عند أمير المؤمنين المعتصم و عنده إسحاق الموصليّ، فغناّه: قل لمن صدّ عاتبا # و نأى عنك جانباً

فأمره بإعادته، فأعاده ثلاثاً، و شرب عليه ثلاثاً، فقال له إبراهيم بن المهديّ: قد استحسنت هذا الصوت يا أمير المؤمنين، أ فأخذه؟ قال: نعم، خذوه فقد أعجبني؛ فاجتمع جماعة المغنّين: مخارق و علويه و عمرو بن بانه و غيرهم، فأمره المعتصم أن يلقيه عليهم حتى يأخذه؛ فقال عفيف: فعددت خمسين مرّة قد أعاده فيها عليهم و هم يظنّون أنهم قد أخذوه و لم يكونوا أخذوه. قال هارون: فنحن في هذا الحديث إذ دخل علينا محمد بن الحارث بن بسحّتر، فقال له عفيف: يا أبا جعفر، كنت أحدث أبا موسى بحديثنا البارحة مع إسحاق في الصوت/ و أنّي عددت خمسين مرّة؛ / فقال محمد: إي و الله!-أصلحك الله- و لقد عددت أنا أكثر من سبعين مرّة و ما في القوم أحد إلا و هو يظن أنه قد أخذه، و الله ما أخذه أحد منهم و أنا أوّلهم ما قدرت-علم الله-على أخذه على الصحة و أنا أسرعهم أخذاً، فلا أدري: أ لكثرة زوائده فيه أم لشدّة صعوبته؛ و من يقدر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئاً!. أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني عفيف بن عنبسة بهذا الخبر فذكر مثله سواء.

مر على المعتصم شعر أعجبه وزنه دون معناه فصاغ هو فيه

معنى أعجبه فأجازه:

قال أبو أيّوب و حدّثني حمّاد عن أبيه قال:

كنت يوماً عند المعتصم، فمرّ شعر على هذا الوزن فقال: وددت أنه على غير ما هو؛ فقلت له: أنا لك به على هذا الوزن في أحسن من هذا الشعر:

صوت

قل لمن صدّ عاتبا # و نأى عنك جانباً

قد بلغت الذي أرد # ت و إن كنت لاعباً

فأعجبه، و قال لي: قد و اللّٰه أحسنت! و أمر لي بألفي دينار، و و اللّٰه ما كانت قيمتهما عندي دانقين[1].

الشعر و الغناء في هذين البيتين لإسحاق، ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

**غضب عليه الأمين فتشفع إليه بالفضل بن الربيع ثم دخل عليه
بالأنبار و غناه فأطربه فأجازه:**

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني ابن
المكّيّ عن إسحاق قال: [1]الدانق: سدس الدرهم معرب «دانك»
بالفارسية.

غضب عليّ المخلوع[1] فأقصاني و جفاني، فاشتدّ ذلك عليّ-قال: و جفاني و هو يومئذ بالأنبار-فحملت عليه بالفضل بن الربيع، فطلب إليه فشققه المخلوع و دعاني/و هو مصطبح، فلم أزل متوقفاً و قد لبست قباء و خفاً أحمر و اعتصبت بعصابة صفراء و شددت وسطي بشقّة حمراء من حرير، فلما أخذوا[2] في الأهزاج دخلت و في يديّ صفاقتان و أنا أتغنى:

صوت

اسمع لصوت طريب[3] # من صنعة الأنباري[4]

صوت مليح خفيف # يطير في الأوتار

-الشعر و الغناء لإسحاق، هزج بالبنصر-فسرّ بذلك محمد، و كان صوتهم في يومهم ذلك، و أمر لي بثلاثمائة ألف درهم. و أخبرني جحظة بهذا الخبر عن محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ قال حدّثني أبي أن إسحاق حدّثه بهذا الخبر، و ذكر مثل ما ذكره يحيى؛ و زاد فيه قال: و كان سبب تسمية محمد لي بـ «الأنباري» أني دخلت عليه يوماً و قد لثت[5] عمّامتي على رأسي لوثاً غير مستحسن، فقال لي: يا إسحاق، كأنّ عمّامتك من عمائم أهل الأنبار.

أنشد الأصمعي شعرا له فأعجب به فلما علم أنه له غير رأيه

فيه:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق، و أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق، و أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبي: قال إسحاق: قلت في ليلة من الليالي:

صوت

هل إلى نظرة إليك سبيل # يرو[6] الصّدى و يشفى الغليل

إنّ ما قلّ منك يكثر عندي # و كثير ممن تحبّ القليل

قال: فلما أصبحت أنشدتهما الأصمعيّ، فقال: هذا الدّيباج الخسروانيّ[7]، هذا الوشي/الإسكندرانيّ، لمن هذا؟ فقلت له: إنه ابن ليلته؛ فتبيّنت الحسد في وجهه، و قال: أفسدته! أفسدته! أما إنّ التوليد فيه ليّن. في هذين البيتين لإسحاق خفيف ثقيل بالبنصر.

[1]المخلوع: هو محمد الأمين الخليفة ابن هارون الرشيد.

[2]في أ، ع، م: «فلما دخلوا» .

[3] في حـ: «ظريف» .

[4] كذا في حـ. و الأنباري: نسبة إلى الأنبار، و هي مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ. و في سائر الأصول: «... الأنبار» بدون ياء النسبة، و هو تحريف.

[5] لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثا: لفها و عصبها.

[6] جزم الفعل هنا لضرورة الشعر.

[7] الخسرواني: نوع من الثياب منسوب إلى خسرو شاه من الأكاسرة.

**كان يعجب بمعنى و يرى أنه ما سبق إليه فلما أنشد له هذا
المعنى لأعرابي حلف أنه ما سمعه:**

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال حدّثني إسحاق بهذا الخبر، فذكر مثل ما ذكره من قدّمت الرواية عنه، و زاد فيه: فقال لي عليّ بن يحيى يعقب هذا الخبر: كان إسحاق يعجب بهذا المعنى و يكرره في شعره، و يرى أنه ما سبق إليه؛ فمن ذلك قوله:

صوت

أَيُّهَا الطَّبِيّ الغرير # هل لنا منك مجير

إِنَّ ما نَوَّلْتَنِي مَدَّ # ك و إن قلّ كثير

-لحن إسحاق خفيف ثقيل بالوسطى-فقلت: إنك قد سبقت إلى هذا المعنى، فقال: ما علمت أنّ أحدا سبقني إليه؛ فأنشدته لأعرابي من بني عقيل: قفي ودّعينا يا مليح بنظرة # فقد حان مَنّا يا مليح رحيل

/أ ليس قليلا نظرة إن نظرتها # إليك و كلاً ليس منك قليل

عقيليّة أمّا ملات[1]إزارها # فوعث و أما خصرها فضئيل

صوت

أيا جنة الدنيا و يا غاية المنى # و يا سؤل نفسي هل إليك سبيل

أ راجعة نفسي إليّ فأغتدي # مع الركب لم يقتل عليك قتيل

فما كلّ يوم لي بأرضك حاجة # و لا كلّ يوم لي إليك رسول

قال: فحلف أنه ما سمع بذلك قطّ. قال عليّ بن يحيى: و صدق، ما سمع بها. الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العقيليّ.

**عاتبه إبراهيم بن المهدي في ترك المجيء له فكان بينهما حوار
لطيف:**

حدّثني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسين[2]بن محمد بن أبي طالب الديناريّ بمكة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: عاتبني إبراهيم بن المهديّ في ترك المجيء إليه، فقال لي: من جمع لك مع المودّة الصادقة رأيا حازما، [1]ملات الشيء: الموضع الذي يدار فيه ذلك الشيء و يلف. و ملات الإزار: ما دون الخصر أي العجز و ما تحته. و وعث: لين، يقال: امرأة وعثة، و وعثة الأرداف، كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها و كثرة لحمها.

[2] كذا في ح. و في سائر الأصول هنا: «الحسن» ، و لعل هذا تحريف، إذ سيأتي في جميع الأصول: «الحسين بن طالب» . و الظاهر من مقارنة الأسانيد بعضها ببعض في عدة أخبار هنا أن «الحسين بن طالب» هو «الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري» . على أنه يبقى من بعد ذلك: أجدّه «طالب» أم «أبو طالب» .

فاجمع له مع المحبة الخالصة طاعة لازمة؛ فقلت له: جعلني الله فداك، إذا ثبتت الأصول في القلوب، نطقت الألسن بالفروع، والله يعلم أن قلبي لك شاكر، ولساني بالثناء عليك ناثر[1]؛ وما يظهر الودّ المستقيم، إلا من القلب /السليم؛ قال: فأبرئ ساحتك عندي بكثرة مجيئك إلي؛ فقلت: أجعل مجيئي إليك في الليل والنهار نوبا أتيقظ لها كتيقظي للصلوات الخمس، و أكون بعد ذلك مقصّرا؛ فضحك وقال: من يقدر على جواب المغنّين!؛ فقلت: من اتخذ الغناء لنفسه و لم يتخذه لغيره؛ فضحك أيضا، و أمر لي بخلع و دنانير و برزون و خادم. و بلغ الخبر المعتصم، فضاعف لإبراهيم ما أعطاني، فرحت و قد ربحت و أربحت.

عتب عليه الفضل بن الربيع فكتب إليه:

حدّثنا الحرميّ قال حدّثنا الدّيناريّ قال حدّثني إسحاق قال: عتب عليّ الفضل بن الربيع في شيء بلغه عنّي؛ فكتبت إليه: «إنّ لكلّ ذنب عفو و عقوبة؛ فذنوب الخاصة عندك مستورة مغفورة، فأما مثلي من العامّة فذنبه لا يغفر، و كسره لا يجبر؛ فإن كنت لا بدّ معاقبي فأعرض لا يؤدّي إلى مقت» .

جواب الأعرابيّ الذي كان عنده للفضل بن الربيع حين سأله عما كانوا فيه:

/حدّثني الحرميّ قال حدّثنا الدّيناريّ قال حدّثني إسحاق قال: كان يختلف إليّ رجل من الأعراب، و كان الفضل بن الربيع يقرّ به و يستظرف كلامه، و كان عندي يوما و جاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه؛ فقال له الفضل: فيم كنتم؟ قال: كنا في قدر تفور، و كأس تدور، و غناء يصور[2]، و حديث لا يحور[3].

كان يصنع الشعر و ينحله الأعراب:

حدّثنا الحرميّ قال حدّثنا الحسين بن طالب[4] قال:

كان إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب، و ينشده للأعراب، و كان يعايب بذلك أصحابه و يغرب عليهم به؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابيّ: /

لفظ الخدور عليك حورا عينا # أنسين ما جمع الكناس قطينا[5]

فإذا بسمن فعن كمثل غمامة # أو أحوان الرمل بات معينا[6]

[1] في أ، ع، م: «ناطق» .

[2] يصور: يصوت.

[3] لا يحور: لا يرجع، يريد أنه دائما مجدّد طلى غير معاد. و في م: «لا يحور» بالجيم.

[4] تراجع الحاشية رقم 2 من الصفحة السالفة.

[5] لفظ: أخرج. و القطين: اسم جمع لقاطن، و هو من قطن بالمكان إذا أقام به و توطنه.

[6] معين: ريان، يقال: معن الموضع و النبت (بكسر العين في الماضي و فتحها في المضارع) إذا روى من الماء. و يقال: معن المطر الأرض إذا تتابع عليها فأرواها. فيحتمل هنا أن يكون «معين» فعلا بمعنى فاعل على المعنى الأوّل، و أن يكون فعلا بمعنى مفعول على المعنى الثاني، أي تتابع عليه المطر فأرواه. -

و أصحّ من رأت العيون محاجرا # و لهنّ أمرض ما رأيت عيونا
و كأنما تلك الوجوه أهلة # أقمرن[1] بين العشر و العشرينا
و كأنهنّ إذا نهضن لحاجة # ينهضن بالعقدات[2] من بيرينا

قال: و أنشدني أيضا مما كان ينسبه إلى الأعراب و هو له:

و مكحولة العينين من غير ما كحل # مهفهفة الكشجين ذات شوى[3] خدل
منعمة الأطراف مفعمة البرى[4] # روادفها تحكي الدّاس[5] من الرمل
صيود لألباب الرجال، متى رنت[6] # إلى ذي نهى جلد القوى وافر العقل
تخلّى التّهى عنه و حالفه الصّبا # و أسلمه الرأى الأصيل إلى الجهل
/شبيبة[7] كثنان يروقك تحتها # عنا قيد كرم جادها غدق الويل
رمتني فحلّت نائطي[8] و لم تصب # لها نائطي قلب و لا مقتلا نبلي

أنشد الرشيد شعرا له فأعجبه و أجازته:

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال
حدّثت عن الأصمعيّ قال: دخلت أنا و إسحاق الموصليّ يوما على الرشيد
فرأيناه لقس[9] التّفّس؛ فأنشده إسحاق يقول:

صوت

و أمرة بالبخل قلت لها اقصري # فذلك شيء ما إليه سبيل[10]
أرى الناس خلان الكرام و لا أرى # بخيلا له حتّى الممات خليل
و إنّي رأيت البخل يزري بأهله # فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

[1] أقمر الهلال: صار قمرا.

[2] العقدات: جمع عقدة (بفتح فكسر و بالتحريك لغة) و هي ما تراكم
من الرمل و تعقد. و يبيرين: من أصقاع البحرين، و هناك الرمل المعروف
بالكثرّة. و الظاهر أنه يريد أن يصف أعجازهن بالضخامة حتى كأنهن إذا
نهضن ينهضن بكتبان يبيرين. يشبه أعجازهن بالكتبان. و في الأصول:
«بالعقرات» بالراء المهملة، و هو تحريف.

[3] الشوى: الأطراف. و خدل (بالخاء المعجمة و الدال المهملة) :
ممتلئ ضخّم، أي هي ممتلئة الذراعين و الساقين. و في الأصول: «جدل»
بالجيم، و التصويب للأستاذ الشنقيطي في نسخته.

[4]البري: جمع برة، و هي الحلقة سوارا كانت أو خلخالا أو قرطا. يصف ذراعها و ساقها بالامتلاء.

[5]الدهاس (بالفتح) : المكان اللين السهل الذي تغيب فيه القوائم للينه. أي إن روادفها ضخمة في لبن. و يقال: امرأة دهاس، أي عظيمة العجيزة.

[6]في حـ: «إذا رتت» .

[7]كذا في أكثر الأصول. و في أ، ء، م: «شنيبة» بالنون قبل الياء، و هو على كلتا الروايتين غير واضح.

[8]النائط: العرق المستبطن الصلب تحت المتن.

[9]كذا في حـ. و لقست نفسه (من باب فرح) : غثت و خبئت. و في سائر الأصول: «لقيس النفس» ، و هو تحريف.

[10]وردت هذه الأبيات في «أمالي القالي» (ج 1 ص 31 طبع دار الكتب المصرية) مع اختلاف في بعض الكلمات.

و من خير حالات الفتى لو علمته # إذا نال خيرا أن يكون ينيل
فعالى فعال المكثرين تجملا # و مالي كما قد تعلمين قليل
و كيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى # و رأي أمير المؤمنين جميل

قال: فقال الرشيد: لا تخف إن شاء الله؛ ثم قال: لله درّ أبيات تأتينا بها؛ ما أشدّ أصولها، و أحسن فصولها، و أقلّ فضولها! و أمر له بخمسين ألف درهم؛ فقال له إسحاق: وصفك و الله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه، فعلام آخذ الجائزة! فضحك الرشيد و قال: اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم. قال الأصمعيّ: /فعلمت يومئذ أنّ إسحاق أحذق بصيد الدراهم/ مني. و أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة عن حماد عن أبيه، و أخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريبا مما ذكره الأصمعيّ و الألفاظ تختلف.

دخل على الفضل بن الربيع ابن ابنه فقال هو فيه شعرا سره، و قيل: بل قاله الفضل بن يحيى في ابنه:

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبة عن إسحاق، و أخبرني به جعفر بن قدامة و وكيع عن حماد عن أبيه قال: كنت عند الفضل بن الربيع يوما، فدخل إليه ابن ابنه عبد الله بن العباس بن الفضل و هو طفل، و كان يرقّ عليه لأن أباه مات في حياته، فأجلسه في حجره و ضمّه إليه و دمعت عيناه؛ فأنشأت أقول:

صوت

مدّ لك الله الحياة مدّا # حتى يكون ابنك هذا جدّا

مؤزّرا بمجده مردّي [1] # ثم يفدى مثل ما تفدى

أشبه منك سنّة و خدّا [2] # و شيما مرضيّة و مجدا

كأنه أنت إذا تبدّى # شمائلها محمودة و قدّا

قال: فتبسّم الفضل و قال: أمتعني الله بك يا أبا محمد، فقد عوّضت من الحزن سرورا و تسليت بقولك، و كذلك يكون إن شاء الله. قال جعفر بن قدامة: و حدّثني بهذا الحديث عليّ بن يحيى، فذكر أن إسحاق قال هذه الأبيات للفضل بن يحيى و قد دخل عليه و في حجره ابن له.

/غنى في هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكّل لحنا من الرمل، يقال: إنه صنعه و قد ولد للمعتمد ولد ثم غنى به. و أخبرني ذكاء وجه الرزة عن بدعة

الكبيرة: أنّ الرمل لعريب، و أنّ لحن أبي عيسى خفيف رمل.

دخل على الفضل بن الربيع عائدا و قال فيه شعرا عمر الفضل به:

حدّثني عمّي قال حدّثني الفضل بن محمد اليزيديّ عن إسحاق قال:

أتيت الفضل بن الربيع يوما عائدا و جاءه بنو هاشم يعودونه؛ فقلت في مجلسي ذلك: [1]مؤزر: من الإزار. و مرديّ: من الرداء.

[2]كذا في ح و في سائر الأصول: «و جدّا» بالجيم، و هو تصحيف. و السنة: الوجه لصقالته و ملاسته، أو هي الجبهة و الجبينان.

إذا ما أبو العباس عيد و لم يعد # رأيت معودا أكرم الناس عائدا

و جاء بنو العباس يتدرونه # مراضا لما يشكوه مثنى و واحدا

يفدونه عند السلام و كلهم # مجلّ له يدعوه عمّا و والدا

قال: و كان الفضل مضطجعا، فأمر خادما له فأجلسه، ثم قال لي: أعد يا أبا محمد فأعدت، فأمرني فكتبتها، و سرّ بها و جعل يردها حتى حفظها.

غضب عليه الفضل بن الربيع مرة فاسترضاه بشعر:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أبي قال قال إسحاق، و أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن [1]مالك عن إسحاق قال: جاءني الزبير بن دحمان يوما مسلما فاحتبسته؛ فقال لي: أمرني الفضل بن الربيع بالمسير إليه؛ فقلت له: أقم يا أبا العوّام ويحك نشرب # و نله مع اللاهين يوما و نطرب

إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره # فخذ به بشكر و اترك الفضل يغضب

/ فأقام عندي و سررنا يومنا؛ ثم صار إلى الفضل؛ فسأله عن سبب تأخّره عنه؛ فحدّثه الحديث و أنشده البيتين؛ فغضب و حوّل وجهه عني، و أمر عونا حاجبه بالألا يدخلني إليه و لا يستأذن لي عليه و لا يوصل لي رقعة؛ فقلت: /

حرام عليّ الكأس ما دمت غضبانا # و ما لم يعد عني رضاك كما كانا

فأحسن فإني قد أسأت و لم تزل # تعوّدي عند الإساءة إحسانا

قال: و أنشدته إياهما، فضحك و رضي عني و عاد إلى ما كان عليه. و قد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد و الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، فذكر مثله و زاد فيه: فقلت في عون حاجبه: عون يا عون ليس مثلك عون # أنت لي عدّة إذا كان كون

لك عندي و الله إن رضى الفض # ل غلام يرضيك أو برذون

قال: فأتى عون الفضل بالشعرين جميعا؛ فقرأهما و ضحك و قال: ويحك! إنما عرض لك بقوله: «غلام يرضيك» بالسّوأة؛ قال: قد وعدني ما سمعت، فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم!؛ فأمره أن يرسل إليّ؛ فأتاني رسوله فصرت إليه فرضي عني.

أخبرني جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ المرتجل قال حدّثني أبي قال حدّثني الزبير بن دحمان قال: دخلت يوما على الفضل

بن الرّبيع مسلّمًا؛ فقال لي: قد عزمت غدا على الصّبوح، فصر إليّ بكرة؛ فكنت أنا و الصبح كفرسي رهان؛ فلما أصبحت في غد جعلت طريقي على إسحاق بن إبراهيم فدخلت إليه، فلما جلست قال لي: أقم اليوم عندي؛ فعرّفته خبري؛ فقال: [1]كذا في حـ، و قد ورد كذلك في الأصول في غير هذا الموضع غير مرة. و في سائر الأصول هنا: «ابن أبي مالك» ، و هو خطأ.

أقم يا أبا العوّام ويحك نشرب # و نله مع اللّاهين يوما و نظرب
إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره # فخذ به بشكر و أترك الفضل بغضب

فقلت: إني لا آمن غضبه، و أنا بين يديك؛ فقال لي: أنت تعلم أن صبح
الفضل أبدا في وقت غبوق الناس، فأقم و ارفق بنفسك ثم امض إليه؛
فأجبتة إلى ذلك؛ فلمّا شربنا طاب لي الموضوع، فأقمت حتى سكرت. و ذكر
باقي الخبر نحو ما ذكر إسحاق. انتهى.

كان المغنون يجتهدون و يطمعون في غلبة فإذا غنى هو بدهم:
حدّثني جحظة قال حدّثني محمد بن المكيّ المرتجل قال: قلت لزرزور
الكبير: كيف كان إسحاق ينفق على الخلفاء معكم و أنت و إبراهيم بن
المهديّ و مخارق أطيب أصواتا و أحسن نعمة؟ قال: كُنّا و الله يا بنيّ نحضر
معه فنجتهد في الغناء و نقيم الوهج [2] فيه و يقبل علينا الخلفاء، حتى نطمع
فيه و نظنّ أنا قد غلبناه، فإذا غنّى عمل في غنائهم أشياء من مداراته [3] و
حذقه و لطفه حتى يسقطنا كلّنا و يقبل عليه الخليفة دوننا و يجيزه دوننا و
يصغى إليه، و نرى أنفسنا اضطرارا دونه.

هو أوّل من أحدث التخنيث في الغناء ليوافق صوته:
حدّثنا جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد المكيّ قال حدّثني أبي قال:
كان المغنّون يجتمعون مع إسحاق و كلهم أحسن صوتا منه، و لم يكن فيه
عيب إلا صوته فيطمعون فيه؛ فلا يزال بلطفه و حذقه و معرفته حتى يغلبهم
و يبدهم [4] جميعا و يفضلهم و يتقدّمهم. قال: و هو أوّل من أحدث التخنيث
ليوافق صوته و يشاكله، / فجاء معه عجا من العجب؛ و كان في حلقه نبوّ
عن الوتر. أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا أبو العيس [5] بن حمدون: أنّ
إسحاق أوّل من جاء بالتخنيث في الغناء و لم يكن يعرف، و إنما احتال
بحذقه لمنافرة حلقه الوتر، حتى صار يجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسن له
في السمع.

كان المغنون يتهاونون في غيبته فإذا حضر جدّوا:
أخبرنا جحظة قال حدّثني الهشاميّ عن أبيه قال:

كان المغنّون إذا حضروا/ و ليس إسحاق معهم غنّوا هوينى و هم غير
مفكرين؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلا الجدّ.

قصته مع جعفر بن يحيى و نافذ حاجبه:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال:

[1]نفق الشيء: راج و رغب فيه. و لعله هنا مضمن معنى «يغلب» لكي تصح تعديته بـ «على» .

[2]كذا في أكثر الأصول. و الوهج: التوقد، و لعله هنا كناية عن اضطرام الأمر و حدته فيما هم فيه من شأن الغناء. و في حـ: «الرهج» بالراء، و هو الغبار أو ما أثير منه.

[3]داريت الطبي مداراة: احتلت له و ختلته حتى أصيده. و لعله يريد أن إسحاق يحتال للأنغام حتى يؤلف بينها و يأتي في ذلك بما يعجز عنه غيره.

[4]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «و ينبذهم» .

[5]في ب، س، حـ: «أبو العنيس» بالنون و الباء الموحدة. (انظر الحاشية رقم 4 ص 96 ج 1 «أغاني» من هذه الطبعة) .

قال لي أبي و قد انصرف من دار الرشيد: رأيت الأمير جعفر بن يحيى يستبطنك و يقول: لست أراه و لا يغشاني؛ فقلت: إني لآتيه كثيرا فأحجب عنه و يصرفني نافذ حاجبه و يقول: هو على شغل؛ قال: فبلغه أبي ذلك؛ فقال له: قل له: أنكه أمه إذا فعل؛ فأقمت أياما ثم كتبت إليه: جعلت فداك من كل سوء # إلى حسن رأيك أشكو أناسا

يحولون بيني و بين السلام # فليست أسلم إلا اختلاسا

و أنفذت أمرك في نافذ # فما زاده ذاك إلا شماسا[1]

و قد أخبرني الخبر محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه، فذكر مثله و قال: كان خادم يحجبه يقال له: نافذ، فقال: إذا حجبك فنكه؛ فلما كتبت إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني؛ فلما دخلت إليه أحضر نافذا و قرأ الأبيات عليه، و قال لي: أ فعلتها/يا عدو الله! فغضب نافذ حتى كاد يبكي، و جعل جعفر يضحك و يصفق؛ ثم ما عاد بعد ذلك يتعرض لي.

غضب المأمون عليه و شك أبي الفرج في ذلك:

حدّثني الحسين[2] بن أبي طالب قال حدّثني عبيد الله بن المأمون، و أخبرنا اليزيدي عن عمه عبيد الله عن أبيه قال: غضب المأمون على إسحاق بن إبراهيم، ثم كلم فيه فرضي عنه و دعا به؛ فلما وقف بين يديه اعتذر و قبّل الأرض بين يديه و استقاله[3]؛ فأجابه المأمون جوابا جميلا، ثم قال له في أثناء كلامه: فلا أنت أعتبت من زلة # و لا أنت بالغت في المعذرة

و لا أنت وليّتي أمرها # فأعفر ذنبك عن مقدره

هكذا في الخبر؛ و أظنه إسحاق بن إبراهيم الطاهري لا الموصلي.

أنشد أبا الأشعث الأعرابي شعرا له فأعجب به:

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسين بن أبي طالب قال حدّثني إسحاق قال: أنشدت أبا الأشعث الأعرابي شعرا لي، فقال: و الذي أصوم له مخافته و رجاءه، إنك لمن طراز ما رأيت بالعراق شيئا منه، و لو كان شباب يشتري لاشترته لك و لو بإحدى يدي، و إنّ في كبرك لما زان الجليس و سرّه.

حديث له مع زهراء الكلابية:

أخبرنا الحرمي قال حدّثنا الديناري قال حدّثنا إسحاق قال: قالت لي زهراء الكلابية: ما فعل عبد الله بن خرداذبه؟ فقلت: مات؛ فقالت: غير ذميم

و لا لئيم، غفر الله لصداه[4]، لقد كان يحبُّك و يعجبه ما سرَّك. قال: فقلت
لزهاء: حدِّثيني عن قول الشاعر: [1]شماسا: عنادا.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «الحسن». (راجع الحاشية رقم 2
ص 319 من هذا الجزء) .

[3]استقاله: طلب منه أن يقيه.

[4]الصدى: جسد الإنسان بعد موته.

أحبك أن أخبرتك فارك [1] # لزوجك إني مولع بالفوارك

ما أعجبه من بغضها لزوجها؟ فقالت: عرّفته أنّ في نفسها فضلة من جمال و شمخا بأنفها و أبهة، فأعجبته.

غنى المعتصم و هو لقس النفس فأطربه فأجاره:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثت عن غير واحد: أنّ إسحاق الموصليّ دخل على المعتصم يوما من الأيام فرأه لقس [2] النفس، فقال له: أما ترى يا أمير المؤمنين طيب هذا اليوم و حسنه؟! فقال المعتصم: ما يدعوني حسنه إلى شيء مما تريد و لا أنشط له؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه يوم أكل و شرب؛ فاشرب حتى أنشطك؛ قال: أو تفعل؟ قال: نعم؛ قال: يا غلمان، قدّموا الطعام و الشراب/ و مدّوا الستارة، و أحضروا الندماء و المغيّين؛ فأتي بالطعام فأكل و بالشراب فشرب و حضر الندماء و المغنون؛ فغناه إسحاق:

صوت

سقيت الغيث يا قصر السلام # فنعمة محلّة الملك الهمام

لقد نشر الإله عليك نورا # و خصّك بالسّلامة و السلام

-الشعر و الغناء لإبراهيم الموصليّ رمل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و ذكر حبش أنّ فيه للزبير بن دحمان لحنًا من الرّمل بالوسطى- قال: فطرب المعتصم و شرب شربا كثيرا، و لم يبق أحد بحضرته إلاّ وصله و خلع عليه و حملة؛ و فضّل إسحاق في ذلك أجمع.

أول جائزة نالها من الرشيد ألف دينار:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهروبه قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصّبّاح عن إسحاق قال: أوّل جائزة أخذتها من الرشيد ألف دينار في أوّل يوم دخلت إليه فغنيته: علق القلب بزوعا [3]

فاستحسنه و استعاده ثلاث مرّات و شرب عليه ثلاثة أرطال و أمر لي بألف دينار؛ فكان أوّل جائزة أجازنيها.

أبي القدح من يد غلام قبيح الوجه و قال شعرا فجيء له

بوصيفة:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال:

كان أبي ذات يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فلما جلسوا للشراب جعل الغلمان يسقون من حضر، و جاء غلام قبيح الوجه إلى أبي بقدح نبيذ فلم يأخذه؛ و رآه إسحاق فقال له: لم لا تشرب؟ فكتب إليه أبي: [1] الفارك من النساء: التي تبغض زوجها.

[2] في ب، س: «لقيس النفس» بالياء بعد القاف، و هو تحريف.

[3] زوع: من أسماء النساء.

اصبح نديمك أقداحا يسلسلها # من الشَّمول [1] و أتبعها بأقداح
من كفّ ريم مليح الدّلّ ريفته # بعد الهجوع كمسك أو كتفّاح
لا أشرب الرّاح إلا من يدي رشاً # تقبيل راحته أشهى من الرّاح

فضحك و قال: صدقت و الله، ثم دعا بوصيفة كأنها صورة، تأمّة
الحسن لطيفة الخصر في زيّ غلام عليها أقبية [2] و منطقة، فقال لها: تولى
سقي أبي محمد؛ فما زالت تسقيه حتى سكر؛ ثم أمر بتوجيهها و كل ما لها
في داره إليه، فحملت معه.

كانت بينه و بين زهراء الكلابية مودة فكتبت إليه شعرا فرد عليها:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن
الصّبّاح قال: /كانت امرأة من بني كلاب يقال لها زهراء تحدّث إسحاق و
تناشده، و كانت تميل إليه، و تكني عنه في عشيرتها إذا ذكرته بجمل؛ قال:
فحدّثني إسحاق أنها كتبت إليه و قد غابت عنه تقول: وجدي بجمل على أبي
أحمجه [3] # وجد السّقيم ببراء بعد إدناف

أو وجد تكلّى أصاب الموت واحدها # أو وجد مغترب من بين آلاف

قال: فأجبتها:

أفر السلام على الرّهراء إذ شحطت # و قل لها قد أذقت القلب ما خافا

أ ما رثيت لمن خلّفت مكتئبا # يذري مدامعه سخا و توكافا [4]

فما وجدت على إلف أفارقه # وجدي عليك و قد فارقت ألّفا

أنشد محمد بن عبد الله بن مالك شعرا فسأله عن قصته فلم يخبره:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن
عبد الله بن مالك قال/أنشدني إسحاق لنفسه: سقى الله يوم الماوشان [5] و
مجلسا # به كان أحلى عندنا من جنى النّحل

غداة اجتنينا اللّهُو غصّا و لم نبل [6] # حجاب أبي نصر و لا غصبة الفضل

[1] الشَّمول: الخمر.

[2] الأقبية: (جمع قباء بالفتح) و هو ثوب يلبس فوق الثياب، و قيل:
ثوب يلبس فوق القميص و يتمنطق عليه.

[3] أجمجه: أكتمه و أخفيه.

[4] يقال: وكف الدمع توكافا، إذا سال و قطر قليلا قليلا.

[5] كذا في حـ و «معجم البلدان» لياقوت، و هو ناحية و قرى، في واد في سفح جبل أروند من همذان، و هو موضع نزه فرح. و في سائر الأصول «الماوسان» بالسین المهملة، و هو تصحيف.

[6] لم نبـل: أصله نبالي، حذف حرف العلة للجازم ثم سكنت اللام للتخفيف، كما حذفـت النون في «لم نـك» بعد تسكينها، فحذفـت الألف لالتقاء الساكنين.

غدونا صحاحا ثم رحنا كأثنا # أطاف بنا شرّ شديد من الخبل

فسألته أن يكتبها ففعل؛ فقلت له: ما حديث الماوشان؟ فضحك و قال: لو لم أكتبك الأبيات لما سألت عما لا يعينك؛ و لم يخبرني.

كان ابن الأعرابي يعجب به و يستحسن شعرا له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني أحمد بن الحارث و أبو مسلم عن ابن الأعرابي: أنه كان يصف إسحاق الموصليّ و يقرّظه و يثني عليه و يذكر أده و حفظه و علمه و صدقه، و يستحسن قوله:

صوت

هل إلى أن تنام عيني سبيل # إنّ عهدي بالنوم عهد طويل

غاب عني من لا أسمي فعيني # كلّ يوم وجدا عليه تسيل

-الشعر و الغناء لإسحاق رمل بالوسطى-قال: و كان إسحاق إذا غنّاه تفيض دموعه على لحيته و يبكي أحزّ بكاء. و أخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق. و حديث موسى عن حمّاد أتمّ، و اللفظ له.

أوّل صوت و آخر صوت صنعه:

أخبرني الصّوليّ و الحسن بن عليّ قالا حدّثنا محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق قال: أوّل صوت صنعه أبي:

إني لأكني بأجبال عن اجبلها # و باسم أودية عن اسم واديه

و آخر صوت صنعة مختارا:

قف نحيّ المغانيا # و الطلّول البواليا

ثم قطع الصنعة حتى أمره الواثق بأن يعارض صنعه في: لقد بخلت حتى لو أنّي سألتها

اتهمه المغنون بانتحال غناء أبيه بعد وفاته فامتحنه الرشيد ثم أذعنوا:

قال حمّاد و حدّثني أبي قال:

كان المغنّون يحسدونني مذ كنت غلاما، فلمّا مات أبي صنعت هذا الصوت، فهو أوّل صوت صنعه بعد وفاته، و هو: /

أ من آل ليلي عرفت الطلّولا # بذي حرض مائلات مثولا[1]

فقالوا للرشيد: هذا من صنعة أبيه فقد انتحله؛ فقال لي الرشيد في ذلك؛ فقلت: هذا و مائة بعده خير منه لهم؛ فقال: اصنع في شعر الأختل:
[1] انظر الحاشية رقم 2 ص 290 من هذا الجزء.

أ عاذلتني اليوم وبحكما مهلا # و كفا الأذى عني و لا تكثرا العذلا

فصنعت فيه كما أمرني؛ فلما سمعوا بذلك و ما جاء بعده أذعنوا، و زال عن قلب الرشيد ما كان ظنه بي. و قد ذكر غير حماد أن اللحن الذي اختبره به الرشيد قوله: كنت صبا و قلبي اليوم سال # عن حبيب يسيء في كل حال

و ذكر أن الفضل بن الربيع قال الشعر في ذلك الوقت و دفعه إليه و أمره الرشيد أن يصنع فيه ففعل. و أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق، و أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد قال: أول ما سمعه الرشيد من/غناء أبي:

أ لم تسأل فتخبرك المغاني # و كيف و هنّ مذ حجج ثماني

برئت من المنازل غير شوق # إلى الدار التي بلوي أبان

ديار للتي لجلجت فيها # و لو أعربت لجّ بها لساني

فكاد يطلّ للعينين غرب # بربعي دمنة لا ينطقان

قال: فحدثني أبي أن المغنين قالوا للرشيد: هذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته؛ فقلت له: أنا أدع لهم هذا و مائة صوت بعده؛ ثم نظروا إلى ما جاء بعد ذلك فأذعنوا.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

قف نحى المغانيا # و الطلّول البواليا

و على أهلها فنج # و ابك إن كنت باكيا

الشعر لابن ياسين. و الغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى.

صوت

أ من آل ليلي عرفت الطلّولا # بذي حرض ماثلات مثولا ضيلين و تحسب آياتهنّ

عن فرط حولين رقًا محيلا

الشعر لكعب[1] بن زهير. و الغناء لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر.

صوت

أ عاذلتني اليوم وبحكما مهلا # و كفا الأذى عني و لا تكثرا العذلا

دعاني تجدد كفي بمالي فإني # سأصبح لا أسطيع جودا و لا بخلا

[1] انظر الحاشية رقم 4 ص 290 من هذا الجزء.

إذا وضعوا فوق الصَّفيح[1]جنادلا # عليّ و خلفت المطيئة و الرّحلا
فلا أنا مجتاز إذا ما نزلته # و لا أنا لاق ما ثوبت به أهلا
الشعر للأخطل، و الغناء لإسحاق، ثقيل أوّل بالوسطى.

صوت

إني لأكني بأجبال عن اجبلها # و باسم أودية عن اسم واديتها
عمدا ليحسبها الواشون غانية # أخرى و تحسب[2]أني لا بأليها
/و لا يغيّر ودّي أن أهاجرها # و لا فراق نوى في الدار أنوبها
و للقلوص و لي منها إذا بعدت # بوارح الشوق تنصيني و أنصيتها
الشعر لأعرابي، و الغناء لإسحاق هزج بالبنصر.

حديثه مع الواثق بشأن الأهزاج من الأغاني:

حدّثني لحظة قال حدّثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال: قال
إسحاق للواثق يوما: الأهزاج من أملح الغناء؛ فقال الواثق: أمّا إذا كانت مثل
صوتك: إني لأكني بأجبال عن اجبلها # و باسم أودية عن اسم واديتها
فهي كذلك.

غنى لطلحة بن طاهر مرارا و أخذ جوائزها:

قال أحمد بن أبي طاهر حدّثني أحمد بن يحيى الرازي عن محمد بن
المثنى عن الحجّاج بن قتيبة بن مسلم قال: قال إسحاق: بعث إليّ طلحة بن
طاهر و قد انصرف من وقعة/للشّراة[3]و قد أصابته ضربة في وجهه؛ فقال
لي الغلام: أجب؛ فقلت: و ما يعمل؟ قال: يشرب؛ فمضيت إليه فإذا هو
جالس قد عصب ضربته و تقلنس بقلنسوة؛ فقلت له: سبحان الله أيها
الأمير! ما حملك على لبس هذا؟ قال: التبرّم بغيره، ثم قال: غنّ: إني لأكني
بأجبال عن اجبلها

قال: فغنيته إياه، فقال: أحسنت و الله! أعد! فأعدت و هو يشرب حتى
صلّى العتمة و أنا أغنيته؛ فأقبل على خادم له بالحضرة و قال له: كم عندك؟
قال: مقدار سبعين ألف درهم؛ قال: تحمل معه. فلما خرجت من عنده
تبعني جماعة من الغلمان يسألوني، فوزّعت المال بينهم؛ فرفع الخبر إليه
فأغضبه و لم يوجّه إليّ ثلاثا؛ فجلست ليلا و تناولت الدّواة و القرطاس
فقلت: [1]الصفيح: حجارة رقيقة عريضة يسقف بها القبر.

[2]المعنى على نصب الفعل واضح، و هو أنه يريد أن يعمي عليها كما عمي على الواشين فيجعلها تحسب أنه لا يباليها. و لا يبعد أن يرفع الفعل على أن يكون المعنى أنه يتسبها إلى الخطأ في هذا الظن و ينكره عليها.

[3]الشرارة: الخوارج. -

عَلَّمَنِي جُودَكَ السَّمَّاحَ فَمَا # أَبْقَيْتَ شَيْئًا لَدَيَّْ مِنْ صِلَتِكَ
 لَمْ أَبْقِ شَيْئًا إِلَّا سَمَحْتَ بِهِ # كَأَنَّ لِي قُدْرَةَ كَمَقْدَرَتِكَ
 تَتَلَفُ فِي الْيَوْمِ بِالْهَبَاتِ وَ فِي # السَّاعَةِ مَا تَجْتَنِيهِ فِي سِنَتِكَ
 فَلَسْتُ أُدْرِي مِنْ أَيْنَ تَنْفَقُ لَوْ # لَا أَنَّ رَبِّي يَجْزِي عَلَى صِلَتِكَ

فلما كان في اليوم الرابع بعث إليّ، فصرت إليه و دخلت عليه
 فسلمت؛ فرفع بصره إليّ و قال: اسقوه رطلا فسقيته، و أمر لي بآخر و
 آخر فشربت ثلاثا؛ ثم قال لي: غنّ: إني لأكفي بأجيال عن اجبلا

فغنيته ثم أتبعته بالأبيات التي قلتها، و قد كنت غنيته فيها لحنا في
 طريقة الصوت؛ فقال: ادن فدنوت، و قال: اجلس فجلست، فاستعاد الصوت
 الذي صنعه فأعدته. فلما فهمه و عرف معنى الشعر قال لخدم له:
 أحضرنني فلانا فأحضره؛ فقال: كم قبلك من مال الصّياغ؟ قال: ثمانمائة ألف
 درهم؛ فقال: احضر بها الساعة؛ فجيء بثمانين بدرّة؛ فقال للخدم: جئني
 بثمانين غلاما مملوكا، فأحضروا؛ فقال: احملوا هذا المال؛ ثم قال: يا أبا
 محمد، خذ المال و الممالك حتى لا تحتاج أن تعطي لأحد منهم شيئا.

مهاجاته محمد بن راشد و ما كان بينهما:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسين بن محمد بن طالب
 قال: كان إسحاق بن إبراهيم الموصليّ كثير الغشيان لإسحاق بن إبراهيم بن
 مصعب و الحضور لسمره، و كان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له و يسني
 جوائز و يواتر [1]صلاته و يشاوره في بعض أموره و يسمع منه؛ فأصيب
 إسحاق ببصره قبل موته بستين، /فترك زيارة إسحاق و غيره ممن كان
 يغشاهم و لزم بيته. و خرج إسحاق يوما إلى بستان له بباب قطربل و خرج
 معه ندماؤه و فيهم موسى بن صالح بن شيخ [2]بن عميرة و محمد بن راشد
 الخنّاق و الحرّاني؛ فجرى ذكر إسحاق الموصليّ، فتوجّع له إسحاق و ذكر
 أنسه [3]به و تمّنى حضوره، و ذكر [ه]القوم فأطنبوا في نشر محاسنه و
 شيعوا ما ذكره به إسحاق بما حسن موقعه لهم عنده؛ و ذكره محمد بن
 راشد ذكرا لم يحمده أصحابه عليه، و زجره إسحاق، فأمسك عنه؛ فلما
 انصرفوا من مجلسهم نمي إلى إسحاق الموصليّ ما كان فيه القوم في
 يومهم و ما جرى من ذكره؛ فكتب إلى موسى بن صالح: /

ألا قل لموسى الخير موسى بن صالح # و من هو دون الخلق إلفي و خلصاني [4]

و من لو سألت الناس عنه لأجمعوا # على أنه أفتى[5]معدّ و قحطان

[1]يواتر: يتابع.

[2]كذا في ء. و في ح، م: «شيخ عميرة» . و في أ، ب، س: «سنح بن عميرة» بالسين و النون و الحاء المهملة، و كلاهما تحريف.

(راجع الطبري في اسمي موسى بن صالح بن شيخ و عميرة أبي شيخ بن عميرة الأسدي قسم 3 ص 1641، 935) .

[3]في جميع الأصول: «و ذكر أنسه كان به» . و ظاهر أن كلمة «كان» هنا مقحمة.

[4]الخلصان: الخالص من الأخدان، يستوي فيه الواحد و الجمع، يقال: هم خلصاني، و هو خلصاني.

[5]أفتى: أفعال تفضيل من الفتوة و هي الكرم و المروءة.

لعمري لئن كان الأمير تمثاني # بمجلس لذات و نزهة بستان
 لقد زادني ما كان منه صباية # و جدّد لي شوقا إليه و أبكاني
 و ما زال ممتنّا عليّ يخصني # بما لست أحصي من أياذ و إحسان
 هو السيّد القرم الذي ما يرى له # من الناس إن حصّلته أبدا ثاني
 نمته روايي مصعب و بنى له # كريم المساعي في أرومته باني
 يعرّ عليّ أن تفوزوا بقربه # و لست إليه بالقرب و لا الدّاني
 فيا ليت شعري هل أروحنّ مرّة # إليه فيلقاني كما كان يلقاني
 /و هل أرين يوما غضارة ملكه # و سلطانه لا زال في عرّ سلطان
 و هل أسمعن ذاك المزاح الذي به # إذا جئته سلّيت همّي و أحزاني
 إذا قال لي «يا مرد مي خر» و كرّها # عليّ و كئاني مزاحا[1] بصفوان

(هذا كلام بالفارسية تفسيره: يا رجل اشرب النبيذ):

فيا لك من ملهى أنيق و مجلس # كريم و من مزح كثير بألوان
 و هل يغمزن بي ذو الهنات ابن راشد # و ذاك الكريم الجدّ من آل حرّان
 و هل أرين موسى الكريم ابن صالح # ينازعني صوتا إذا هو غنّاني

(يريد الغناء في):

فلم أر كالتّجمير منظر ناظر # و لا كليالي التّفر أفتنّ ذا هوى) إذا صاح بالتّجمير ثم أعاده # بتحقيق
 إعراب صحيح و تبيان

أولئك إخواني الذين أحبّهم # و أوثرهم بالودّ من بين إخواني
 و ما منهم إلّا كريم مهذب # حبيب إلى إخوانه غير خوّان

فأجابه محمد بن راشد:

بعثت بشعر فيه أنّ رسالة # أتتك لموسى عن جماعة إخوان
 بشوق و ذكر للجميل و لم يكن # لموسى لعمري في سلامته ثاني
 و لكن نطقنا بالذي أنت أهله # و ما تستحقّ من صديق و ندمان
 و موسى كريم لم يحط بك خبره[2] # كخبر ندامى قد بلوك و إخوان
 و لو قد بلاك قال فيك كقول من # فسدت عليه من خليل و خالصان

[1] في حـ: «مرارا» .

[2] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «خبرة» .

و لم يعره شوق إليك و لم يجد # لفقْدك مسًا عند نزهة بستان
/احمدت الّْدَامَى كُلَّهُمْ غير إنسان[1] # ألا إنما يجني على نفسه الجاني
فلا[2]تعْتَب الإخوان من بعدها فما # تنقّص إخوان المودّة من شاني

قال: فأجابه إسحاق:

عجبت لمخدول تعرّض جانبا[3] # لليت أبي شبليين من أسد خفان[4]
/أنا بشعر قاله مثل وجهه # تزخرف فيه و استعان بأعوان
فجاء بالفاظ ضعاف سخيفة # و مصّغها تمضغ أهوج سكران
دعوا الشعر للشيخ الذي تعرفونه # و إلاّ و ستمت أو رميتم بشهبان
فإنكم و الشعر إذ تدّعونهُ # كمعتسف في ظلمة الليل حيران
صه لا تعودوا للجواب فإنما # ترومون صعبا من شماریخ[5]نهلان
أنا الأسد الورد[6]الذي لا يفله # تظاهر أعداء عليه و أقران
و من قد أردتم جاهدين سقاطه # فأعياكم في كلّ سرّ و إعلان
لعمري لئن قلت بما أنا أهله # ليستنفدن[7]القول تعظيمكم شاني
و جحدكم إياي ما تعلمونه # و إقراركم عندي بذلك سيّان
ألا يزجر الجّهان عتّا أميرنا # و موسى و ذاك الشيخ من آل حرّان
و لا سيّما من بان للناس شرّه # فما يتمارى في مذاهبه اثنان

ذكر في مجلس محمد بن عمر الجرجاني فأثنى عليه:

حدّثني أحمد بن عبید الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل
قرقارة قال: /قال لي محمد بن عمر الجرجانيّ و قد تذاكرنا إسحاق يوما
بحضرته: ما تذكرون من إسحاق شيئا تقاربون به وصفه. كان و الله إسحاق
غزّة في زمانه، و واحدا في دهره علما و فقها و أدبا و وقارا و وفاء و جودة
رأي و صحّة مودّة.

كان و الله يخرس الناطق إذا نطق، و يحير السامع إذا تحدّث، لا يملّ
جليسه مجلسه، و لا تمجّ الأذان حديثه، و لا تنبو النفوس عن مطاولته. إن
حدّثك ألهاك، و إن ناظرك أفادك، و إن غنّاك أطربك. و ما كنت ترى خصلة
من الأدب و لا جنسا من العلم يتكلم فيه إسحاق فيقدم أحد على مساجلته و
مباراته.

[1]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س. «أنسه» .

[2] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فما» .

[3] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «جانبا» بالباء الموحدة، و هو
تصنيف.

[4] خفان (بفتح أوله و تشديد ثانيه) : موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج
أحيانا و هو مأسدة.

[5] الشماريخ: رءوس الجبال و أعاليها. و ثهلان: جبل باليمن، و قيل:
بالعالية.

[6] الورد: الجريء.

[7] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «لا يستبعدن القول» ، و هو
تحريف.

أمره المأمون أن يغني في شعر رآه مكتوبا في بساط فأعجبه:
 أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال حدّثني
 أحمد بن يحيى المكيّ قال: أمر المأمون يوما بالفرش الصّيفيّ أن يخرج؛
 فأخرج فيما أخرج منه بساط طبريّ أو أصهبذانيّ [1]، مكتوب في حواشيه:

صوت

لجّ بالعين واكف # من هوى لا يساعف
 كلّما جفّ دمه # هيّجته المعارف
 إنما الموت أن تفا # رق من أنت آلف
 لك حبّان في الفؤا # د تليد و طارف

قال: فاستحسن المأمون هذه الأبيات، و بعث إلى إسحاق فأحضره و
 أمره أن يصنع فيها لحنا و يعجّل به؛ فصنع فيها الهزج الذي يغني به اليوم.
 قال أحمد: / و سمعها أبي منه [2] فقال: لو كان هذا الهزج لحكم الوادي لكان
 قد أحسن. يريد أنّ حكما كان صاحب الأهازج.

أعجب يحيى المكي بصنعة له و مدحه و كذلك الواثق:
 أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني يزيد بن محمد قال حدّثني ابن المكيّ قال:
 تذاكرنا يوما عند أبي صنعة إسحاق، و قد كتّا بالأمس عند المأمون فغناه
 إسحاق لحنا صنعه في شعر ابن ياسين:

صوت

الطلول الدّوارس # فارقتها الأوانس

أوحشت بعد أهلها # فهي قفر بسابس [3]

-الغناء لإسحاق خفيف ثقيل بالبنصر-قال: فقال أبي: لو لم يكن من
 بدائع إسحاق غير هذا لكفى، «الطلول الدّوارس» كلمتان، و «فارقتها
 الأوانس» كلمتان، و قد عنيّ فيهما استهلالا و بسيطا و صاح و سجح و رجّع
 النغمة و استوفى ذلك كله في أربع كلمات و أتى بالباقي مثله؛ فمن شاء
 فليفعل مثل هذا أو ليقاربه. ثم قال: إسحاق [4] و الله في زماننا فوق ابن
 سريج و الغريض و معبد، و لو عاشوا حتى يروه لعرفوا فضله و اعترفوا له
 به. و أخبرني عمّي عن يزيد بن محمد المهلبيّ: أنه كان عند الواثق فغنته

شجا هذا الصوت؛ فقال الواثق مثل هذا القول. و المذكور أنّ ابن
[1]أصبهذان: مدينة في بلاد الديلم، بينها و بين البحر ميلان.

[2]في حـ: «معه» .

[3]البسابس: جمع بسبس و هو القفر.

[4]في الأصول: «ثم قال: إسحاق و الله ما في... إلخ» بزيادة «ما» .
و لعلها مقحمة من الناسخ.

المكّيّ قاله؛ فلا أدري أ هذا و هم من يزيد، أو اتّفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى، أو اتّفقت عليه قريحتاهما.

أعجب هو و الزبير بن دحمان بغناء خباز فلامه الزبير على ضنه بغناؤه و الخباز يبتذله:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال:

/أرسل إليّ الفضل بن الرّبيع يوما و إلى الرّبير بن دحمان، فوافق مجيئنا شغلا كان له، فصرنا إلى بعض حجره، فنعست فنمت فإذا زبير يحركني فانتبهت فإذا خباز في مطبخ الفضل يضرب بالشّوبق[1] يغني:

صوت

بدير[2]القائم الأقصى # غزال شقني أحوى

برى حبّي له جسمي # و ما يدري بما ألقى

و أخفي حبه جهدي # و لا و الله ما يخفى

-الشعر و الغناء لإسحاق خفيف ثقيل بالبنصر-قال: فقال لي الرّبير: تضرّ بهذا و انظر من يبتذله!؛ فقلت: لا أضنّ بغناء بعد هذا.

غنى للمأمون بأصوات له فأعجب بها فلما غناها هو لم يستحسنها منه، و حواره للمغنين:

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن الطيّب السرخسيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لي صالح بن الرشيد: كنّا أمس عند أمير المؤمنين المأمون و عنده جماعة من المغنّين، فيهم إسحاق و علويه و مخارق و عمرو بن بانه؛ فغنّى مخارق في الثقل الأوّل:

صوت

أعادل لا ألوك إلاّ خليقتي # فلا تجعلي فوقى لسانك مبردا

ذريني أكن للمال ربّا و لا يكن # لي المال ربّا تحمدي عبّه غدا

/ذريني يكن مالي لعرضي وقاية # يقى[3]المال عرضي قبل أن يتبدّدا

أ لم تعلمي أنّي إذا الضيف نابني # و عزّ القرى أقرى السديف[4]المسرهدا

فقال له المأمون: لمن هذا اللحن؟ قال: لهذا الهزير الجالس (يعني إسحاق)؛ فقال المأمون لمخارق: قم فاقعد بين يديّ و أعد الصوت؛ فقام فجلس بين يديه و أعاده فأجاده، و شرب المأمون عليه رطلا؛ ثم التفت إلى

إسحاق فقال له: غنّ هذا الصوت؛ فغنّاه فلم يستحسنه كما استحسنه من مخارق؛ ثم دار الدور إلى علّويه، فقال له: غنّ فغنّي في الثقل الأوّل أيضا: [1]الشوبق: خشبة الخباز، و المشهور «الشوبك» بالكاف و فتح الشين.

[2]دير القائم الأقصى: موضع على شاطئ الفرات من الجانب الغربي في طريق الرقة من بغداد.

[3]في ب: «يفي» بالفاء. و في س: «بقي» بالباء و القاف، و كلاهما تصحيف.

[4]السديف: السنام و قيل: شحمه. و المسرهد: المقطع أو السمين.

صوت

أريت اليوم نارك لم أغمض # بواقصة[1] و مشربنا برود[2]

فلم أر مثل موقدها و لكن # لأية نظرة زهر[3]الوقود

فبت بليلة لا نوم فيها # أكابدها و أصحابي رقود

كأن نجومها ربطت بصخر # و أمراس[4]تدور و تستزيد[5]

فقال له المأمون: لمن هذا الصوت؟ فقال: لهذا الجالس- و أشار إلى إسحاق- فقال لعلويه: أعدده فأعاده، فشرب عليه رطلا؛ ثم قال لإسحاق. غنّه فغنّاه، فلم يطرب له طربه لعلويه. فالتفت إليّ إسحاق ثم قال لي: أيها الأمير، لو لا أنه مجلس سرور و ليس مجلس لجاج و جدال لأعلمته أنه طرب على خطأ، و أنّ الذي استحسنته إنما هو تزايد[6]منهما يفسد قسمة اللحن و تجزئته، و أنّ الصوت ما غنّيته لا ما زادا[7]. ثم أقبل عليهما فقال: يا مختّان[8]، قد علمت أنكما لم تريدما بما فعلتماه مدحي و لا رفعتي، و أنا على مكافأتكما قادر؛ فضحك المأمون و قال له: ما كان ما رأيته من طربي لهما إلا استحسانا لأصواتهما لا تقديما لهما و لا جهلا بفضلك.

دخل على المعتصم و بين يديه صيد فغنّاه فطرب و أجازته:

حدّثني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ قال حدّثني إسحاق قال: دخلت يوما على المعتصم و قد رجع من الصيد و بين يديه طباء مذبّحة و طير ماء و غير ذلك من الصيد و هو يشرب؛ فأمرني بالجلوس و الغناء؛ فجلست و غنّيته:

صوت

اشتھينا في ربيع مرّة # زهم[9]الوحش على لحم الإبل

فغدونا بطوال هيكل[10] # كعسيب النخل ميّاد خضل

[1]واقصة: منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة، و قيل: العقبة لبني شهاب من طيء، و يقال لها: واقصة الحزون، و هي دون زباله بمرحلتين. (انظر «معجم البلدان» لياقوت في اسم واقصة).

[2]البرود: البارد.

[3]زهر الوقود: أضاءت ناره.

[4]الأمراس: الحبال.

[5] كذا في الأصول «تستزيد» بالزاي المعجمة. و لعلها «تستريد» بالراء المهملة. و تستريد: تذهب و تجيء؛ إذ الشاعر يريد أن يصف ليلته بالطول حتى كأن نجومها ربطت بأمراس شدّت بصخر فهي تدور و ترجع إلى حيث كانت و لا تغور.

[6] يقال: تزايد فلان في كلامه و تزيد: إذا تكلف الزيادة فيه و جاوز ما ينبغي.

[7] كذا في أ، ح، م. و في باقي الأصول: «زاد» بدون ألف بعد الدال.

[8] في الأصول: «يا مخنثين» بالياء.

[9] الزهم (بالتحريك) : شحم الوحش من غير أن يكون فيه زهومة، أي كراهة ربح أو تغير.

[10] الهيكل: الضخم من كل الحيوان.

-الشعر يقال: إنه لأعشى همدان، و الغناء لأحمد[1]النَّصْبِيَّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق-فتبسّم و قال: و ابن رأيت لحم الإبل! فغنيته:

صوت

ليس الفتى فيهم إذا # شرب الشراب مؤتبا
لكن يروح مرتحا # حسن الثياب مطيّا
يسقونه صرفا على # لحم الطباء مضهبا[2]

فقال: هذا أشبه، و شرب. ثم غنيته بشعر وضاح اليمن-قال: و الغناء لابن محرز ثقيل أوّل:-

صوت

أبى القلب اليمانيّ # الذي تحمد أخلاقه
و يرفضّ له اللحن # فما تفتق أرتاقه
غزال أدعج العين # ربيب خدلج[3]ساقه
رمانى فسبى قلبي # و أرميه فأشتاقه

فطرب و قال: هذا و الله أحسن صيد و الدّه، و شرب عليه بقية يومه و خلع عليّ و أمر لي/بجائزة. هكذا ذكر في هذا الخبر أن الثقيل الأوّل لابن محرز و قد قيل ذلك. و ذكر عمرو بن بانه أنّ الثقيل الأوّل بالبنصر لابن طنبورة، و أن لحن ابن محرز خفيف ثقيل.

دقته في الوصف و إعجاب فضل اليزيدي به:

حدّثني عمي قال حدّثني فضل اليزيديّ قال:

قال لي إسحاق يوما في عرض حديثه: دخلت على المعتصم ذات يوم و عليه قميص دبيقيّ[4]كأنما قد من جرم الزهرة[5]؛ فضحكت؛ فقال: ما أضحكك؟ فقلت: /من مبالغتك في الوصف، فتبسّم. قال الفضل: و ما سمعت محدّثا قط و لا واصفا أبلغ منه و لا أحسن لفظا و تشبيها.

[1]كذا في حـ في ترجمته (و هي تقع في جـ 5 ص 161 طبع بولاق) و هو منسوب إلى النصب (بالفتح) و هو ضرب من الغناء أرق من الحداء. و قد ورد في جميع الأصول هنا و كذلك في ترجمته مضطربا.

[2]لحم مضهّب: مقطع.

[3]الخدلج (بتشديد اللام) : الممتلئ الساقين.

[4]ديبقيّ: منسوب إلى دبيق و هي بليدة كانت بين الفرما و تنيس من أعمال مصر، و قد خرجت و لم يبق منها شيء، و تنسب إليها الثياب الديقية و هي من دق الثياب كانت تتخذ بها، و كانت العمامة منها طولها مائة ذراع و فيها رقعات منسوجة بالذهب، تبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير و الغزل. (راجع «معجم ياقوت» و «شرح القاموس» مادة «دبق») . و في ب، س: «ديبقي» بتقديم المثناة على الموحدة، و هو تصحيف.

[5]الزهرة (بضم ففتح) : كوكب من السيارة معروف.

تبرمه بالغناء و بالتسمية به:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال: قال لي إسحاق: وددت أنّ كل يوم قيل لي: غنّ أو قيل لي عند ذكرّي: المغنّي، ضرب رأسي خمسة عشر سوطاً، لا أقوى على أكثر منها، و لم يقل لي ذلك.

صنع لحنا على لحن أذان سمعه:

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد قال: صنع أبي لحنه في: «تشكّي الكميت الجري» على لحن أذان سمعه.

كثرة حفظه لأهزاج القدماء:

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد قال:

تذاكرنا يوماً الهزج عند المأمون؛ فقال عمرو بن بانه: ما أقله في الغناء القديم!! فقال إسحاق: ما أكثره فيه! ثم غنّاهم ثلاثين هزجا في إصبع واحدة و مجرى واحد، ما عرفوا جميعاً منها إلا نحو سبعة أصوات.

تقدير زررور لقدرته في الغناء:

حدّثني يحيى قال حدّثني أخي قال حدّثني عافية بن شبيب قال:

قلت لزررور: ما لكم تدلّون لإسحاق هذا الذلّ، و ما فيكم أحد إلا و هو أطيب صوتاً منه، و ما في صنائعكم وصمة! فقال لي: لا تقل ذلك، فو الله لو رأيتنا معه لرحمتنا و رأيتنا نذوب كما يذوب الرصاص في النار!

غضب عليه الفضل بن الربيع فمدحه بشعر و توسل له بعون حاجبه:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني عون بن محمد قال حدّثني إسحاق قال:

لاعبت الفضل بن الربيع بالترّد، فوقع بيننا خلاف، فحلف و حلفت، فغضب عليّ و هجرني، فكتبت إليه: /

يقول أناس شامتون و قد رأوا # مقامي و إغبابي الرواح إلى الفضل

لقد كان هذا خصّ بالفضل مرّة # فأصبح منه اليوم منصرم الحبل

و لو كان لي في ذلك ذنب علمته # لقطعت نفسي بالملامة و العذل

و عرضت الأبيات عليه؛ فلمّا قرأها ضحك و قال: أشدّ من ذنبك أنك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً؛ و الله لو لا أنّي أدبتك أدب الرجل ولده، و أنّ

حسنك و قبيحك مضافان إليّ لأنكرتني؛ فأصلح الآن قلب عون-و كان يحجبه-
فخاطبته في ذلك فكلمني بما كرهت؛ فقلت: أ تدخل بيني و بين الأمير أعزّه
الله!؛ و كان عون يرمى بالأبنة فقلت فيه: و ذاكر أمر ضاق ذرعا بذكره # و
ناس لداء منه متسع الخرق

قال: ثم علمت أنه لا يتمّ لي رضا الفضل إلا بعد أن يرضى عون، فقلت
فيه: عون يا عون ليس مثلك عون # أنت لي عدّة إذا كان كون

لك عندي و الله إن رضي الفضل # ل غلام يرضيك أو بردون

فدخل إلى الفضل فترضاه لي فرضي؛ ثم قال له: وبيك يا عون! إنه والله إنما هجأك و أنت ترى أنه قد مدحك، ألا ترى إلى قوله: «غلام يرضيك»! هذا تعريض بك؛ قال: فكيف أصنع به مع محله عند الأمير!.

شكا إليه المأمون أصحابه ثم غناه وأطره فأجازه:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني عون عن إسحاق، و أخبرني بعض الخبر/ إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة عن إسحاق، و لفظ الخبر و سياقته للصّوليّ، قال: استدناي المأمون [1] يوماً و هو مستلق على فراش حتى صارت ركبتني على الفراش، ثم قال لي: يا إسحاق، أشكو إليك أصحابي: فعلت بفلان كذا ففعل كذا، و فعلت/بفلان كذا ففعل كذا؛ حتى عدّ جماعة من خواصّه؛ فقلت له: أنت يا سيّدي بتفضلك عليّ و حسن رأيك فيّ ظننت أنّي ممّن يشاور في مثل هذا، فجاوزت بي حدّي، و هذا رأي يجلّ عنيّ و لا يبلغه قدرتي؛ فقال: و لم و أنت عندي عالم عاقل ناصح؟ فقلت: هذه المنزلة عند سيّدي علمتني ألا أقول إلاّ ما أعرف و لا أطلب إلاّ ما أنال؛ فضحك و قال: قد بلغني أنّك في هذه الأيام صنعت لحنا في شعر الرّاعي و لم أسمعه منك؛ فقلت: يا سيّدي، ما سمعه أحد إلاّ جوارّي، و لا حضرت عندك للشرب منذ صنعته؛ فقال: عتّه؛ فقلت: الهيبة و الصّحو يمنعاني أن أوّديه كما تريد، فلو أنّس أمير المؤمنين عبده بشيء يطربه و يقوي به طبعه كان أجود؛ قال: صدقت، ثم أمر بالغداء فتعدّينا، و مدّت الستارة فغنيّ من ورائها و شربنا أقداحا؛ فقال: يا إسحاق، أ ما جاء أوان ذلك الصوت؟ فقلت: بلى يا سيّدي، و غنيته لحني في شعر الرّاعي:

صوت

أ لم تسأل بعارمة [2] الديارا # عن الحيّ المفارق أين صار [3]

بلى ساءلتها فأبت جوابا # و كيف تسائل الدّمن القفارا

-لحن إسحاق في هذين البيتين خفيف ثقيل بالوسطى-قال: فاستحسنه و ما زال يشرب عليه سائر يومه، و قال لي: يا إسحاق، لا طلب بعد وجود البغية، ما أشرب بقيّة يومي هذا إلاّ على هذا الصوت؛ ثم وصلني و خلع عليّ خلعة من ثيابه.

مدح أعرابية له:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني عون بن محمد قال حدّثني إسحاق قال:

كانت أعرابية تقدم عليّ من البادية فأفضل عليها، و كانت فصيحة؛
فقلت لي ذات يوم: و الذي يعلم مغزى كل ناطق لكأنك في علمك ولدت
فيها و نشأت معنا. و لقد أريتني نجدا بفصاحتك، و أحللتني الربيع بسماحتك؛
فلا اطرد لي قول إلا شكرتك، و لا نسمت لي ربح إلا ذكرتك.

[1] في «مختار الأغاني» (ص 156) : «الأمين» .

[2] عارمة: موضع في ديار بني عامر بنجد، و قيل: ماء لبني تميم
بالرمل. (انظر «معجم البلدان» لياقوت و «معجم ما استعجم» للبكري في
الكلام على عارمة) .

[3] في «مختار الأغاني» (ص 157) و «شرح القاموس» و «اللسان»
مادة (عرم) : «سارا» بالسين المهملة.

أنحل أبا المجيب الربيعي صداقا و داعبه بشعر:

حدّثني الصّوليّ [1] قال حدّثني عون بن محمد قال حدّثني المغيرة بن محمد المهلبيّ عن إسحاق قال: كان أبو المجيب الرّبعيّ فصيحاً عالماً، فقال لي: يا أبا محمد، قد عزمت على التزوّج فأعنيّ و قوّني؛ قال: فأعطيته دنانير و ثيابا. فغاب عنيّ أياما ثم عاد؛ فقلت: يا أبا مجيب، هاهنا أبيات فاسمعها؛ فقال: هاتها؛ فقلت: يا ليت شعري عن أبي مجيب # إذ بات في مجاسد [2] و طيب

معانقا للرّشيا الرّبيب # أ أحمد [3] المحفار في القلب

أم كان رخوا ذابل القضيّب

قال: فقال لي: الأخير و الله يا أبا محمد.

عاتب الخليل بن هشام بشعر و كان بينهما تهاجر فعادا إلى ما كانا عليه:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني عون بن محمد قال حدّثني إسحاق قال: كانت بيني و بين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشنا، فمررت ببابه يوما، فتذمّمت [4] أن أجوزه و لا أدخل إليه، فدعوت بدواة و قرطاس و كتبت إليه: /

رجعنا بالصفاء إلى الخليل # فليس إلى التّهاجر من سبيل

عتاب في مراجعة و صفح # أحقّ بنا و أشبه بالجميل

قال: و وّجّهت بالرّقعة و قصدت بابه، فخرج إليّ حتى تلقّاني، و رجعنا إلى ما كنّا عليه.

تعقب فيما يرويه من الأخبار فوجد صادقا:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني عبد الله بن المعتزّ عن الهشاميّ قال: كان أهلنا يعتبرون [5] على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء و أخباره، بأن يجلسوا كاتبتين فهمتين خلف السّتارة، فتكتبان ما يقوله و تضبطانه، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى، ثم يعيدون تلك المسألة عليه، فلا يزيد فيها و لا ينقص منها حرفا كأنه يقرؤها من دفتر؛ فعلموا حينئذ أنه لا يقول في شيء يسأل عنه إلاّ الحقّ.

غنى علويه لحنا لأبيه فخطاه هو في مجلس المأمون:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن [6]مزيد المهلبيّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال: [1]في جميع الأصول: «حدّثني عون بن محمد الصوليّ» و هو خطأ، فإن اسم الصوليّ «محمد بن يحيى». و قد تقدّم هذا السند بنصه في أكثر من موضع، و سيأتي كذلك في الخبر الذي يلي هذا الخبر.

[2]المجاسد: جمع مجسد، و هو القميص الذي يلي البدن.

[3]أحمد الشيء: أتى ما يحمد عليه. و المحفار: المسحاة و ما يحفر به، و هو مستعمل هنا على سبيل المجاز.

[4]تذممت: استنكفت.

[5]اعتبر الشيء: اختبره و نظر فيه و ردّه إلى نظيره فحكم عليه بحكمه.

[6]كذا في جميع الأصول، و لم يتقدّم لهذا الاسم ذكر قبل ذلك و لم نعثر عليه في كتب التراجم. و المعروف أن الصولي يروي عن محمد بن يزيد المهلبيّ و عن يزيد بن محمد المهلبيّ، كما تقدّم في هذا الكتاب أكثر من مرة. -

كنا عند المأمون، فغناه علويه:

صوت

لعبة دار ما تكلمنا الدار # تلوح مغانيها كما لاح أسطار
أسائل أحجارا و نؤيا[1]مهذما # و كيف يردّ القول نؤي و أحجار

-الشعر لبشار، و الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى
عن إسحاق-قال: فقال المأمون: لمن هذا اللحن؟ فقلت: لعبد أمير المؤمنين
أبي، و قد أخطأ/فيه علويه؛ قال: فغنه أنت فغنيته، فاستعادنيه مرارا و شرب
عليه أقداحا؛ ثم تمثل قول جرير: و ابن اللبون[2]إذا ما لُر في قرن # لم
يستطع صولة البزل القناعيس

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم. و وجدت هذا الخبر بخط أبي العباس
ثوابة، فقال فيه: حدّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدّثني عبد الله بن
العباس الرّبيعيّ قال: اجتمعنا بين يدي المعتصم، فغنى علويه:

لعبة دار ما تكلمنا الدار

فقال له إسحاق: أخطأت فيه، ليس هو هكذا؛ فقال علويه؛ أمّ من
أخذناه عنه هكذا زانية؛ فقال إسحاق: شتمنا قبحه الله، و سكت و بان ذلك
فيه؛ و كان علويه أخذه من إبراهيم.

حواره مع علويه حين أغرى الواثق بينهما:

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو العبيس بن حمدون عن أبيه عن جدّه
قال: كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يغني إلا الخليفة أو وليّ عهده أو رجلا
من الطاهريّة مثل إسحاق بن إبراهيم و طبقته؛ فاجتمعنا عند الواثق و هو
وليّ عهد المعتصم، فاشتهد الواثق أن يضرب[3]بين مخارق و علويه و
إسحاق، ففعل حتى تهاتروا؛ ثم قال لإسحاق: كيف هما الآن عندك؟ فقال:
أمّا مخارق فمناد[4]طيب الصوت؛ /و أمّا علويه فهو خير حماري العبادي[5]،
و هو على كل حال شييء[6] (يريد تصغيره)؛ فوثب علويه مغضبا، ثم قال
[1]النؤى: الحفير أو الحاجز حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يمينا و
شمالا و يبعده.

[2]ابن اللبون: ولد الناقة إذا كان في العام الثاني و استكمله، و قيل:
إذا دخل في الثالث، و الأنثى: ابنة لبون، سمي بذلك لأن أمه وضعت غيره
فصار لها لبن. و لز: شدّ و لصق. و القرن (بالتحريك): الحبل الذي يقرن به

البعيران. و البزل: جمع بازل، و هو البعير الذي فطرنا به أي انشق. قال الأصمعي وغيره: يقال للبعير إذا استكمل السنة الثامنة و طعن في التاسعة و فطر نابه: بازل.

و القناعيس: جمع قنعاس، و هو الجمل الضخم العظيم الشديد.
[3]التضريب: الإغراء.

[4]كذا في «مختار الأغاني» ، و هو الذي يناسب السياق. و في الأصول: «فمياد» بالياء المثناة من تحت بدل النون.

[5]يشير بهذا إلى المثل المشهور، و هو ما يقال من أنه كان لعبادي (نسبة إلى العباد قوم من العرب نزلوا الحيرة و كانوا نصارى) حماران، فقيل له: أيّ حماريك شر؟ قال: هذا ثم هذا. و يروى أنه قال حين سئل عنهما: هذا هذا، أي لا فضل لأحدهما على الآخر. يضرب خلتين إحداهما شر من الأخرى. (انظر «أمثال الميداني» ج 2 ص 92 طبع بولاق) .

[6]كذا في «مختار الأغاني» . و في الأصول: «شيء» بدون تصغير.

للواثق: جواربه حرائر و نساؤه طوالق، لئن لم تستحلفه بحياتك و حقّ أبيك، أن يصدق عما أسأله [1] عنه، لأتوبنّ عن الغناء ما عشت؛ فقال له الواثق: لا تعربد يا عليّ، نحن نفعل ما سألت؛ ثم حلف إسحاق أن يصدق فحلف؛ فقال له: من أحسن الناس اليوم صنعة بعدك؟ قال: أنت. قال: فمن أضرب الناس بعد ثقيف؟ قال: أنت. قال فمن أطيب الناس صوتا بعد مخارق؟ قال: أنت. قال علوبه لإسحاق: أ هذا/قولك فيّ و أنت تعلم أنّي مصليّ [2] كلّ سابق فاضل، و أنّي ثالث ثلاثة أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلهم و لا يكون! فما أنت و غناؤك الذي لا يسمع انخفاضا!؛ فغضب إسحاق، و انتهر الواثق علوبه. ثم أخذ إسحاق عودا فنقل مثناه إلى موضع البمّ [3]، و زيره إلى موضع المثلث، و جعل البمّ و المثلث مكان الزير و المثني، و ضرب و قال: ليغنّ من شاء منكم؛ فغنّي مخارق عليه: تقطع من ظلّمة الوصل أجمع # أخيرا على أن لم يكن يتقطع

و ضرب عليه إسحاق فلم يبين في الأوتار خلاف و لا فقد من الإيقاع شيء و لا بان فيه اختلال؛ فعظم عجب الواثق من فعله؛ و قام إسحاق فرقص طربا، فكان و الله/أحسن رقصا من كبيش و عبد السلام- و كانا من أرقص الناس- فقال الواثق: لا يكمل أحد أبدا في صناعته كمثل كمال إسحاق.

مدح لعبد الله بن طاهر فيه:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني عون بن محمد قال حدّثني إسحاق قال: دخلت على عبد الله بن طاهر و هو يلعب إبراهيم بن وهب بالشطرنج، فغلبه عبد الله، و أوما إليّ بأن أكايده؛ فقلت: قد ذهبت منك أبا إسحاق # مثل ذهاب الشهر بالمحاق [4]

فقال لي عبد الله: إنّ فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا، كما قال الشاعر في إبله: إذا أتاها طالب يستامها # تكاثر في عينه كرامها

صنع لحنا في بيتين و غناه الواثق فاستعاده حتى أخذه و أجازته:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال ذكر عليّ بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال: أنشدتني أمّ محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين و أنا حاجّ، فاستحسنتهما، و صنعت فيهما لحنا غنّيته الواثق؛ فاستعاده حتى أخذه، و أمر لي بثلاثين ألف درهم؛ و هما: عسى الله يا ظمياء أن يعكس الهوى # فتلقين ما قد كنت منك لقيت

ثراء فتحتاجي إليّ فتعلمي # بأنّ به أجزيك حين غنيت

[1] كذا في «مختار الأغاني» . و في الأصول: «تسأله» .

[2] المصلى: التالي للسابق من خيل السباق. و السابق: الأوّل.

[3] البم: الوتر الغليظ من أوتار المزاهر. و قد جاء في مقدّمة الجزء الأوّل من «الأغاني» من هذه الطبعة كل ما يتعلق بآلات العود و أسمائها، فارجع إليه.

[4] المحاق (بالضم و الكسر) : آخر الشهر إذا امحق الهلال فلم ير.

شؤش عودا في مجلس المعتصم و تحدّي ابن المهدي أن يضرب به ثم أظهر هو براعة فائقة:

حدّثني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن مروان قال قال لي يحيى بن معاذ: كان إسحاق الموصليّ و إبراهيم بن المهديّ إذا خلوا فهما أخوان، و إذا التقيا عند خليفة تكاشحا أقبح تكاشح؛ فاجتمعا يوما عند المعتصم؛ فقال لإسحاق: يا إسحاق، أن إبراهيم يثلبك و يغضّ منك و يقول: إنك تقول: إنّ مخارقا لا يحسن شيئا/و يتضحك منك؛ فقال إسحاق: لم أقل يا أمير المؤمنين: إن مخارقا لا يحسن شيئا، و كيف أقول ذلك و هو تلميذ أبي و تخريجه و تخريجي! و لكن قلت: إنّ مخارقا يملك من صوته ما لا يملكه أحد، فيتزايد فيه تزيادا لا يبقى عليه و يتغيّر في كل حال، فهو أحلى الناس مسموعا و أقله نفعا لمن يأخذ عنه، لقلّة ثباته على شيء واحد. و لكنّي أفعل الساعة فعلا إن زعم إبراهيم أنه يحسنه فلست أحسن شيئا، و إلّا فلا ينبغي له أن يدّعي ما ليس يحسنه. ثم أخذ عودا فشؤش أوتاره، ثم قال لإبراهيم: غنّ على هذا أو يغنّي غيرك و تضرب عليه؛ فقال المعتصم: يا إبراهيم، قد سمعت، فما عندك؟ قال: ليفعله هو إن كان صادقا؛ فقال له إسحاق: غنّ حتى أضرب عليك فأبى؛ فقال لزرزور: غنّ فغنّي و إسحاق يضرب عليه حتى فرغ من الصوت ما علم أحد أنّ العود مشؤش. ثم قال: هاتوا عودا آخر؛ فشؤشه و جعل كلّ وتر منه في الشدّة و اللين علي مقدار العود المشؤش الأوّل حتى استوفى؛ ثم قال لزرزور: خذ أحدهما فأخذه، ثم قال: انظر إلى يدي و اعمل كما أعمل و اضرب ففعل؛ و جعل إسحاق يغنّي و يضرب و زرزور ينظر إليه و يفعل كما يفعل؛ فما ظنّ أحد أن في العود [ين][1] شيئا من الفساد لصحة نغمهما جميعا إلى أن فرغ من الصوت. ثم قال لإبراهيم: خذ الآن أحد العودين، فاضرب به مبدأ أو عمود طريقة أو كيف شئت إن كنت تحسن شيئا؛ فلم يفعل و انكسر انكسارا شديدا؛ فقال له المعتصم: أ رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا، و الله ما رأيت و لا ظننت أنّ مثله يكون.

أعجبه يوم فتمثل فيه بشعر:

حدّثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل قال: /دعاني إسحاق يوما، فمضيت إليه و عنده الزبير بن دحمان و علويه و حسين بن الضحّاك، فمرّ لنا أحسن يوم؛ فالتفت إليّ إسحاق ثم قال: يومنا هذا و الله يا أبا العباس كما قال الشاعر: أنت و الله من الأيّ # ام لدن الطرفين

كَلَّمَا قَلْبَتَ عَيْنِي # ففِي قَرَّةِ عَيْنٍ

غنى الواثق فشرِب و خلع عليه:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت يوماً على الواثق فقال لي: يا إسحاق، إني أصبحت اليوم قرماً [2] إلى غنائك فغنّني؛ فغنّيته: من الأطباء طبّاء همّها السّخب [3] # ترعى القلوب و في قلبي لها عشب

[1] زيادة يقتضيها السياق.

[2] القرم (بالتحريك) في الأصل: شدة الشهوة إلى اللحم، ثم كثر حتى قالوا: قرمت إلى لقائك.

[3] كذا في ح، و فيما سيأتي في أكثر الأصول. و السخب (بضمّتين) : جمع سخاب (ككتاب) و هي قلادة تتخذ من قرنفل و غيره؛ و قال

لا يغترين و لا يسكنّ بادية # و ليس يدرين ما ضرع و لا حلب
إذا يد سرقت فالقطع يلزمها # و القطع في سرق بالعين لا يجب

قال: فشرب عليه بقيّة يومه و بعض ليلته، و خلع عليّ خلعة من ثيابه.

خرج مع الواصل إلى الصالحية فحنّ إلى بغداد و أنشده شعرا فأجازه و صرفه:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:
خرجت مع الواصل إلى الصالحية [1] و هو يريد النزهة، فذكرت بغداد و عيالي
و أهلي و ولدي بها فبكيت؛ فقال لي: بحياتي أذكرت بغداد فبكيت شوقا
إليها؟ فقلت: نعم، و غنّيته:

صوت

و ما زلت أبكي في الديار و إنما # بكائي على الأحباب ليس على الدار

قال: فأمر لي بمائة ألف درهم و صرفني.

و أخبرني محمد بن مزيد بهذا الخبر عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه، و
حدّثني به عليّ بن هارون عن عمّه عن حمّاد عن أبيه و خبره أتمّ، قال: ما
وصلني أحد من الخلفاء قطّ بمثل ما وصلني به الواصل. و لقد انحدرت معه
إلى النّجف [2]، فقلت له: يا أمير المؤمنين، قد قلت في النّجف قصيدة؛
فقال: هاتها؛ فأنشدته: يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف # نحيّ دارا لسعدى
ثم ننصرف

حتى أتيت على قولي:

لم ينزل الناس في سهل و لا جبل # أصفى هواء و لا أعذى [3] من النّجف

حقّت ببرّ و بحر من جوانبها # فالبرّ في طرف و البحر في طرف

/و ما يزال نسيم من يمانية [4] # يأتيك منها بريّا روضة [5] أنف

/فقال: صدقت يا إسحاق، هي كذلك. ثم أنشدته حتى أتيت على قولي
في مدحه: () الأزهري: كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن. و المعنى: إن
في الأطباء صنفا (يكنى به عن النساء) همه التزين و التجميل يفتن القلوب و
لا يالف إلا النعيم. و في سائر الأصول: «السحب» بالحاء المهمة، و هو
تصنيف.

[1]الصالحية: محلة ببغداد تنسب إلى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين.

[2]النجف (بالتحريك) : موضع يظهر الكوفة و هو دومة الجندل بعينها، و بالقرب منه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.

[3]كذا ورد في «معجم البلدان» لياقوت (بالعين المهملة) في الكلام على النجف. و أعذى: أطيب هواء، يقال: عذا المكان يعذو إذا طاب هواؤه. و منه الأرض العذاة و هي الأرض البعيدة عن الأحساء و النزوز و الريف، السهلة المرئية التي يكون كلؤها ناجعا مريئا.

و في الأصول: «أعذى» بالعين المعجمة، و هو تصحيف.

[4]في «معجم البلدان» :

«.... من أيا منه # يأتيك منه....»

[5]الروضنة الأنف (بضم الهمزة و النون) : التي لم يرعها أحد.

لا يحسب الجود يفني ماله أبدا # و لا يرى بذل ما يحوي من السرف

و مضيت فيها حتى أتممتها؛ فطرب و قال: أحسنت و الله يا أبا محمد،
و كئاني يومئذ، و أمر لي بمائة ألف درهم؛ و انحدر إلى الصالحية التي يقول
فيها أبو نواس: بالصالحية من أكناف كلواذ[1]

فذكرت الصبيان و بغداد فقلت:

أ تبكي على بغداد و هي قريبة # فكيف إذا ما ازددت منها غدا بعدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قلبي # لو أتا وجدنا عن فراق لها بدًا
إذا ذكرت بغداد نفسي تقطعت # من الشوق أو كادت تموت بها وجدا
كفى حزنا أن رحلت لم أستطع لها # وداعا و لم أحدث بساكنها عهدا

قال: فقال لي: يا موصلي، اشتقت إلى بغداد؟ فقلت: لا و الله يا أمير
المؤمنين، و لكن من أجل الصبيان، و قد حضرني بيتان؛ فقال: هاتهما؛
فأنشدته: /

حننت إلى الأصبية الصغار # و شاقك منهم قرب المزار
و أبح ما يكون الشوق يوما[2] # إذا دنت الديار من الديار

فقال لي: يا إسحاق، صر إلى بغداد فأقم مع عيالك شهرا ثم صر إلينا،
و قد أمرت لك بمائة ألف درهم.

صنع الواثق لحنا و أمره أن يغني فيه فصنع هو لحنا أحسن منه:
أخبرنا يحيى بن عليّ قال أخبرني أبي قال:
لما صنع الواثق لحنه في:

أيا منشئ الموتى أقدني من التي # بها نهلت[3] نفسي سقاما و علّت
لقد بخلت حتى لو أتي سألتها # قذى العين من سافي التراب لصنّت

[1]كلواذا (بفتح فسكون و آخرها ألف مقصورة. و لعل أبا نواس
كسرهما هنا للقفية، فقد أوردتها بالفتح في قوله: أ حين ودّعنا يحيى لرحلته
و خلف الفك و استعلى لكلواذا) مدينة كانت قرب بغداد في ناحية
الجانب الشرقي منها. و هذا الشطر من قصيدة لأبي نواس وردت في
«ديوانه»، و قد ورد فيها على غير رواية الأصول هنا، مطلعها: و قائل هل
تريد الحج قلت له # نعم إذا نفدت لذات بغذاذ

أما و قطر بل منها بحيث أرى # فقبه الفك من أكناف كلواذ

فالصالحية فالكرخ التي جمعت # شذاذ بغذاذ ما هم لي بشذاذ

و للفرك (بالكسر) : قرية كانت قرب كلواذا.

[2]ستأتي في «الأغاني» (ج 8 ص 168 طبع بولاق) رواية أخرى لهذا الشطر: و كل مفارق يزداد شوقا

[3]النهل (بالتحريك) : الشرب الأوّل، يقال: نهلت الإبل و أنهلتها أنا، و هو أن تسقي في أوّل الورد فترد إلى العطن (مناخ الإبل و مبركها) ثم تسقى الثانية و هو العلل فتردّ إلى المرعى.

أعجب به إعجاباً شديداً؛ فوجّه بالشعر إلى إسحاق الموصليّ و أمره أن يغنيّ فيه؛ فصنع [1] فيه لحنه الثقيل الأوّل، و هو من أحسن صنعة إسحاق؛ فلمّا سمعه الواصلق عجب منه و صغر لحنه في عينه، و قال: ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هذا الشعر، لأنه قد أفسد علينا لحننا. قال عليّ بن يحيى قال إسحاق: ما كان يحضر مجلس الواصلق أعلم منه بهذا الشأن.

نسبة هذين الصوتين صوت

أبا منشتر الموتى أقدني من التي # بها نهلت نفسي سقاما و علّت
لقد بخلت حتى لو أتيت سألتها # قذى العين من سافي التراب لصنّت

/الشعر لأعرابيّ، و الغناء للواصلق ثاني ثقيل في مجرى البصر. و فيه لمخارق رمل، و لعريب رمل. و من الناس من ينسب هذا الشعر إلى كثير، و هو خطأ من قائله.

أنشدني هذه الأبيات عمّي قال: أنشدني هارون بن عليّ بن يحيى، و أنشدنيها عليّ بن هارون عن أبيه عن جدّه عن إسحاق أنه أنشده لأعرابيّ فقال:

صوت

ألا قاتل الله الحمامة غدوة # على الغصن ما ذا هيّجت حين غنّت
تغنّت بصوت أعجميّ فهيجت [2] # من الشوق ما كانت ضلوعي أجنت
غنّي في هذين البيتين عمرو بن بانه ثاني ثقيل بالوسطى.
فلو قطرت عين امرئ من صباية # دما قطرت عيني دما فألمّت
فما سكنت [3] حتى أويت لصوتها # و قلت ترى هذي الحمامة جنّت
و لي زفرات لو يدمن قتلني # بشوق إلى نأي [4] التي قد تولّت
إذا قلت هذي زفرة اليوم [5] قد مضت # فمن لي بأخرى في غد قد أطلّت
فيا محيي الموتى أقدني من التي # بها نهلت نفسي سقاما و علّت
لقد بخلت حتى لو أتيت سألتها # قذى العين من سافي التراب لصنّت
فقلت ارحلا يا صاحبيّ فليتنني # أرى كلّ نفس أعطيت ما تمّت
[1] كذا في ب، س، ح. و في سائر الأصول: «فغنى» .

[2] كذا في حـ و فيما سيأتي (ج 8 ص 166 طبع بولاق) . و في سائر الأصول هنا: «فهاجني» . و قد وردت ثلاثة أبيات من هذه الأبيات في «أمالي القالي» (ج 1 ص 131 طبع دار الكتب المصرية) مع اختلاف في بعض الكلمات.

[3] كذا فيما سيأتي. و في الأصول هنا: «سكنت» بالنون.

[4] فيما سيأتي: «نادى» .

[5] كذا فيما سيأتي. و في الأصول هنا: «زفرة الموت» ، و هو مما يأباه سياق البيت.

حلفت لها بالله ما أمم [1] واحد # إذا ذكرته آخر الليل حنت
و ما وجد أعرابية قذفت بها # صروف التوى من حيث لم تك طنت
إذا ذكرت ماء العضاه [2] و طيبه # و برد الحمى من بطن خبت [3] أرنت
بأكثر مني لوعة غير أنني # أجمجم [4] أحشائي على ما أجنت

و أما لحن إسحاق فإنه عني في:

لقد بخلت حتى لو أتيت سألتها

و أضاف إليه شيئاً آخر و ليس من ذلك الشعر، و هو: فإن بخلت
فالبخل منها سجيّة # و إن بذلت أعطت قليلاً و أكدت [5]
قال: و لحنه ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى.

**كاده مخارق عند الواثق فغضب عليه و لما عرف الحق من أمره
رضي عنه:**

أخبرني الحسن بن عليّ و محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا يزيد بن
محمد المهلبيّ، و حدّثني به عمّي عن أبي جعفر بن دهقانة النّديم عن أبيه
قال: كان الواثق إذا صنع صوتاً قال لإسحاق: هذا وقع إلينا البارحة فاسمعه،
فكان ربّما أصلح فيه الشيء بعد الشيء. فكاده مخارق عنده و قال له: إنما
يستجيد صنعتك إذا حضر ليقاربك و يستخرج ما عندك، فإذا فارق حضرتك
قال في صنعتك غير ما تسمع؛ قال الواثق: فأنا أحب أن أقف على ذلك؛
فقال له مخارق: فأنا أغنيه «أيا منشئ/الموتى» فإنه لم يعلم أنه لك و لا
سمعه من أحد؛ قال: فافعل. فلمّا دخل إسحاق غناه مخارق و تعمّد لأن
يفسده بجهده، و فعل ذلك في مواضع خفيّة لم يعلمها الواثق من قسمته؛
فلمّا غناه قال له الواثق: كيف ترى هذا الصوت؟ قال له: فاسد غير مرضيّ؛
فأمر به فسحب من المجلس حتى أخرج عنه، و أمر بنفيه إلى بغداد. ثم
جرى ذكره يوماً. فقالت له فريدة: يا أمير المؤمنين، إنما كاده مخارق
فأفسد عليه الصوت من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نغماً و جودة، و
إسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سرّه، و يفهم من
غامض علل الصنعة ما لا يفهمه غيره؛ فليحضره أمير المؤمنين و يحلفه
بغليظ الأيمان أن يصدقه عما يسمع، /و أغنيّه إياه حتى يقف على حقيقة
الصوت؛ فإن كان فاسداً فصدق عنه لم يكن عليه عتب، و وافقناه عليه حتى
يستوي، فليس يجوز أن نتركه [6] [1] كذا في أ، ع، م و نسخة الأستاذ

الشنقيطي مصححة بخطه و فيما سيأتي (ج 8 ص 166 طبع بولاق) . و في سائر الأصول: «يا أم واحد» ، و هو تحريف.

[2]العضاه: ضرب من الشجر له شوك.

[3]الخبث: الوادي العميق الوطيء يثبت ضروب العضاه، و قيل: ما اطمأن من الأرض و اتسع، و هو أيضا علم لصحراء بين مكة و المدينة يقال لها خبت الجميش. و أرنت المرأة في نوحها: صاحت مع البكاء، و قيل: الإرنان: الصيحة الشديدة و الصوت الحزين عند البكاء.

[4]يقال: جمجم شيئا في صدره إذا أخفاه و لم ييده. يريد أنه طوى أحشاه على ما أجنته و جعلها غطاء له.

[5]أكدت: قللت عطاءها و منعتها، و في التنزيل العزيز: **وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى .**

[6]في الأصول: «... أن يتركه...» بالياء المثناة من تحت بدل النون، و التصويب عن «مختار الأغاني» .

فاسدا إذا كان فيه فساد؛ و إن كان صحيحا قال فيه ما عنده؛ فأمر بالكتاب[1] بحمله فحمل و أحضر، فأظهر الرضا عنه و لزمه أيّاما؛ ثم أحلفه ليصدقنّ عما يمرّ في مجلسه فحلف له. ثم غنّى الوائق أصواتا يسأله عنها أجمع فيخبر فيها بما عنده؛ ثم غنّته فريدة هذا الصوت و سأله الوائق عنه، فرضيه و استجاده، و قال له: ليس على هذا سمعته في المرّة الأولى، و أبان عن المواضع الفاسدة و أخبر بإفساد مخارق إياها؛ فسكن غضبه و وصل إسحاق و تنكّر لمخارق مدّة.

قصة له مع الوائق بشأن الغناء و الألحان:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق الموصليّ:

/أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ، و قد كان تكلم له في حاجة فقضيت، فقال له: أعطاك الله أيها الأمير ما لم تحط به أمنيّة و لا تبلغه رغبة. قال: فاشتهدى هذا الكلام و استعاده منّي فأعدته. ثم مكثنا ما شاء الله، و أرسل الوائق إلى محمد[2] ابن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أغنّي فيه، و هو:

لقد بخلت حتى لو أتى سألتها

فغنّيته إيّاه، فأمر لي بمائة ألف درهم. فخرجت و أقمت ما شاء الله ليس أحد من مغنّيهم يقدر أن يأخذ هذا الغناء منّي. فلما طال مقامي قلت له: يا أمير المؤمنين، ليس أحد من هؤلاء المغنّين يقدر أن يأخذ هذا الصوت منّي؛ فقال لي: و لم؟ وبحك! فقلت: لأنني لا أصحّحه و لا تسخو نفسي به لهم؛ فما فعلت الجارية التي أخذتها منّي؟ (يعني شجا، و هي التي كان أهداها إلى الوائق و عمل محرّداً أغانيها و جنّسه و نسبه إلى شعرائه و مغنّيه، و هو الذي في أيدي الناس إلى اليوم)؛ فقال: و كيف؟ قال: لأنها تأخذه منّي و يأخذه هم منها؛ فأمر بها فأخرجت و أخذته على المكان؛ فأمر لي بمائة ألف درهم و أذن لي في الانصراف؛ و كان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضرا، فقلت للوايق عند وداعي له: أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تحط به أمنيّة و لم تبلغه رغبة؛ فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي: أي إسحاق أ تعيد الدعاء! فقلت: إي و الله أعيده قاض أنا أو مغنّ. و قدمت بغداد، فلما وافى إسحاق جئته مسلما عليه؛ فقال لي: وبحك يا إسحاق! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده؟ قلت:

لا أيها الأمير؛ قال قال لي: ويحك! كُتِّبَ أغنى/الناس عن أن نبعث إسحاق عليّ لحنا حتى أفسده علينا. قال عليّ بن يحيى: فحدّثني إسحاق قال: استأذنت الواثق عدّة دفعات في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي، فصنعت لحنا في:

خليليّ عوجاً من صدور الرّواحل

ثم غنّيته الواثق فاستحسنه و عجب من صحّة قسمته و مكث صوته أيّاماً، ثم قال لي: يا إسحاق، قد صنعت [1] في الأصول: «فأمر بالكتاب بحمله فحمله و أحضر...» و عبارة «مختار الأغاني»: «فأمر بحمله فحمل و أظهر له الرضا عنه...» .

[2] هو محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق أخو إسحاق بن إبراهيم الطاهري، كان من القوّاد الكبار في أيام المعتصم و الواثق و المتوكل، قتل في خلافة المتوكل سنة 236 هـ (راجع الطبري ص 1290-1292، 1298-1300، 1404-1406 من القسم الثالث) .

لحنا في صوتك في إيقاعه و طريقته، و أمر من وراء
الستارة[1] فغنوه؛ فقلت: قد و الله يا أمير المؤمنين بغضت إليّ لحني و
سمّجته عندي؛ و قد كنت استأذنته في الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لي؛ فلمّا
صنع هذا اللحن و قلت له ما قلت، أتبعته بأن قلت له: قد و الله يا أمير
المؤمنين اقتصصت منّي في «لقد/بخلت» و زدت؛ فأذن لي بعد ذلك.

نسبة هذا الصوت صوت

خليليّ عوجا من صدور الرّواحل # بجرعاء[2] حزوى فابكيا في المنازل

لعلّ انحدار الدّمع يعقب راحة # من الوجد أو يشفي نجّي البلابل[3]

الشعر لذي الرّمّة، و الغناء لإسحاق رمل بالوسطى في البيتين. و
للواثق في البيت الثاني وحده رمل بالبصر.

تأسى ابن عياش بشعر ذي الرمة في البكاء عند المصائب:

أخبرني أحمد بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نعيم قال حدّثني كثير بن
أبي جعفر الحزاميّ[4] الكوفيّ عن أحمد بن جوّاس الحنفيّ عن أبي بكر بن
عياش قال: كنت إذا أصابتنى المصيبة تصبّرت و أمسكت عن البكاء، فأجد
ذلك يشتدّ عليّ، حتّى مررت ذات يوم بالكناسة[5]، فإذا أنا بأعرابيّ واقف
على ناقة له و هو ينشد: خليليّ عوجا من صدور الرّواحل # بجرعاء حزوى
فابكيا في المنازل

لعلّ انحدار الدّمع يعقب راحة # من الوجد أو يشفي نجّي البلابل

فسألت عنه فقيل لي: هذا ذو الرّمّة؛ فكنت بعد إذا أصابتنى مصيبة
بكيت فأجد لذلك راحة؛ فقلت: قاتل الله الأعرابيّ! ما كان أعلمه و أفصح
لهجته!.

سئل أيهما أجود لحنك أم لحن الواثق فأجاب:

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه قال:

قلت لإسحاق: أيّما أجود، لحنك في «خليليّ عوجا» أم[6] لحن الواثق؟
فقال: لحنى أجود قسمة و أكثر عملا، و لحنه أطرب، لأنه جعل ردّته من
نفس قسمته، و ليس يقدر على أدائه إلا متمكن من نفسه. قال عليّ بن
[1] راجع أحوال خلفاء بني أمية و الدولة العباسية في الشرب و اللهو و

احتجابهم عن الندماء و المغنين بالستارة في كتاب «التاج في أخلاق الملوك» للجاحظ (ص 31-45 طبع المطبعة الأميرية) .

[2]الجرعاء: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل، و قيل: هي الرملة السهلة المستوية. و حزوى (بضم أوله و سكون ثانيه مقصورا) : موضع بنجد في ديار تميم، و قال الأزهري: جبل من جبال الدهناء. و في «ديوانه» طبع أوروبا و «معجم ياقوت» : «جمهور حزوي» . و الجمهور: الرملة العظيمة المشرفة على ما حولها.

[3]البلابل: الهموم في الصدور.

[4]في جـ: «الحرامي» بالراء المهملة.

[5]الكناسة (بضم الكاف) : محلة بالكوفة.

[6]في الأصول: «أو» ، و السياق يقتضي «أم» . -

يحيى: فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق. قال و قال لي إسحاق: ما كان بحضرة الواثق أعلم منه بالغناء.

فضل ابن المعتز لحنا للواثق على لحنه:

أخبرني عليّ بن هارون قال:

كان عبد الله بن المعتزّ يحلف أنّ الواثق ظلم نفسه في تقديمه لحن إسحاق في «لقد بخلت». قال: و من الدليل على ذلك أنه قلما غنّي في صوت واحد بلحنين/فسقط أجودهما و شهر الدّون، و لا يشهر من اللحنين إلا أجودهما، و لحن الواثق أشهرهما، و ما يروي لحن إسحاق إلا العجائز و من كثرت روايته.

كان الواثق يعرض عليه صنعه فيصلح فيها:

حدّثني جحظة عن ابن المكيّ المرتجل عن أبيه أحمد بن يحيى قال: كان الواثق يعرض صنعه على إسحاق فيصلح فيها الشيء بعد الشيء.

آخر صوت صنعه:

أخبرنا حسين[1] بن يحيى عن حمّاد:

أنّ آخر صوت صنعه أبوه: «لقد بخلت»، ثم ما صنع شيئاً حتى مات.

غنى للمعتصم بشعر أبي القنافة فأجازهما:

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدّثني إسحاق قال: دخل أعرابيّ من بني سليم سرّ من رأى-و كان يكنى أبا القنافة-فحضر باب المعتصم مع الشعراء فأذن له؛ فلما مثل بين يديه أنشده: مراض العيون خماص البطون # طوال المتون قصار الخطا

عتاق[2] اللّحور قاق الثغور # لطاف الخصور خدال[3] الشّوى

عطابيل[4] من كلّ رقراقة[5] # تلوث الإزار بدعص[6] التّقا

/إذا هنّ مئينا نائلا # أبى البخل منهنّ ذاك المنى

إلى الثّغر البيض أهل البطاح # و أهل السّماح طلبنا النّدى

[1] في الأصول: «حسن بن يحيى»، و هو تحريف.

[2] عتاق النحور: جميلاتها.

[3] خدال: جمع خدلة و هي من النساء: الغليظة الساق المستديرتها. و

الشوى: الأطراف.

[4]عطابيل: جمع عطبولة و عطبول و هي الجارية الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق. قال ابن بري: و لا يقال: رجل عطبول إنما يقال: رجل أجيد، إذا كان طويل العنق.

[5]جارية رقراقة: كأن الماء يجري في وجهها.

[6]الدعص: كثيب الرمل المجتمع.

/

لهم سطوات إذا هيجوا # و حلم إذا الجهل حلّ الحبا[1]
 يبين لك الخير في أوجه # لهم كالمصايح تجلو الدّجى
 سعى الناس كي يدركوا فضلهم # فقصر عن سعيهم من سعى
 سعى للخلافة فاقتادها # و برز في السبق لما جرى

قال: فاستحسنها المعتصم و أمرني فغثيت فيها، و أمر للأعرابي
 بعشرين ألف درهم و لي بثلاثين ألف درهم؛ و ما خرج الناس يومئذ إلا بهذه
 الأبيات.

طلب من علي بن هشام نبذا فأرسله إليه:

حدّثني عمّي قال حدّثني فضل اليزيديّ عن إسحاق قال: كتبت إلى
 عليّ بن هشام أطلب منه نبذا، فبعث إليّ جمان[2] بما التمس، و كتب
 إليّ: قد بعثت إليك بشراب أصلب من الصّخر، و أعتق من الدهر، و أصفى
 من القطر.

تخلف عن عبد الله بن طاهر فكلف لميس أن تسرق لحنا له و

تذيعه:

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ عن أحمد المكيّ قال:
 لما صنع إسحاق لحنه في الرّمل:

أ ماويّ[3] إنّ المال غاد و رائح # و يبقى من المال الأحاديث و الذّكر

و قد علم الأقوام لو أنّ حاتما # يريد ثراء المال كان له وفر

/و هو رمل نادر، ابتداءؤه صياح، ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه
 على سجحة، و كان كثير الملازمة لعبد الله بن طاهر، ثم تخلف عنه مدّة و
 ذلك في أيام المأمون؛ فقال عبد الله للميس جاريتته: خذي لحن إسحاق في:
 أ ماويّ إنّ المال غاد و رائح

فاخلعيه عليّ:

و هبت شمال آخر الليل قرّة[4] # و لا ثوب إلا بردها و ردائيا

و ألقيه على كلّ جارية تعلّمينها و اشهره و ألقه على من يجيده من
 جوارى زبيدة، و قولني: أخذته من بعض عجائز المدينة؛ ففعلت، و شاع أمره
 حتّى غثي به بين يدي المأمون؛ فقال المأمون للجارية: ممّن أخذت هذا؟

فقلت: من دار عبد الله بن طاهر من لميس جاريتة، و أخبرتني أنها أخذته من بعض عجائز المدينة. فقال المأمون [1]الحبا: جمع حبة (بضم الأوّل و كسره في المفرد و الجمع) ، و هي الثوب الذي يحتبى به. و الاحتباء: ضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما. و يكنى بحل الحبا عن القيام كما يكنى بعقدها عن القعود. يريد: أن للممدوحين حلما إذا استفز الجهل أهل الجهل غضبا و طيشا.

[2]لعله يريد بجمان هذا: قهرمانا أو وكيلا لعلي بن هشام، و قد سقطت هذه الكلمة في جـ.

[3]الشعر لحاتم الطائي، يخاطب ماوية بنت عفزر و قد خطبها حاتم إلى أهلها، و له في ذلك معها حديث طويل. (انظر كتاب «الشعر و الشعراء» ص 126 طبع أوروبا، و «الأغاني» ج 16 ص 105 طبع بولاق) .

[4]قرة: باردة.

لإسحاق: ويلك! قد صرت تسرق الغناء و تدّعيه، اسمع هذا الصوت؛ فسمعه فقال: هذا و حياتك لحني، و قد وقع عليّ فيه نقب من لصّ حاذق، و أنا أغوص عليه حتّى أعرّفه؛ ثم بكرّ إلى عبد الله بن طاهر فقال: أ هذا حقّي و حرمتي و خدمتي! تأخذ لميس لحني في: أ ماويّ أنّ المال غاد و رائح

فتعنيّ في: «و هبتّ شمال»! و ليس بي ذلك، و لكن بي أنّها فضحتني عند الخليفة و ادّعت أنّها أخذته من بعض عجائز المدينة؛ فضحك عبد الله و قال: لو كنت تكثر عندنا كما كنت تفعل لم تقدم عليك لميس و لا غيرها؛ فاعتذر فقبل عذره، و قال له: أيّ شيء تريد؟ قال: أريد أن تكذبّ نفسها عند من ألقته عليها حتى/يعلم الخليفة بذلك؛ قال: أ فعل؛ و مضى إسحاق إلى المأمون و أخبره القصة؛ فاستكشفها من لميس حتى وقف عليها، و جعل يعبث بإسحاق بذلك مدّة.

غنى محمدا الأمين في شعر له فيه فأجازه:

حدّثني لحظة قال حدّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال/حدّثني شهوات[1] الصنّاجة التي كان إسحاق أهداها إلى الواثق: أن محمدا الأمين لمّا غنّاه إسحاق لحنه الذي صنعه في شعره و هو الثقيل الأوّل:

صوت

يا أيّها القائم الأمين فدت # نفسك نفسي بالمال و الولد

بسطت للنّاس إذ وليتهم # يدا من الجود فوق كلّ يد

فأمر له بألف ألف درهم؛ فرأيتها قد وصلت إلى داره يحملها مائة فرّاش.

سأله الواثق، و هو يغنيه شعرا، عن أحسن ما فيه أعجب بجوابه و أجازه:

حدّثني لحظة و محمد بن خلف بن المرزبان قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: غنّيت الواثق:

صوت

عفا طرف القرية فالكتيب # إلى ملحاء ليس بها عريب[2]

تأبّد رسمها و جرى عليها # سوافي الريح و التّربّ العريب

- و لحنه ثقيل ثان-قال: فقال لي: يا إسحاق، قد أحسن ابن هرمة في البيتين، فأيّ شيء هو أحسن فيهما من جميعهما؟ قال قلت: قوله: «التربّ

الغريب» ، يريد أنّ الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب
جاءت به من موضع بعيد؛ فقال: صدقت و أحسنت؛ و أمر لي بخمسين ألف
درهم.

[1] في «مختار الأغاني» (ص 159) : «شهور» بالراء المهملة.
[2] تقدّم هذا الشعر في ص 214 من هذا الجزء مع التعليقات عليه
فراجع.

أمر ابن المدبر مغنيا أن يزيد بيتا على لحن له:
 حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسن بن
 الحرون قال:

كنا يوما عند أحمد بن المدبر، فغناهُ مغنّ كان عنده لحن إسحاق:

صوت

فأصبحت كالحومان[1] ينظر حسرة # إلى الماء عطشانا و قد منع الورد

و قال ابن المدبر: زد فيه:

و أمسيت كالمسلوب مهجة نفسه # يرى الموت في صدّ الحبيب إذا صدّا

لحن إسحاق في هذا البيت من الثقل الأول بإطلاق الوتر في مجرى
 البنصر.

أنشد مروان بن أبي حفصة شعرا له فأدهشه:

حدّثني الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد الأزديّ قال حدّثني شيخ من
 ولد المهلب قال: دخل مروان بن أبي حفصة يوما على إبراهيم الموصليّ،
 فجعلا يتحدّثان إلى أن أنشد إسحاق بن إبراهيم مروان بن أبي حفصة
 لنفسه: إذا مضر الحمراء[2] كانت أرومتي # و قام بنصري خازم و ابن
 خازم[3]

عطست بأنف شامخ و تناولت # يداي الثريا قاعدا غير قائم

/قال: و جعل إبراهيم يحدّث مروان و هو عنه ساه مشغول، فقال له:
 مالك لا تجيبني؟ قال: إنك و الله لا تدري ما أفرغ ابنك هذا في أذني.

طرب لشعر أعرابي و سكر حتى انصرف محمولا:

حدّثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني الحرميّ بن أبي العلاء قال
 حدّثني موسى بن هارون عن يعقوب بن بشر قال: كنت مع إسحاق
 في نزهة، فمرّ بنا أعرابيّ، فوجّه إسحاق خلفه بغلامه زياد الذي

فقيل لهذا: مضر الحمراء و لذاك ربيعة الفرس. و يقال: لأنه كان شعار مضر في الحرب العمائم و الرايات الحمراء. (راجع «لسان العرب» مادة «مضر»)

[3]تقدّم هذان البيتان في أوّل ترجمة إسحاق (ص 278 من هذا الجزء) برواية البيت الأوّل هكذا: إذا كانت الأحرار أصلي و منصبي # و دافع ضيمي...

إلخ و هي الرواية التي تتفق مع الواقع، إذ إسحاق الموصلي لم تكن أرومته مضر الحمراء بل كان أصله فارسياً. و ورد في بعض الأصول هنا: «حازم و ابن حازم» بالحاء المهملة، و هو تصحيف.

[4]هذه الأمر: بلغ منه و أعياه.

قال: فوافانا الأعرابي، فلما شرب و سمع حنين الدّوايب قال:

صوت

بكرت تحنّ و ما بها وجدّي # و أحنّ من وجد إلى نجد
فدموعها تحيا الرّياض بها # و دموع عيني أقرحت خدّي
و بساكني نجد كلفت و ما # يغني لهم كلفي و لا وجدّي
لو قيس وجد العاشقين إلى # وجدّي ل زاد عليه ما عندي

قال: فما انصرف إسحاق إلى بيته إلاّ محمولا سكرًا، و ما شرب إلاّ على هذه الأبيات.

و الغناء فيها لإسحاق هزج بالبنصر.

قصته مع الفضل بن الربيع بشأن البساط:

أخبرني محمد بن مزيد و الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه، و أخبرني به الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله عن إسحاق قال: /دخلت على الفضل بن الربيع و هو على بساط سوسنجرديّ^[1]ستيني مذهب يلمع عليه مكتوب: «مما أمر بصنعه حمّاد عجرد»؛ فقال لي: أ تدري من حمّاد عجرد؟ قلت: لا؛ قال: حمّاد عجرد كان والي تلك الناحية؛ أ فرأيت مثله قط؟ قلت: لا، فسكت؛ ثم قلت: أ هكذا يفعل الناس؟ قال: أيّ شيء يفعلونه؟ قلت: تهبه لي؛ قال: لا أفعل؛ قلت: إذا أغضب؛ قال: ما شئت افعل؛ فخرجت متغاضبا؛ فلما وافيت منزلي إذا برسوله قد لحقني بالبساط؛ فكتبت إليه بيتين لحمزة بن مضر: و لقد عددت فلست أحصي كلّ ما # قد نلت منك من المتاع المونق

بخديعتي فأراك منخدعا لها # و فكاهتي و تعصّبي و تملّقي

-قال ابن أبي سعد في خبره: -فلما دخلت عليه ضحك و قال لي: البيتان خير من البساط، فالفضل الآن لك علينا.

رأه ابن بانة يناظر إبراهيم بن المهدي فلم يفهم ما يقولان:

أخبرني يحيى بن عليّ و أحمد بن جعفر جحظة عن أبي العيبس بن حمدون عن عمرو بن بانة قال: رأيت إبراهيم بن المهديّ يناظر إسحاق في الغناء، فتكلما بما فهماه و لم أفهم منه شيئا؛ فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه في قليل و لا كثير.

شعره في الواثق:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق قال:

قدمت عليّ الواثق في بعض قدماتي، فقال لي: أ ما اشتقت إليّ؟
فقلت: بلى و الله يا أمير المؤمنين، و أنشدته: [1] في أ، ء، م هكذا: «سوء
منجرد ستيني». و في سائر الأصول: «سوسنجرد» من غير ياء النسب. و
سوسنجرد: قرية من قرى بغداد.

/

أشكو إلى الله بعدي عن خليفته # و ما أعالج من سقم و من كبر
لا أستطيع رحيلًا إن هممت به # يوما إليه و لا أقوى على السفر
أنوي الرحيل إليه ثم يمنعني # ما أحدث الدهر و الأيام في بصري
قال: [و][1] قال و قد أشخصه إليه قصيدته الدالية:

صوت

صنّت سعاد غداة البين بالزاد # و أخلفتك فما توفي بميعاد
ما أنس لا أنس منها إذ توّدعنا # و الحزن منها و إن لم تبده بادي
لإسحاق في هذين البيتين رمل بالوسطى، يقول فيها:
لما أمرت بأشخاصي إليك هفا # قلبي حنينا إلى أهلي و أولادي
/ثم اعتزمت و لم أحفل بينهم # و طابت النفس عن فضل و حمّاد
كم نعمة لأبيك الخير أفرديني # بها و عمّ بأخرى بعد أفراد
فلو شكرت أياديكم و أنعمكم # لما أحاط بها وصفي و تعدادي
لأشكرتكم ما ناح الحمام و ما # حدا على الصبح في إثر الدّجى حادي

قال عليّ بن يحيى: قال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، لو قال
الخليفة لإسحاق: أحضرني فضلا و حمّادا أ ليس كان قد افتضح من دمامة
خلقهما و تخلف شاهدهما.

كتب إليه ابن المهدي بأسف لفقدان من يحكم بينهما:
حدّثني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال:

كتب أبي إلى إسحاق في شيء خالفه فيه من التّجزئة و القسمة: «إلى
من أحاكمك و الناس بيننا حمير!» .

قصة ذهابه إلى تل عزاز حين خرج مع الرشيد:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا سليمان بن أيّوب قال حدّثني
محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ قال حدّثنا إسحاق قال: كنت مع
الرشيد حين خرج إلى الرّقة، فدخل يوما إلى النساء، و خرجت فمضيت إلى
تلّ عزاز[2]، فنزلت عند خمّارة هناك فسقتني شرابا لم أر مثله حسنا و
طيبا و طيب رائحة في بيت مرشوش و ربحان غصّ، و برزت بنت لها كأنّها
خوط[3]بان أو جدل عنان، لم أر أحسن منها قدّا، و لا أسيل خدّا، و لا أعتق

وجها، و لا أبرع طرفا، و لا أفتن طرفا، و لا أحسن كلاما، و لا أتمّ تماما؛
فأقمت عندها ثلاثا و الرشيد يطلبني فلا يقدر عليّ؛ ثم انصرفت فذهبت بي
[1]الزيادة عن أ، ء، م.

[2]عزاز: ذكره ياقوت في «معجمة» فقال: «ذكر أبو الفرج الأصبهاني
في كتاب «الديرة»: أن عزاز بالرقعة، و أنشد عليه لإسحاق الموصلي...» .
ثم ساق ياقوت بعد ذلك البيتين الأولين من الأربعة الأبيات التالية.
[3]الخوط: الغصن الناعم. و الجدل: الحبل المفتول.

رساله، فدخلت عليه و هو غضبان؛ فلما رأته خطرت في مشيتي و رقصت، و كانت في فضلة من السكر، و غنيت:

صوت

إنّ قلبي بالثلّ تلّ عزاز # عند طبي من الطّباء الجوازي [1]
شادن يسكن الشّام و فيه # مع دلّ العراق طرف الحجاز
يا لقومي لبنت قسّ أصابت # منك صفو الهوى و ليست تجازي
حلفت بالمسيح أن تنجز الوء # د و ليست تجود بالإنجاز

-الغناء لإسحاق خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانه-قال إسحاق:
فسكن غضبه، ثم قال لي: أين كنت؟ فأخبرته؛ فضحك و قال: إنّ مثل هذا
إذا اتفق/لطيب، أعد غناءك، فأعدته، فأعجب به، و أمرني أن أعيده ليلة من
أولها إلى آخرها؛ و أخذها [2]المغنون مني جميعا و شربنا إلى طلوع الفجر،
ثم انصرفنا فصليت الصبح و نمت؛ فما استقرنا حتى أتى إليّ رسول
الرشيد فأمرني بالحضور، فركبت و مضيت؛ فلما دخلت وجدت ابن جامع قد
طرح نفسه يتمرغ على دكان [3]في الدار لغلبة السكر عليه، ثم قال: أ تدري
لم دعينا؟ فقلت: لا و الله؛ قال: لكنني أدري، دعينا بسبب نصرانيتك الزانية،
عليك و عليها لعنة الله؛ فضحكت. فلما دخلت على الرشيد أخبرته بالقصة،
فضحك و قال: صدق، عودوا فيه فأني اشتقت إلى ما كنا فيه لما
فارقتموني؛ فعدنا فيه يومنا كله حتى انصرفنا.

شعره إلى المأمون حين وجد عليه لما ترك الغناء:

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال:

كان إسحاق قد أظهر التوبة و غير زيّه و اجتجر [4]من حضور دار/
السلطان. فبلغه أنّ المأمون وجد عليه من ذلك و تنكّر؛ فكتب إسحاق إليه و
غنّى فيه بعد ذلك:

صوت

يا ابن عمّ النبيّ سمعا و طاعة # قد خلعنا الرّداء و الدّزاعة
و رجعنا إلى الصّناعة لما # كان سخط الإمام ترك الصّناعة

الغناء لإسحاق رمل بالبصر عن عمرو-و قد ذكر الغلابيّ أن هذا الشعر
لأبي العتاهية، قاله لما حبسه الرشيد و أمره بأن يقول الشعر-و ذكر حبش
أن هذا اللحن لإبراهيم.

تفصيل لحنين له على لحنى ابن سريج و معبد:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال:

[1]الجوازي (أصله بالهمز) : جمع جازئة، و هي من الطباء التي استغنت بالرطب (الرعي الأخضر من البقل و الشجر) عن الماء.

[2]كذا في جميع الأصول، و لعله: «و أخذه» أي الغناء.

[3]الدكان: مقعد يدك و يجلس عليه و هو يشبه ما يسمى بالمصطبة

الآن.

[4]احتجر: امتنع. و في ء: «احتجز» بالزاي المعجمة، و معناه امتنع

أيضا.

قال لي محمد بن الحسن بن مصعب، و كان بصيرا بالغناء و النغم: لحن إسحاق في «تشكى الكميت الجري» أحسن من لحن ابن سريج، و لحنه في «يوم تبدى لنا قتيلة» أحسن من لحن معبد، و ذلك من أجود صنعة معبد.

قال: فأخبرت إسحاق بقوله، فقال: قد و الله أخذت بزمامي راحليهما و زعزعتهما[1] و أنخت بهما فما بلغتهما.

فأخبرت بذلك محمد بن الحسن؛ فقال: هو و الله يعلم أنه برز عليهما، و لكنه لا يدع تعصبه للقدماء.

و أخبرني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق:

أن رجلا سأل أباه فقال له: إن الناس قد كثروا في صوتيك: «تشكى الكميت الجري» و «يوم تبدى لنا قتيلة»، و قالوا: إنهما أجود من لحنى ابن سريج و معبد؛ قال أبي: ويحك! رميت في هذين الصوتين بمعبد و ابن سريج و هما هما، فقربت و وقع القياس بيني و بينهما، و على ذلك فقد و الله أخذت بزمامي راحليهما و انتصفت منهما.

تحليل غنائه:

قرأت في بعض الكتب أن محمد بن الحسن-أظنه ابن مصعب-ذكر إسحاق الموصلي فقال: كانت صنعته محكمة الأصول، و نغمته عجيبة الترتيب، و فسمته معدلة الأوزان، و كان يتصرف في جميع بسط الإيقاعات، فأبى بساط منها أراد أن يتغنى فيه صوتا قصد أقوى صوت جاء في ذلك البساط لحدائق القدماء فعارضه: و قد كان يذهب مذهب الأوائل، و يسلك سبيلهم، و يقتحم طرقهم؛ فبيني على الرسم فيصنعه، /و يحتذى على المثال فيحكيه[2]، فتأتي صنعته قوية وثيقة يجمع فيها حالتين: القوة في الطبع و سهولة المسلك، و خنثا بين كثرة النغم و ترتيبها في الصياح و الإسجاج؛ فهي بصنعة الأوائل أشبه منها بصنعة المتوسطين من الطبقات؛ فأما المتأخرون فأحسن أحوالهم أن يرووها فيردوها. و كان حسن الطبع في صياحه، حسن التلطف، لتنزيله[3] من الصياح إلى الإسجاج على ترتيب بنغم يشاكله، حتى تعتدل و تترن أعجاز الشعر في القسمة بصدوره. و كذلك أصواته كلها، و أكثرها يتدئ الصوت فيصيح فيه-و ذلك مذهبه في جل غنائه؛ حتى كان كثير من المغنين يلقبونه الملسوع؛ لأنه يبدأ بالصياح في أحسن نغمة فتح بها أحد فاه-ثم يردد نغمته فيرجحها ترجيحا و ينزلها تنزيلا حتى يحطها من تلك الشدة

إلى ما يوازها من اللين، ثم يعود فيفعل مثل ذلك، فيخرج من شدّة إلى لين و من لين إلى شدّة؛ و هذا أشدّ ما يأتي في الغناء و أعزّ ما يعرف من الصنعة. قال يحيى بن عليّ بن يحيى و قد ذكر إسحاق في صدر كتابه الذي ألف في أخباره [و زاد في بعض ما صنعه] [4]: «و كان إسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء، و أنفذهم في جميع فنونه، و أضربهم بالعود و بأكثر آلات الغناء، و أجودهم صنعة، و قد تشبّه بالقديم و زاد في بعض ما صنعه عليه، و عارض ابن سريج و معبدا فانتصف منهما؛ و كان إبراهيم بن المهديّ ينازعه في هذه الصناعة و لم يبلغه فيها، و لم يكن بعد إسحاق مثله» .

[1] زعزعهما: ساقهما سوقا عنيفا.

[2] كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «فيحكمه» .

[3] لعله «لتنزله» . و التنزل: النزول في مهلة.

[4] كذا في أكثر الأصول. و في س: «و زاد في بعض ما صنعوا» . على أنه غير واضح وجه ارتباط هذه العبارة بما يتصل بها، فلعلها زبدت سهوا من النساخ.

تشبيهه لصوت له:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المدنيّ قال حدّثني إبراهيم بن عليّ بن هشام: /قال إسحاق و ذكر صوته:

صوت

كان افتتاح بلائي التّظّر # فالحين سبّب ذاك و القدر

قد كان باب الصّبر مفتحا # فاليوم أغلق بابه التّظّر

-الشعر و الغناء لإسحاق ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر. و فيه لأحمد بن المكيّ خفيف ثقيل، و لعريب ثاني ثقيل، جميعا عن الهشاميّ-قال إسحاق: ما شبّهت صوتي هذا إلا بإنسان أخذ الكرة على الطبطابة[1] و أهل الميدان جميعا خلفه، فلمّا بلغ أقصى ضربها أحجزها.

قصته مع يحيى بن معاذ و الأمين:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن يزيد المهلبيّ قال حدّثني إسحاق، و أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المدنيّ عن ابن المكيّ عن إسحاق قال: صنعت هذا الصوت في آخر أيام الرشيد و كان إذ ذاك يحيى بن معاذ يشرب النبيذ؛ فلمّا كان في أيام محمد غنّيته، فاشتهاه و اشتهر به، و بعث إلى يحيى بن معاذ و أنا أعنيّه: اسقني و ابن نهيك # و ابن يحيى بن معاذ

فلمّا حضر يحيى غنّيت:

فاسقني واسق نهيكاً # واسق يحيى بن معاذ

فبعث إليه محمد فأحضره[2] فقال: لتشربنّ أو لأعاقبتك؛ فلم يبرح حتى شرب قدحا، و غلّفه[3] و أمر له بمال، و سرّ بذلك محمد و وهب لي عليه مالا، و انصرفت إلى البيت؛ فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصرت إليه، فلم يزل يستحلفني ألا أعود في هذا الصوت قدّام محمد أبدا، و أمر لي من المال بشيء فلم أقبله، و لم أعد فيه.

نسبة هذا الصوت

صوت

شعر عليّ بن هشام الذي غنى فيه:

يومنا يوم رذاذ # و اصطباح و التذاذ

[1]الطبطابة: خشبة عريضة يلعب بها بالكرة.

[2] سياق الكلام يقتضي أن تكون العبارة بعد البيت: «فقال محمد: لتشربن... إلخ» . مع حذف الباقي، و لعله زيد سهوا.

[3] غلفه: طيبه بالطيب. و كان من أخلاق الملك تفردّه بالتطيب و التجميل و نحوهما و لا تشركه في ذلك بطانته و ندماءؤه. (راجع كتاب «التاج» للجاحظ طبع بولاق ص 46-49) .

أخبرنا محمد بن مزيد و الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، و أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال: /أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهرا لا يسمع حرفا من الأغاني، فكان أوّل من تغنّى بحضرته أبو عيسى بن الرشيدي، ثم واطب على السماع متسترا متشبّها في أوّل أمره بالرشيدي، فأقام كذلك أربع حجج، ثم ظهر إلى الندماء و المغنّين. و كان حين أحبّ السماع سأل عنيّ، فجرحت بحضرته، و قال الطاعن عليّ: ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة! قال المأمون: ما أبقى هذا من التيه شيئا إلا استعمله. فأمسك عن ذكرى، و جفاني من كان يصلني، لسوء رأيه الذي ظهر فيّ؛ فأضّر ذلك بي؛ حتى جاءني علويه يوما فقال لي: أ تاذن لي في ذكرك؟ فإنّا قد

دعينا اليوم؛ فقلت: لا! و لكن غنّه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك: لمن هذا؛ فإذا سألك انفتح لك ما تريد، و كان الجواب أسهل عليك من الابتداء؛ فقال: هات، فألقيت عليه لحنى في شعري:

صوت

يا سرحة[1] الماء قد سدّت موارده # أما إليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتى لا حيام[2] له # محلّا عن طريق الماء مطرود

-الغناء لإسحاق رمل بالوسطى عنه و عن عمرو-قال: فمضى علّويه، فلما استقرّ به المجلس، غنّاه بالشعر الذي أمرته؛ فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال: ويحك يا علّويه! لمن هذا؟ قال: يا سيّدي، لعبد من عبيدك جفوته و اطّرحته من غير جرم؛ فقال: أ إسحاق تعني؟ قال: نعم؛ قال: يحضر الساعة؛ فجاءني رسوله/فصرت إليه. فلما دخلت عليه قال: ادن فدنوت، فرفع يديه مادّهما، فانكبت عليه، و احتضنني بيديه، و أظهر من برّي و إكرامي ما لو أظهره صديق مؤانس لصديقه لبرّه.

غنى المعتضد بشعر له فمدحه:

أخبرني محمد بن إبراهيم الجرجاني قريض قال: قال لي أحمد بن أبي العلاء: غنّيت المعتضد يوما و هو أمير صوت إسحاق:

يا سرحة الماء قد سدّت موارده # أما إليك طريق غير مسدود

فطرب و استعاده مرارا، و قال: هذا و الله الغناء الذي يخالط الرّوح و يمازج اللحم و الدم.

صوته في شعر له، كان الناس يتهادونه كالطرف:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو العبيس بن حمدون قال أخبرني أبي قال: لما غنّى إسحاق في شعره هذا:

صوت

لأسماء رسم عفا باللّوى # أقام رهينا لطول البلى

تعاوره الدهر في صرفه # بكرّ الجديد حتى عفا

-الشعر لإسحاق من قصيدة مدح بها الرشيد، و الغناء له ثاني ثقيل بالوسطى. و فيه لسليم ثقيل أوّل من رواية الهشاميّ، و ذكر حيثش أنه لإبراهيم بن المهديّ-قال: فكان الناس يتهادونه كما يتهادون الطرفة و

الباكورة. و قال أبو العبيس حدّثني ابن مخارق: أنّ الواثق بعث إلى أبيه مخارق لمّا صنع إسحاق هذا الصوت ليلقيه عليه، فصادفه عليلاً [1]سرحة الماء: كنى بها هنا عن المرأة، قال الأزهري: «العرب تكنى عن المرأة بالسرحة النابتة على الماء»، و استشهد بهذين البيتين.

و المحلاً: المطرود عن الماء، يقال: حلاه عن الماء: إذا طرده و منعه وروده.

[2]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «لا حوام له». و لم نجد الحوام مصدراً من مصادر حام. و في «اللسان» و «مختار الأغاني»: «لا حراك به».

-و لم يكن أحد يلقن عن إسحاق طرح الغناء كما يلقنه مخارق- فأعاد إليه الرسول و معه محقّة، و قال: لا بدّ أن يجيء على كلّ حال؛ فتحامل و صار إليه حتى أخذ الصوت عن إسحاق و رجع.

كان يحب الشجاعة و الفروسية و شعر أخيه فيه حين أصابه سهم:

و ذكر محمد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثة الباهليّ عن أخيه أبي معاوية: أنّ إسحاق كان يتجلى بالشجاعة و الفروسية و يحبّ أن ينسب إليهما، و يركب الخيل و يتعلم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول. و كان قد شهد بعض مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكص على عقبه؛ فقال أخوه طيّاب فيه: و أنت تكلفت ما لا تطيق # و قلت أنا الفارس الموصل

فلما أصابتك نشابة # رجعت إلى سنك [1]الأوّل

حديث حمزة الزيات معه:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال:

قال حمزة الزيات القارئ [2]: يا موصليّ، إنّ لي فيك رأيا، أ فترضى مع فهمك و أدبك و رأيك أن يكون عوضك من الآخرة فضل مطعم على مطعم!.

شعر الأصمعي أو ابن المنذر العروضي فيه:

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدني أبو سعيد السكّري قال أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ لعمّه يقول لإسحاق: أ إن تغنيت للشرب الكرام «أ لا # ردّ الخليط جمال الحيّ فانفروا»

و قيل أحسنت فاستدعاك ذاك إلى # ما قلت ويحك لا يذهب بك الخرق

و قيل أنت حسان الناس كلّهم # و ابن الحسان فقد قالوا و قد صدقوا

فما بهذا تقوم الناديات و لا # يثنى عليك إذا ما ضمك الخرق

قال يحيى بن عليّ: إنّ هذه الأبيات تروى لابن المنذر العروضيّ و للأصمعيّ.

فسد ما بينه و بين الأصمعي و سبب ذلك و نتائجه و شعره فيه:

قال مؤلف هذا الكتاب: كان إسحاق يأخذ عن الأصمعيّ و يكثر الرواية عنه، ثم فسد ما بينهما، فهجاه إسحاق و ثلّبه و كشف للرشيد معايبه، و أخبره بقلة شكره و بخله و ضعة نفسه و أنّ الصنّيع لا تزكو عنده، و وصف

له أبا عبيدة [1] كذا في الأصول. و لعله محرف عن: «إلى شأنك» و نحوه مما يستقيم به الكلام.

[2] يلاحظ أن حمزة الزيات القارئ (صاحب قراءة القرآن المعروفة) توفي سنة ست و خمسين و مائة في خلافة أبي جعفر المنصور بمدينة حلوان و هي في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل (كما في كتاب «الطبقات الكبير في الكوفيين» لابن سعد-ج 6 ص 268 طبع مدينة ليدن سنة 1325 هـ و «فهرست ابن النديم» ص 29 طبع أوروبا و «تاريخ ابن خلكان» ج 1 ص 235 طبع بولاق) و أن إسحاق الموصلي ولد سنة خمسين و مائة، فكيف يعقل أن يكون بينهما مثل هذا الحديث و إسحاق في هذه السن.

معمر بن المثنى بالثقة و الصدق و السماحة و العلم؛ و فعل مثل ذلك للفضل بن الربيع و استعان به؛ و لم يزل حتى وضع مرتبة الأصمعيّ و أسقطه عندهم، و أنفذوا إلى أبي عبيدة من أقدمه.

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أنشدت الفضل بن الربيع أبياتا كان الأصمعيّ أنشدنيها في صفة فرس: كأنه في الجلّ [1] و هو سامي # مشتمل [2] جاء من الحمّام

/يسور [3] بين الشرح و اللّجام # سور القطاميّ [4] إلى اليمام

قال: و دخل الأصمعيّ فسمعني أنشدها، فقال: هات بقيتها؛ فقلت له: أ لم تقل إنه لم يبق منها شيء؟ فقال: ما بقي منها إلا عيونها، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتا منها، فغاضني فعله؛ فلمّا خرج عرّفت الفضل بن الربيع قلة شكره لعارفة [5] و بخله بما عنده؛ و وصفت له فضل أبي عبيدة معمر بن المثنى و علمه و نزاهته و بذله لما عنده و اشتماله على جميع علوم العرب، و رغبته فيه، حتى أنفذ إليه مالا جليلا و استقدمه؛ فكنت سبب مجيئه به من البصرة.

أخبرني عمّي قال حدّثنا فضل اليزيديّ عن إسحاق قال:

/جاء عطاء الملك بجماعة من أهل البصرة إلى قريب أبي الأصمعيّ، و كان ندلا من الرجال، فوجده ملتقًا في كسائه نائما في الشمس، فركضه برجله و صاح به: يا قريب، قم و بك! فقال له: هل لقيت أحدا من أهل العلم قطّ أو من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من المحدّثين؟ قال: لا و الله؛ قال: و لا سمعت شيئا ترويه لنا أو تنشدناه أو نكتبه عنك؟ قال: لا و الله؛ فقال لمن حضر: هذا أبو الأصمعيّ، فاشهدوا لي عليه و على ما سمعتم منه، لا يقل لكم غدا أو بعده: حدّثني أبي أو أنشدني أبي؛ ففضحه. قال الفضل: ثم مرض الأصمعيّ، و كان الحال بينه و بين إسحاق الموصليّ انفرجت؛ فعاده أبو ربيعة، و كان يرغب في الأدب و يبّر أهله؛ فقال له الأصمعيّ: أقرضني خمسة آلاف درهم؛ فقال: أ فعل. فقال له أبو ربيعة: فأيّ شيء تشتهي سوى هذا؟ فقال: أشتهي أن تهدي إليّ فصّا حسنا و سيفا قاطعا و بردا [6] حسنا و سرجا محلي؛ فقال: أ فعل، و بعث بذلك إليه لمّا عاد إلى منزله. و بلغ ذلك إسحاق فقال: أ ليس من العجائب أنّ قردا # أصيمع باهليّا يستطيل

و يزعم أنه قد كان يفتي # أبا عمرو [7] و يسأله الخليل [8]

[1]الجل للدابة: كالثوب للإنسان تصان به. و قد وردت هذه الكلمة في ب، س: «الحل» بالحاء المهملة، و هو تصحيف.

[2]اشتمل الرجل: تلفف بثوبه و أداره على جسده كله.

[3]يسور: يثب و يثور.

[4]القطامي (بفتح أوّله و يضم) : الصقر.

[5]العارفة: المعروف.

[6]كذا في ح: و في سائر الأصول: «برذونا» . و الشعر الآتي يؤيد ما أثبتناه.

[7]هو أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة اللغة و الأدب، كان إمام أهل البصرة في القراءات و النحو و اللغة، أخذ عن جماعة من التابعين؛ قال أبو عبيدة: أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات و العربية و أيام العرب و الشعر؛ و كان من أشرف العرب و وجهائها، مدحه الفرزدق و وثقه يحيى بن معين و غيره. مات سنة أربع و قيل: سنة تسع و خمسين و مائة.

[8]هو الخليل بن أحمد اللغوي النحوي العروضي، الذي ابتدع علم العروض. مات سنة سبعين و مائة و قيل: سنة خمس و سبعين.

إذا ما قال قال أبي عجبنا # لما يأتي به و لما يقول
 و ما إن كان يدري ما دبير[1] # أبوه إن سألت و ما قبيل
 / و جلّله عطاء الملك عارا # تزول الراسيات و لا يزول
 نصحت أبا ربيعة فيه جهدي # و بعض النصح أحيانا ثقیل
 فقل لأبي ربيعة إذ عصاني # و جار به عن القصد السبيل
 لقد ضاعت برودك فاحتسبها[2] # و ضاع الفصّ و السيف الصقيل
 و سرح كان للبرذون زينا # له في إثره جزعا سهيل
 و أمّا الخمسة الآلاف فاعلم # بأنك غبنا لا تستقيل
 و أنّ قضاءها فتعزّ عنها # سيأتي دونه زمن طويل

أعجبتة وصيفة عند الواثق فأنشده شعرا للمرار و غناه فيه فوهبها له:

حدّثني محمد بن مزيد قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كنت جالسا بين يدي الواثق و هو وليّ عهد، إذ خرجت وصيفة من
 القصر كأنها خوط بان، أحسن من رأته عيني قط، تقدم عدّة وصائف بأيديهن
 المذاب[3] و المناديل و نحو ذلك، فنظرت إليها نظر/دهش و هو يرمقني.

فلما تبين إلحاح نظري قال: مالك يا أبا محمد قد انقطع كلامك و بانت
 الحيرة فيك! فتلجلجت؛ فقال لي: رمتك و الله هذه الوصيفة فأصابت قلبك!؛
 فقلت: غير ملوم؛ فضحك ثم قال: أنشدني في هذا المعنى؛ فأنشدته قول
 المرّار[4]: ألكني[5] إليها عمرك الله يا فتى # بآية ما قالت متى هو رائج

و آية ما قالت لهنّ عشية # و في السّتر حرّات الوجوه ملائح

/تخيّرن أرمالكّن فارمين رمية # أبا أسد إذ طرّحته[6] الطوارح

فلبّسن مسلاس الوشاح كأنها # مهاة لها طفل برمان راسح[7]

فقال له الواثق: أحسنت بحياتي و ظرفت، اصنع فيها لحنا؛ فإن جاء
 كما نريد و أطربنا فالوصيفة لك؛ فصنعت [1]يقال: فلان لا يعرف ما قبيله و
 ما دبيره: أي لا يعرف ما قدامه و ما خلفه.

[2] في أكثر الأصول: «فاحتسبها» بتقديم الباء على السين، و التصويب

عن ح.

[3] المذاب: جمع مذبة و هي ما يذب به كالمروحة.

[4] هو المرار بن سعيد الفقعسي و له ترجمة في الجزء التاسع من هذا الكتاب (ص 158 طبع بولاق) .

[5] ألكني إلى فلان: أبلغه عني و تحمل إليه رسالتي.

[6] صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته «طوّحته الطوائج» . و طوّحته الطوائج: قذفته القواذف و رمت به الحوادث، و لا يقال المطوّحات و هو من النوادر.

[7] قصر الرمان: بنواحي واسط القصب، و هي التي خربها الحجاج و سمي باسمها «واسط الحجاج» . و الراشح: الصغير إذا قوي و مشي مع أمه وسعى خلفها، و يقال لأمه: راشح أيضا و مرشح (من أرشح) و مرشح (من رشح بالتضعيف) .

فيه لحنا و غنّيته إِيّاه، فاصطبح عليه و شرب بقيّة يومه و ليلته حتى سكر، [و] [1] لم يقترح عليّ غيره، و انصرفت بالجارية.

غنى الوثائق و هو لقس النفس فأطربه:

حدّثني عمّي قال حدّثني فضل اليزيديّ عن إسحاق قال: دخلت على الوثائق يوما و هو خائر [2] النفس، فأخذت عودا من الخزانة و وقفت بين يديه فغنّيته: من الأطباء طباء همّها السّخب [3] # ترعى القلوب و في قلبي لها عشب

أهوى الأطباء اللواتي لا قرون لها # و حلّتها الدّرّ و الياقوت و الذهب
لا يغترين و لا يسكنّ بادية # و ليس يعرفن ما صرّ [4] و لا حلب
و في الذين غدوا، نفسي الفداء لهم # شمس تبرقع أحيانا و تنتقب
يا حسن ما سرقت عيني و ما انتهيت # و العين تسرق أحيانا و تنتهب
إذا يد سرقت فالقطع يلزمها # و القطع في سرق العينين [5] لا يجب

/قال: فهشّ إليّ و نشط و دعا بطعام خفيف و أكلنا و اصطبح و أمر لي بمائة ألف درهم. [و] أخبرني به الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن عليّ بن الحسن عن إبراهيم بن محمد الكرخيّ عن إسحاق، فذكر مثله؛ و قال فيه: فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

طلب من المأمون أن يدخل المقصورة معه يوم الجمعة فاشترى ذلك منه بمال:

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني [عبيد الله بن] [6] عبد الله بن طاهر عن أخيه محمد قال: كان إسحاق الموصليّ يدخل في مبطنه و طيلسان مثل زيّ الفقهاء على المأمون؛ فسأله أن يأذن له في دخول المقصورة يوم الجمعة بدّراة سوداء و طيلسان أسود؛ فتبسّم المأمون و قال له: و لا كلّ هذا بمرة يا إسحاق، و لكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتمّ، و أمر بحملها إليه فحملت.

كان أبو خالد الأسلمي يمدحه و يقدم شعره:

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عبيد الله بن عبد الله قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن أبي خالد الأسلمي: أنه ذكر إسحاق يوما و كان يفصّله و يعظم شأنه و يقدّمه في الشعر تقدّما مفرطا، فقال: ما قولكم في رجل محدث تشبّه بذي الرّمة و قال على لسانه شعرا و

غُئِي فِيهِ وَ نَسَبَهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَشْكُكَ أَحَدٌ سَمِعَهُ أَنَّهُ لَهُ وَ لَا فِطْنَ لَمَّا فَعَلَ
[1]التكلمة عن حـ.

[2]خاثر النفس: ثقلها غير طيب و لا نشيط.

[3]راجع الحاشية رقم 2 ص 355 من هذا الجزء.

[4]في أ، ء، م: «ما ضرع». و كذلك وردت في جميع الأصول فيما
مضى.

[5]في أ، ء، م: «في سرق بالعين» .

[6]هذه الكلمة ساقطة في ب، س سهوا من الطابع.

أحد إلا من حصل شعر ذي الرمة كله و رواه؛ فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال: /

و مدرجة[1] للريح تيهاء لم تكن # ليجشمها زميلة غير حازم
يصلُّ بها الساري و إن كان هاديا # و تقطع أنفاس الرياح النواسم
/تعسفت أفري جوزها[2] بشملة # بعيدة ما بين القرا و المناسم
كأن شرار المرو[3] من نبذاها به # نجوم هوت أخرى[4] الليلي العواتم

غنى المأمون بشعر في اللذات فرد عليه:
حدّثني عمي و أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا فضل اليزيدي
عن إسحاق قال: غيّت المأمون يوما هذين البيتين:

لأحسن من قرع المثاني و رجعها # تواتر صوت الثغر يقرع بالثغر
و سكر الهوى أروى لعظمي و مفصلي # من الشرب في الكاسات من عاتق الخمر
فقال لي المأمون: أ لا أخبرك بأطيب من ذلك و أحسن؟ الفراغ و
الشباب و الجدة.

أعتق غلامه فتحا لحسن جوابه:

حدّثني الصوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال:

كان لإسحاق غلام يقال له فتح، يستقي الماء لأهل داره على بغلين من
بغاله دائما؛ فقال إسحاق: قلت له يوما: أيّ شيء خبرك يا فتح؟ قال: خبري
أنه ليس في هذه الدار أحد أشقى منّي و منك؛ قلت: و كيف ذلك؟ قال: أنت
تطعم أهل الدار الخبز و أنا أسقيهم الماء؛ فاستظرفت قوله و ضحكت منه،
[ثم] قلت له: فأيّ شيء تحبّ؟ قال: تعتقني و تهب لي البغلين أستقي
عليهما؛ فقلت له: قد فعلت.

شعره في أبي البصير و كان يدّعي الغناء بغير علم:

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسديّ قال حدّثنا حماد بن إسحاق
قال: كان لأبي البصير الشاعر قيان، و كان يتكلم في الغناء بغير علم و لا
صواب فيضحك منه، فقال أبي فيه: /

سكّ عن الغناء فما أماري # بصيرا لا و لا غير البصير
مخافة أن أجنّ فيه نفسي # كما قد جنّ فيه أبو البصير

نهاه الرشيد عن الغناء إلا له أو لجعفر بن يحيى و قصته مع الفضل في ذلك:

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: [1]المدرجة: الطريق. و التيهاء: المفازة التي لا يهتدي فيها. و الزميلة: الضعيف الجبان.

[2]جوز الشيء: وسطه و معظمه. و الشملة: الناقة السريعة. و القرا: الظهر. و المناسم: الأخفاف.

[3]المرو: حجارة بيض رقاق برّاقة.

[4]في أ، ع، م: «إحدى الليالي» .

نهاني الرشيد أن أعني أحدا غيره، ثم استوهبني جعفر بن يحيى و سأله أن يأذن لي في أن أعنيه ففعل، و اتفقنا يوما عند جعفر بن يحيى و عنده أخوه الفضل، و الرشيد يومئذ يعقب علة قد عوفي منها و ليس يشرب؛ فقال لي الفضل: انصرف إلي الليلة حتى أهب لك مائة ألف درهم؛ فقلت له: إن الرشيد [1] قد نهاني ألا أعني إلا له أو لأخيك، و ليس يخفى عليه خبري، و أنا منهم عنده بالميل إليكم، و لست أعرض له و لا أعرضك، و لم أجبه. فلما نكبهم الرشيد قال: إبه يا إسحاق، تركتني بالبرقة و جلست ببغداد تغني للفضل بن يحيى! فحلفت بحياته أنني ما جالسته قط إلا على المذاكرة و الحديث، و أنه ما سمعني قط أعني إلا عند أخيه جعفر، و حلفت بتربة المهدي أن يسأل عن هذا جميع من في الدار من نسائه؛ فسأل عنه فحدثته بمثل ما ذكرته له، و عرف خبر المائة الألف الدرهم التي بذلها لي فرددها عليه. فلما دخلت عليه ضحك إلي ثم قال: قد سألت عن أمرك فعرفت منه مثل ما عرفتني، و قد أمرت لك بمائة ألف درهم عوضا مما بذله لك الفضل.

تحدث بحديث لا إسناد فيه و سئل عن ذلك فأجاب:

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن إسحاق أنه كان يقول: الإسناد قيد الحديث؛ فتحدث مرة بحديث لا إسناد له، فسئل عن/إسناده، فقال: هذا من المرسلات عرفا.

أنشد الفضل شعر نصيب فأجازه:

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون عن أبيه، و حدثني عمي عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: أنشدت الفضل بن يحيى قول أبي الحجناء نصيب مولى المهدي فيهم:

صوت

عند الملوك مضرة و منافع # و أرى البرامك لا تضر و تنفع

إن كان شر كان غيرهم له # أو كان خير فهو فيهم أجمع

إن العروق إذا استسرت [2] بها الترى # أشر [3] النبات بها و طاب المزرع

فإذا جهلت من امرئ أعراقه # و قديمه فانظر إلى ما يصنع

قال فقال: كأنا و الله لم نسمع هذا الشعر قط، قد كنا وصلناه بثلاثين ألف درهم، و إذا نجدد له الساعة صلة له و لك معه لحفظك الأبيات؛ فوصلنا بثلاثين ألف درهم.

عتب عليه المأمون في شيء فاسترضاه بشعر:

و أخبرني الصّوليّ قال حدّثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجمّاز قال: عتب المأمون على إسحاق في شيء؛ فكتب إليه رقعة و أوصلها إليه من يده؛ ففتحها المأمون فإذا فيها قوله: [1] في أ، ح، م: «إنه الرشيد و قد نهاني» .

[2] استسر: خفي.

[3] أشر النبات: مرح و طال. -

لا شيء أعظم من جرمي سوى أُملي # لحسن [1] عفوك عن ذنبي و عن زلي
فإن يكن ذا و ذا في القدر قد عظما # فأنت أعظم من جرمي و من أُملي

فضحك ثم قال: يا إسحاق، عذرك أعلى قدرا من جرمك، و ما جال
بفكري، و لا أخطرتة [2] بعد انقضائه على ذكرى.

**ما كان بينه و بين ابن بانة في مجلس الواثق و قصيدته في ذمه
و مدح الواثق:**

حدّثني عمّي قال حدّثني يزيد بن محمد المهلبّي قال:

خرجنا مع الواثق إلى القاطول [3] للصيد، و معنا جماعة الجلساء و
المغنيين و فيهم عمرو بن بانة و علويه و مخارق و عقيد، و قدم إسحاق في
ذلك الوقت فأخرجه معه؛ فتصيّد على القاطول ثم عاد فأكل و شرب
أقداحا، ثم أمر بالبكور إلى الصّبح فباكرنا و اصطبحنا. فغنى عمرو بن بانة
لحن إبراهيم الموصليّ:

صوت

بلوت أمور الناس طرّا فأصبحت # مذمّمة عندي براء من الحمد
و أصبح عندي من وثقت بغيبه # بغيض الأيادي كلّ إحسانه نكد [4]

- و لحنه خفيف رمل بالوسطى- فغناه على ما أخذه من إبراهيم بن
المهديّ و قد غيّره. فقال الواثق لإسحاق: أ تعرف هذا اللحن؟ فقال: نعم،
هذا لحن أبي و لكنّه مما زعم إبراهيم بن المهديّ أنه جندره و أصلحه
فأفسده و دمر [5] عليه؛ فقال له: عنّه أنت، فغناه فأتى به على حقيقته و
استحسنه الواثق جدّا؛ فغمّ ذلك عمرو بن بانة فقال لإسحاق: أ فأنت مثل
إبراهيم بن المهديّ حتّى تقول هذا فيه؟! قال: لا و الله ما أنا مثله، أمّا على
الحقيقة فأنا عبده و عبد أبيه، و ليس هذا مما نحن فيه؛ و أمّا الغناء فما
دخولك أنت بيننا فيه! ما أحسنت قطّ أن تأخذ فضلا عن أن تغنّي، و لا قمت
بأداء غناء فضلا عن أن تميّز بين المحسنين؛ و إلّا فغنّ أيّ صوت شئت مما
أخذته/عنه و عن غيره كائنا من كان، فإن لم أوضح لك و لمن حضر أنه لا
يسلم لك صوت من نقصان أجزاء و فساد صنعة قدمى به رهن؛ فأساء
عمرو الجواب/و أغلظ في القول؛ فأمصّه الواثق و شتمه و أمر بإقامته عن
مجلسه فأقيم. فلمّا كان من الغد دخل إسحاق على الواثق فأنشده: و
مجلس باكرته بكورا # و الطير ما فارقت الوكورا

و الصبح لم يستنطق العصفورا # على غدير لم يكن دعثورا [6]

[1] في أ، ء، م: «و حسن...» .

[2] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «أحضرتة» .

[3] القاطول: اسم نهر يأخذ من دجلة في الجانب الشرقي، حفره كسرى أنوشروان العادل. و هو اسم نهر آخر أيضا كان حفره الرشيد في موضع «سر من رأى» قبل أن يعمرها المعتصم، و كان يأخذ من دجلة أيضا.

[4] النكد (بالفتح و بالضم) : قلة العطاء و ألا يهنأه من يعطاه. و في هذا الشعر إقواء، و هو اختلاف حركة الروي.

[5] يقال: دمر عليه (من باب نصر) دمرا و دمورا إذا دخل بغير إذن و هجم هجوم الشر.

[6] الدعثور: الحوض المثلم، و قيل: هو الحوض الذي لم يتنوّق في صنعته و لم يوسع.

لم تر عيني مثله غديرا # يجري حباب مائه مسجورا[1]
على حصى تحسبه كافورا # تسمع للماء به خريرا
ينسج أعلى متنه سطورا # نسيم ريح قد ونت فتورا
حتى تخال متنه حصيرا # والشرب قد حقوا به حضورا
و أمروا الساقى أن يديرا # كأسهم الأصغر والكبير
و أعملوا البمّ معا و الرّيرا # و جاوبت عيدانهم زميرا
و قرّبوا المغنّي التّحريرا # مقدّما في حذقه مشهورا
فهم يطّيرون به سرورا # و لا ترى في شربهم تقصيرا
و لا لصفو عيشهم تكديرا # و لا لخلق منهم نظيرا
إلا رجلا منهم سكيّرا # معريدا موضّحا شرّيرا
مدّعيا للعلم مستعيرا # يروم سعيها كاذبا مغرورا
و أن يكون عالما بصيرا # مفضّلا بعلمه مذكورا
غمزته و لم يكن صبورا # فعاذ منّي هاربا مذعورا
/بمعسر تحسبهم حميرا # أشدّ منهم حمقا كثيرا
لا ينطقون الدهر إلا زورا # حتّى إذا كسّرته تكسيرا
كالليث لّمّا ضغم[2]الخنزيرا # ولّي انهزاما خاسئا مدحورا
معترفا بذلّه مقهورا # و كنت قدما ضيغما هصورا
معتليا لقرنه عقورا # و ما أخاف الزمن العنورا
إذ كنت بالوائق مستجيرا # قد عزّ من كان له نصيرا
إمام عدل دبر الأمورا # برأيه و لم يرد مشيرا
ترى من الحقّ عليه نورا # تقبّل[3]المهديّ و المنصورا
و جدّه الأدنى تقى و خيرا # ورّثه المعتصم التدبيرا
فأصبح الملك به منيرا # و أصبح العدل به منشورا
قد أمن الناس به المحظورا # إذا علا المنبر و السريرا
رأيت بدرا طالعا منيرا # بحرا ترى الغنيّ و الفقيرا

[1]المسجور: المنظوم المسترسل.

[2]ضغمه: عضه ملء فيه.

[3] تقبل الرجل أباه: أشبهه.

يرجون منه نائلا غزيرا # و الله لا زلت له شكورا

لا جاحد التعمى و لا كفورا # و كنت بالشكر له جديرا

أنشده الأصمعيّ جملة أشعار في الفروسية:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون قال: سمعت إسحاق يقول: أنشدني الأصمعيّ قول الأعشى:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا # أو تنزلون فإنا معشر نزل

ثم قلت له: أيّ شيء تحفظ في هذا المعنى؟-و كان مع بخله بالعلم لا يبخل بمثل هذا-فأنشدني لربيعة بن مقروم الصّببيّ: /

و لقد شهدت الخيل يوم طرادها[1] # بسليم أو طفة[2]القوائم هيكل

فدعوا نزال[3]فكنت أوّل نازل # و علام أركبه إذا لم أنزل

سر لغناء ملاحظ و مدحها بشعر:

حدّثني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال حدّثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال: اجتمعنا يوما إمّا قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن بسحّتر، و دخلنا و دخل إلينا إسحاق الموصلي و عندنا ملاحظ تغنينا و قد قامت الصلاة، فدخل إسحاق و هي غائبة فقال: فيم كنتم و من عندكم؟ فأخبرناه بخبرها؛ فقال: لا تعرّفوها من أنا فيخرجها التصع لي و التحفظ منّي عن طبعها، لكن دعوها و هواها حتّى ننتفع بها؛ و خرجت و هي لا تعرفه و جلست كما كانت أوّلا، و ابتدأت و غنّت-و الصنعة لفليح بن[أبي][4]العوراء، و لحنه رمل. هكذا أخبرنا إسحاق أن الغناء لفليح:-

صوت

إني تعلّقت ظبيا شادنا خرقا # علّفته شقوة منّي و ما علقا

قال: فطرب إسحاق و شرب حتى والى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه و هو يستعيدها؛ فأخذ إسحاق دواة و كتب: [1]أراد بالخيل الفرسان لا الأفراس، أ لا ترى أنه قال: يوم طرادها. و الطراد من الفرسان: حمل بعضهم عليّ بعض، و على هذا ما روى عن النبيّ صلى الله عليه و سلم: «يا خيل الله اركبي». (راجع «شرح أشعار الحماسة» للتبريزي ص 28 طبع أوروبا).

[2]الأوظفة: جمع وظيف و هو ما فوق الحافر من الفرس. و لكل ذي أربع ثلاثة مفاصل في رجليه: الفخذ و الساق و الوظيف ثم الحافر أو الخف أو الظلف. و في يديه ثلاثة مفاصل: العضد و الذراع و الوظيف ثم الحافر أو الخف أو الظلف. (راجع «شرح أشعار الحماسة» للتبريزي) . و الهيكل: الضخم.

[3]نزال (مثل قطام) : بمعنى أنزل و هو معدول من المنازلة لا بمعنى النزول إلى الأرض. هكذا ذكره صاحب «اللسان» و استشهد بهذين البيتين.

[4]سقطت هذه الكلمة من الأصول هنا سهوا من النساخ.

/

سأشرب ما دامت تعني ملاحظ # و إن كان لي في الشيب عن ذاك واعط
ملاحظ غنينا بعيشك و ليكن # عليك لما استحفظته منك حافظ
فأقسم ما غني غناءك محسن # مجيد و لم يلفظ كلفظك لافظ
و في بعض هذا القول مني مساءة # و غيظ شديد للمعنين غائظ

حدّث الرشيد عن البرامكة فزجره:

أخبرني الحسن [1] بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال حدّثني إسحاق قال: قال لي الرشيد يوماً: بأيّ شيء يتحدّث الناس؟ قلت: يتحدّثون بأنك تقبض على البرامكة و تولي الفضل بن الربيع الوزارة؛ فغضب و صاح بي: و ما أنت و ذاك و يلك! فأمسكت. فلمّا كان بعد أيام دعا بنا؛ فكان أوّل شيء غنيته:

صوت

إذا نحن صدقناك # فضرّ عندك الصدق
طلبنا النفع بالباط # ل إذ لم ينفع الحقّ
فلو قدّم صبا في # هواه الصبر و الرّفق
لقدّمت على الناس # و لكنّ الهوى رزق

-/في هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى ينسب إلى إسحاق و إلى ابن جامع، و الصحيح أنه لإسحاق. و قيل: إن الشعر لأبي العتاهية-. قال: فضحك الرشيد و قال لي: يا إسحاق، قد صرت حقودا.

غني هو و علويه و مخارق عند المعتصم فأجازهما دون مخارق:
أخبرني الحسن قال حدّثنا يزيد بن محمد قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: /دخلت على المعتصم يوماً بسرّ من رأى، فإذا الواثق بين يديه و عنده علويه و مخارق؛ فغناه مخارق صوتاً فلم ينشط له، ثم غناه علويه فأطربه. فلما رأيت طربه لغناء علويه دون غناء مخارق اندفعت فغنيته لحنّي:

صوت

تجنّبت ليلي أن يلجّ بك الهوى # و هيهات كان الحبّ قبل التجنّب

فأمر لي بألف دينار و لعلّويه بخمسمائة دينار، و لم يأمر لمخارق
بشيء.

[1] كذا في ح. و في سائر الأصول: «الحسين» و هو تحريف.

نسبة هذا الصوت صوت

تجنّبت ليلى أن يلجّ بك الهوى # و هيهات كان الحبّ قبل التجنّب
ألا إنّما غادرت يا أمّ مالك # صدى أينما تذهب به الريح يذهب

الشعر للمجنون. و الغناء لإسحاق ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى
البنصر عن إسحاق. و غنّى ابن جامع في هذين البيتين و بيتين آخرين
أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر، هزجا بالبنصر. و البيتان المضافان: برى
اللحم عن أحناء عظمى و منكبي # هوى لسليمى في الفؤاد المعدّب

و إني سعيد أن رأيت لك مرّة # من الدّهر عيني منزلا في بني أبي

غنى علويه الواثق بلحن لإسحاق فأجارهما:

أخبرنا الحسن بن علي قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال: غنّى
علّويه بين يدي الواثق يوما:

صوت

خليل لي سأهجره # لذنب لست أذكره
و لكّني سأرعاه # و أكتمه و أستره
و أظهر أنّني راض # و أسكت لا أخبره
لكي لا يعلم الواشي # بما عندي فأكسره

-الشعر و الغناء لإسحاق هزج بالوسطى-قال: فطرب الواثق طربا
شديدا، و استحسّن اللحن، و أمر لعلّويه بألف دينار؛ ثم قال: أ هذا اللحن
لك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، هو هذا لهذا الهزبر[1] (يعني إسحاق) -قال: و
كان إسحاق حاضرا-فضحك الواثق و قال: قد ظلمناه إذا، و أمر لإسحاق
بثلاثين ألف درهم.

عارض ثقيلًا لابن سريج بهزج له:

أخبرنا عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن عبيد الله بن عبد الله بن
خرداذبه عن أبيه قال: كان إسحاق عند الفتح بن الحجّاج الكرخيّ و علّويه
حاضر؛ فغنّاه علّويه:

صوت

علقتك ناشنا حتّى # رأيت الرأس مبيضا

على يسر و إعسار # و فيض نوالكم فيضا[2]

[1] في حـ: «الهربذ» . و من معاني الهربذ: عالم الهند.

[2] في م: «و قبض نوالكم قبضا» بالقاف و الباء الموحدة.

ألا أحب بأرض كند # ت تحتلينا أرضا
و أهلك حبدا ما هم # و إن أبدوا لي البغضا

/-الشعر لابن أذينة. و الغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى
البنصر، عن إسحاق. و فيه لإسحاق هزج خفيف مطلق في مجرى البنصر،
عن إسحاق أيضا. و فيه للأبجر ثقيل أوّل، و لإبراهيم الموصلي رمل، جميع
ذلك عن الهشاميّ.-

قال فعنّاه إيّاه في الثّقل، ثم غنّاه هزجا؛ فقال له الفتح؛ لمن الثّقل؟
فقال: لابن سريج، قال: فلمن الهزج؟ قال: لهذا الهزبر[1] (يعني إسحاق) ؛
فقال له الفتح: ويك يا إسحاق! أ تعارض ثقيل ابن سريج بهزجك؟! قال:
فقبض إسحاق على لحيته ثم قال: على ذلك فو الله ما فاتني إلاّ بتحريكه
الدّقن.

أخطأ المعتصم في شعر لأبي خراش فصوّبه له:

أخبرني الحسن قال حدّثني يزيد بن محمد قال حدّثني إسحاق قال:
دخلت يوما على المعتصم و عنده إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، و
استدنانني فدنوت منه، و استدنانني فتوقّفت خوفا من أن أكون موازيا في
المجلس لإسحاق بن إبراهيم؛ ففطن المعتصم فقال: إنّ إسحاق لكريم، و
إنك لم تستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه. ثم تحدّثنا و أفضت بنا المذاكرة
إلى قول أبي خراش الهذليّ: حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا # خراش و
بعض الشرّ أهون من بعض[2]

فأنشدها المعتصم إلى آخرها، و أنشد فيها:

و لم أدر من ألقى عليه رداءه # سوى أنه قد حطّ[3] عن ماجد محض

/و الرواية «قد برّ عن ماجد محض» ؛ فغلطت[4] و أسأت الأدب،
فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه رواية الكتاب و ما أخذ عن المعلّم؛ و الصحيح
«برّ عن ماجد محض» ؛ فقال لي: نعم صدقت، و غمزني بعينه، يحدّثني من
إسحاق؛ و فطنت لغلطي فأمسكت، و علمت أنه قد أشفق عليّ من بادرة
تدبر من إسحاق؛ لأنه كان لا يحتمل مثل هذا في الخلفاء من أحد حتى يعظم
عقوبته و يطيل حبسه، كائنا من كان؛ فنبّهني-رحمه الله-على ذلك حتى
أمسكت و تنبّهت.

غنى المأمون ثلاثين صوتا من أهزاج القدماء:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال قال عبيد الله بن معاوية قال عمرو بن بانه: كُتِّبَ عند المأمون، فقال: ما أقلُّ الهزج في الغناء القديم!؛ و قال إسحاق: ما أكثره! ثم غنَّاه نحو ثلاثين صوتا [1] في أ، ح، م: «الهربذ» (انظر الحاشية رقم 1 ص 400 من هذا الجزء) .

[2] هذان البيتان من قصيدة لأبي خراش الهذليّ يرثي بها أخاه عروة بن مرة و يذكر نجاته خراش ابنه. و كان من أمرهما أن خرجا مغيرين فأسرا فقتل عروة، و قيض لخراش من ألقى عليه رداءه و هيا له أسباب الهرب. و القصيدة المذكورة في أوّل باب المراثي من «ديوان الحماسة» لأبي تمام و «الأغاني» (ج 21 ص 63 طبع أوروبا) و «أمالى القالي» (ج 1 ص 271 طبع دار الكتب المصرية) . و في «شرح التبريزي لديوان الحماسة و «الأغاني» بيان مستفيض لقصة عروة و خراش فراجعهما.

[3] رواية الحماسة: «على أنه قد سل» .

[4] كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «فغلط و أسأت...» .

في الهزج القديم. فقلت لأصحابي: هذا الذي تزعمون أنه قليل الرواية!

أثنى عليه العباس بن جرير:

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبي عن إسحاق قال:

قال لي العباس بن جرير: قاتلك الله! مذكر فطنة، و مؤثت طبيعة، ما أمرك!

أنشد بعض الأعراب شعرا له فمدحه:

حدّثنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال، و أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد عن إسحاق قال: أنشدت بعض الأعراب شعرا لي أقول فيه:

أجرت سوابق دمك المهرق # لمّا جرى لك سانح بفراق
 إنّ الطعائن يوم ناصفة[1] اللوى # هاجت عليك صباة المشتاق
 /لم أنس إذ ألمحنا في رقبة # منهنّ بيض ترائب و تراق
 و أشرن إذ ودّعنا بأنامل # حمر كهذاب الدّمقس رفاق
 و رمتك هند يوم ذاك فأقصدت[2] # بأعزّ عذب بارد براق
 و تنفّست لمّا رأتك صباة # نفسا تصعد في حشى خفاق
 و لقد حذرت فما نجوت مسلّما # حتى صرعت مصارع العشاق
 إن الخلافة أثبتت أوتادها # لمّا تحمّلها أبو إسحاق
 ملك أعزّ يلوح فوق جبينه # نور الخلافة ساطع الإشراق
 كسي الجلال مع الجمال وزانه # هدي[3] الثقى و مكارم الأخلاق
 صحّت عروقك في الجياد و إنما # يجري الجواد بصحّة الأعراق
 ذخر الملوك فكان أكثر ذخريهم # للملك ما جمعوا من الأوراق[4]
 و ذخرت أبناء الحروب كأنهم # أسد العرين على متون عناق
 كم من كريمة معشر قد أنكحت # بسيوفهم قسرا بغير صداق
 و عزيزة في أهلها و قطينها[5] # قد فارقت بعلا بغير طلاق

[1]الناصفة: مجرى الماء، و قيل: الرحبة في الوادي. و قد ذكر ياقوت في الكلام على ناصفة: ناصفة الشجناء، و ناصفة العمقين و غيرهما، و قال: إنها مواضع، و لم يذكر ناصفة اللوى هذه.

[2] كذا في حـ. و أقصدت: أصابت و لم تخطئ. و في سائر الأصول:
«فأقصرت» بالراء، و هو تحريف.

[3] الهدى: الطريقة و السيرة.

[4] الأوراق: الدراهم.

[5] القطين هنا: الإماء و الحشم.

قال فقال لي: أفليت و الله يا أبا محمد؛ فقلت له: و ما أفليت؟ قال: رعت فلاة لم يرعها أحد غيرك.

كان المغنون يتلاشون أمامه إذا غنى:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أخي أحمد بن عليّ عن عافية بن شبيب قال: قلت لزرزور بن سعيد: حدّثني عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة و هو منقطع ذاهب و حلوقكم ليس مثلها في الدنيا؟ فقال: كان و الله لا يزال بحذقه و رفقه و تأييه و لطفه حتى نصير معه أقلّ من التراب.

شعره للفضل بن الربيع في الشيب:

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبي قال حدّثنا إسحاق قال:

دخلت على الفضل بن الربيع فقال لي: يا إسحاق، كثر و الله شيبك!؛ فقلت: أنا و ذاك أصلحك الله كما قال أخو ثقيف: الشيب إن يظهر فإن وراءه # عمرا يكون خلاله متنفس

لم ينتقص منّي المشيب قلامة # و لنحن حين بدا ألبّ و أكيس

قال: هات يا غلام دواة و قرطاسا، اكتبهما لي لأتسلّى بهما.

قصته مع الفضل بن يحيى و نافذ حاجبه:

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق، و أخبرني الحسين [1] بن يحيى عن حمّاد عن أبيه [2]، و أخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمد بن عبد الملك عن إسحاق قال: قال الفضل بن يحيى لأبي: مالي لا أرى إسحاق، عرّفني ما خبره؟ فقال: خير. و رأى في كلامه شيئا يشكك، فقال: أعليل هو؟ فقال: لا، و لكنه جاءك مرّات فحجبه نافذ الخادم و لحقته جفوة؛ فقال له: فإن حجبه بعدها فلينكه. فجاءني أبي فقال لي: القه، فقد سأل عنك؛ و خبرني بما جرى. و جئت فحجبت أيضا؛ و خرج الفضل ليركب؛ فوثبت إليه برقعة و قد كتبت فيها: جعلت فداءك من كلّ سوء # إلى حسن رأيك أشكو أناسا

يحولون بيني و بين السلام # فما إن أسلمم إلا اختلاسا

/و أنفذت أمرك في نافذ # فما زاده ذاك إلا شماسا

/فلما قرأها ضحك حتى غلب، ثم قال: أو قد فعلتها يا فاسق؟! فقلت: لا و الله يا سيدي، و إنما مزحت؛ فخرج نافذ خجلا شديدا، و لم يعد بعد ذلك

لمساءتي.

[1] في الأصول هنا: «الحسن» ، و هو تحريف.

[2] كذا في ح. و في سائر الأصول: «عن حماد عن أبيه قال حدّثني إسحاق» . و ظاهر أن جملة: «قال حدّثني إسحاق» مقحمة من الناسخ.

سأل المعتصم عن رجل غائب ما ذا يعمل فأجاب:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيوب المدينيّ عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق قال: ذكر المعتصم يوماً بعض أصحابه و قد غاب عنه، فقال: تعالوا حتى نقول ما يصنع في هذا الوقت؛ فقال قوم: يلعب بالنرد، و قال قوم: يغني؛ فبلغتني النوبة، فقال: قل يا إسحاق؛ قلت: إذا أقول و أصيب؛ قال: أتعلم الغيب؟ قلت: لا، و لكنّي أفهم ما يصنع و أقدر على معرفته؛ قال: فإن لم تصب؟ قلت: فإن أصبت؟ قال: لك حكمك، و إن لم تصب؟ قلت: لك دمي؛ قال: وجب؛ قلت: وجب؛ قال: فقل؛ قلت: يتنفس؛ قال: فإن كان ميتاً؟ قلت: تحفظ الساعة التي تكلمت فيها، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قمرتني؛ فقال: قد أنصفت؛ قلت: فالحكم؛ قال: احتكم ما شئت؛ قلت: ما حكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين؛ قال: فإن رضي لك، و قد أمرت لك بمائة ألف درهم، أ ترى مزيداً؟ قلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين؛ قال: فإنها مائتا ألف درهم، أ ترى مزيداً؟ قلت: ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين؛ قال: فإنها ثلاثمائة ألف، أ ترى مزيداً؟ قلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين؛ قال: يا صفيق الوجه! ما نزيدك على هذا شيئاً.

مدح سفينة للأمين فأجازه:

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبو أيوب قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق قال: /عمل محمد[1] المخلوع سفينة فأعجب بها، و ركب فيها يريد الأنبار. فلما أمعن و أنا مقبل على بعض[2] أبواب السفينة صاحوا: إسحاق إسحاق، فوثبت فدنوت منه؛ فقال لي: كيف ترى سفينتي؟ فقلت: حسنة يا أمير المؤمنين، عمّرها الله ببقائك. فقام يريد الخلاء و قال لي: قل فيها أبياتاً، فقلت: و خرج فقمتم بالأبيات؛ فاشتهاها جدّاً و قال لي: أحسنت يا إسحاق، و حياتك لأهين لك عشرة آلاف دينار؛ قلت: متى يا أمير المؤمنين؟ إذا وسّع الله عليك! فضحك و دعا بها على المكان. و لم يذكر يحيى في خبره الأبيات.

عرض للوائح بشعر في تشوّقه إلى أهله:

أخبرني محمد بن يزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:
غيّت الوائح في شعر قلته و أنا عنده بسرّ من رأى و قد طال مقامي
و اشتقت إلى أهلي، و هو:

صوت

يا حَبْدًا رِيحَ الجَنُوبِ إِذَا بَدَتْ # فِي الصَّبْحِ وَ هِيَ ضَعِيفَةُ الأَنْفَاسِ
قَدْ حَمَلَتْ بَرْدَ التَّدْيِ وَ تَحَمَّلَتْ # عِبْقًا مِنَ الجَثْجَاثِ[3] وَ البَسْبَاسِ

[1] هُوَ الخَلِيفَةُ مُحَمَّدُ الأَمِينِ بِنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، سَمِيَ المَخْلُوعَ لِأَنَّ أَهْلَ
مَكَّةَ وَ المَدِينَةَ وَ كَثِيرًا مِنَ عَمَالِهِ خَلَعُوهُ وَ بَايَعُوا المَأْمُونَ وَ هُوَ بِخِرَاسَانَ.
[2] فِي حـ: «عَلَى بَابِ السَّفِينَةِ» .

[3] الجَثْجَاثُ كَمَا فِي «اللِّسَانِ» : شَجَرٌ أَصْفَرٌ مَرٌّ طَيِّبٌ الرِّيحِ تَسْتَطِيبُهُ
العَرَبُ وَ تَكْثُرُ ذِكْرُهُ فِي أَشْعَارِهِ. وَ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينُورِيُّ: إِنَّهُ مِنَ أَحْرَارِ
الشَّجَرِ وَ هُوَ أَخْضَرُ يَنْبِتُ فِي القَيْظِ، لَهُ زَهْرَةٌ صَفْرَاءٌ كَأَنَّهَا زَهْرَةُ العَرَفْجَةِ
طَيِّبَةُ الرِّيحِ. وَ قَالَ ابْنُ البَيْطَارِ فِي مَفْرَدَاتِهِ: أَوَّلُ مَا رَأَيْتَهُ بِسَاحِلِ نَيْلِ مِصْرَ
فِي أَعْلَاهُ فِي صَحَارِيهِ بِمَقْرَبَةٍ مِنَ ضَيْعَةٍ هُنَاكَ تَسْمَى شَاهُورَ وَ هِيَ عَلَى
طَرِيقِ الطَّرَافَةِ. وَ قَالَ دَاوُدُ فِي تَذَكَّرَتِهِ:

فشرب عليه و استحسنة و قال لي: يا أبا محمد، لو قلت مكان «يا حَبْدًا رِيحَ الْجَنُوبِ»: «يا حَبْدًا رِيحَ الشَّمَالِ»، أ لم يكن أرقّ و أعذى[1] و أصحّ للأجساد و أقلّ و خامّة و أطيب/للأنفوس؟ فقلت: ما ذهب عليّ ما قاله أمير المؤمنين، و لكن التفسير فيما بعد؛ فقال: قل؛ فقلت:

ما ذا تهيج من الصّباة و الهوى # للصّبّ بعد ذهوله و الياس

فقال الواثق: إنما استطببت ما تجيء به الجنوب من نسيم أهل بغداد لا الجنوب، و إليهم اشتقت لا إليها؛ فقلت: أجل يا أمير المؤمنين؛ و قمت فقبّلت يده؛ فضحك و قال: قد أذنت لك بعد/ثلاثة أيام، فامض راشدا؛ و أمر لي بمائة ألف درهم. لحن إسحاق هذا من الثقل الأوّل.

جعفر بن يحيى البرمكي و عبد الملك بن صالح الهاشمي:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال:

لم أر قطّ مثل جعفر بن يحيى؛ كانت له فتوة و ظرف و أدب و حسن غناء و ضرب بالطبل، و كان يأخذ بأجزل حظّ من كل فنّ من الأدب و الفتوة. فحضرت باب أمير المؤمنين الرشيد، فقبل لي: إنه نائم، فانصرفت؛ فلقيني جعفر بن يحيى فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: أمير المؤمنين نائم؛ فقال: قف مكانك؛ و مضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم؛ فخرج إليّ و قال لي: قد نام أمير المؤمنين، فسير بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعا بقيّة يومنا و تغنّيني و أغنّيك و نأخذ في شأننا من وقتنا هذا؛ قلت نعم، فصرنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا، و دعا بالطعام فطعمنا، و أمر بإخراج الجوّاري و قال: لتبرزن؛ فليس عندنا من تحتشمن منه. فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه و دعا بخلوق فتخلّق به، ثم دعا لي بمثل ذلك، و جعل يغنّيني و أغنّيه؛ ثم دعا بالحاجب فتقدّم إليه و أمره بالأذن لأحد من الناس كلهم، و إن جاء رسول أمير المؤمنين أعلمه أنه مشغول؛ و احتاط في ذلك و تقدّم فيه إلى جميع الحجاب و الخدم؛ ثم قال: إن جاء عبد الملك فأذنوا له-يعني رجلا كان/يأنس به و يمازحه و يحضر خلواته-ثم أخذنا في شأننا؛ فوالله إنّنا لعلّى حالة سارّة عجيبية إذ رفع السّتر، و إذا عبد الملك بن صالح الهاشمي قد أقبل، و غلط الحاجب و لم يفرّق بينه و بين الذي يأنس به جعفر بن يحيى. و كان عبد الملك بن صالح الهاشمي من جلاله القدر و التقشف و في الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل، و كان أمير المؤمنين قد اجتهد به أن يشرب معه أو عنده قدحا فلم يفعل ذلك رفعا لنفسه. فلما رأيناه مقبلا، أقبل كلّ واحد منا ينظر إلى صاحبه، و كاد جعفر

أن ينشقَّ غيظًا. و فهم الرجل حالنا، فأقبل نحونا، حتى إذا صار إلى الرّواق الذي نحن فيه نزع قلنسيته فرمى بها مع طيلسانه جانبا؛ ثم قال: أطعمونا شيئا؛ فدعا له جعفر بالطعام و هو منتفخ غضبا و غيظا فطعم، ثم دعا برطل فشربه، ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعضادتي[2]الباب ثم قال: اشركونا فيما أنتم فيه؛ فقال له جعفر:

ادخل؛ ثم دعا بقميص حرير و خلوق فليس و تخلّق، ثم دعا برطل و رطل حتى شرب عدّة أرطال، ثم اندفع ليغثينا، فكان و الله أحسننا جميعا غناء. فلما طابت نفس جعفر و سرّي عنه ما كان به التفت إليه فقال له: ارفع حوائجك؛ () إنه يسمى باليونانية نرديسيون. و البساس: نبات طيب الريح و هو المعروف بالفارسية باسم الرازبانج و في مصر و الشام باسم الشمار.

[1]أعدى: أطيب.

[2]عضادتا الباب: خشبتاه من جانبيه. -

فقال: ليس هذا موضع حوائج؛ فقال: لتفعلن، و لم يزل يلح عليه حتى قال له: أمير المؤمنين عليّ واجد؛ فأحبّ أن تترصّاه؛ قال: فإنّ أمير المؤمنين قد رضي عنك، فهات حوائجك؛ فقال: هذه كانت حاجتي؛ قال: ارفع حوائجك كما أقول لك؛ قال: عليّ دين فادح؛ قال: هذه أربعة آلاف ألف درهم، فإن أحببت أن تقبضها فاقبضها من منزلي الساعة، فإنه لم يمنعني من إعطائك إيّاها إلا أنّ قدرك يجلّ على أن يصلك مثلي، و لكنني ضامن لها حتى تحمل من مال أمير المؤمنين غدا؛ فسل أيضا؛ قال: ابني، تكلم أمير المؤمنين حتى ينوّه باسمه؛ قال: قد ولاه أمير المؤمنين مصر/ و زوجه/ابنته العالية [1] و مهرها ألفي ألف درهم. قال إسحاق: فقلت في نفسي: قد سكر الرجل (أعني جعفرا). فلما أصبحت لم تكن لي همّة إلا حضور دار الرشيد؛ و إذا جعفر بن يحيى قد بكر، و وجدت في الدار جلبة، و إذا أبو يوسف القاضي و نظراؤه قد دعي بهم، ثم دعي بعبد الملك بن صالح و ابنه فادخلا على الرشيد؛ فقال الرشيد لعبد الملك: إنّ أمير المؤمنين كان واجدا عليك و قد رضي عنك، و أمر لك بأربعة آلاف ألف درهم، فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة. ثم دعا بابنه فقال: اشهدوا أنّي قد زوجتّه العالية بنت أمير المؤمنين و أمهرتها عنه ألفي ألف درهم من مالي و وليته مصر [2]. قال: فلما خرج جعفر بن يحيى سألته عن الخبر؛ فقال: بكرت على أمير المؤمنين فحكيت له ما كان منا و ما كنّا [3] فيه حرفا حرفا، و وصفت له دخول عبد الملك و ما صنع؛ فعجب لذلك و سرّ به؛ ثم قلت له: قد ضمنت له عنك يا أمير المؤمنين ضمانا؛ فقال: ما هو؟ فأعلمته؛ قال: أوف له بضمائك، و أمر بإحضاره؛ فكان ما رأيت.

حمل علويه لحننا له إلى أبيه فأعجب به و أثنى عليه:
أخبرني عمّي قال حدّثني فضل اليزيديّ عن إسحاق قال:
لما صنعت لحنني في:

هل إلى نظرة إليك سبيل

ألقيته على علويه، و جاءني رسول أبي بطبق فاكهة باكورة؛ فبعثت إليه: برك الله يا أبة و وصلك! الساعة أبعث إليك بأحسن من هذه الباكورة؛ فقال: إني أظنّه قد أتى بأبدة [4]؛ فلم يلبث أن دخل عليه علويه فغناه الصوت؛ فعجب منه و أعجب به، و قال: قد أخبرتكم أنه قد أتى بأبدة. ثم قال لولده: أنتم تلومونني على/تفضيل إسحاق و محبّتي له، و الله لو كان ابن غيري لأحببته لفضله فكيف و هو ابني؛ و ستعلمون أنكم لا تعيشون إلا

به. و قد ذكر أبو حاتم الباهليّ عن أخيه أبي معاوية بن سعيد بن سلم أنّ هذه القصة كانت لمّا صنع إسحاق لحنه في:

غِيّضَ من عبارتهن و قلن لي

و قد ذكرت ذلك مع أخبار هذا الصوت في موضعه.

[1] كذا في الأصول و «ابن الأثير» (ج 6 ص 148) و الذي في «الطبري» (ص 759 من القسم الثالث) «أم الغالية» بالغين المعجمة.

[2] الذي ذكر في كتب التاريخ أن الذي ولى مصر من قبيل الرشيد هو عبد الملك بن صالح و لم يدخلها و إنما استخلف عليها عبد الله بن المشيب الضبي. و لم نعثر في كل هذه الكتب عند ذكر ولاة مصر عن ابن لعبد الملك هذا، و لم نجد هذه القصة في مصدر آخر من كتب التاريخ و الأدب، غير أن ابن طباطبا أوردها بعبارة أوسع في «الفخري» (ص 282 طبع أوروبا سنة 1894).

[3] في حـ: «ما كان منا و ما كان منه» .

[4] الآبدة: الغربية.

سئل عن إبراهيم بن المهدي فقال لا يحسن شيئاً:

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال:

سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ، فقال: دعني منه، فليست له رواية و لا دراية و لا حكاية.

رثاؤه هشيمة الخمارة:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدّثني فضل اليزيديّ عن إسحاق قال: كانت هشيمة الخمارة جارتني، و كانت تخصني بأطيب الشراب و جيّده؛ فماتت فقلت أرثيها: أضحت هشيمة في القبور مقيمة # و خلت منازلها من الفتیان

كانت إذا هجر المحبّ حبيبه # دبّت له في السرّ و الإعلان

حتى يلين لما تريد قياده # و يصير سيّئه إلى الإحسان

قضى حاجة لإدريس بن أبي حفصة فمدحه:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

سألني إدريس بن أبي حفصة حاجة، فقضيتها له و زدت فيما سألت؛ فقال لي [1]: إذا الرجال جهلوا المكارم # كان بها ابن الموصليّ عالماً

أبقاك ذو العرش بقاء دائماً # فقد جعلت للكرام خاتماً

إسحاق لو كنت لقيت خاتماً # كان نداء لنداك خادماً

/قال حمّاد: و قال لي أبي: كان إدريس سخياً من بين آل أبي حفصة؛ فنزل به ضيف، فتنمّرت امرأته عليه؛ فقال لها: من شرّ أيامك اللاتي خلقت لها # إذا فقدت ندى [2] صوتي و زوّاري

تشاغل عن دعوة علي بن هشام فنيل منه، و ردّه على ذلك:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال:

كان عليّ بن هشام قد دعاني و دعا عبد الله بن محمد بن أبي عيينة، فتأخّرت عنه حتى اصطبحنا شديداً، و تشاغلت عنه برجل من الأعراب كان يجيئني فأكتب عنه و كان فصيحاً؛ و كان عند عليّ بن هشام بعض من يعاديني؛ فسألوا ابن أبي عيينة أن يعاتبني بشعر ينسبني فيه إلى الخلف؛ فكتب إليّ: يا مليّاً بالوعد و الخلف و المط # ل بطيئاً عن دعوة الأصحاب

[1] كذا في ح. و في سائر الأصول: «و قال لي» .

[2] ندى الصوت: صداه.

لهجا بالأعراب إنّ لدينا # بعض ما تشتهي من الأعراب

قد عرفنا الذي شغلت به # عتًا و إن كان غير ما في الكتاب

قال: فكتبت إلى الذي حمل ابن أبي عيينة على هذه الأبيات-قال حمّاد:
و أظنه إبراهيم بن المهديّ-: قد فهمت الكتاب أصلحك # الله و عندي عليه
ردّ الجواب

و لعمرى ما تنصفون و لا كا # ن الذي جاء منكم في حسابي

لست آتيك فاعلمنّ و لا لي # فيك حظّ من بعد هذا الكتاب

عائب علي بن هشام بشعر لأنه مرض و لم يعده:

قال حمّاد: قال أبي: و كتبت إلى عليّ بن هشام و قد اعتلتت أيّاما فلم
يأتني رسوله: أنا عليل منذ فارقنتي # و أنت عمّن غاب لا تسأل

ما هكذا كنت و لا هكذا # فيما مضى كنت بنا تفعل

فلما وصلت إليه رقعتي ركب إليّ و جاءني عائدا.

شعره حين عودته من البصرة:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد قال:

لما خرج أبي إلى البصرة خرجته الأولى و عاد، أنشدني في ذلك
لنفسه:

صوت

ما كنت أعرف ما في البين من حزن # حتى تنادوا بأن قد جيء بالسّفن

قامت توّدّعني و العين تغليها # فجمجت [1] بعض ما قالت و لم تب

مالت عليّ تفدّيني و ترشفتني # كما يميل نسيم الرّيح بالغصن

و أعرضت ثم قالت و هي باكية # يا ليت معرفتي إيّاك لم تكن

لما افترقنا على كره لفرقتها # أيقنت أنّي رهين الهمّ و الحزن

أنشده شداد بن عقبة شعرا لجميل فزاد عليه:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

أنشدني شدّاد بن عقبة لجميل:

ففي تسل عنك النفس بالخطة التي # تطيلين تخويفي بها و وعيدي

فقد طالما من غير شكوى قبيحة # رضينا بحكم منك غير سديد

[1] جمجم الكلام: لم يبينه.

قال: فأنشدت الزبير بن بكار هذين البيتين، فقال: لو لم أنصرف من العراق إلا بهما لرأيتهما غنما. و أنشدني شداد لجميل أيضا: بشين سليني بعض مالي فإنما # يبين عند المال كل بخل

/فإني و تكراري الزيارة نحوكم # ليين يدي هجر بشين طويل

قال أبي: فقلت لشداد: فهلا أزيدك فيهما[1]؟ فقال: بلى؛ فقلت:

فيا ليت شعري هل تقولين بعدنا # إذا نحن أزمعنا غدا لرحيل

ألا ليت أياما مضين رواجع # و ليت التوى قد ساعدت بجميل

/فقال شداد: أحسنت و الله! و إن هذا الشعر لضائع؛ فقلت: و كيف ذلك؟ قال: نفيته عن نفسك بتسميتك جميلا فيه، و لم يلحق بجميل، فضاع بينكما جميعا.

اجتمع هو و جماعة من المغنين عند إسحاق المصعبي:

حدّثني لحظة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجم قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال: دعاني إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ، و كان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ، فوجه إليّ فحضرت و حضر علويه و مخارق و غيرهما من المغنّين؛ فبيناهم على شراهم و هم أسرّ ما كانوا، إذ وافاه رسول أمير المؤمنين فقال: أجب؛ فقال: السمع و الطاعة؛ و دعا بشيابه فلبسها. ثم التفت إلى محمد بن راشد الخثاق فقال له: قد بلغني أنّك أحفظ الناس لما يدور في المجالس، فأحفظ لي كلّ صوت يمرّ و ما يشربه كلّ إنسان، حتى إذا عدت أعدت عليّ الأصوات و شربت ما فاتني؛ فقال: نعم، أصلح الله الأمير. و مضى إلى المأمون، فأمره بالشخوص إلى بابك[2] من غد، و تقدّم إليه فيما يحتاج إليه و رجع من عنده. فلما دخل و وضع ثيابه قال: يا محمد، ما صنعت فيما تقدّمت به إليك؟ قال: قد أحكمته أعزّك الله؛ ثم أخبره بما شرب القوم و ما استحسنوه من الغناء بعده؛ فأمر أن يجمع له أكثر ما شربه واحد منهم في قدح، و أن يعاد عليه صوت صوت مما حفظه له حتى يستوفي ما فاته القوم به، ففعل ذلك و شرب حتى استوفى النبيذ و الأصوات. ثم قال لي: يا أبا محمد، إني قد عملت في منصرفي من عند أمير المؤمنين أبياتا فاسمعها؛ فقلت: هاتها أعزّ الله الأمير؛ فأنشدني:

صوت

ألا من لقلب مسلم للنواب # أحاطت به الأجزان من كلّ جانب

تبين يوم البين أنّ اعتزامه # على الصبر من بعض الطنون الكواذب

صوت

حرام على رامي فؤادي بسهمه # دم صبّه بين الحشى و الترائب

[1] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فيها» ، و هو تحريف.

[2] هو بابك الخرمي، و كان قد خرج على دولة بني العباس، و ظهر بأذربيجان و كثر بها أتباعه و استباحوا المحرمات و قتلوا الكثير من المسلمين، ثم أخذ في أيام المعتصم هو و أخوه إسحاق و صلبا.

أراق دما لو لا الهوى ما أراقه # فهل [1] بدمي من نائر أو مطالب

قال: فقلت له: ما سمعت أحسن من هذا الشعر قطاً؛ فقال لي: فاصنع فيه؛ فصنعت فيه لحناً؛ و أحضرتني و صيفة له، فألقيته عليها حتى أخذته؛ و قال: إنما أردت أن أتسلى به في طريقي و تذكّرني به الجارية أمرك إذا غنّته.

فكان كلما ذكر أتاني بزه، إلى أن قدم، عدّة دفعات. لم أجد لإسحاق صنعة في هذا الشعر، و الذي وجدت فيه لعبد الله بن طاهر خفيف رمل، ذكره ابنه عبيد الله عنه. و لمخارق لحن من الرمل. و لعمر بن بانه هزج بالوسطى.

و لمخارق و الطاهرية خفيف ثقيل.

سأل عنه المتوكل حين كف فأحضره ثم غناه فوصله:

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله محمد بن/حمدون قال:

سأل المتوكل عن إسحاق الموصلي، فعرف أنه قد كفّ و أنه في منزله ببغداد؛ فكتب في إحضاره. فلما دخل عليه رفعه حتى أجلسه قدّام السرير، و أعطاه مخدّة، و قال له: بلغني أن المعتصم دفع إليك مخدّة في أوّل يوم جلست بين يديه و هو خليفة، و قال: إنه لا يستجلب ما عند حرّ بمثل الكرامة؛ ثم سأله: هل أكل؟ فقال نعم؛ فأمر أن يسقى؛ فلما شرب أقداحا قال: هاتوا لأبي محمد عودا فجيء به؛ فاندفع يغني بصوت الشعر فيه و الغناء له:

صوت

ما علّة الشيخ عيناه بأربعة [2] # تغرورقان بدمع ثم تنسكب

-قال أبو عبد الله: فو الله ما بقي غلام من الغلمان الوقوف على الحير [3] إلا وجدته يرقص طربا و هو لا يعلم بما يفعل- فأمر له بمائة ألف درهم. ثم قال لي المتوكل: يا ابن حمدون، أ تحسن أن تغنيني هذا الصوت؟ فقلت نعم؛ قال: غنّه؛ فترنّمت به؛ فقال إسحاق: من هذا الذي يحكييني؟ فقال: هذا ابن صديقك حمدون؛ فقال: وددت أنه يحسن أن يحكييني؛ فقلت له: أنت عرّضتني له يا أمير المؤمنين. ثم انحدر المتوكل إلى رقّة [4] بوضرا؛ و كان يستطيبها لكثرة تغريد الأطيّار بها، فغنّي إسحاق:

صوت

أ أن هتفت ورقاء في رونق الصّحى # على غصن غصّ الشباب من الرّند

بكيث كما يبكي الحزين صباة # و شوقا و تابعت الحنين إلى نجد

فضحك المتوكل و قال له: يا إسحاق، هذه أخت فعلتك بالوائق لمّا غنّيته بالصالحية [5]: [1] في ح: «فهل يدري ذا من تائر أو مطالب» .

[2] يقال: عيناه تدمعان بأربعة، أي تسيلان بأربعة آماق، و ذلك أشدّ البكاء.

[3] كذا في ح. و الحير: اسم قصر بسر من رأى بناه المتوكل و أنفق على عمارته أربعة آلاف ألف درهم. (راجع ياقوت في الكلام على الحير) . و في سائر الأصول: «الخبر» بالخاء المعجمة و الباء الموحدة، و هو تصحيف.

[4] الرقة: كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء. و بوصرا: قرية من قرى بغداد.

[5] الصالحية: قرية قرب الرها من أرض الجزيرة، احتلها عبد الملك بن صالح الهاشمي.

طربت إلى الأصبية الصغار # و ذكّرني الهوى قرب المزار

/فكم أعطاك لَمَّا أذن لك في الانصراف؟ قال: مائة ألف درهم؛ فأمر له بمائة ألف درهم، و أذن له بالانصراف إلى بغداد. و كان هذا آخر عهدنا به، لأن إسحاق توفي بعد ذلك بشهرين.

أمره الواثق أن يغني صوتا فتطير منه و غناه:

حدّثني لحظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على الواثق أستاذنه في الانحدار إلى بغداد فوجدته مصطبحا؛ فقال: بحياتي غنّ:

صوت

ألا إن أهل الدار قد ودّعوا الدارا # و إن كان أهل الدار في الحيّ أجوارا[1]

و قد تركوا قلبي حزينا متيما # بذكرهم، لو يستطيع لقد طارا

فتطيرت من اقتراحه له و غنّيته إياه؛ فشرب عليه مرارا، و أمر لي بثلاثين ألف درهم و أذن لي فانصرفت؛ ثم كان آخر عهدي به. الشعر لمطيع بن إياس. و الغناء لإبراهيم الموصليّ ثقل أوّل بالوسطى عن عمرو.

استسقى أحمد بن معاوية نبذا فزحم حامل الدن فكسره و

شعره في ذلك:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عبد الله بن الفرّج قال حدّثنا أحمد بن معاوية قال: كنت في بيتي و علّويه يغنّيني:

صوت

أعرضن من شمط[2] في الرأس لاح به # فهنّ عنه إذا أبصرنه جيد

قد كنّ يعهدن منّي منظرا حسنا # و جمّة[3] حسرت عنها العناقيد

/فوردت عليّ رقعة من إسحاق الموصليّ يستسقينني نبذا؛ فبعثت إليه بدنّ مع غلام لي؛ فلما توسّط الغلام به الجسر زحم فكسر؛ فرجع الغلام إلى إسحاق فأخبره الخبر و سأله مسألتي[4] التجافي عنه؛ فكتب إليّ: يا أحمد بن معاوية # إنّي رميت بداهيه

أشكو إليك فأشكني # كسر الغلام الخايه

يا ليتها سلمت و كا # ن فداءها ابن الزانيه

[1]الأجوار: جمع جار و هو الذي يجاورك في دار أو غيرها.

[2]الشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده.

[3]الجمة: مجتمع شعر الرأس.

[4]في ب، س: «مسألة» .

فبعثت إليه بأربعة أدنان[1]، و أعتقت الغلام بشفاعته في أمره.

صنع صوتا أعجب به المعتصم و الواثق و عجز المغنون عن أخذه عنه:

أخبرني جعفر بن قدامة و محمد بن مزيد قالا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيُّ قَالَ قَالَ لِي حَمْدُونَ بْنُ إِسْمَاعِيلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا صَنَعَ أَبُوكَ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا الصَّوْتُ:

صوت

قف بالديار التي عفا القدم # و غيرتها الأرواح و الدِّيم
لَمَّا وَقَفْنَا بِهَا نَسَانِلَهَا # فاضت من القوم أعين سجم
ذكرنا لعيش مضى إذا ذكرت # ما فات منه فذكره سقم
و كلَّ عيش دامت غضارته # منقطع مرّة و منصرم

-و لحنه ثقيل أوّل-أعجب به المعتصم و الواثق جميعا؛ فقال له المعتصم: بحياتي اردده على مخارق و علويه و الجماعة ليأخذه عنك، و انصحهم فيه؛ فإنهم إن أحسنوا فيه نسب إليك إحسانهم، و إن أساءوا بان فضلك عليهم؛ فردّه عليهم أكثر من/مائتي مرّة، و كانوا يقصدون[2] إلى منزله و يرده عليهم، و مات و ما أخذوا منه علم الله إلا رسمه. الشعر و الغناء لإسحاق، و لحنه ثقيل أوّل.

خروجه مع الرشيد إلى الرقة و قصته بدير القائم و تل عزاز:

أخبرني محمد بن مزيد قال حَدَّثَنَا حَمَّادُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

خرجنا[3] مع الرشيد يريد الرقة؛ فلما صرنا بالموضع الذي يقال له القائم نزلنا، و خرج يتصيد و خرجنا معه، فأبعد في طلب الصيد؛ و لاح لي دير فقصدته و قد تعبت، فأشرفت على صاحبه؛ فقال: هل لك في النزول بنا اليوم؟ فقلت: إي و الله، و إني إلى ذلك لمحتاج؛ فنزل ففتح لي الباب و جلس يحدثني، و كان شيخا كبيرا و قد أدرك دولة بني أمية، فجعل يحدثني عمّن نزل به من القوم و مواليتهم و جيوشهم؛ و عرض عليّ الطعام فأجبت؛ فقدم إليّ طعاما من طعام الدِّيارات[4] نظيفا طيبا، فأكلت منه، و أتاني بشراب و ريان طريّ فشربت منه، و وكل بي جارية تخدمني راهبة لم أر أحسن وجهها منها و لا أشكل؛ فشربت حتى سكرت، و نمت و انتبهت عشاء؛ فقلت في ذلك: [1]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «أدن» و جمع

القلة لفعل المضعف أفعال مثل عمّ و أعمام، و أفعل مثل كف و أكف إلا أن الكثير الأوّل. و الذي ورد في كتب اللغة جمعا لدنّ إنما هو دنان لا غير.

[2] كذا في م. و في سائر الأصول: «يقصدونه إلى منزله» .

[3] ورد هذا الخبر في «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري (ج 1 ص 269 طبع بولاق) مع اختلاف يسير في بعض العبارات.

[4] الديارات: جمع دير. و هذا الجمع لدير على كثرة وروده في معاجم البلدان و كتب الأدب، لم نعثر على نص عليه في معاجم اللغة التي بين أيدينا.

صوت

بدير[1]الفائم الأقصى # غزال شادن أحوى

برى حَبِّي له جسمي # و لا يعلم ما ألقى

و أكنم حَبّه جهدي # و لا و الله ما يخفى

/و ركبت فلاحقت بالمعسكر و الرشيد قد جلس للشرب و طلبني فلم أوجد. و أخبرت بذلك، /فغئيت في الأبيات و دخلت إليه؛ فقال لي: أين كنت؟ ويحك! فأخبرته بالخبر و غئيته الصوت؛ فطرب و شرب عليه حتى سكر، و أحر الرحيل في غد، و مضينا إلى الدير و نزله، فرأى الشيخ و استنطقه، و رأى الجارية التي كانت تخدمني بالأمس؛ فدعا بطعام خفيف فأصاب منه، و دعا بالشراب، و أمر الجارية التي كانت بالأمس تخدمني أن تتولى خدمته و سقيه ففعلت، و شرب حتى طابت نفسه؛ ثم أمر للدير بألف دينار، و أمر باحتمال خراجه له سبع سنين؛ فرحنا.

قال حمّاد: فحدّثني أبي قال: فلما صرنا بتلّ عزاز من دابق[2] خرجت أنا و أصحاب لي تنتزه في قرية من قراها، فأقمنا بها أيّاما، و طلبني الرشيد فلم يجدني. فلما رجعت أتيت الفضل بن الربيع؛ فقال لي: أين كنت؟ طلبك أمير المؤمنين؛ فأخبرته بنزهتنا فغضب. و خفت من الرشيد أكثر مما لقيت من الفضل؛ فقلت:

صوت

إنّ قلبي بالثلّ تلّ عزاز # عند طبي من الطّباء الجوازي[3]

شادن يسكن الشّام و فيه # مع ظرف العراق شكل[4]الحجاز

يا لقومي لبنت قسّ أصابت # منك صفو الهوى و ليست تجازي

حلفت بالمسيح أن تنجز الوعد # د و ليست تهمّ بالإنجاز

و غئيت فيه؛ ثم دخلت على الرشيد و هو مغضب؛ فقال: أين كنت؟ طلبتك فلم أجدك؛ فاعتذرت إليه و أنشدته هذا الشعر و غئيته إياه؛ فتبسّم و قال: عذر و أبيك/و أيّ عذر! و ما زال يشرب عليه و يستعيدنيه ليلته جمعاء حتى انصرفنا مع طلوع الفجر. فلما وصلت إلى رحلي إذا برسول أمير المؤمنين قد أتانا يدعونا؛ فوافيت فدخلت، و إذا ابن جامع يتمرغ على دكان في الدار و هو سكران يتململ؛ فقال لي: يا ابن الموصلي، أ تدري ما جاء بنا؟ فقلت: لا و الله ما أدري؛ فقال: لكّني و الله أدري دراية صحيحة، جاءت

بنا نصرانيّتك الزانية، عليك و عليها لعنة الله. و خرج الآذن فأذن لنا، فدخلنا. فلما رأيت الرشيد تبسّمت؛ فقال لي: ما يضحكك؟ فأخبرته بقول ابن جامع؛ فقال: صدق[5]، ما هو إلا أن فقدتكم فاشتقت إلى ما كنّا فيه، فعودوا بنا، فعدنا فيه حتى انقضى مجلسنا و انصرفنا.

[1]دير القائم الأقصى: على شاطئ الفرات من جانبه الغربي في طريق الرقة. و ذكر ياقوت في «معجمه» و ابن فضل الله العمري في «مسالك الأبصار» بعد تعريفهما لهذا الدير قالا: «قال أبو الفرج: و قد رأيت، و هو مرقب من المراقب التي كانت بين الروم و الفرس، على أطراف الحدود». و فيهما أن هذه الأبيات لعبد الله بن مالك المغني، و قال الخالدي: هي لإسحاق الموصليّ.

[2]دابق: قرية قرب حلب من أعمال عزاز، بينها و بين حلب أربعة فراسخ.

[3]انظر الحاشية رقم 3 ص 373 من هذا الجزء.

[4]الشكل (بالكسر و الفتح) : الدل.

[5]في الأصول: «ما صدق». و ظاهر أن «ما» مقحمة من الناسخ.

لحن إسحاق:

بدير القائم الأقصى

خفيف ثقيل بالوسطى. و فيه للقاسم بن زرور ثقيل أول. و لحنه في:
إِنَّ قَلْبِي بِالتَّلِّ تَلُّ عَزَازَ

خفيف رمل.

دخل على الرشيد ضاربا مغنيا بشعر له فطرب و أجازته:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثني حمّاد عن أبيه قال: دخلت على الرشيد يوما في عمامة قد كوّرتها على رأسي؛ فقال: ما هذه العمامة! كأنك من الأنبار. فلمّا كان من غد دعا بنا إليه، فأمهلت حتى دخل المغنّون جميعا قبلي، ثم دخلت عليه في آخرهم، و قد شددت وسطي بمشدة حرير أحمر، و لبست لباسا مشتهرا، و أخذت بيدي صفاقتين و أقبلت أخطر و أضرب بالصفاقتين و أعني: اسمع لصوت مليح # من صعة الأنباري

صوت خفيف طريف # يطير في الأوتار

/فبسط يده إليّ حتى كاد يقوم، و جعل يقول: أحسنت و حياتي! أحسنت أحسنت! حتى جلست، ثم شرب عليه بقية يومه، و ما استعاد غيره، و أمر لي بعشرين ألف درهم. لحن إسحاق في هذا الشعر هزج.

غنى مغن بصوت له عند الفضل بن الربيع فأعجب به:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال: كنت عند الفضل بن الربيع، فعنّي بعض من كان عنده:

صوت

كلّ شيء منك في عيني حسن # و نصيبي منك همّ و حزن

لا تظنّي أنه غيرني # قدم العهد و لا طول الزمن

فقال لي: أ تدري لمن هذا؟ فقلت: لبعض الطنبوريين؛ فقال: لا و لكنه لذلك الشيطان إسحاق. لحن إسحاق في هذين البيتين رمل بالوسطى من مجموع أغانيه.

**استسقى جارية و هو في ركب الرشيد إلى طوس فأعجبه
فقال شعرا:**

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال: لمّا خرجنا مع الرشيد إلى طوس كنت معه أسيره، فاستسقيت ماء من منزل نزلناه يقال له سحنة[1]، فخرجت إلينا جارية كأنها طيبة، فسقتني ماء؛ فقلت هذا الشعر: [1]كذا في الأصول و «معجم ياقوت» . و الذي في «المسالك و الممالك» لابن حوقل، و «المسالك و الممالك» للأصطخري: «سحنة» بالصاد المهملة المضمومة. و هي موضع بين الدينور و همذان.

صوت

غزال يرتعي جنبات واد # بسحنة قد تمكّن في فؤادي
سقاني شربة كانت شفاء # لعلّة حائم حرّان[1]صادي

/و غنّيته الرشيد؛ فقال لي: أ تحبّ أن أزوّجكها؟ فقلت: نعم و الله يا سيّدي؛ قال: فاخطبها و المهر عليّ و ما يصلحها؛ فخطبتها، فأبى أهلها أن يخرجوها من بلدهم. لحن إسحاق في هذين البيتين ثقيل أوّل. و فيه لعلويه خفيف رمل.

صنع صوتا فأخذه أحد العامّة و هو يرّدده فاعتم و لم ينسبه لنفسه:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال:
قال لي أبي: ما اغتممت بشيء قطّ مثل ما اغتممت بصوت مليح صنعته في هذا الشعر.

صوت

كان لي قلب أعيش به # فاكثوى بالنار فاحترقا
أنا لم أرزق محبّتها # إنما للعبد ما رزقا
من يكن ما ذاق طعم ردى # ذاقه لا شكّ إن عشقا

فإنّي صنعت فيه[لحنا][2] و جعلت أرّده في جناح لي سحرا؛ فأظنّ أنّ إنسانا من العامّة مرّ بي فسمعه فأخذه؛ فبكرت من غد إلى المعتصم لأغنيه، فإذا أنا بسوّاط يسوط[3]الناطف[4] و هو يغنيّ اللحن بعينه إلا أنه غناء فاسد.

ف عجبت و قلت: ترى من أين لهذا السّوّاط هذا الصوت! و لعلّي إذ غنّيته أن يكون قد مرّ بي هذا فسمعني أغنيه؛ و بقيت متحيّرا، ثم قلت يا فتى، ممن سمعت هذا الصوت؟ فلم يجبني و التفت إلى شريكه، و قال[5]: هذا يسألني ممن سمعته! هذا غنائي، و الله لو سمعه إسحاق الموصليّ لخرى في سراويله؛ فبادرت و الله هاربا خوف أن يمرّ بي إنسان فيسمع ما جرى عليّ فأفتضح؛ و ما علم الله أني نطقت بذلك الصوت بعدها.

كتب إليه إبراهيم بن المهدي في أحجية فأجابته:

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال:

كتب إبراهيم بن المهديّ إلى أبي: أيّ شيء تصحيف: «لا يريح مثل
الأسنة». فكتب إليه أبي: تصحيفه: «لا يرث/جميل إلا بثينة» ؛ فكتب إليه:
وى منك!.

[1] كذا في ح. و في سائر الأصول: «غرثان» . و الغرثان: الجائع. و
الحائم: العطشان.

[2] زيادة يقتضيها السياق.

[3] ساط الشيء: خلطه.

[4] الناطف: ضرب من الحلواء لأنه ينطف قبل استضرابه، أي يقطر
قبل خثورته.

[5] كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «و قال خذ إليك. يسألني
ممن... إلخ» .

مدح جعفر بن يحيى ببيتين و غناه فيهما فوصله:

أخبرنا جعفر قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال:

دخلت يوما على جعفر بن يحيى، فرأى شفتيّ تتحرّكان بشيء [1] كنت أعمله؛ فقال: أ تدعو أم تصنع [2] ما ذا؟ فقلت: بل أمدح؛ قال: قل؛ فقلت:

صوت

و كنت إذا إذن عليك جرى لنا # تجلّى لنا وجه أغرّ وسيم

علانية محمودة و سريرة # و فعل يسرّ المعنفين كريم

فاحتبسني و أمر لي بمال جليل و كسوة، و قال: زد البيتين حسنا بأن تصنع فيهما لحنا؛ فصنعت لحنا من الثقل الثاني؛ فلم يزل يشرب عليهما حتى سكر.

قصة دخوله بيتا طفيليا:

أخبرنا محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنه حدّثه قال: غدوت يوما و أنا ضجر من ملازمة دار الخلافة و الخدمة فيها؛ فخرجت و ركبت بكرة، و عزمت على أن أطوف الصحراء و أتفرّج؛ فقلت لغلماني: إن جاء رسول الخليفة أو غيره فعزّفوه أني بكرت في بعض مهمّاتي، و أنكم لا تعرفون أين توجّهت؛ و مضيت و طفت ما بدا لي، ثم عدت و قد حمي النهار؛ فوقفت في الشارع المعروف بالمخزّم [3] في فناء تخين الظلّ و جناح رحب على الطريق لأستريح. فلم ألبث/أن جاء خادم يقود حمارا فارها عليه جارية راكبة، تحتها منديل ديبقيّ [4] و عليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده، و رأيت لها قواما حسنا و طرفا فاترا و شمائل حسنة؛ فخرصت [5] عليها أنها معنّية، فدخلت الدار التي كنت واقفا عليها. ثم لم ألبث أن جاء رجلان شابان جميلان، فاستأذنا فأذن لهما فنزلا و نزلت معهما و دخلت؛ فظننا أن صاحب الدار دعاني و ظنّ صاحب الدار أني معهما؛ فجلسنا، و أتي بالطعام فأكلنا و بالشراب فوضع، و خرجت الجارية و في يدها عود فعنّت و شربنا؛ و قمت قومة، و سأل صاحب المنزل الرجلين عنّي فأخبراه أنهما لا يعرفاني؛ فقال: هذا طفيليّ، و لكنه ظريف، فأجملوا عشرته. و جنّت فجلست؛ و عنّت الجارية في لحن لي: ذكرتك أن مرّت بنا أمّ شادن # أمام المطايا تشرئبّ و تسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرة # شعاع الضحى في منها يتوضّح [6]

فأدّته أداء صالحا و شربت. ثم غنّت أصواتا شتّى، و غنّت في أضعافها من صنعتي: [1] كذا في ح. و في سائر الأصول: «لشيء» .

[2] كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «أم تصنع أم ما ذا؟» .

[3] كذا في «معجم ما استعجم» . و هي محلة ببغداد بالجانب الشرقيّ. و في الأصول: «المحرّم» بالحاء المهملة، و هو تصحيف.

[4] راجع الحاشية رقم 3 ص 345 من هذا الجزء.

[5] خرصت: ظننت و خمنت.

[6] انظر الحاشية رقم 3 ص 292 من هذا الجزء.

الطلول الدوارس # فارقتها الأوانس

أوحشت بعد أهلها # فهي قفر بسابس

فكان أمرها فيه أصلح منه في الأوّل. ثم غنّت أصواتا من القديم و الحديث، و غنّت في أثنائها من صنعتي: قل لمن صدّ عاتبا # و نأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد # ت و إن كنت لاعبا

فكان أصلح ما غنّته؛ فاستعدته منها لأصحّح لها؛ فأقبل عليّ رجل من الرجلين و قال: ما رأيت طفيلياً أصفق وجهها منك! لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت، و هذا غاية/المثل/ «طفيليّ مقترح»؛ فأطرقت و لم أجه؛ و جعل صاحبه يكفّه عنّي فلا يكفّ. ثم قاموا للصلاة و تأخرت قليلا، فأخذت عود الجارية، ثم شددت طبقتة و أصلحته إصلاحا محكما، و عدت إلى موضعي فصليت، و عادوا؛ ثم أخذ ذلك الرجل في عربدته عليّ و أنا صامت؛ ثم أخذت الجارية العود فجسّته و أنكرت حاله و قالت: من مسّ عودي؟ قالوا: ما مسّه أحد! قالت: بلى! و الله لقد مسّه جازق متقدّم و شدّ طبقتة و أصلحه إصلاح متمكّن من صناعته؛ فقلت لها: أنا أصلحته؛ قالت: فبالله خذه و اضرب به؛ فأخذته و ضربت به مبدأ صحيحا ظريفا عجيبا صعبا، فيه نقرات محرّكة؛ فما بقي أحد منهم إلا و ثب [على قدميه] [1] و جلس بين يديّ؛ ثم قالوا: بالله يا سيّدنا أ تغنّي؟ فقلت: نعم، و أعزّفكم نفسي، أنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، و و الله إنني لآتيه على الخليفة إذا طلبني [2] و أنتم تسمعونني ما أكره منذ اليوم لأنني تملحت معكم؛ فو الله لا نطق بحرف و لا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغنّ؛ فقال له صاحبه: من هذا حذرت عليك؛ فأخذ يعتذر؛ فقلت: و الله لا نطق بحرف و لا جلست معكم حتى يخرج؛ فأخذوا بيده فأخرجوه و عادوا.

فبدأت و غنّيت الأصوات التي غنّتها الجارية من صنعتي؛ فقال لي الرجل: هل لك في خصلة؟ قلت: ما هي؟ قال: تقيم عندي شهرا، و الجارية و الحمار لك مع ما عليها من حليّ؛ قلت: أفعل، فأقمت عنده ثلاثين يوما لا يدري أحد أين أنا، و المأمون يطلبني في كلّ موضع فلا يعرف لي خبرا. فلمّا كان بعد ثلاثين يوما أسلم إليّ الجارية و الحمار و الخادم؛ فجنّت بذلك إلى منزلي؛ و ركبت إلى المأمون من وقتي؛ فلمّا رأني قال: إسحاق! ويحك! أين تكون؟ فأخبرته بخبري؛ فقال: عليّ بالرجل/الساعة؛ فدللّتهم على بيته فأحضر؛ فسأله المأمون عن القصة فأخبره؛ فقال له: أنت رجل ذو مروءة و

سبيلك أن تعاون عليها، و أمر له بمائة ألف درهم، و قال: لا تعاشرنّ ذلك المعريد النّذل البتّة؛ و أمر لي بخمسين ألف درهم، و قال: أحضرني الجارية، فأحضرتها فغنته؛ فقال لي: قد جعلت لها نوبة في كلّ يوم ثلاثاء تغنييني وراء الستارة مع الجوّاري؛ و أمر لها بخمسين ألف درهم. فربحت و الله بتلك الرّكبة و أربحت.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني صوت

ذكرتك أن مرّت بنا أم شادن # أمام المطايا تشرئبّ و تسنج
من المؤلفات الرمل أدماء حرّة # شعاع الصّحى في متنها يتوضّح

[1]زيادة عن ٤.

[2]كذا في ح. و في سائر الأصول: «إذا كلمني» .

الشعر لذي الرِّمَّة. و الغناء لإسحاق ثقيل أوّل بالسبابة و الوسطى، عن ابن المكيّ. و من أغاني إسحاق:

صوت

قل لمن صدّ عاتبا # و نأى عنك جانبا
قد بلغت الذي أرد # ت و إن كنت لاعبا

صوت

الطلول الدّوارس # فارقتها الأوانس
أوحشت بعد أهلها # فهي قفر بسابس

الشعر لابن ياسين، شاعر مجهول قليل الشعر، كان صديقا لإسحاق. و الغناء لإسحاق خفيف ثقيل. و هذا الصوت من أوابد إسحاق و بدائعه.

غنى صوت له أمام الواثق فأعجب به و حله:

أخبرني عمّي قال حدّثني يزيد بن محمد المهلبّي قال: كنت عند الواثق؛ فغنّته «شجى» التي وهبها له إسحاق هذا الصوت؛ فقال لمخارق و علّوبه: و الله لو عاش معبد ما شقّ غبار إسحاق في هذا الصوت؛ فقالا[1] له: إنه لحسن يا أمير المؤمنين؛ فغضب و قال: ليس عند كما فيه إلا هذا! ثم أقبل على أحمد[2] بن المكيّ فقال: دعني من هذيه الأحمقين؛ أوّل بيت في هذا الصوت أربع كلمات: «الطلول» كلمة، و «الدوارس» كلمة، و «فارقتها» كلمة، و «الأوانس» كلمة؛ فانظر هل ترك إسحاق شيئا من الصنعة يتصرّف فيه المغنّي لم يدخله في هذه الكلمات الأربع! بدأ بها نشيدا، و تلاه بالبسيط، و جعل فيه صياحا، و إسجاحا، و ترجيحا للنغم، و اختلاسا فيها، و عمل هذا كله في أربع كلمات، فهل سمعت أحدا تقدّم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه؟! فقال: صدق أمير المؤمنين، قد لحق من قبله و سبق من بعده.

مر مع الواثق بدير مريم فقال فيه شعرا و غنى فيه فوصله:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني ميمون بن هارون قال حدّثني إسحاق قال: لما خرجت مع الواثق إلى النّجف درنا بالحيرة و مررنا بدياراتها؛ فرأيت دير[3] مريم بالحيرة، فأعجيني موقعه و حسن بنائه؛ فقلت: [1] في الأصول: «فقالوا» و السياق يقتضي التثنية، كما هو ظاهر.

[2] في الأصول: «محمد بن المكي». و المعروف المشهور بهذه النسبة ما أثبتناه.

[3] دير مريم أو دير مارت مريم: يطلق على ديرين، أحدهما: دير قديم من بناء المنذر حسن الوضع بين الخورنق و السدير و بين قصر أبي الخصيب مشرف على النجف؛ و سياق الخبر هاهنا يدل على أن هذا الدير هو المراد. و الآخر: دير قديم أيضا بالشام؛ ذكره البكري و ياقوت و استشهدا بهذين البيتين. قال البكري: «هو بالشام و هو دير قديم من دياراتها لا أدري أين موضعه؛ و قد ذكره بعض الشعراء القدماء و غنى فيه ابن محرز قال:

نعم المحلّ لمن يسعى للذّته # دير لمريم فوق الظهر معمور
ظلّ ظليل و ماء غير ذي أسن # و قاصرات [1] كأمثال الدّمي حور

فقال الواصل: لا نصطبح و الله غدا إلا فيه؛ و أمر بأن يعدّ فيه ما يصلح من الليل؛ و باكرناه فاصطبحنا فيه على هذا الصوت؛ و أمر بمال ففرّق على أهل ذلك الدّير، و أمر لي بجائزة. لحن إسحاق في هذين البيتين ثاني ثقيل بالبنصر.

غنى عبد الله بن طاهر فوصله:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أخرج إليّ عبد الله بن طاهر يوما بيتي شعر في رقعة و قال: هذان البيتان وجدتهما على بساط طبريّ [2] أصهبذي أهدى إليّ من طبرستان، فأحبّ أن تغنيّني فيهما؛ فقرأتها فإذا هما: لِحّ بالعين و اكف # من هوى لا يساعف

كلّما كفّ غربها [3] # هيجته المعازف

/قال: فغنيّيت فيهما و غدوت بهما إليه، فأعجب بالصوت و وصلني بصلة سنيّة، و كان يشتهيّه و يقترحه، و طرحته على جميع جواربه، و شاع خبر إعجابه [به] [4]. فيينا المعتصم يوما جالس يعرض عليه فرش الربيع، إذ مرّ به بساط ديباج في نهاية الحسن عليه هذان البيتان و معهما: إنما الموت أن تفا # رق من أنت ألف

/لك حبان في الفؤا # د تليد و طارف

فأمر بالبساط فحمل إلى عبد الله بن طاهر، و قال للرسول: قل له: إني قد عرفت شغفك بالغناء في هذا الشعر، فلما وقع هذا البساط أحببت أن أتمّ سرورك به. فشكر عبد الله ما تأدّى إليه من هذه الرسالة و أعظم مقداره، و قال () نعم المحلّ لمن يسعى للذّته # دير لمريم فوق الظهر معمور

ظلّ ظليل و ماء غير ذي أسن # و قاصرات كأمثال الدّمي حور

قال أبو الفرج: حدّثنا الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: نزلنا مع الرشيد بدير مارت مريم في بعض خرجاته إلى الشام فرأى منه موضعا حسنا فنشط للشرب و قال: غنني صوتا في معنى موضعنا، فغننيته: نعم المحلّ لمن يسعى للذّته

البيتين، فطرب و شرب؛ فقال: أ هذا لك؟قلت: لا، هو لابن محرز؛ فقال لي: أنت إذا صدى تؤدّي ما سمعت؛ فقلت: فأنا أصنع فيه لحنًا، فصنعته فيه و غنّيته. قال أبو الفرج: و لحن ابن محرز و إسحاق في هذا الشعر كلاهما من الثقيل الأوّل» ا هـ. و لم نجد هذه الرواية التي ذكرها البكري في أصول «الأغاني» التي بين أيدينا. و لعله نقلها من كتاب «الديارات» للمؤلف. (راجع ما كتب على هذا الدير في «معجم البلدان» ج 2 ص 692 و «معجم ما استعجم» ص 371 و «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» ج 1 ص 317).

[1]القاصرة من النساء: التي لا تمدّ عينيها إلى غير بعلاها.

[2]طبري: نسبة إلى طبرستان و هي بلدان واسعة كثيرة، قصبتها آمل. و أصبهذي: نسبة إلى أصبهذان: مدينة في بلاد الديلم بينها و بين البحر ميلان.

[3]الغرب: الدمع.

[4]الزيادة عن ء.

لي: و الله يا أبا محمد لسروري بتمام الشعر أشدّ من سروري بكل شيء، فألحقهما في الغناء بالبيتين الأولين، فألحقتهما.

نسبة هذا الصوت

صوت

لجّ بالعين واكف # من هوى لا يساعف

كلّما كفّ غربها # هيجته المعازف

إنما الموت أن تفا # رق من أنت آلف

لك حبان في الفؤا # د تليد و طارب

و لم أعرف من خبر شاعره غير ما ذكرته في هذا الخبر. و الغناء لإسحاق هزج بالوسطى.

مقدار صنعته:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ عن ابن المكيّ عن أبيه قال: قلت لإسحاق يوما: يا أبا محمد، كم تكون صنعتك؟ فقال: ما بلغت مائتين قطّ.

مرضه و وفاته:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال:

قال لي وكيل بن الحرونيّ: قلت لأبيك إسحاق: يا أبا محمد، كم يكون غناؤك؟ قال: نحو من أربعمئة صوت. قال: و قال له رجل بحضرتي: مالك لا تكثر الصنعة كما يكثّر الناس؟ قال: لأني إنما أنقر في صخرة.

و لإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحشو، طرحتها لذلك؛ و له أخبار آخر حسن ذكرها في مواضع تليق بها فأخّرتها و احتبستها عليها؛ و فيما ذكرته ها هنا منها مقنع.

و توفّي إسحاق [1] ببغداد في أوّل خلافة المتوكّل. فأخبرني الصّوليّ قال ذكر إبراهيم بن محمد الشّاهينيّ: أنّ إسحاق كان يسأل الله ألاّ يبتليه بالقولنج [2] لما رأى من صعوبته على أبيه؛ فرأى في منامه كأنّ قائلاً يقول له: قد أجيبت دعوتك و لست تموت بالقولنج، و لكنك تموت بضدّه، فأصابه ذرب [3] في شهر رمضان سنة خمس و ثلاثين و مائتين؛ فكان يتصدّق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم؛ ثم ضعف عن الصوم فلم يطقه و مات في شهر رمضان.

[1]الذي في ابن خلكان و «النجوم الزاهرة» أن مولده كان في سنة خمسين و مائة و هي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعيّ و مات فيها الإمام أبو حنيفة رضي الله عنهما، فتكون سنة خمسا و ثمانين سنة.

[2]القولنج: مرض معوي مؤلم، يعسر معه خروج الثقل و الريح.

[3]الذرب: داء يعرض للمعدة فلا تهضم معه الطعام، و يفسد فيها فلا تمسكه.

نعي إسحاق إلى المتوكل في وسط خلافته، فغمّه و حزن عليه، و قال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك و بهائه و زينته؛ ثم نعي إليه بعده أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، فقال: تكافأت الحالتان، و قام الفتح بوفاة أحمد-و ما كنت آمن وثبته عليّ-مقام الفجيعة بإسحاق؛ فالحمد لله على ذلك.

حدّثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني رجل من الكُتاب من أهل قطر بل قال حدّثني أبي عن أبيه قال: رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي:

مات الحسان ابن الحسا # ن و مات إحسان الزمان

فأصبحت من غد فركبت في بعض حوائجي، فتلقاني خبر وفاة إسحاق الموصليّ.

ما رثاه به الشعراء:

و قال/إدريس بن أبي حفصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ:

سقي الله يا ابن الموصليّ بوابل # من الغيث قبراً أنت فيه مقيم

ذهبت فأوحشت الكرام فما يني # بعبرته يبكي عليك كريم

إلى الله أشكو فقد إسحاق إنني # و إن كنت شيخاً بالعراق يتيم

و قال محمد بن عمرو الجرجاني يرثيه:

على الحدث الشرقيّ عوجاً فسلماً # ببغداد لماً ضنّ عنه عوائده

و قولاً له لو كان للموت فدية # فذاك من الموت الطّريف و تالده

أ إسحاق لا تبعد و إن كان قد رمى # بك الموت وردا ليس يصدر وارده

إذا هزل اخضرت فنون حديثه # و رقت حواشيه و طابت مشاهدته

و إن جدّ كان القول جدّاً و أقسمت # مخارجه ألاّ تلين معاقده

فبكّ على ابن الموصليّ بعبرة # كما ارفضّ من نظم الجمان فرائده

و قال مصعب بن عبد الله الرّبيريّ يرثيه-نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قدامة، و ذكر أن حمّاد بن إسحاق أنشده إياها، و نسخته أيضاً من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء يذكر فيه عن الرّبير عن عمّه مصعب أنه أنشده لنفسه يرثي إسحاق:- أ تدري لمن تبكي العيون الدّوارف # و ينهلّ منها واكف ثم واكف

نعم لامرئ لم يبق في الناس مثله # مفيد لعلم أو صديق ملاطف

تجهّز إسحاق إلى الله غاديا # فلله ما ضمّت عليه اللفائف
و ما حمل النعش المزجّى عشية # إلى القبر إلا دامع العين لاهف

صدورهم مرضى عليه عميدة # لها أزمة[1] من ذكره و زفازف
 ترى كلّ محزون تفيض جفونه # دموعا على الخدين و الوجه شاسف[2]
 جزيت جزاء المحسنين مضاعفا # كما كان جدواك التدى المتضاعف
 فكم لك فينا من خلائق جزلة # سبقت بها منها حديث و سالف
 هي الشهد أو أحلى إلينا حلاوة # من الشهد لم يمزج به الماء غارف
 ذهبت و خلّيت الصديق بعولة # به أسف من حزنه مترادف
 /إذا خطرات الذكر عاودن قلبه # تتابع منهنّ الشئون النوازف
 حبيب إلى الإخوان يرزون[3] ماله # و آت لما يأتي امرؤ الصديق عارف
 هو المنّ و السلوى لمن يستفيده # و سمّ على من يشرب السمّ زاعف
 بكت داره من بعده و تنكرت # معالم من آفاقها[4] و معارف
 فما الدار بالدار التي كنت أعتري # و إني بها لو لا افتقاديك عارف
 هي الدار إلا أنّها قد تخشّعت # و أظلم منها جانب فهو كاسف
 و بان الجمال و الفعال كلاهما # من الدار و استنتت[5] عليها العواصف
 /خلت داره من بعده فكأنما # بعاقبة لم يغن في الدار طارف
 و قد كان فيها للصديق معزّس[6] # و ملتمس إن طاف بالدار طائف
 كرامة إخوان الصفاء و زلفة # لمن جاء تزجيه إليه الرّواصف
 صحابته الغرّ الكرام و لم يكن # ليصحبه السّود اللثام المقارف[7]
 يؤول إليه كلّ أبلج شامخ # ملوك و أبناء الملوك الغطارف
 فلقّيت في يمنى يدك صحيفة # إذا نشرت يوم الحساب الصخائف
 يسرّ الذي فيها إذا ما بدا له # و يفتّر منها ضاحكا و هو واقف
 بما كان ميمونا على كلّ صاحب # يعين على ما نابه و يكائف

[1]أزمة: ضيق و شدة. و زفازف (واحدھا زفزفة) و هي في الأصل
 حنين الريح و صوتها في الشجر. يريد أنه يكون بصدورهم عند ذكره نشيج و
 زفير من الحزن عليه.

[2]الشاسف: اليابس ضمرا و هزالا.

[3]يرزون: أصله يرزءون، سهلت همزته ثم حذف لإسناد الفعل إلى
 ضمير الجمع.

[4] في الأصول: «آفاتها» ، و لا يستقيم بها الكلام. و قد آثرنا ما أثبتناه لاستقامة الكلام به مع قرب رسمه من رسم ما في الأصول.

[5] استنتت: انصبت.

[6] المعرّس: موضع التعريس و هو نزول القوم آخر الليل للاستراحة من السفر؛ و قيل: التعريس النزول في المعهد أيّ حين كان من ليل أو نهار.

[7] المقارف: الأندال، و هم أيضا الذين أمهم عربية و أبوهم غير عربي.

سريع إلى إخوانه برضائه # و عن كل ما ساء [1] الأخلاء صارف

أرى الناس كالتسناس [2] لم يبق منهم # خلافاً إلا حشوة [3] وزعانف

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: أنشدني أبو أيوب لأحمد بن إبراهيم يرثي
إسحاق في قصيدة له: لقد طاب الحمام غداة ألوى # بنفس أبي محمد
الحمام

فلو قبل الفداء إذا فدته # ملوك كان يألفها كرام

فلا تبعد فكل فتى سيثوى # عليه التراب يحثى و الرّجام [4]

قال و قال أيضا يرثيه:

لله أيّ فتى إلى دار البلى # حمل الرجال ضحى على الأعواد

كم من كريم ما تجفّ دموعه # من حاضر يبكي عليه و باد

أمسى يؤنّبه و يعرف فضله # من كان يثله من الحساد

فسقتك يا ابن الموصليّ روائح # تروى صدك بصوبها و غواد

و قد بقيت من أخبار إسحاق بقايا مثل أخباره مع بني هاشم، و أخباره
مع إبراهيم بن المهديّ و غيرها، فإنها كثيرة، و لها مواضع ذكرت فيها و
حسن ذكرها هنالك، فأخترتها لذلك عن أخباره التي ذكرت هاهنا، حسبما
شرطنا في أوّل الكتاب.

و مما في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم صوت

ألا قاتل الله اللوى من محلّة # و قاتل ديانا بها كيف ذلّت

غنيانا زمانا باللوى ثم أصبحت # عراض اللوى من أهلها قد تخلّت

عروضه من الطويل. الشعر للصّمة القشيريّ، و الغناء لإسحاق، و لحنه
المختار ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها.

انتهى الجزء الخامس من كتاب الأغاني و يليه الجزء السادس و أوّله
أخبار الصّمة القشيريّ و نسبه [1] في أ، ح، ء: «نال» .

[2] النسناس: خلق في صورة الناس، مشتق منه لضعف خلقهم. و ذكر
ابن منظور صاحب «لسان العرب» معاني أخرى في مادة «نسس»
فانظرها.

[3] يقال: هو من حشوة بني فلان، أي من رذالهم.
[4] الرجام: الحجارة التي تجمع على القبور.

فهرس موضوعات الجزء الخامس

الموضوع الصفحة

- 1- ذكر النابغة الجعديّ و نسبه و أخباره 5
 - 2- حرب بكر و تغلب 27
 - 3- ذكر الهذلي و أخباره 46
 - 4- ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات و نسبه و أخباره 51
 - 5- ذكر مالك بن أبي السمع و أخباره و نسبه 70
 - 6- خبر النهديّ في هذا الشعر 81
 - 7- ذكر باقي خبر الوليد بن عقبة و نسبه 84
 - 8- نسب إبراهيم الموصلي و أخباره 106
 - 9- شيء من ذكر أبي هرمة 173
 - 10- نسب إبراهيم الموصليّ و أخباره 175
 - 11- أخبار إسحاق بن إبراهيم 177
- فهرس الموضوعات 287